منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفون ٥٢٥٣٤٨ – ٥٢١٩٦٦

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الجزء الثاني عشر

الطبعة الرابعة

الناشر:

مكتبة الإسلامية بطهران

شارع البوذرجمهري تليفون (٥٢١٩٦٦)

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع

ألا وَإِنَّكُمْ قد نَفَضْتُمْ أَيدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكامِ الْجاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلىٰ جَماعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيما عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ، الَّتي يَنْتَقِلُونَ «يَتَقَلَّبُونَ خ ل» في ظِلِّها، وَيَأْوُونَ إِلىٰ كَنَفِها، بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَها قِيمَةً، لِأَنَّها أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْراباً، وَبَعْدَ الْمُوالاةِ أَحْزاباً، ما تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النّارَ وَلا الْعارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلامَ عَلىٰ وَجْهِهِ انْتِهاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثاقِهِ، الَّذي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً في أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلىٰ غَيْرِهِ حارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لا جَبْرَئِيلَ وَلا مِيكائِيلَ وَلا مُهاجِرِينَ وَلا أَنْصارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقارَعَةُ بِالسَّيْفِ، حَتّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ، وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثالَ

مِنْ بَأسِ اللهِ وَ قَوارِعِهِ ، وَأَيّامِهِ وَ وَقايِعِهِ

فَلا تَستَبْطِؤُا وَعيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ ، وَ تَهاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأساً مِنْ بَأسِهِ ، فَإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْماضي « القُرُونَ الْماضِيَةَ خ ل » بَيْنَ أيْديكُمْ إلّا لِتَرْكِهِمُ الأمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهاءَ لِرُكُوبِ الْمَعاصي ، وَ الْحُلَماءَ لِتَرْكِ التَّناهي ، ألا وَ قَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإسْلامِ ، وَ عَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَ أمَتُّمْ أحْكامَهُ

اللغة

(نفضت) الورقة من الشجرة أسقطته ، ونفضت الثوب نفضاً حرّكته ليزول عنه الغبار ونحوه فهو منتفض و(ثلمت) الاناء ثلما من باب ضرب كسرته من حافته فهو منثلم ، والثلمة في الحايط و غيره الخلل والجمع ثلم مثل غرفة وغرف و (الخطر) محرّكة السّبق الّذى يتراهن عليه ، وخطر الرّجل خطراً وزان شرف شرفاً إذا ارتفع قدره ومنزلته فهو خطير

و(الأحزاب) جمع حزب وهو الطّائفة من النّاس وتحزّب القوم صاروا أحزابا ، ويوم الأحزاب هو يوم الخندق و (كفات) الاناء قلبته وأكفأته مثله و(بطش به) من باب نصر وضرب أخذه بالعنف والسّطوة كأبطشه ، والبطش الأخذ الشديد في كلّ شيء و(تناهوا عن المنكر) نهي بعضهم بعضا .

الاعراب

قال الشارح المعتزلي : الباء في قوله : بنعمة ، متعلّقة بقوله : امتنّ ، وفي من قوله فيما عقد بينهم متعلّقة بمحذوف وموضعها نصب على الحال ، انتهى

والظاهر من سياق كلامه أنّ ذاالحال هو قوله : بنعمة ، أى امتنّ بنعمة حاصلة فيما عقد آه ، ولايضرّ تقدّمها عليه لكونها ظرفا يغتفر فيه مالايغتفر في غيره ، ويجوز أن يكون ذوالحال قوله : على جماعة إى امتنّ على جماعة هذه الأمّة حالكونهم ثابتين مستقرّين فيما عقد بينهم .

وقوله : النّار ولا العار منصوبان بفعل مضمر، أى ادخلوا النّار ولا تلتزموا العار، وانتها كاًمفعول لأجله لقوله: تريدون، أولقوله: تكفؤا ، والثاني أظهر وأقرب .

وقوله : لاجبرئيل ولا ميكائيل ولامهاجرين قال الشّارح المعتزلي : الرّواية المشهورة هكذا بالنّصب وهوجائز على التشبيه بالنّكرة كقولهم معضلة ولاأباحسن لها ، انتهى .

أقول : قال نجم الأئمة بعد اشتراط كون اسم لا النّافية للجنس نكرة : واعلم أنّه قد يؤول العلم المشتهر ببعض الخلال بنكرة فينتصب وينزع منه لام التعريف إن كان فيه ، نحو لاحسن في الحسن البصرى، ولاصعق في الصعق ، أوفيما اضيف إليه نحو لا امرء قيس ولاابن زبير ، ولتأويله بالمنكر وجهان: إمّا أن يقدّر مضاف هو مثل فلا يتعرّف بالاضافة لتوغّله في الابهام ، و إمّا أن يجعل العلم لاشتهاره بتلك الخلّة كانّه اسم جنس موضوع لافادة ذلك المعنى ، لأنّ معنى قضيّة ولا أباحسن لها لافيصل لها إذهو عليه السلام كان فيصلا في الحكومات على ماقال النّبي صلّى الله عليه وآله : أقضاكم عليّ ، فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل ، انتهى .

وعليه فالتّاويل في كلامه أن يراد بقوله لاجبرئيل ولاميكائيل أنّه لاناصر لكم ولامعاون ، هذا .

وعلى الرّواية الغير المشهورة فالرّفع في الجميع بالابتداء على أن لاملغاة عن العمل ، وهو أحد الوجوه الخمسة الّتي ذكرها علماء الأدب في نحو لاحول ولاقوّة إلاّ بالله ، و على أىّ تقدير فالخبر محذوف وجملة ينصرونكم وصف أو حال والأوّل أظهر و أولى من جعلها خبراً أيضاً كما ذهب إليه الشّارح البحراني .

وقوله : إلاّ المقارعة بالسّيف ، يروى بالنصب وبالرّفع

أمّا النّصب فعلي أنّه استثناء من الأسماء الواقعة بعد لاء التّبرية لعمومها بعد تأويل الأوّلين منها بالنكرة حسبما عرفت ، فانّ الكلام بعد التأويل المذكور بمنزلة لاعوان ولا ناصرين ينصرونكم إلاّ المقارعة ، و يجوز جعل المستثنى منه ضمير الجمع في ينصرون العايد الى الأسماء المذكورة ، وعلى أيّ تقدير فالظّاهر أنّ الاستثناء متّصل بعد ارتكاب التاويل المذكور لامنقطع كما قاله الرّاوندي .

وأمّا الرّفع فعلي أنّه بدل من الأسماء المذكورة على روايتها بالرّفع ، أو من ضمير ينصرون على روايتها بالنّصب ، والرّفع هو المختار كما قاله علماء الأدب في مثل مافعلوه إلاّ قليل وإلاّ قليلا ، أى فيما إذا وقع المستثنى بالاّ في كلام غير موجب وذكر المستثنى منه أنّه يجوز النّصب ويختار البدل .

و مرادهم بالكلام الغير الموجب كما قاله نجم الأئمة أن يكون المستثنى مؤخّراً من المستثنى منه المشتمل عليه نفى أو نهى ، فيدخل فيه الضّمير الرّاجع قبل الاستثناء بالاّ على اسم صالح لأن يبدل منه معمول للابتدا أو أحد نواسخه نحو قولك ما أحد ضربته إلاّ زيداً يجوز لك الابدال من هاء ضربته لأنّ المعني ماضربت أحداً إلاّ زيداً ، فقد اشتمل النفي على هذا الضمير من حيث المعني ، وكذلك إذا كان الضمير فى صفة المبتداء نحو ما أحد لقيته كريم إلاّ زيداً ، فانّه بمنزلة مالقيت أحداً كريما إلاّ زيداً .

فعلم بذلك انّ جعل جملة ينصرون في كلامه عليه السلام صفة أوخبراً لا يوجب التفاوت فى الابدال من الضمير الّذى فيه .

قال نجم الأئمة: والابدال من صاحب الضمير أولى لأنّه الاصل و لايحتاج الى تاويل آه .

فان قلت : فعلى الابدال يكون بدل غلط فكيف به فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام الّذي هو أفصح الكلام ؟

قلت : كلاّ بل هو بدل اشتمال ، لأنّ نصرة جبرئيل و ميكائيل والمهاجر والأنصار لماكان بمقارعة السّيوف حسن ذلك للابدال ، هذا مايقتضيه النظر الجلى .

وأمّا الذى يقتضيه النظر الدّقيق فهو أن جعل انتصاب المقارعة على رواية النصب

بالمصدر كما قاله الشارح المعتزلي أولى ، لا فادته الدّوام والثبوت .

بيان ذلك أنهم قد قالوا إنّ المصدر إذا وقع مثبتاً بعد نفي داخل على اسم لايكون خبراً عنه إلاّ مجازاً لكونه صاحب هذا المصدر يحذف عامله قياساً نحو ما زيد إلاّ سيراً ، و ما الدّهر إلاّ تقلّباً ، وما كان زيد إلاّ سيراً ، فانّ سيراً لا يجوز جعله خبراً عن زيد ، لأنّ زيداً صاحب السير لانفس السير ، وهكذا لا يصحّ جعل تقلّباً خبراً عن دهر ، فلابدّمن أن يكون العامل محذوفاً أى مازيد إلاّ يسير سيراً ، وما الدّهر إلاّ يتقلّب تقلّبا ، وفيما نحن فيه لاأنصار ينصرونكم إلاّ تقارعوا المقارعة بالسيف .

قال نجم الأئمة : و إنّما وجب حذف الفعل لأنّ المقصود من هذا الحصر وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدّد ، فلما كان المراد التنصيص على الدّوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلا لكونه إما فعلا وهو موضع على التجدّد ، أواسم فاعل وهو مع العمل كالفعل لمشابهته ، فصار العامل لازم الحذف ، فان أرادوا زيادة المبالغة جعلوا المصدر نفسه خبراً نحو مازيد إلاّسير كما ذكرنا فى المبتداء في قولنا إنما هي أقبال و إدبار ، فينمحى إذا عن الكلام معني الحدوث أصلا لعدم صريح الفعل وعدم المفعول المطلق الدّال عليه ، انتهى .

وبه يعلم أنه على رواية الرّفع يجوز أن يكون ارتفاعه على الخبر قصداً إلى المبالغة كما فى مازيد إلاّ سير ، فافهم جيّداً .

المعنى

اعلم أنّه لمّا أمر المخاطبين في الفصل السابق بالاعتبار بحال بني إسماعيل وبني إسرائيل ، عاد في هذا الفصل إلى تقريعهم وتوبيخهم كما فى أكثر الفصول السّابقة بقلّة الطّاعة وأخذ طريق الجاهليّة فقال :

(ألا وانّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة) والتعبير بلفظ النّفض دون الترك للاشارة إلى طرحهم له و إعراضهم عنه ، فانّ من يخلى الشيء من يده

ثمّ ينفض يده منه يكون أشدّ تخلية ممن لاينفضها ، بل يقنع بتخليته فقط .

وتشبيه الطاعة بالحبل من تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشّبه أنّ الحبل آلة الوصلة بين الشيئين والطاعة سبب الاتّصال بقرب الخالق ، ولذلك أمر الله سبحانه بالاعتصام به في قوله «واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا» .

(وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهليّة) استعار حصن الله للاسلام ، ورشح بذكر المضروب ، و الجامع بين المستعار منه والمستعار له أنّ الحصن سبب الحفظ والوقاية من شرّ الأعداء ، والاسلام سبب السّلامة من شرّ الأعداء في الدّنيا و من حرّ النّار في الآخرة ، يعني أنّكم كسرتم حصن الاسلام الّذي كنتم متحصّنين فيه متحفّظين به بأحكام الجاهليّة وهي التفرّق والاختلاف والعصبيّة والاستكبار .

ولمّا وبّخهم على ترك الطاعة وثلم الاسلام بالافتراق والاختلاف رغّبهم في الاعتصام بحبل الايتلاف و الاجتماع بالتّنبيه على أنّه أعظم نعمة أنعم الله سبحانه بها على عباده وهو قوله :

(وانّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة) أى منّ عليهم (فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة الّتي ينتقلون) وفي بعض النسخ يتقلّبون (في ظلّها ويأوون إلى كنفها) أى ينزلون ويسكنون إلى جانبها وناحيتها .

والمراد بحبل الالفة هو الاسلام الموجب للايتلاف والارتباط بينهم استعار له الحبل لذلك .

(بنعمة) أى امتنّ عليهم بنعمة عظيمة (لايعرف أحد من المخلوقين لها قيمة) والمراد بتلك النعمة نفس هذه الالفة أو الاسلام الموجب لها ، فانّها نعمة عظيمة يترتّب عليها من المنافع الدّنيويّة والاُخروية مالاتحصى ، ويندفع بها من المضار الدّنيوية والاُخرويّة مالاتستقصى .

وفي هذه الفقرات تلميح إلى قوله تعالى في سورة آل عمران «يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون ✩ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها » (١)

قال الطبرسي : أي تمسّكوا بحبل الله وهودين الله والاسلام قاله ابن عبّاس ، ولا تفرّقوا ولاتتفرّقوا عن دين الله الّذى أمركم فيه بلزوم الجماعة والايتلاف على الطاعة واثبتوا عليه .

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم .

قيل : أراد ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب الّتي تطاولت ماة وعشرين سنة إلى أن ألّف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالت تلك الأحقاد .

وقيل : هو ما كان بين مشركى العرب من الطوائل ، والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالاسلام وبالايتلاف ، ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف ، فهذا هو النفع الحاصل لكم فى العاجل مع ما أعدّ لكم من الثواب الجزيل فى الآجل ، إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، بجمعكم على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم .

فأصبحتم بنعمته ، أى بنعمة الله إخواناً متواصلين وأحباباً متحابّين ، بعد أن كنتم متحاربين متعادين .

وكنتم على شفا حفرة من النار ، أى وكنتم يا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على طرف حفرة

---

(١) قال فى مجمع البيان فى وجه نزول هذه الآية قال : مقاتل : افتخر رجلان من الأوس والخزرج .

فقال الأوسى : منّا خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين ، و منّا حنظلة غسيل الملائكة ، ومنّا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدين ، ومنّا سعد بن معاذ الذى اهتزّ عرش الرّحمن له ورضى بحكمه فى بنى قريظة .

وقال الخزرجى : منّا أربعة أحكموا القرآن ابىّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، و زيد ابن ثابت ، وابوزيد ، ومنّا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم .

فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا ، فجاء الأوس إلى الأوسى والخزرج إلى الخزرجى ومعهم السلاح ، فبلغ ذلك النبىّ (ص) فركب حماراً وأتاهم ، فأنزل الله الآيات فقرأها عليهم ، فاصطلحوا ، منه .

من جهنّم لم يكن بينكم وبينها إلاّ الموت .

فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولاً و هداكم للايمان و دعاكم إليه فنجوتم باجابته من النار .

وانما قال : فأنقذكم منها وإن لم يكونوا فيها ، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها حيث كانوا مستحقّين لها .

وبما ذكرنا كلّه علم أنّ هذه النعمة أعنى نعمة الالفة والمحابّة على الاسلام أعظم نعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة .

(لأنّها) موجبة لسعادة النشأتين وعزّ الدّارين وللانقاذ من النار والدّخول فى جنّات تجرى من تحتها الأنهار والنزول فى منازل الأبرار و(أرجح من كلّ ثمن) كما يشير اليه قوله تعالى « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ماألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وأجلّ من كلّ خطر) وشرف ومزيّة لجمعها جميع أقسام الشرف، إذ بها يتمكّن من دركها وتحصيلها والوصول إليها.

(واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعرابا) قال الشارح المعتزلى: الأعراب على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله من آمن به من أهل البادية ولم يهاجر إليه ،وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرين لجفائهم و قسوتهم و توحّشهم و تشتّتهم في بعد من مخالطة العلماء وسماع كلام الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وفيهم انزل : «الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » وليست هذه الآية عامّة في كلّ الأعراب بل خاصّة ببعضهم ، وهم الّذين كانوا حول المدينة وهم : جهنية ، وأسلم ، وأشجع ، وغفار ، واليهم أشار سبحانه بقوله « وممّن حولكم من الأعراب منافقون » وكيف يكون كلّ الأعراب مذموماً وقد قال تعالي «ومن الأعراب من يؤمن بالله و اليوم الآخر ويتّخذ ماينفق قربات عند الله » وصارت هذه الكلمة جارية مجرى المثل' انتهى

و قال الشهيد الثاني : المراد بالأعراب من أهل البادية وقد أظهر الشهادتين على وجه حكم باسلامه ظاهراً ولا يعرف من معني الاسلام ومقاصده و أحكامه سوى الشهادتين آه .

إذا عرفت ذلك فأقول :

قدظهر لك في شرح الخطبة المأة والثامنة والثمانين أنّ حقيقة المهاجرة هو الهجرة إلى حضور الحجّة لمعرفته والعلم بوجوب اطاعته و امتثال أحكامه ، وعلى هذا فمقصوده عليه السلام بقوله : صرتم بعد الهجرة أعرابا ، توبيخهم على أنّهم بعدما كانوا عارفين به و بمقامه عليه السلام و وجوب طاعته وعالمين بأحكام الشرع و آدابه و وظايف الاسلام كما هو شأن المهاجر ، قدتركوا ذلك كلّه و صاروا مثل الأعراب الّذين لايعرفون إلاّ ظاهر الاسلام كما قال عزّ وجلّ «أجدر أن لايعلموا حدود ما انزل الله» أى أحرى بأن لايعلموا حدود الله في الفرايض والسنن والحلال والحرام .

يعني أنكم قدصرتم بالعصبيّة والاستكبار والعناد وإثارة الفتن بمنزلة الأعراب الجاهلين بمالهم وماعليهم بعدما كنتم عارفين بذلك كلّه .

(و بعد الموالات أحزاباً) أى بعد الالفة والاجتماع أحزاباً متعادية متشتّتة مختلفة الآراء ، أى صرتم حزبا حزبا و طائفة طائفة كلّ منكم يخالف آخرين ، وكلّ حزب بمالديهم فرحون .

(ماتتعلّقون من الاسلام إلاّ باسمه ولاتعرفون من الايمان إلاّ رسمه) لماجعلهم أعراباً أحزاباً اتبعه بهذه الجملة ولكمال الاتّصال بينهما وصلها بسابقته وترك العاطف .

و المراد أنّهم لم يأخذوا من الاسلام و أحكامه شيئاً إلاّ اسمه فيسمّون باسم المسلم ، ولا يعرفون من الايمان إلاّ صورته دون ماهيّته وحقيقته ، وفي بعض النسخ لاتعقلون بدل لا تعرفون ، والمقصود واحد .

(تقولون النّار ولاالعار) كلمة جارية مجرى المثل يقولها أهل الحميّة والانفة من تحمل الضيم والذّل على نفسه أو من ينسب إليه من قومه و خاصّته استنهاضا والهاباً بها إلى النضال و الجدال فاذا قيلت في حقّ كان ثواباً و إذا قيلت في باطل كان خطاء .

ولمّا كان غرض المخاطبين منها هو الشّر والفساد و إثارة الفتنة المخالفة لوظايف الاسلام شبّه حالهم في أعمالهم وأقوالهم بقوله :

(كأنّكم تريدون أن تكفؤا الاسلام على وجهه) بأنّهم يريدون أن يكبّوا ويقلبوا الاسلام على وجهه، تشبيهاً له بالاناء المقلوب على وجهه فكما أنّه بعدقلبه لايبقي فيه شيء أصلا ويخرج ماكان فيه من حيّز الانتفاع ، فكذلك الاسلام الّذى لم يراع حدوده واحكامه كأنه لم يبق منه شيء ينتفع به ، وهومن الاستعارة المكنيّة وذكر الكفاء تخييل .

وقوله (انتهاكاً لحريمه) أراد به أنّ فعلكم ذلك كاشف عن كون غرضكم منه الانتهاك كالكفّار والمنافقين وأعادى الدّين الذين لاغرض لهم إلاّ إبطال الاسلام وهتك حريمه

(و نقضاً لميثاقه) و هى حدوده و شرايطه المقرّرة و وظايفه المأخوذة فيه (الذى وضعه الله لكم حرما في أرضه) لمنعه الآخذين به والمواظبين له من الرّفث والفسوق والجدال .

(وأمنا بين خلقه) أى سبب أمن أى أماناً لهم من شرّ الأعداء ومن تعدّى كلّ منهم إلى الآخر .

والمراد بنقضهم ميثاقه تركهم لوظايفه المقرّرة ، وقطعهم لما أمرالله به أن يوصل ، و سعيهم في إثارة الفتنة و الفساد و القتل و القتال ، قال سبحانه « الّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمرالله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اُولئك هم الخاسرون » .

قال الطبرسيّ : الذين ينقضون عهدالله ، أى يهدمونه أى لايفون به ، وعهدالله وصيّته إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهيهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به من بعد ميثاقه قال في الصّافي: أى تغليظه وأحكامه

ويقطعون ما أمرالله بــه أن يوصل قال الطبرسيّ : معناه اُمروا بصلة النبيّ والمؤمنين فقطعوهم ، وقيل: اُمروا بصلة الرّحم والقرابة فقطعوها و قيل : اُمروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرّقوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا وقيل : معناه الأمر بوصل

كلّ من أمر الله بصلته من أوليائه والقطع والبرائة من أعدائه ، وهذا أقوى لأنّه أعمّ

وفي الصّافي أقول : ويدخل في الآية التفريق بين الأنبياء والكتب في التصديق وترك موالاة المؤمنين والجمعة والجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير أو تعاطى شرّ لأنّه يقطع الوصلة بين الله و بين العبد الّتى هى المقصودة بالذات من كلّ وصل و فصل .

و يفسدون في الأرض قيل : نقضهم العهد ، و قيل أراد كلّ معصية تعدّى ضررها إلى غير فاعلها .

وفي الصّافي يفسدون بسبب قطعما في وصله نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بما صاروا إلى النيران وحرموا الجنان ، فيالها خساراً لزمتهم عذاب الأبد وحرّمتهم نعيم الأبد .

ثمّ حذّرهم وخوّفهم بقوله (وإنّكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر) يعني أنّكم إن قطعتم حبل الاسلام العاقد بينكم والجامع لجمعيّتكم و تمسّكتم بغيره من حمية أو جماعة أو كثرة عشيرة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرّق فيه فانّ ذلك يوجب أن يطمع فيكم الكفّار ويحاربونكم .

(ثمّ لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين و لا أنصار ينصرونكم) كما كانوا ينصرون في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم (إلاّ المقارعة) أى المضاربة وقرع بعضكم بعضاً (بالسّيف حتّى يحكم الله بينكم) وبينهم بغلبة أحد الفريقين على الآخر .

ثمّ ذكّرهم بالعقوبات النّازلة على الامم الماضية في القرون الخالية بخروجهم عن طاعة الله سبحانه فقال:

(وانّ عندكم الأمثال) الّتي ضربها الله لكم بأهل القرون الماضية كما قال « ولقد أنزلنا اليكم آيات بيّنات ومثلا من الّذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتّقين » وقال أيضاً « وعاداً وثمود وأصحاب الرّس وقروناً بين ذلك كثيراً ✩ و كلاًّ ضربنا له الأمثال و كلاّ تبّرنا تتبيراً »

(من بأس الله) وعذابه لهم (وقوارعه) أى دواهيه وافزاعه الّتي كانت تقرع القلوب بشدّتها (وأيّامه) الّتي انتقم الله فيها من القرون الاُولى .

قال الطبرسيّ في قوله : و ذكّرهم بأيّام الله : معناه وأمرناه (١) بأن يذكّر قومه وقايع الله في الامم الخالية واهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك .

أقول : ومن تلك الأيام ما اشير إليه في قوله « انّا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ ✿ تنزع الناس كأنّهم أعجاز نخل منقعر » وفي قوله « فأخذهم عذاب يوم الظلّة إنّه كان عذاب يوم عظيم » و في قوله « وأمّا عاد فاُهلكوا بريح صرصر عاتية ✿ سخّرها عليهم سبع ليال و ثمانية أيّام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية » .

(ووقايعه) أى نوازله الشّديدة وعقوباته الواقعة بالعاصين المتمرّدين كما اشير اليها في قوله عزّ وجلّ « فكلاّ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وغرضه عليه السلام من التذكير بهذه الأمثال توعيد المخاطبين وتهديدهم من أن يقارفوا ما قارف أهل القرون المتقدّمة من الذّنوب والآثام ، فتنزل عليهم ما نزل بهم من البأس والعذاب ، ولذلك فرّع عليه قوله:

(فلا تستبطؤا وعيده) أى لا تعدّوا ما أوعدكم به من العذاب بطيئاً بعيداً فانّه قريب كما قال « إنّهم يرونه بعيداً ونريه قريبا » .

ولا تبطؤا إبطاءه للعذاب طمعاً منكم في أنّ إبطاءه يوجب ذهابه ، و إمهاله يوجب إهماله كما هو الغالب في وعيد غيره سبحانه ، فانّ تأخيره غالباً يوجب عدم وقوعه إمّا لحصول الغفلة والنسيان من الموعد ، أو لأنه ربّما يفوته من طلب أو يعجزه من هرب ، وأمّا الله الحيّ القيّوم القهّار ذو القوّة المتين والبأس الشّديد فانّه لبالمرصاد ولا يخلف الميعاد ، و المخاطبون لما قاسوه عزّ شأنه بغيره ووعيده بوعيد

---

(١) أى موسى المتقدّم ذكره فى الآية ،م

غيره استبطؤه لذلك وانما وقعوا في هذا الزّعم الفاسد ·

(جهلاً بأخذه وتهاوناً ببطشه ويأساً من بأسه) يعني أنّ جهلكم بمؤاخذته الشديدة ، وتهاونكم ببطشه الناشي من تأخير وقوعه ، ويأسكم من بأسه الناشي من طول مدّة البأس صار علّة للاستبطاء فأوجب ذلك جسارتكم على اقتراف الجرائم واقتحامكم في ورطات الآثام .

كما أنّ أهل القرون الأولى قد وقعوا في الهلاك الدّائم واستحقوا العذاب الأليم أيضاً من الجهالة بأخذه كما اشير إليه في الكتاب الكريم في قوله « و إذا قيل إنّ وعدالله حقّ و الساعة لا ريب فيها قلتم ماندرى ما الساعة إن نظنّ إلاّ ظنّاً وما نحن بمستيقنين » .

ومن التهاون ببطشه كماحكاه سبحانه عنهم بقوله عقيب هذه الآية « وبدالهم سيئآت ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » وبقوله « ولقد استهزء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن » .

ومن اليأس من بأسه كما اخبرعنهم بقوله « فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ✿ فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في في دارهم جاثمين » .

وأما أهل العرفان والايقان فيعرفون بنور الايمان واليقين بما أخبر به الأنبياء والمرسلين وشهد به الكتاب المكنون أنّ وعده عزّ وجلّ ووعيده واقعان لامحالة وأنّ أخذه وبطشه وبأسه وإن تأخر حقّ محقّق لاريب فيه كما قال « ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين » وقال « ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم حتى يأتي وعدالله إنّ الله لايخلف الميعاد ✿ ولقد استهزء برسل من قبلك فأمليت للّذين كفروا ثمّ أخذتهم فكيف كان عقاب »

ويعلمون أنّ التأخير والامهال في العقاب لاقتضاء الحكمة الالهيّة ولو يعجّل(١) الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم .

---

(١) اقتباس من الآية في سورة يونس (ع) (منه)

ولكنه يمهل المؤمنين من باب اللّطف حتّى يتوبوا و يتداركوا الذّنوب بالانابة والاستغفار.

و يمهل الظالمين و يذر الذين لا يرجون لقائه في طغيانهم يعمهون من باب الاستدراج كما قال تعالى « ولايحسبنّ الذين كفروا انمانملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » هذا.

ولما ذكّرهم بأمثال الذين خلوا من قبل ونهاهم عن استبطاء وعيدالله سبحانه أردفه بالتنبيه على عمدة سبب الاستحقاق القرون الخالية للطعن و العتاب واللّعن والعقاب وهو ارتفاع الرّكن الأعظم من الاسلام أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بينهم، و غرضه بذلك تحذير المخاطبين وتنبيههم على أنهم مثلهم في استحقاق اللّعن لارتفاع هذه الخصلة العظيمة من بينهم أيضاً و لذلك أتى بالفاء التفريعيّة فقال:

(فانّ الله سبحانه لم يلعن القرون الماضية) ولم يحرمهم من رحمته الواسعة (إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما اشير إليه في قوله سبحانه « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ۞ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

قال الطبرسيّ ره: أخبر تعالى عما جرى على أسلافهم فقال: لعن الذين كفروا الآية، معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير.

قال وقال أبوجعفر الباقر عليه السلام وأما داود فانه لعن أهل ايلة لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه فقال: اللّهم البسهم اللعنة مثل الرّدا ومثل المنطقة على الحقوين، فمسخهم الله قردة، فأمّا عيسى عليه السلام فانه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك

قال الطبرسيّ ره: وانما ذكر اللعن على لسانهما إزالة للابهام بأنّ لهم منزلة بولادة الأنبياء تنجيهم من العقوبة، ثمّ بيّن الله تعالى حالهم فقال: كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه، أي لم يكن ينهى بعضهم بعضاً ولاينتهون أي لايكفّون عمانهوا عنه

قال ابن عباس : كان بنو اسرائيل ثلاث فرق : فرقة اعتدوا في السّبت ، وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولامؤاكلتهم ، وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحل عنهم وبقى الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعاً .

و **لذلك** قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لتأمرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتاطرنه (١) على الحقّ اطراء أوليضربنّ الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم .

وفى الوسائل عن الحسن بن عليّ بن شعبة في تحف العقول عن الحسين عليه السلام قال : ويروى عن عليّ عليه السلام : اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول : «لولا ينهيهم الربّانيّون والأحبار عن قولهم الاثم» وقال «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ـ إلى قولـه ـ لبئس ما كانوا يفعلون» و إنما عاب الله عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة المنكر و الفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالونه منهم ، ورهبة مما يحذرون ، والله يقول : «فلا تخشوا الناس واخشوني» وقال : «المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فبدء الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا اُدّيت واُقيمت استقامت الفرايض كلّها هيّنها وصعبها ، و ذلك إنّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم ، ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء والغنايم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها .

وقد تقدّم هذا الحديث مع حديث آخر مناسب للمقام وبعض الكلام في الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر في شرح الفصل الثاني من المختار المأة و الخامس و الخمسين

(فلعن الله السفهاء) أى الجهّال (لركوب المعاصي والحلماء) أى ذوى العقول والاناة وفي بعض النسخ الحكماء بدله (لترك التناهي) .

---

(١) الاطر عطف الشيء ،ق .

و هذه الجملة إمّا اخباريّة أتى بها أيضاحاً للجملة المتقدّمة أعني قوله : إنّ الله لم يلعن القرون الماضية إلاّ لتركهم اه ، و يؤيّده إضمار فاعل لعن وإسقاط لفظ الجلالة في بعض النّسخ

وإمّا انشائيّة دعائية منه عليه السلام أتى بها قياماً منه بوظيفته اللاّزمة ، فانّ لعنه عليهم نهى لهم عن المنكر وهو مقتضى وظيفة الامامة .

فعلى الاحتمال الأوّل يكون المراد بالسّفهاء والحلماء سفهاء القرون الماضية وحلماءهم.

وعلى الاحتمال الثاني سفهاء المخاطبين وحلماءهم ، وأوضح استحقاقهم للّعن ودخولهم في زمرة الملعونين بقوله :

(ألا وقد قطعتم قيد الاسلام) أي حبل الالفة عليه بالاعتزاء والعصبيّة (وعطلتم حدوده) أي تركتم وظايفه المقرّرة الّتي لم يجز التّعدّي والتّخطي منها (وأمتّم أحكامه) أي أبطلتم أحكامه التي كان يلزم عليكم إحياؤها والعمل بها .

وقد كان من جملة تلك الحدود والأحكام المتروكة المعطلة أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فانّ القيام بهما غالباً شأن الرّؤساء والكبراء ، و قد كانوا قائمين بخلافه و كانوا يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و لذلك حذّر عن طاعتهم ومتابعتهم في الفصل الثالث من هذه الخطبة وقال : إنّهم قواعد أساس العصبيّة ودعائم أركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهليّة .

الترجمة

آگاه باشید بدرستی که شما بتحقیق افشانده اید دستهای خودرا از ریسمان اطاعت وبالمرّه اعراض کرده‌اید از آن ، وخراب نموده‌اید حصار خدا را که زده شده است برشما با أحکام جاهلیّت ، و بدرستی خدای تبارك و تعالی منّت نهاده برجماعت این امّت در آنچه منعقد ساخته در میان ایشان از ریسمان این الفت ، چنان الفتی که برمی گردند در سایهٔ آن ، ونازل میشوند درپناه گاه آن با نعمتی

که نمی‌شناسد احدی ازمخلوقان قیمت آن را ، از جهت اینکه آن افزونتر است ازهر بهائی ، وبزرگتر است ازهرمنزلت ومزیّتی .

وبدانید بدرستی که شما گردیدید بعداز مهاجرت ومعرفت برسومات وآداب شریعت مثل عربان بادیه نشین بی‌معرفت ، وبعداز دوستی و موالاة طوایف مختلفه متعلّق نمی‌شوید از اسلام مگر اسم آن را ، ونمی‌شناسید از ایمان مگر رسم آن را می گوئید : النار ولا العار ، داخل آتش بشوید قبول ننگ و عار ننمائید گویا که می خواهید برگردانید اسلام را بر روی آن بجهت هتك احترام آن ، و بجهت شکستن پیمان آن چنان اسلامی که نهاده است آن را خدای تعالی برای شما حرم در زمین خود ، وایمنی درمیان خلقان خود .

وبدرستی که اگر شما ملتجی بشوید بسوی غیر آن یعنی اگر اعتماد نمائید برغیردین‌اسلام محاربه می کنند باشما کفّار ، بعدازآن نه جبرئیل است ونه‌میکائیل ونه مهاجرین ونه انصار که نصرت کنند شمارا مگر کوفتن‌یکدیگر با شمشیرآبدار تاآنکه حکم کند خداوند متعال درمیان شما .

وبدرستی که درنزد شما است داستانها از شدّت عذاب خدا وعقوبات کوبندهٔ أو و روزهای سخت او و واقعه‌های نکال او ، پس بعید نشمارید وعدهٔ عذاب او را ازجهت جهالت شما بمؤاخذهٔ او ، واز جهت استخفاف بعنف وسطوت او ؛ واز جهت نومیدی ازعذاب او .

پس بدرستی که خداوند لعنت نفرمود قرنهای گذشته را مگر بجهت ترك کردن ایشان امر بمعروف و نهی از منکر را ، پس لعنت کرده خدا سفیهان را بجهت ارتکاب معصیتها ، و دانایان را بجهت ترك نهی کردن ازمناهی، آگاه باشید بدرستی که شما بریدید بند محکم اسلام را ، و معطل کردید حدّهای نظام اورا وفانی نمودید وباطل کردید أحکام اورا .

الفصل الثامن

أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سَمِعْتُ لَهَا وَجْبَةَ قَلْبِهِ، وَرَجَّةَ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلاَدِ تَشَذُّراً.

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي

كُلَّ سَنَةٍ بِحِراءَ فَأراهُ وَلا يَراهُ غَيري، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ واحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَديجَةَ وَأنا ثالِثُهُما، أرىٰ نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسالَةِ، وَأشُمُّ ريحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطانِ حينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما هٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقالَ: هٰذَا الشَّيْطانُ قَدْ أيِسَ مِنْ عِبادَتِهِ، إنَّكَ تَسْمَعُ ما أسْمَعُ، وَتَرىٰ ما أرىٰ، إلّا أنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلٰكِنَّكَ وَزيرٌ، وَإنَّكَ لَعَلىٰ خَيْرٍ.

اللغة

(دوّخه) ذلّله و (الرّدهة) وزان تمرة حفرةفى الجبل يجتمع فيها الماء والجمع رده كتمر قال فى القاموس : وشبه اكمة خشنة وجمعه رَدَهٌ محرّكة

و(كفيته) بالبناء على المفعول من كفانى الله مؤنته قتله أودفع عنّى شرّه

و (صعق) ضعقا وصعَقا وصعقة غشي عليهفهوصعق ككتفوالصّعق محرّكة شدّة الصّوت والصّاعقة الموت وكلّ عذاب مهلك وصيحة العذاب .

و (الوجبة) وزان تمرة الاضطراب للقلب و (الرّجّة) الحركة والزلزلة و (أدلت) من فلان غلبته و قهرته أى صرت ذادولة و (تشذّر) تبدّد و تفرّق و (الكلاكل) الصّدور و الواحد الكلكل و (النواجم) جمع ناجمة من نجم الشيء أى طلع وظهرو (القرن) من الحيوان الرّوق وموضعه من رأسناأوالجانب الأعلىمن الرّأس والجمعقرون .

و (ربيعة ومضر) وزان صرد قبيلتان من قريش معروفتان يضرب لهماالمثل

في الكثرة نسبتهما إلى أبويهما وهما ربيعة ومضر ابنا نزار بن معدّ بن عدنان ويقال للأوّل ربيعة الفرس وللثاني مضر الحمراء بالاضافة ، لأنّ ربيعة اعطي الخيل من ميراث أبيه ومضر اعطى الذّهب .

و (الوليد) الصّبي والمولود و (يكنفنى) أى يجعلني في كنفه والكنف محرّكة الحرز والجانب والسّتر ، وكنف الطاير جناحه و (العرف) وزان فلس الرائحة وأكثر استعماله في الطيبة و (الخطلة) بالفتح المرّة من الخطل محرّكة وهو الخفّة والسرعة والكلام الفاسد الكثير فهو خطل ككتف أى أحمق عجل .

و(حراء) بالكسر والمدّ وزان كتاب جبل بمكّة فيه غار كان النّبيّ يعتزل إليه ويتعبّد أيّاما يذكّر ويؤنث و(الرنّة) الصوت رنّ يرنّ رنيناً صاح ورنّ إليه أصغى.

الاعراب

الواو في قوله : ولئن اذن الله ، للقسم والمقسم به محذوف وقوله : لاديلنّ جواب القسم ، والباء فى قوله : وضعت بكلاكل العرب ، زائدة وقال الشارح البحرانى ويحتمل أن تكون للالصاق أى فعلت بهم الوضع والاهانة ، وربيعة ومضر بالفتح لمنع الصرف بالتّأنيث والعلميّة ، وجملة وضعنى فى حجره استينافيّة بيانيّة .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لما لام المخاطبين فى الفصول السابقة ووبّخهم على مخالفة شرايع الدّين و ترك مراسم الاسلام ، و دعاهم إلى الله سبحانه بالحكمة و الموعظة الحسنة ، ونصحهم بالتى هى أحسن ، أردف بهذا الفصل المسوق لبيان فضايله ومناقبه وخصايصه الخاصّة وعلوّ شأنه ورفعة مقامه ، تنبيهاً بذلك على أنّه إمام مفترض الطّاعة ، وأنّه فيما يأمر وينهى بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله فى أوامره و نواهيه ، وغرضه بذلك جذب قلوب المخاطبين إلى قبول مواعظه ونصايحه وامتثال أوامره ونواهيه ، وصدّر الفصل بالاشارة إلى أعظم تكليف كان مكلّفا به بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و إلى قيامه به

على أبلغ وجه وهو قوله :

(ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغى) و المراد بهم المجاوزون عن الحدّ والعادلون عن القصد الخارجون عليه عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من الفرق الثلاث الذين يصرح بهم تفصيلا .

وأمر الله سبحانه له بقتالهم إمّا بما أنزله سبحانه في ضمن آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى «فامّا نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون»

فقد روى في غاية المرام عن يونس بن عبدالرّحمن بن سالم عن أبيه عن أبيعبدالله عليه السلام في هذه الآية قال : الله انتقم بعليّ عليه السلام يوم البصرة وهو الّذى وعد الله رسوله .

وفيه عن (١) عديّ بن ثابت قال : سمعت ابن عباس يقول : ماحسدت قريش عليّاً بشىء مما سبق له أشدّ مما وجدت يوماً ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: كيف أنتم يامعشر قريش لو كفرتم بعدى ورأيتمونى فى كتيبة أضرب وجوهكم بالسيف ، فهبط جبرئيل فقال : قل ان الله أو علي فقال إنّ الله أو علي.

وفيه عن الشيخ في أماليه باسناده عن محمّد بن علي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : إنّى لأدناهم من رسول الله في حجّة الوداع فقال : لاعرفنكم ترجعون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفوني في الكتيبة التى تضاربكم ، ثمّ التفت إلى خلفه فقال : أو علي أو علي أو علي ثلاثا ، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه فأنزل الله عزّ وجل «فاما نذهبنّ بك فانّا منهم منتقمون - بعلي - أو نرينّك الذى وعدناهم فانّا عليهم مقتدرون»

ومثل قوله سبحانه « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فائت فأصلحوا بينهما بالعدل إنّ الله يحبّ المقسطين» .

روى في الصافي من الكافي والتهذيب وعليّ بن إبراهيم القميّ عن الصادق عن

---

(١) ذكره الرواية لتأييدها الرواية الآتية فى شأن نزول الآية فافهم ، منه

أبيه عليه السلام في حديث لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ فقال صلى الله عليه وآله: خاصف النعل يعني أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثا وهذه الرّابعة (١) والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هَجَر لعلمنا أنا على الحقّ و أنّهم على الباطل و كانت السّيرة فيهم من أمير المؤمنين ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، فانّه لم يسب منهم ذريّة وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و كذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة نادى فيهم: لاتسبوا لهم ذريّة، ولاتجهزوا على جريح ولاتتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن.

وفيه من الكافي عن الصادق عليه السلام إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة و هم أهل هذه الآية، وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام فكان الواجب عليهم قتلهم وقتالهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، ولو لم يفيئوا لكان الواجب عليه عليه السلام فيما انزل الله أن لايرفع السيف عنهم حتّى يفيئوا ويرجعوا عن رأيهم، لأنّهم بايعوا طائعين غير كارهين، و هي الفئة الباغية كما قال الله عزّ وجل، فكان الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكّة إنّما منّ عليهم وعفى، و كذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم بمثل ماصنع النبيّ صلى الله عليه وآله بأهل مكّة حذو النعل بالنعل.

ومثل قوله تعالى «يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين».

قال في مجمع البيان في تفسير الآية قيل: هم أمير المؤمنين و أصحابه حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين، و روى ذلك عن عمار وحذيفة وابن عبّاس، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام قال وروى عن عليّ عليه السلام انّه قال يوم البصرة: والله ماقوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم.

---

(١) يعني في صفّين، م

وسيأتي لهذه الآية مزيد تحقيق و تفصيل بعد الفراغ من شرح هذا الفصل في أوّل التنبيهات الآتية.

وإمّا (١) بماصدرعن لسان الرّسول صلّى الله عليه وآله في ضمن الأخبار النّبويّة من الأوامر الانشائية والجملات الخبريّة الّتي في معني الانشاء، حسبماعرفتهافي شرح الفصل الخامس من المختار الثالث، وشرح المختار المأة والثامن والأربعين، وشرح الفصل الثاني من المختار المأة والخامس والخمسين في التّنبيه الأوّل منه، وقدعرفت في التّنبيه الثاني منه وفي شرح المختار الثالث والثلاثين تحقيق الكلام في كفر البغاة وساير أحكامهم، فليراجع إلى المواضع الّتي اشرنا إليها، فانّ مراجعتها يوجب مزيد البصيرة في المقام.

وتعرف بماأوردناه هنا وفيما تقدّم أنّ أهل البغى الّذين كان أمير المؤمنين عليه السلام مأموراً بقتالهم هم النّاكثون والقاسطون والمارقون كما أوضحه بقوله:

(والنّكث والفساد في الأرض) وفصّلهم بقوله (فأمّا النّاكثون) أى النّاقضون ماعقدوه من البيعة وهم أصحاب الجمل (فقدقاتلت) وقدمضى تفصيل قتالهم في شرح المختار الحادى عشر.

(وأمّا القاسطون) أى العادلون عن الحقّ والدّين وهم أصحاب معاوية وصفّين (فقدجاهدت) ومضي تفصيل جهادهم في شرح المختار الخامس والثلاثين و المختار الحادى والخمسين والمختار الخامس والستين.

(وأمّا المارقة) وهم خوارج النهروان الّذين مرقوا من الّدين أى جازوا منه مروق السّهم من الرمية حسبما عرفته في التذييل الأوّل من شرح المختار السّادس والثلاثين (فقددوّخت) أى ذلّلتهم وقهرتهم حسبما عرفته في التذييل الثانى منه

(و أمّا شيطان الرّدهة فقد كفيته) أى كفانى الله من شرّه (بصعقة سمعت لها وجبة قلبه) واضطرابه (ورجّة صدره) وزلزاله.

---

(١) عطف على قولنا و أمر الله سبحانه له بقتالهم إما بما أنزله سبحانه فى ضمن آيات كتابه،منه.

وقد اختلف الأقوال فى شيطان الرّدهة فقد قال قوم(١) إنّ المراد به ذوالثّدية رئيس الخوارج وتسميته بالشّيطان لكونه ضالاّ قائد ضلالة مثل شيطان الجنّ ، وأمّا إضافته إلى الرّدهة فلما عرفته فى التذييل الثانى من شرح المختار السادس والثلاثين من أنّه بعد الفراغ من قتل الخوارج طلبه عليه السلام فى القتلى فوجده بعد جدّ أكيد فى حفرة دالية فنسبه عليه السلام إليها لذلك .

وأمّا الصعقة التى كفى عليه السلام عنه بها فقد قيل : إنّ المراد بها الصّاعقة وهى صيحة العذاب لما روى أنّ عليّا لمّا قابل القوم صاح بهم فكان ذوالثّدية ممّن هرب من صيحته حتّى وجد قتيلا فى الحفرة المذكورة .

وقيل إنّه رماه الله بصاعقة من السماء فهلك بها ولم يقتل بالسيف ، و قيل : إنّه لما ضربه عليه السلام بالسيف غشى عليه فمات .

وقال قوم: إنّ شيطان الرّدهة أحد الأبالسة المردة من أولاد ابليس اللّعين قال الشارح المعتزلى : ورووا فى ذلك خبراً عن النّبى صلّى الله عليه وآله وأنّه كان يتعوّذ منه ، وهذا مثل قوله صلّى الله عليه وآله هذا أزبّ العقبة اى شيطانها ولعل أزبّ العقبة هو شيطان الرّدهة بعينه فتارة يعبّر بهذا اللفظ واخرى بذلك .

أقول : والأظهر أن يكون المراد به شيطان الجنّ ويكون الاشارة بهذا الكلام إلى ماوقع منه عليه السلام فى بئر ذات العلم .

فقد روى السيّد السّند السيّد هاشم البحرانى فى كتاب مدينة المعاجز عن ابن شهر آشوب ، عن محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبدالله بن الحارث عن أبيه ، عن ابن عبّاس وعن أبي عمر وعثمان بن أحمد عن محمّد بن هارون باسناده عن ابن عباس فى خبر طويل أنّه أصاب النّاس عطش شديد فى الحديبيّة فقال النّبىّ صلّى الله عليه وآله هل من رجل يمضى مع السّقاة إلى بئر ذات العلم فيأتينا بالماء وأضمن له على الله الجنّة؟ فذهب جماعة فيهم سلمة بن الأكوع فلمّا دنوا من الشّجر و البئر سمعوا

---

(١) قال ابن شهر آشوب عن ابانة بن بطة انه ذكر المقتول بالنهروان فقال سعد ابن وقاص هو شيطان الردهة وقال ابن الاثير : الردهة النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء وقال فى حديث على(ع) أنه ذكر ذا الثدية فقال شيطان الردهة ،منه

حسّاً و حركة شديدة وقرع طبول و رأوا نيرانا تتقد بغير حطب فرجعوا خائفين «خ ل خائبين» .

ثمّ قال ﷺ: هل من رجل يمضى مع السّقاة يأتينا بالماء أضمن له على الله الجنّة ؟ فمضى رجل من بنى سليم وهو يرتجز ويقول :

أمن غريف(١) ظاهر نحو السلم ينكل من وجّهه خير الأمم

من قبل أن يبلغ آبار العلم فيستقى والليل مبسوط الظلم

و يأمن الذمّ و توبيخ الكلم وصاحب السيف لسيف منهدم

فلمّا وصلوا إلى الحسّ رجعوا وجلين .

فقال النّبي ﷺ : هل من رجل يمضي مع السقّاة إلى البئر ذات العلم فيأتينا بالماء أضمن له على الله الجنّة ؟ فلم يقم أحد، واشتدّ بالنّاس العطش وهم صيام .

ثمّ قال ﷺ لعليّ عليه السلام : سر مع هؤلاء السقاة حتّى ترد بئر ذات العلم وتستقى وتعود إنشاءالله فخرج عليّ عليه السلام قائلا :

أعوذ بالرّحمن أن أميلا من غرف(٢) جنّ أظهروا تأويلا

و أوقدت نيرانها تغويلا و قرعت مع غرفها الطبولا

قال فداخلنا «خ ل فتداخلنا» الرّعب فالتفت عليّ عليه السلام إلينا و قال : اتّبعوا أثري ولا يفزعنّكم ماترون وتسمعون فليس بضائركم إنشاءالله .

ثمّ مضى فلمّا دخلنا الشّجر فاذا بنيران تضطرم بغير حطب و أصوات هائلة ورؤوس مقطّعة لها ضجّة وهو يقول : اتّبعونى ولا خوف عليكم ولا يلتفت أحد منكم يميناً ولا شمالاً .

فلمّا جاوزنا الشّجر ووردنا الماء فأدلى البراء بن عازب دلوه في البئر فاستقى دلواً و دلوين ثمّ انقطع الدّلو فوقع فى القليب ، والقليب ضيّق مظلم بعيد القعر ، فسمعنا في أسفل القليب قهقهة وضحكا شديداً .

---

(١) الغريف كأمير الشجر الكثير الملتفّ أى شجر كان أو الأجمة من الضال والسلم؛ منه

(٢) الغرف شجر يدبغ به، منه

فقال علي ّ عليه السلام : من يرجع الى عسكرنا فيأتينا بدلو ورشا؟(١) فقال أصحابه عليه السلام : من يستطيع ذلك ، فائتزر بمئزر ونزل في القليب وما تزداد القهقهة إلاّ علواً وجعل عليه السلام ينحدر في مراقي القليب إذ زلّت رجله فسقط فيه ، ثمّ سمعنا وجبة شديدة واضطراباً وغطيطاً(٢) كغطيط المخلوق «المخنوق ظ» ثمّ نادى علي ّ عليه الصلاة والسلام والتحيّة والاكرام: الله أكبر الله أكبر أنا عبدالله وأخو رسول الله ، هلمّوا قربكم فأفعمها وأصعدها على عنقه شيئاً فشيئاً ومضى بين أيدينا فلم نر شيئاً فسمعنا صوتا .

أى فتي ليل أخي روعات | وأىّ سبّاق إلى الغايات
لله درّ الغرر السادات | من هاشم الهامات والقامات
مثل رسول الله ذى الآيات | أو كعليّ كاشف الكربات

كذا يكون المرء في حاجات

فارتجز أمير المؤمنين عليه السلام

الليل هول يرهب المهيبا | و مذهل المشجّع اللبيبا
و انّني اهول منه ذيبا | ولست أخشي الرّدع والخطوبا
إذا هززت الصّارم القضيبا | أبصرت منه عجباً عجيباً

و انتهى إلى النّبيّ و له زجل(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ماذا رأيت في طريقك يا علي؟ فأخبره بخبره كلّه فقال صلى الله عليه وآله إنّ الّذى رأيته مثل ضربه الله لي ولمن حضر معي في وجهي هذا ، قال علي ّ عليه السلام : اشرحه لي يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وآله : أمّا الرّؤوس الّتي رأيتم لها ضجّة ولألسنتها لجلجة ، فذلك مثل قومي معي يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم ولا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً ولا يقيم لهم يوم القيامة وزناً .

وأما النيران بغير حطب ففتنة تكون في أمّتي بعدي القائم فيها والقاعد سواء

---

(١) الرشا الحبل الذى يستقى به الماء من البئر، منه

(٢) الغطيط صوت النائم المتضمن لتردّد نفسه إلى حلقه حتى يسمعه من حوله، منه

(٣) الزجل بالزاء المعجمة الصوت، لغة.

لايقبل الله لهم عملاً ولايقيم لهم يوم القيامة وزناً .

و أمّا الهاتف الّذى هتف بك فذلك سلقعة وهو سملقة «كذا» بن غداف الذى قتل عدوّالله مسعر أشيطان الأصنام الّذى كان يكلّم قرين منها ويشرع في هجائي ، هذا .

و قوله عليه‌السلام (وبقيت بقيّة من أهل البغي) أراد به معاوية و أصحابه لأنه لم يكن أتى عليهم بأجمعهم ، بل بقيت منهم بقيّة بمكيدة التحكيم حسبما عرفته في شرح المختار الخامس والثلاثين.

(و) الذى فلق الحبّة وبرء النسمة (لئن أذن الله في الكرّة عليهم) هذا بمنزلة التعليق بالمشيّة أى إنشاءالله سبحانه لي الرّجوع إليهم بأن يمدّ لى في العمر ويفسح في الأجل ويهيّأ أسباب الرّجوع (لأ ديلنّ منهم) أى ليكون الدّولة والغلبة لي عليهم.

والاتيان في جواب القسم باللاّم ونون التوكيد لتأكيد تحقّق الادالة وثبوته لامحالة بعد حصول الاذن والمشيّة منه سبحانه ، وذلك بمقتضي وعده الصّادق وقوله الحقّ في كتابه العزيز «ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقوىّ عزيز» .

وبعدهذا فلقائل أن يقول : إنّه عليه‌السلام قد كان عالما بعدم اذن الله سبحانه في الكرّة عليهم والادالة منهم ، وذلك لما كان يعلمه باخبار الله سبحانه واخبار رسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله بأنّ بنى اميّة يملكون البلاد ألف شهر ، وقد كان عليه‌السلام نفسه أخبر بذلك حين شاع في الكوفة خبر موت معاوية بقوله: كلاّ أو تخضب هذه من هذه ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد ، فى الرّواية الّتى تقدّمت فى شرح المختار السادس و الخمسين ، ومع ذلك كلّه فما معنى قوله عليه‌السلام : ولئن أذن الله فى الكرّة اه؟

قلت : الاتيان بهذه الجملة الشرطية مع علمه عليه‌السلام بعدم وقوع مضمونها لربط جاش المخاطبين وتقوية قلوبهم .

ونظيره ماروا عنه عليه‌السلام علي بن إبراهيم بسنده عن عدىّ بن حاتم و كان معه عليه‌السلام فى مردبه «كذا» أن علياً قال ليلة الهرير بصفّين حين التقى مع معاوية رافعاً صوته يسمع أصحابه : لأقتلنّ معاوية وأصحابه ، ثمّ قال فى آخر قوله : إنشاء الله تعالى ، يخفض بها صوته ، وكنت قريبا منه فقلت : يا أمير المؤمنين إنّك حلفت

على ما قلت، ثمّ استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال عليه السلام: إنّ الحرب خدعة وأنا عند أصحابي صدوق فأردت أن اطمع أصحابي كيلا يفسئوا «يفشلوا ظ» ولا يفرّوا، فافهم فانك تنتفع بهذه بعد اليوم ان شاء الله، هذا.

وقوله عليه السلام (إلاّ ما يتشذّر في أطراف الأرض تشذّراً) كلمة ما هنا بمعنى من كما في قوله: والسماء وما بناها، أي إلاّ من يتفرّق في أطرافها تفرّقا ممن لم يتمّ أجله ثمّ نبّه على نجدته وشجاعته بقوله:

(أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب) استعار لفظ الكلاكل للأكابر والرؤساء من العرب و أشراف القبايل الّذين قتلهم في صدر الاسلام، و الجامع للاستعارة كونهم سبب قوّة العرب ومقدّميهم و بهم انتهاضهم إلى الحرب كما أنّ الكلكل للجمل كذلك سبب لنهوضه و قيامه وقوته ومقدم أجزائه.

ويجوز أن يكون من باب الاستعارة بالكناية، بأن يشبه العرب بجمال مستجلات ذوات الصدور والكلاكل في القوّة، فيكون اثبات الكلاكل تخييلاً، والوضع ترشيحاً.

وعلى أيّ تقدير فأشار عليه السلام بوضعه لهم إلى قهرهم و إذلالهم كما أنّ إناخة الجمل يستلزم قهره وإذلاله قال الشاعر:

مراجيح ما تنفكّ إلاّ مناخة على الحتف أو ترمي بها بلداً قفراً

و إن شئت أن تعرف انموزجا من قتله و قتاله و إذلاله للكلاكل و الشجعان فاستمع لما وقع منه عليه السلام في أوّل غزاة كانت في الاسلام وهي غزوة بدر، وقد كانت تلك الغزوة على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة كما في كشف الغمة وكان عمره عليه السلام إذ ذاك سبعة وعشرين سنة.

قال المفيد في الارشاد: وأما الجهاد الّذى ثبتت به قواعد الاسلام، واستقرّت بثبوته شرايع الملّة والأحكام، فقد تخصّص منه أمير المؤمنين عليه السلام بما اشتهر ذكره في الأنام، واستفاض الخبر به بين الخاصّ والعامّ، ولم يختلف فيه العلماء، ولا تنازع في صحته الفهماء، ولا شكّ فيه إلاّ غفل لم يتأمّل في الأخبار، ولا دفعه أحد ممّن نظر في الآثار إلاّ معاند بهّات لا يستحيي من العار.

فمن ذلك ماكان منه عليه السلام في غزاة البدر المذكورة في القرآن، وهي أوّل حرب كان به الامتحان، و ملأت رهبة صدور المعدودين من المسلمين في الشجعان، و راموا التّأخر عنها لخوفهم منها و كراهتهم لها على ماجاء به محكم الذّكر في التبيان.

و كان من جملة خبر هذه الغزاة إنّ المشركين حضروا بدراً مصرّين على القتال، مستظهرين فيه بكثرة الأموال، والعدد والعدّة والرّجال، والمسلمون إذ ذاك نفر قليل عدده هناك، وحضرته طوايف منهم بغير اختيار، وشهدته على الكراهة منها له والاضطرار.

فتحدّتهم قريش بالبراز ودعتهم إلى المصافة والنزال واقترحت (١) في اللقاء منهم الأكفاء، وتطاولت الأنصار لمبارزتهم فمنعهم النبيّ صلّى الله عليه وآله من ذلك فقال لهم: إنّ القوم دعوا الأكفاء.

ثمّ أمر عليّاً أمير المؤمنين بالبروز إليهم، ودعا حمزة بن عبدالمطلب و عبيدة ابن الحارث رضوان الله عليهما أن يبرزا معه، فلمّا اصطفوا لهم لم يثبتهم (٢) القوم لأنهم كانوا قد تغفّروا فسألوهم من أنتم، فانتسبوا لهم، فقالوا: أكفاء كرام، ونشبت الحرب بينهم.

وبارز الوليد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يلبثه حتّى قتله، و بارز عقبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، وبارز شيبة عبيدة رحمه الله فاختلفت بينهما ضربتان قطعت إحداهما فخذ عبيدة، فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام بضربة بدربها شيبة فقتله، وشركه في ذلك حمزة.

فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين، وذلّ دخل عليهم، ورهبة اعتراهم بها الرّعب من المسلمين، وظهر بذلك امارات نصر المسلمين.

ثمّ بارز أمير المؤمنين العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه

(١) أي طلبت

(٢) أي لم تعرفهم حقّ المعرفة، منه

فلم يلبثه أن قتله ، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله ، وبرز إليه طعيمة بن عدي فقتله ، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش .

و لم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم ، وكانوا سبعين رجلا تولّى كافّة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين قتل الشطر منهم ، وتولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره و كان الفتح له بذلك على يديه .

وختم الأمر بمناولة النّبي صلى الله عليه وآله كفّاً من الحصى فرمي بها في وجوههم وقال لهم : شاهت الوجوه ، فلم يبق أحد منهم إلّا ولّى الدّبر بذلك منهزماً ، و كفى الله المؤمنين القتال بأمير المؤمنين عليه السلام وشركائه في نصرة الدّين من خاصّة الرّسول عليه وآله السلام ومن أيّدهم به من الملائكة الكرام .

قال المفيد : و قد أثبتت رواة العامة و الخاصّة معاً أسماء الّذين تولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك و اصطلاح

فكان ممّن سمّوه : الوليد بن عتبة كما قدّمناه و كان شجاعاً جريئاً و قاحاً فاتكاً تهابه الرّجال ، والعاص بن سعيد و كان هولاً عظيماً تهابه الأبطال ، وهو الّذي حاد عنه عمر بن الخطّاب ، وطعيمة بن عديّ بن نوفل وكان من رؤوس أهل الضلال ، ونوفل ابن خويلد و كان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله و كانت قريش تقدّمه وتعظّمه وتطيعه وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكة وأوثقهما بحبل وعذّبهما يوماً إلى الليل حتّى سئل في أمرهما ولمّا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضوره بدراً سأل الله أن يكفيه أمره فقال: اللّهمّ اكفني نوفل بن خويلد، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام .

وزمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، و النضر بن الحارث ابن عبدالدّار ، وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحة بن عبيدالله ، وعثمان ، ومالك ابنا عبيدالله أخوا طلحة بن عبيدالله ، ومسعود بن أبي اميّة بن المغيرة ، وقيس بن الفاكهة ابن المغيرة ، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، و أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ،

وحنظلة بن أبي سفيان ، وعمرو بن مخذوم ، وأبو المنذر بن أبي رفاعة ، ومنية بن الحجاج السهمي ، والعاص بن منية ، وعلقمة بن كلدة ، وأبو العاص بن قيس بن عدى ، ومعاوية ابن المغيرة بن أبي العاص ، و لوذان بن ربيعة ، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة ، ومسعود بن امية بن المغيرة ، وحاجب بن السايب بن عويمر ، واوس بن المغيرة بن لوذان ، وزيد بن مليص ، وعاصم بن أبي عوف ، وسعيد بن وهب حليف بني عامر ، ومعاوية ابن عبدالقيس ، و عبدالله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد ، و السائب بن مالك ، وأبو الحكم بن الأخنس ، وهشام بن أبي امية بن المغيرة .

فذلك ستة وثلاثون رجلا سوى من اختلف فيه أوشرك أمير المؤمنين عليه‌السلام فيه غيره ، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ماقدمناه .

قال المفيد : وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه‌السلام ببدر قال اسيد بن اياس يحرض مشركى قريش عليه :

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبر على المذاكى القرح
لله دركم المّا تنكروا ... قد ينكر الحر الكريم ويستحى
هذا ابن فاطمة الذى أفناكم ... ذبحا و قتلا قعصة لم يذبح
اعطوه خرجا و اتقوا تضريبه ... فعل الذليل وبيعة لم تربح
أين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات واين زين الأبطح
أفناهم قعصا و ضربا يعترى ... بالسيف يعمل حده لم يصفح(١)

(١) الغاية الراية ، و الجذع الشاب الحدث ، ابر عليهم غلبهم ، و المذاكى من الخيل التى قداتى عليها بعد قروحها سنة اوسنتان ؛ و القارح منها ما انتهت اسنانه و انما تنتهى فى خمس سنين والجمع قرح ، والقعص أن يضرب الانسان فيموت فى مكانه يقال قعصه اى قتله سريعة ، والكهول جمع كهل و هومن جاوز الثلاثين إلى الأربعين أو الخمسين وانما خصهم بالذكر لأنهم أشد قوة فى الحروب واكمل عقلا يرجع اليهم ويحتاج إلى تدبيرهم فى الملمات والدواهى ، ودعامة القوم سيدهم

(وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر) والاستعارة في هذه القرينة مثل التي في سابقتها، فتحتمل الاستعارة التحقيقية بأن يراد تشبيه رؤساء القبيلتين وانجادهم بقرون الحيوان، لأنّهم أسباب القوّة و الصّولة والمحاربة للقبيلتين كما أنّ القرن آلة الحرب و النطح والصّيال للكبش.

وتحتمل الاستعارة المكنيّة بأن يراد تشبيه القبيلتين بالأكبش ذوات القرون في الصّولة والقوّة، فيكون اثبات القرن تخييلا، والكسر والنّواجم ترشيحا، والمراد بكسره عليه السلام نواجم قرونهم قهرهم، واذلالهم، لأنّ الكبش اذا انتطح بكبش آخر فانكسر قرنهُ يغلب ويهرب.

وقد قتل عليه السلام من ربيعة ومضر في مجاهداته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده في الجمل وصفّين جماً غفيراً يكاد أن يكون أغزر من قطر المطر وأكثر من عدد النجم والشّجر، ولنعم ماقال كاشف الغمّة:

سل عن عليّ مقامات عرفن به	شدّت عرى الدّين في حلّ ومرتحل
بدراً واُحداً و سل عنه هوازن	في أوطاس واسأل به في وقعة الجمل
واسأل به إذ أتي الأحزاب يقدمهم	عمرو وصفّين سل أن كنت لم تسل

ثمّ ذكر المخاطبين بمناقبه الجميلة ومفاخره الجليلة، وعدّ منها تسعا

الاولى - ما أشار اليه بقوله (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة) لأنّ أبويهما عبدالله وأباطالب أخوان لأب وأمّ، دون غيرهما من بني عبدالمطلب فهما ابنا عمّ مضافا إلى علاقة المصاهرة و كونه عليه السلام زوج ابنته فاطمة سلام الله عليها.

والى هذه القرابة اُشيرت في قوله سبحانه «هو الّذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً».

روى في غاية المرام عن المالكي في فصول المهمّة عن محمّد بن سيرين في هذه الآية أنّها نزلت في النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ بن أبيطالب ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته فاطمة فكان نسباً و صهراً.

وفيه عن الشيخ في أماليه بسنده عن انس بن مالك قال: ركب رسول الله صلى الله عليه وآله

ذات يوم بغلته فانطلق الى جبل آل فلان و قال : يا أنس خذ البغلة و انطلق إلى موضع كذا و كذا تجد علياً جالس يسبّح بالحصى ، فاقرءه مني السلام واحمله على البغلة وايت به إليّ .

قال أنس : فذهبت فوجدت علياً كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأتيت به عليه ، فلمّا أن نظر عليه السلام برسول الله قال : السلام عليك يا رسول الله ، قال . وعليك السلام يا أباالحسن اجلس، فانّ هذا موضع قدجلس فيه سبعون نبيّاً مرسلا ماجلس فيه أحد من الأنبياء إلاّ وأنا خيرمنه ، وقدجلس كلّ نبيّ أخ له ماجلس فيه من الاخوة واحد إلاّ وأنت خيرمنه .

قال أنس : فنظرت إلى سحابة قدأظلّتهما ودنت من رؤوسهما، فمدّ النبي صلى الله عليه وآله يده إلى السحابة فتناول عنقود عنب فجعله بينه وبين عليّ وقال : كل يا أخي .

قلت : يا رسول الله : صف كيف عليّ أخوك ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام ، واسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم ، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله في صلب شيث فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبدالمطّلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين نصف في أبي عبدالله بن عبدالمطّلب ونصف في أبيطالب فأنا من نصف الماء وعليّ من النصف الآخر، فعليّ أخي في الدّنيا والآخرة ، ثمّ قرء رسول الله صلى الله عليه وآله «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديرا» .

وفي كشف الغمة عن جابر بن عبدالله قال: سمعت علياً ينشد ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع :

أنا أخو المصطفى لاشكّ في نسبي ... معه ربّيت و سبطاه هما ولدي
جدّي و جدّ رسول الله منفرد ... وفاطم زوجتي لاقول ذي فند
فالحمد لله شكراً لا شريك له ... البرّ بالعبد و الباقي بلا أمد

قال فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: صدقت يا عليّ

الثانيةـ ما أشار إليه بقوله (والمنزلة الخصيصة) أي الخاصة والمخصوصة بي

وشرحها بقوله (وضعني في حجره) وربّاني (وأنا وليد) طفل صغير (يضمّني إلى صدره ويكنفني) أي يضمّني إلى كنفه وحضنه (في فراشه ويمسّني جسده و يشمّني عرفه) أي ريحه الطيّب (وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه) وهذا كلّه إشارة إلى شدّة تربيته صلّى الله عليه وآله له وقيامه بأمره

ويوضحه مارواه الشارح المعتزلي عن الطّبري في تاريخه قال: حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمّد بن إسحاق قال حدّثني عبدالله بن نجيح عن مجاهد قال:

كان من نعمة الله عزّ وجلّ على عليّ بن أبيطالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أنّ قريشاً أصابتهم أزمة «١» شديدة وكان أبوطالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للعبّاس وكان من أيسر بني هاشم: إنّ أخاك أباطالب كثير العيال وقد ترى ما أصاب النّاس من هذه الأزمة فانطلق بنا فنخفّف عنه من عياله آخذ من بنيه واحداً وتأخذ واحداً فنكفيهما عنه، فقال العبّاس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أباطالب فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ماهم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلا فاصنعا ماشئتما، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى بعثه الله نبيّاً، فاتبعه عليّ عليه السلام فأقرّ به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتّى أسلم واستغنى عنه.

ورواه كاشف الغمّة عن الخطيب الخوارزمي عن محمّد بن إسحاق نحوه.

وروى الشّارح المعتزلي عن الفضل بن عباس قال: سألت أبي عن ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذّكور أيّهم كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أشدّ حبّاً، فقال: عليّ بن أبيطالب، فقلت: سألت لك عن بنيه، فقال: إنّه كان أحبّ إليه من بنيه جميعاً وأرءف ما رأيناه زايلة يوماً من الدّهر منذ كان طفلا إلاّ أن يكون في سفر لخديجة وما رأينا أباً أبرّ بابن منه لعليّ ولا ابنا أطوع لأب من عليّ له

قال الشّارح: وروى جبير بن مطعم قال: قال أبي مطعم بن عدي لنا و نحن

(١) وهى السنة المجدبة (منه)

صبيان بمكّة : ألا ترون حبّ هذا الغلام يعني عليّاً لمحمّد واتّباعه له دون أبيه واللاّت والعزّى لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً .

قال الشّارح : وروى الحسين بن زيدبن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : سمعت زيداً أبي يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمضغ اللّحمة والتمرة حتّى تلين ويجعلهما في فم عليّ وهوصغير في حجره .

الثالثة ـ ماأشارإليه بقوله (و ما وجدلي كذبة في قول ولا خطلة في فعل) أى لم تجد منّى كذباً وخطاءً أبداً ولو مرّة واحدة ، لوجود العصمة المانعة فيه وفي زوجته والطيّبين من أولاده سلام الله عليهم أجمعين من الاقدام على الذّنوب صغيرها و كبيرها باتّفاق الاماميّة و حكم آية التّطهير وغيرها ، فلا يقع منهم ذنب أصلالا عمداً ولا نسياناً ولاخطاء .

روى في البحار من الخصال قال : قوله تعالى « لا ينال عهدى الظالمين » عنى به أنّ الامامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أووثناً أوأشرك بالله طرفة عين وإن أسلم بعد ذلك ، و الظلم وضع الشيء في غير موضعه و أعظم الظلم الشّرك قال الله عزّوجلّ « انّ الشّرك لظلم عظيم » وكذلك لاتصلح لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً و إن تاب منه بعد ذلك ، و كذلك لا يقيم الحدّ من في جانبه حدّ .

فاذاً لايكون الامام إلاّ معصوما ، ولا تعلم عصمته إلاّ بنصّ الله عزّوجلّ عليه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله ، لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة فترى كالسّواد والبياض وما أشبه ذلك وهي مغيبة لاتعرف إلاّ بتعريف علاّم الغيوب .

وقد مضى وجوب عصمة الامام بتقرير آخر في مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشّقشقيّة .

ثمّ نبّه على منقبة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله لتكون تمهيداً و توطئة لمنقبته عليه السلام الرابعة فقال :

(ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به

طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره).

قال الشارح المعتزلي: روى ان بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام سأله عن قول الله عزّ وجلّ « إلاّ من ارتضى من رسول، فانّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً » فقال عليه السلام يوكّل الله بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرّضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ويصدّه عن الشرّ ومساوى الأخلاق، وهو الذي كان يناديه السّلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شابّ لم يبلغ درجة الرّسالة بعد فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض فيتأمّل فلا يرى شيئاً.

أقول: والظّاهر على ما يستفاد من الأخبار و اشير إليه في غير واحدة من الآيات: إنّ المراد بهذا الملك هو روح القدس المخصوص بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الأطهار الأخيار.

فقد روى المحدّث العلاّمة المجلسي «ره» فى البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله « ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي » حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هو ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع الأئمة، وفى خبر آخر هو من الملكوت.

وفيه منه فى قوله تعالى « اولئك كتب فى قلوبهم الايمان » هم الأئمة «وأيّدهم بروح منه» قال: ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل و كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع الأئمة عليهم السلام.

وفيه من كتاب الاختصاص و بصائر الدّرجات بسندهما عن أبى بصير قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان » قال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ويسدّده وهو مع الأئمة من بعده.

وفيه من البصاير مسنداً عن سماعة بن مهران قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: إنّ الرّوح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يسدّده ويرشده وهو مع الأوصياء من بعده

وفيه من البصاير عن البرقي عن أبي الجهم عن ابن اسباط قال: سأل أباعبدالله عليه السلام رجل وأنا حاضر عن قول الله « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » فقال: منذ أنزل الله ذلك الرّوح على محمّد صلّى الله عليه وآله لم يصعد إلى السماء وأنه لفينا.

وفيه من الاختصاص و البصاير عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول « يسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي » قال: خلق أعظم من خلق جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلّى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يوفقهم ويسدّدهم، وليس كلّما طلب وجد.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى الاكثار والاطالة، والمستفاد من الرّواية الأخيرة اختصاصه بالنبيّ و الأئمة عليهم السلام وقوله عليه السلام فيها: وليس كلّما طلب وجد معناه أنّ حصول تلك المرتبة الجليلة والمنقبة العظيمة لايتيسّر بالطلب بل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء.

الرابعة - ماأشار إليه بقوله (ولقد كنت اتّبعه اتّباع الفصيل) وهو ولدالناقة (أثر أمّه) وهو اشارة إلى فرط ملازمته له وعدم مفارقته إيّاه ليله ونهاره سفراً وحضراً في خلواته وجلواته.

و لمّا عرفت آنفاً أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان مؤيّداً مسدّداً بروح القدس من حين الطفولية إلى آخر عمره الشريف ملهما إلى الخيرات موفقا بتأييد الرّوح إلى سلوك طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم.

تعرف من ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان ملازما له غير مفارق منه يكون تالياً له صلّى الله عليه وآله في سلوك مسالك مكارم الخصال ومحامد الأفعال مقتبساً من أنواره مقتفياً لآثاره كما أوضحه بقوله:

(يرفع لي في كلّ يوم علماً) وراية (من أخلاقه) الفاضلة (ويأمرني بالاقتداء به) والمتابعة له.

الخامسة ـ ما أشار إليه بقوله (ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء) و يعتزل عن الخلق ويتخلّى للعبادة (فأراه ولا يراه) أحد (غيري)

قال الشارح المعتزلي : حديث مجاورته بحراء مشهور ، قد ورد في الكتب الصحاح أنه صلّى الله عليه وآله كان يجاور في حراء من كلّ سنة شهراً ، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين ، فاذا قضى جواره من حراء كان أوّل ما يبدء به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثمّ يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرّسالة ، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعليّ بن أبيطالب وخادم لهم ، فجاءه جبرئيل بالرّسالة قال صلّى الله عليه وآله : جائني و أنا نائم بنمط فيه كتاب فقال : اقرء ، قلت : ما أقرء ؟ فغشني حتّى ظننت أنّه الموت ، ثمّ أرسلني فقال اقرء باسم ربّك الّذي خلق « إلى قوله » علّم الانسان مالم يعلم ، فقرأته ثمّ انصرف عنّي ، فانتبهت من نومي وكأنّما كتب في قلبي كتاب الحديث

و في كتاب حيوة القلوب للمحدّث العلاّمة المجلسيّ عن عليّ بن إبراهيم وابن شهر آشوب و الطبرسي و الرّاوندي و غيرهم من المحدّثين و المفسّرين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان قبل مبعثه يعتزل عن قومه ويجاور الحراء ويفرغ لعبادة ربّه سبحانه ، وكان عزّ وجلّ يسدّده و يهديه ويرشده بالرّوح القدس والرؤيا الصّادقة وأصوات الملائكة والالهامات الغيبية ، فيدرج في مدارج المحبّة والمعرفة ، ويعرج إلى معارج القرب والزّلفي ، وكان سبحانه يزيّنه بالفضل والعلم ومحامد الأخلاق و محاسن الخصال و لا يراه أحد في أيّام مجاورته بـه و خلال تلك الأحوال غير أمير المؤمنين عليه السلام وخديجة .

السادسة ـ ماأشار إليه بقوله (ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما)

هذا الكلام صريح في سبقه على جميع من سواه من الرّجال بالاسلام ، ونظيره قوله في المختار المأة والأحد والثلاثين : اللّهم إنّي أوّل من أناب و سمع وأجاب

لم يسبقني إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالصّلاة .

و قد تقدّم في شرح المختار المذكور تحقيق تقدّمه بالصّلاة والاسلام كما هو مذهب الامامية تفصيلا وأبطلنا تقدّم اسلام أبي بكر عليه كما ذهب إليه شر ذمة من العثمانيّة وأوردنا ثمّة من الأدلّة والأخبار والأشعار في هذا المعنى مالا مزيد عليه وأقتصرهنا على روايتين تقدّمتا هناك اجمالاًونرويهما هنا تفصيلاً .

احداهما عن كاشف الغمّة عن عفيف الكندي قال : كنت امرءاً تاجراً فقدمت الحجّ فأتيت العبّاس بن عبدالمطلب لأبتاع منه بعض التّجارة ، وكان امرءاً تاجراً فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس فلمّا رآها قد مالت قام يصلّي .

قال : ثمّ خرجت امرأة من الخباء الّذي خرج منه ذلك الرّجل فقامت خلفه فصلّت ، ثمّ خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه فصلّى .

قال : فقلت للعباس : من هذا يا عبّاس؟ قال: هذا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب ابن أخي قال : فقلت : من هذه المرأة ؟ قال : امرأته خديجة بنت خويلد قال : فقلت : من هذا الفتي ؟ قال : عليّ بن أبيطالب ابن عمّه فقلت له : ماهذا الذى يصنع ؟ قال : يصلّي وهو يزعم أنّه نبيّ ولم يتبعه على أمره إلاّ امرأته و ابن عمّه هذا الفتي وهو يزعم أنّه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر، وكان عفيف وهو ابن عمّ الأشعث بن قيس يقول بعد ذلك وهو أسلم وحسن إسلامه : لو كان رزقني الله الاسلام يومئذ فأكون ثانياً مع علي عليه السلام .

قال كاشف الغمة : وقد رواه بطوله أحمد بن حنبل في مسنده ، نقلته من الّذى اختاره وجمعه عزّ الدّين المحدّث ، وتمامه من الخصايص بعد قوله ثمّ استقبل الرّكن ورفع يديه فكبّر، وقام الغلام ورفع يديه وكبّر، و رفعت المرأة يديها فكبّرت وركع وركعا وسجد وسجدا وقنت وقنتا ، فرأينا شيئاً لم نعرفه أوشيئاً حدث بمكّة فأنكرنا ذلك وأقبلنا على العبّاس فقلنا له يا أبا الفضل الحديث بتمامه .

والرواية الثانية قدّمناها هناك من البحار من مناقب ابن شهر آشوب من

كتاب محمّد بن إسحاق وأرويها هنا بتفصيل من شرح المعتزلي رواها هنا عن الطّبرى عن ابن حميد عن سلمة عن محمّد بن إسحاق، ورواها أيضاً في تاسع المختار من باب الكتب من كتاب السّيرة والمغازى لمحمّد بن إسحاق قال الشارح المعتزلي: فانّه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرّخين، و مصنّفه شيخ النّاس كلّهم قال:

قال محمّد بن إسحاق: لم يسبق عليّاً عليه السلام إلى الايمان بالله ورسالة محمّد أحد من النّاس، اللّهمّ إلاّ أن تكون خديجة زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله .

قال: وقد كان صلّى الله عليه وآله يخرج ومعه عليّ عليه السلام مستخفياً من النّاس فيصلّيان الصّلاة في بعض شعاب مكة، فاذا أمسيا رجعا فمكثا بذلك ماشاء الله أن يمكثا لاثالث لهما.

ثمّ إنّ أباطالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان فقال لمحمّد صلّى الله عليه وآله يا ابن أخي ما هذا الّذى تفعله؟ فقال صلّى الله عليه وآله: أى عمّ هذا دين الله ودين ملائكته و رسله و دين أنبيائه أو كما قال صلّى الله عليه وآله بعثنى الله به رسولاً إلى العباد «إلى أن قال» فزعموا أنّه قال: لعليّ عليه السلام أى بنيّ ما هذا الّذى تصنع قال: يا أبتاه آمنت بالله ورسوله وصدقته فيماجاء به و صليت إليه و اتّبعت قول نبيّه فزعموا أنّه قال له أما انّه لايدعوك أولن يدعوك إلاّ إلى خير فالزمه.

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله فكان أوّل من أسلم وصلّى معه صلّى الله عليه وآله بعد عليّ بن أبيطالب، ثمّ أسلم أبوبكر بن أبي قحافة فكان ثالثاً لهما، ثمّ اسلم عثمان بن عفّان وطلحة والزّبير وعبدالرّحمن وسعد بن أبى وقّاص فصاروا ثمانية، فهم الثّمانية الّذين سبقوا النّاس إلى الاسلام بمكّة.

السابعة ـ ما أشار إليه بقوله (أرى نور الوحى و الرّسالة وأشمّ ريح النّبوة) قال الشارح البحرانى و هذه أعلى مراتب الأولياء، و استعار لفظ النور لمايشاهده بعين بصيرته من أسرار الوحي والرّسالة وعلوم التنزيل ودقايق التّأويل و اشراقها على لوح نفسه القدسيّة، و وجه الاستعارة كون هذه العلوم والأسرار هادية في سبيل الله إليه من ظلمات الجهل كمايهدى النور من الطّرق المحسوسة، و رشح

تلك الاستعارة بذكر الرؤية لأنّ النور حظّ البصر وكذلك استعار لفظ الرّيح لما أدركه من مقام النّبوة و أسرارها و رشح بذكر الشمّ لأنّ الرّيح حظّ القوّة الشامة ، انتهى .

أقول : و لقائل أن يقول : لا مانع من ظهور نور محسوس عند نزول الوحي أو في ساير الأوقات أيضاً ، و كذلك عرف طيب يدركه أمير المؤمنين عليه السلام بقوّة قوّتيه الباصرة والشّامّة وإن لم يكن يحسّ به غيره ولاحاجة على ذلك إلى التّأويل الّذى ذكره .

و يشهد بما ذكرته ماروواه في البحار من أمالى الشيخ عن المفيد عن عليّ بن محمّد البزّاز عن زكريا بن يحيى الكشحى عن أبى هاشم الجعفرى قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : لنا أعين لاتشبه أعين النّاس ، وفيها نور ليس للشّيطان لها نصيب .

وفى شرح المعتزلى روى عن جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام قال : كان عليّ عليه السلام يرى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل الرّسالة الضوء ويسمع الصّوت ، وقال صلّى الله عليه وآله لولا أنّى خاتم الأنبياء لكنت شريكا في النّبوة فان لاتكن نبيّا فانك وصيّ نبيّ و وارثه بل أنت سيّد الأوصياء .

الثامنة ـ ماأشار إليه بقوله (ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرّنة) والصّوت (فقال هذا الشّيطان قد أيس من عبادته) أى من أن يعبد له .

وهذه المنقبة له عليه السلام تدلّ على كمال قوّته السامعة أيضاً وسماعه مالايسمعه غيره .

و أما رنين هذا اللّعين فقد روى عليّ بن إبراهيم القميّ عن أبيه عن الحسن ابن عليّ بن فضال عن عليّ بن عقبة عن أبيعبدالله عليه السلام قال : إنّ إبليس رنّ رنيناً لما بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وآله على حين فترة من الرّسل وحين انزلت اُمّ الكتاب .

وروى المحدّث العلاّمة المجلسيّ في كتاب حيوة القلوب عن الصّدوق عن الصّادق عليه السلام أنّ ابليس رنّ أربع رنّات : يوم لعن ، ويوم اُهبط إلى الأرض ، وحين بعث محمّد على حين فترة من الرّسل ، وحين نزلت اُمّ الكتاب .

وفي شرح المعتزلي من مسند أحمد بن حنبل عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي اسرى به فيها وهو بالحجرة يصلي فلما قضى صلاته و قضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت: يا رسول الله ماهذه الرنة ؟ قال: ألا تعلم هذه رنة الشيطان علم أني اسرى في الليلة إلى السماء فآيس من أن يعبد في هذه الأرض.

التاسعة - ما أشار إليه بقوله (إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى) ظاهر هذا الكلام يفيد أن الامام يسمع صوت الملك ويعاينه كالرسول.

أما سماع الصوت فلاغبار عليه ويشهد به أخبار كثيرة.

وأما المعاينة فيدل عليه بعض الأخبار.

مثل ما في البحار من أمالي الشيخ باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن منا لمن ينكت في قلبه وإن منا لمن يؤتي في منامه وإن منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطشت و أن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرئيل وميكائيل وقال أبو عبدالله عليه السلام: منا من ينكت في قلبه، ومنا من يخاطب، وقال عليه السلام: إن منا لمن يعاين معاينة وإن منا لمن ينقر في قلبه كيت و كيت، وإن منا لمن يسمع كوقع السلسلة في الطشت، قال: قلت: والذي يعاينون ماهو ؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل.

ولكن الظاهر من الأخبار الكثيرة أن الامام يسمع الصوت ولايعاين، و من ذلك اضطر المحدث العلامة المجلسي «ره» بعد رواية هذه الرواية إلى تأويلها بقوله: والمراد بالمعاينة معاينة روح القدس وهو ليس من الملائكة مع أنه يحتمل أن يكون المعاينة في غير وقت المخاطبة، انتهى.

وتمام الكلام إنشاء الله في التنبيه الثاني من التنبيهات الآتية، هذا.

ولما كان ظاهر قوله صلى الله عليه وآله انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى موهماً للمساوات بينه عليه السلام وبينه صلى الله عليه وآله استدرك ذلك بقوله (إلا أنك لست بنبي) ونظير هذا الاستدراك قد وقع في كلام الصادق عليه السلام وهو:

ما رواه في البحار من البصاير بسنده عن علي السائي قال: سألت الصادق عليه السلام عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماض، و غابر، وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولانبي بعد نبيّنا.

فان النّكت والنّقر لماكانا مظنّة لأن يتوهّم السائل فيهم النّبوّة قال عليه السلام: ولانبي بعد نبيّنا، ويتّضح لك معنى هذا الحديث ممّا نورده في التّنبيه الثاني إن شاء الله.

ثمّ إنّه لمّا نفي عنه النّبوة أثبت له الوزارة وهي عاشر المناقب فقال (ولكنّك لوزير وإنّك لعلى خير) بشّره بالوزارة ونبّه به على أنّه الصّالح لتدبير أمور الرّسالة والمعاون له صلّى الله عليه وآله في نظم أمور الدّين وتأسيس قواعد شرع المبين و اصلاح أمور الاسلام والمسلمين، ثمّ شهد به أنّه على خير وأشار به على استقراره وثباته على ماهو خير الدّنيا والآخرة، وأنّه مجانب لماهو شرّ الدّنيا والآخرة.

وهذا معنى عام متضمّن لكونه عليه السلام جامعاً لجميع الكمالات والمكارم الدّنيويّة و الأخرويّة والمحامد الصّوريّة و المعنويّة وكونه راسخاً فيها غير متزلزل ولا متكلّف، هذا.

و اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة الشريفة لمّا كان متضمّناً لجلّ مسائل الرّسالة والامامة حسبما عرفته أتيت في شرحه من الرّوايات الشّريفة والتحقيقات اللطيفة بماهو مقتضى مذهب الفرقة النّاجية الاماميّة، وأضربت عن روايات عاميّة ضعيفة أوردها الشّارح المعتزلي في بيان عصمة النبيّ صلّى الله عليه وآله بالملائكة.

والعجب من مبالغة الشّارح البحراني له في ايراد بعض هذه الأخبار مع أنّها مضافة إلى أنّها خلاف اصول الاماميّة ممّا تشمئزّ عنها الطباع وتنفر عنها الأسماع كما هو غير خفيّ على من لاحظ الشرحين بنظر الدّقة والاعتبار.

ثمّ لما بقي هنا بعض مطالب محتاجة إلى بسط من الكلام أردت ايرادها وتحقيق ماهو محتاج إلى التحقيق في ضمن تنبيهات ثلاثة فأقول و بالله التوفيق:

التنبيه الاول

اعلم أنا قد قلنا في شرح قوله عليه السلام في فاتحة هذا الفصل : ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي: إنّ من جملة الأوامر الآمرة بقتاله لهم قوله « يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ✿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

لكن جمعاً من العامّة العمياء المتعصّبين من المعتزلة والأشاعرة زعموا أنّ الآية ناظرة إلى أبي بكر ودالّة على صحّة إمامته ، وقد أفرط في هذا المعنى النّاصب المتعصّب فخر المشكّكين والمضلّين خذله الله تعالى وحشره مع أوليائه المرتدّين فأحببت أن أورد مقالهم وأعقّبه بالتنبيه على خطائهم وضلالهم فأقول :

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الفصل :

و اعلم أنّ أصحابنا قد استدلّوا على صحّة إمامة أبي بكر بهذه الآية ، قال قاضي القضاة في المغني : و هذا خبر من الله تعالى ولابدّ أن يكون كائناً على ما أخبر به ، والذين قاتلوا المرتدّين هم أبو بكر وأصحابه فوجب أن يكونوا هم الّذين عناهم الله سبحانه بقوله : يحبّهم ويحبّونه ، وذلك يوجب أن يكون على صواب ، انتهى

و قال الفخر الرّازي في تفسير الآية : اختلفوا في أنّ اولئك القوم من هم ، فقال عليّ بن أبيطالب والحسن والقتادة والضحاك وابن جريح : هم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل الرّدّة ، قالت عايشة : مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و ارتدّت العرب واشتهر النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الرّاسيات لهاضها .

وقال السدى : نزلت الاية في الأنصار ، لأنّهم هم الّذين نصروا الرّسول وأعانوه على اظهار الدّين .

وقال مجاهد : نزلت في أهل يمن وروى مرفوعاً أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لما نزلت هذه الآية أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال : هم قوم هذا .

وقال آخرون : هم الفرس لأنه روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن هذه الآية ضرب بيده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه ثم قال : لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس .

وقال قوم : إنها نزلت في علي عليه السلام ويدل عليه وجهان :

الوجه الأول أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال : لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وهذا هو الصفة المذكورة في الآية .

والوجه الثاني أنه تعالى إنما ذكر بعد هذه الآية قوله : إنما وليكم الله ورسوله الآية ، وهذه في حق علي عليه السلام فكان الأولى جعل ما قبلها أيضاً في حقه عليه السلام ، فهذه جملة الأقوال في هذه الآية ، ولنا في هذه الآية مقامات :

المقام الأول أن هذه الآيـة من أدل الدلائل على فساد مذهب الامامية من الروافض .

وتقرير مذهبهم إن الذين أقروا بخلافة أبي بكر وامامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين ، لأنهم أنكروا النص الجلي على إمامة علي عليه السلام .

فنقول: لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم ويقهرهم ويردهم إلى الدين الحق بدليل قوله : من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم ، الآية ، و كلمة من في معرض الشرط للعموم ، فهي تدل على أن كل من صار مرتداً عن دين الاسلام فان الله يأتي بقوم يقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم

فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم ويبطل مذهبهم ، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فان الروافض هم المقهورون الممنوعون من إظهار مقالاتهم الباطلة أبداً منذ كانوا علمنا فساد مذهبهم ومقالتهم ، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف .

المقام الثاني إنا ندعي أن هذه الآية يجب أن يقال : إنها نزلت في حق أبي بكر والدليل عليه وجهان :

الوجه الأول أنّ هذه الآية مختصّة بمحاربة المرتدّين ، و أبوبكر هو الذي تولّى محاربة المرتدّين، ولايمكن أن يكون المراد هو الرّسول صلّى الله عليه وآله ، لأنه لم يتّفق له محاربة المرتدّين ، ولأنه تعالى قال : فسوف يأتي الله ، وهذا للاستقبال لا للحال ، فوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب .

فان قيل : هذا لازم عليكم ، لأنّ أبابكر كان موجوداً في ذلك الوقت .

قلنا : الجواب من وجهين :

الأول أنّ القوم الذين قاتل بهم أبوبكر أهل الرّدّة ماكانوا موجودين في الحال

و الثّاني أنّ معنى الآية أنّ الله تعالى قال : فسوف يأتي الله بقوم ، قادرين متمكّنين من هذا الحراب ، وأبوبكر وإن كان موجوداً في ذلك الوقت إلّا أنه ما كان مستقلّاً في هذا الوقت بالحراب والأمر والنّهي ، فزال السؤال فثبت أنه لايمكن أن يكون هو الرّسول صلّى الله عليه وآله ولايمكن أن يكون المراد هو عليّ عليه السلام لأنّ عليّاً لم يتّفق له قتال مع أهل الرّدّة فكيف تحمل هذه الآية عليه .

فان قالوا : بل كان قتاله مع أهل الرّدّة ، لأنّ كلّ من نازعه في الامامة كان مرتدّاً .

قلنا : هذا باطل من وجهين :

الأول أنّ اسم المرتدّ إنما يتناول من كان تاركاً للشرايع الاسلاميّة ، و القوم الذين نازعوا عليّاً ما كانوا كذلك في الظاهر ، وما كان أحد يقول إنّهم خرجوا عن الاسلام وعليّ لم يسمّهم البتّة بالمرتدّين، فهذا الذي يقوله هؤلاء الرّوافض لعنهم الله بهت على جميع المسلمين وعلى عليّ عليه السلام أيضاً .

الثاني أنه لو كان كلّ من نازعه في الامامة مرتدّاً لزم في أبي بكر وفي قومه أن يكونوا مرتدّين ، ولو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم و يردّونهم إلى الدّين الصحيح ، ولما لم يوجد ذلك البتّة علمنا أنّ منازعة عليّ في الامامة لايكون ردّة ، وإذا لم تكن ردّة لم يمكن حمل الآية على عليّ لأنّها نازلة فيمن يحارب المرتدّين .

ولايمكن أيضاً أن يقال: إنّها نازلة في أهل فارس أوفي أهل اليمن ، لأنّهم لم يتّفق لهم محاربة مع المرتدّين ، و بتقدير أنّه اتّفقت لهم هذه المحاربة ولكنهم كانوا رعيّة وأتباعاً وأذناباً ، وكان الرئيس المطاع الآمر في تلك الواقعة هوأبوبكر ومعلوم أنّ حمل الآية على من كان أصلاً في هذه العبادة ورئيساً مطاعاً فيها أولى من حملها على الرّعية والأتباع والأذناب ، فظهر بما ذكرنا من الدّليل الظاهر أنّ هذه الآية مختصّة بأبي بكر .

والوجه الثاني في بيان أنّ هذه الآية مختصّة بأبي بكر هو :

إنّا نقول : هب أنّ عليّاً قدكان حارب المرتدّين ، ولكن محاربة أبى بكر مع المرتدّين كانت أعلى حالاً وأكثر موقعاً فى الاسلام من محاربة علىّ مع من خالفه فى الامامة وذلك لأنّه علم بالتواتر أنّه صلى الله عليه وآله لمّا توفّى اضطربت الأعراب وتمرّدوا وأنّ أبابكر هوالّذي قهر مسيلمة وطليحة ، وهو الذى حارب مانعي الزّكاة ، ولمّا فعل ذلك استقرّ الاسلام وعظمت شوكته وانبسطت دولته .

أمّا لما انتهى الأمر إلى علىّ فكان الاسلام قد انبسط فى الشّرق و الغرب وصار ملوك الدّنيا مقهورين وصار الاسلام مستولياً على جميع الأديان والملل ، فثبت أنّ محاربة أبى بكر أعظم تاثيراً فى نصرة الاسلام وتقويته من محاربة عليّ عليه السلام .

ومعلوم أنّ المقصود من هذه الآية تعظيم قوم يسعون فى تقوية الدّين ونصرة الاسلام ، ولما كان أبوبكر هوالمتولّى لذلك وجب أن يكون هوالمراد بالآية .

المقام الثالث فى هذه الآية وهو أنّا ندّعى دلالة هذه الآية على صحّة إمامة أبى بكر ، لما ثبت بما ذكرنا أنّ هذه الآية مختصّة به ، فنقول : إنّه تعالى وصف الذين أرادهم بهذه الآية بصفات:

أوّلها أنهم يحبّهم الله ، فلمّا ثبت أنّ المراد بهذه الآية هوأبوبكر ثبت أنّ قوله يحبّهم و يحبّونه وصف لأبى بكر ، ومن وصفه الله تعالى بذلك يمتنع أن يكون ظالماً ، وذلك يدلّ على أنه كان محقّاً في إمامته .

وثانيها قوله : أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، وهو صفة أبي بكر أيضاً للدّليل الّذي قدّمناه .

ويؤكّده ما روى في الخبر المستفيض أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال : أرحم اُمّتي باُمّتي أبوبكر ، فكان موصوفاً بالرّحمة والشفقة على المؤمنين ، و بالشّدة مع الكفّار .

ألا ترى أنّ في أوّل الأمرحين كان الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكّة و كان في غاية الضعف كيف كان يذبّ عن الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم و كيف كان يلازمه ، ويخدمه ، وما كان يبالي بجبابرة الكفّار و شياطينهم و في آخر الأمر أعني وقت خلافته كيف لم يلتفت إلى قول أحد و أصرّ على أنه لابدّ من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى آل الأمر إلى أن خرج إلى قتال القوم وحده حتى جاء أكابر الصحابة وتضرّعوا إليه ومنعوه من الذهاب .

ثمّ لما بلغ بعث العسكر إليهم انهزموا وجعل الله ذلك مبدءً لدولة الاسلام ، فكان قوله : أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، لايليق إلاّ به .

وثالثها قولـه : يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم ، فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي إلاّ أنّ حظّ أبي بكر فيه أتمّ وأكمل .

وذلك لأنّ مجاهدة أبي بكر مع الكفار كان في أوّل البعث ، و هناك الاسلام كان في غاية الضعف ، و الكفر كان في غاية القوّة ، و كان يجاهد الكفار بمقدار قدرته ويذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغاية وسعه .

و أما علي عليه السلام فانه إنما شرع في الجهاد يوم بدر وأحد ، وفي ذلك الوقت كان الاسلام قويّاً و كانت العساكر مجتمعة .

فثبت أنّ جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد عليّ عليه السلام من وجهين :

الأوّل أنـه كان متقدّما عليه في الزّمان لقوله تعالى : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل

والثاني جهاد أبي بكر كان في وقت ضعف الرّسول وجهاد عليّ كان في وقت القوّة .

ورابعها قوله : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهذا لايق بأبي بكر لأنّه متأكّد

بقوله تعالى: ولا يأتل أُولو الفضل منكم والسّعة ، وقد بيّنا أنّ هذه الآية في أبي بكر

ومما يدلّ على أنّ جميع هذه الصّفات لأبي بكر أنا بيّنا بالدّليل أنّ هذه الآية لابدّ وأن تكون في أبي بكر، ومتى كان الأمر كذلك كانت هذه الصّفات لابدّ وأن تكون لأبي بكر، وإذا ثبت هذا وجب القطع بصحّة امامته ، إذ لو كانت باطلة لما كانت هذه الصّفات لائقة به .

فان قيل: لم لا يجوز أن يقال : إنه كان موصوفاً بهذه الصّفات حال حياة الرّسول ثمّ بعد وفاته لما شرع في الامامة زالت هذه الصّفات وبطلت .

قلنا : هذا باطل قطعاً ، لأنّه تعالى قال : فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه، فأثبت كونهم موصوفين بهذه الصّفات حال اتيان الله بهم في المستقبل ، وذلك يدلّ على شهادة الله بكونه موصوفاً بهذه الصّفات حال محاربته مع أهل الرّدة ، و ذلك هو حال امامته ، فثبت بذلك الآية دلالة الآية على صحّة امامته .

أمّا قول الرّوافض لعنهم الله إنّ هذه الآية في حقّ عليّ عليه السلام بدليل أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لاعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، وكان ذلك هو عليّ عليه السلام .

فنقول : هذا الخبر من باب الآحاد و عندهم لا يجوز التّمسك به في العمل فكيف يجوز التّمسك به في العلم .

وأيضاً إنّ اثبات هذه الصفة لعليّ عليه السلام لا يوجب انتفاءها عن أبي بكر وبتقدير أن يدلّ على ذلك لكنّه لا يدلّ على انتفاء ذلك المجموع عن أبي بكر ومن جملة تلك الصفات كونه كرّاراً غير فرّار فلمّا انتفى ذلك عن أبى بكر لم يحصل مجموع تلك الصّفات له فكفى هذا في العمل بدليل الخطاب ، فأمّا انتفاء جميع تلك الصفات فلا دلالة فى اللّفظ عليه فهو تعالى إنّما أثبت هذه الصّفة المذكورة فى هذه الآية حال اشتغاله بمحاربة المرتدّين بعد ذلك ، فهب أنّ تلك الصفة ما كانت حاصلة في ذلك الوقت فلم يمنع ذلك من حصولها في الزّمان المستقبل .

ولأنّ ماذكرناه تمسّك بظاهر القرآن وما ذكروه تمسّك بالخبر المذكور

المنقول بالآحاد .

ولأنّه معارض بالأخبار الدّالة على كون أبي بكر محبّاً لله ورسوله وكون الله محبّاً له وراضياً عنه، قال تعالى في حقّ أبي بكر : ولسوف يرضى وقال ﷺ إنّ الله يتجلّى للناس عامّة ويتجلّى لأبي بكر خاصّة ، وقال ﷺ ماصبّ الله شيئاً في صدري إلاّ وصبّه في صدر أبي بكر، وكلّ ذلك يدلّ على أنّه كان يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله .

وأما الوجه الثاني وهو قولهم : الآية التي بعد هذه الآية دالّة على امامة عليّ عليه السلام فوجب أن تكون هذه الآية نازلة في عليّ .

فجوابنا أنا لانسلّم دلالة الآية التي بعد هذه الآية على امامته ، وسنذكر الكلام فيه ، فهذا ما في هذا الموضع من البحث و الله أعلم ، انتهى كلامه هبط مقامه .

و يتوجّه عليه وجوه من الكلام وضروب من الملام :

الوجه الاول - أنّ نسبته كون المراد بقوم يحبّهم ويحبّونه هو أبو بكر وأصحابه إلى عليّ عليه السلام بهت و افتراء ، وإنما المرويّ عنه عليه السلام وعن حذيفة وعمّار وابن عباس حسبما تعرفه أنّ المراد به هو عليه السلام وأصحابه .

الثاني - ماذكره من الوجه الثاني من استدلال الامامية بأنّ الآية الواقعة بعد هذه الآية أعني قوله: إنما وليّكم الله، في حقّ عليّ عليه السلام فكان الأولى جعل ماقبلها أيضاً في حقّه فاسد ، لأنّ أصحابنا وإن قالوا بكون انما وليّكم الله في حقّه لكنّهم لم يستدلّوا بذلك على كون هذه الآية أعني: فسوف يأتي الله بقوم، فيه عليه السلام وإنّما استدلّوا على ذلك بالوجه الأوّل الّذي حكاه عنهم ويأتي توضيحه، وبماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله يوم البصرة والله ماقوتل أهل الآية حتّى اليوم وتلاها ، و بماروي عن وجوه الصحابة مثل حذيفة وعمّار وابن عبّاس من نزولها فيه عليه السلام كما قاله المرتضى في الشافي ، ومثلهم الثعلبي قال في تفسير قوله : فسوف يأتي الله بقوم الآية ، هو عليّ بن أبيطالب .

الثالث - أنّ استدلاله على فساد مذهب الامامية بقوله: وتقرير مذهبهم إلى قوله : ولما لم يكن كذلك علمنا فساد مذهبهم ، سخيف جدّاً ، لأنّا لاننكر ارتداد أبي بكر

ومن تبعه حسبما نشير اليه ، ولكن نمنع دلالة الآية على أنّ كلّ من صار مرتداً عن دين الاسلام ، فانّ الله يأتي بقوم يردّهم إلى الاسلام و إفادة من للشرط و العموم لايقتضى ذلك .

وذلك لأنه سبحانه لم يقل من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يجاهدهم ويقهرهم ويردّهم الى الدّين الحقّ كما زعمه هذا الناصب ، وإنما قال فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه آه .

ولا دلالة فيها على أنّ القوم المأتيّ بهم يجاهدون هؤلاء المرتدّين بل ظاهر معنى الآية ومساقها مع قطع النظر عن الأخبار أنّ من يرتدّ منكم عن دينه فلن يضرّ دينه شيئاً ولايوجب ارتداده ضعفه ووهنه لأنّه سبحانه سوف يأتي بقوم لهم هذه الصّفات ينصرونه على أبلغ الوجوه ، وبهم يحصل كمال قوّته وشوكته .

فيكون مساق هذه الآية مساق قوله تعالى «وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين» .

وقد روى ابن شهر آشوب من طريق العامّة باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية يعني بالشاكرين عليّ بن أبيطالب وبالمرتدّين على أعقابهم هم الذين ارتدّوا عنه عليه السلام .

فقد علم بما ذكرنا أنّ الآية لاتقتضى أنّ كلّ من ارتدّ لابدّ و أن يأتي الله بمن يردّه عن ارتداده إلى دين الاسلام كما توهّمه الرّازى ، كيف ؟ ولو كان مفهومها ذلك لوجب أن لايوجد مرتدّ إلاّ وله قاهر يقهره ورادّ يردّه إلى دين الاسلام ، والمعلوم المشاهد بالتجربة والوجدان عدمه ، فانّ العالم ملاء من المرتدّين وليس لهم دافع ولارادع .

وقد اعترف الرازى بخبطه من حيث لايشعر ، فانّه نقل قبل ماحكيناعنه من كلامه في جملة كلام نقله عن صاحب الكشّاف و ارتضاه

أنّ من جملة المرتدّين غسّان قوم جبلة بن الايهم على عهد عمر ، وذلك أنّ

جبلة أسلم على يد عمروكان ذات يوم جارّاً رداءه فوطىء رجل طرف ردائه فغضب فلطمه ، فتظلّم الرّجل إلى عمر فقضى له بالقصاص عليه إلاّ أن يعفوعنه فقال : أنا اشتريها (١) بألف فأبى الرّجل فلم يزل يزيدفي الفداء إلى أن بلغ عشرة آلاف ، فأبى الرّجل إلاّ القصاص ، فاستنظرعمر فأنظره فهرب إلى الرّوم وارتدّ،انتهى .

فأقول للرّازى : إنّ هؤلاء كانوا مرتدّين بعد إسلامهم فلم لم يأتي الله بقوم يقهرونهم ويردّونهم إلى الاسلام على ما زعمت ، فعلم فسادما قاله في معنى الآية .

الرابع - قوله: إنّ هذه الآية مختصّة بمحاربة المرتدّين وأبوبكر هو الّذى تولّى محاربتهم ، قدعلمت عدم دلالة الآية على محاربتهم فضلاً عن اختصاصها بها .

وعلى التنزّل وتسليم الدّلالة والاختصاص فنمنع اختصاص أبي بكر بمحاربتهم لأنّ من جملة المرتدّين الناكثين و القاسطين والمارقين وقد حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام .

- ومن جملتهم بنومدلج ورئيسهم ذوالحمار وهوالأسود العنسي وكان كاهناً ادّعا النبوّة في اليمن واستولى على بلادها وأخرج عمّال رسول الله منها فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معاذبن جبل و سادات اليمن فأهلكه الله على يدفيروز الدّيلمي فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل ، فسرّ المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد ، و أتى خبره في آخرشهرربيع الأوّل روى ذلك في الكشّاف وحكاه عنه الرّازى أيضاً .

وإذا لم يكن المحاربة مختصّة بأبي بكر فلم لايجوز أن يكون المقصود بالآية هؤلاء المحاربون بالمرتدّين لا أبوبكر وأصحابه .

الخامس - قوله : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتّفق له محاربة المرتدّين قد علمت بطلانه .

فان قلت : إنّه صلى الله عليه وآله لم يتولّ بنفسه جهاد بني مدلج ، وإنّما أنفذ إليهم سريّة قلت : أبوبكر أيضاً لم يتولّ بنفسه .

السادس - قوله : ولأنّه تعالى قال: فسوف يأتي الله بقوم ، وهذا للاستقبال لا للحال

---

(١) اى اللطمة ، منه

فوجب أن يكون هذا القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب

فيه أنّه مسلّم ولكنّه لاينافي كون المراد بالمرتدّين بنومدلج أوقوم مسيلمة فانّ محاربة رسول الله ﷺ لهم كان بعد مضيّ نزول الخطاب وفي آخر عمره الشريف، أمّا بنومدلج فقد عرفت، وأمّا مسيلمة فقد ادّعى النبوّة فأنفذ رسول الله ﷺ لقتله جماعة من المسلمين وأمرهم أن يفتكوا به إن أمكنهم غيلة، واشتقّ عليه قبايل من العرب وقتل على يدى وحشي قاتل حمزة بعد موت رسول الله ﷺ.

السابع- قوله: إنّ القوم الّذين قاتل بهم أبو بكر أهل الردّة ماكانوا موجودين في الحال.

فيه أوّلا أنّه رجم بالغيب فمن أين له إثبات عدم وجودهم، بل بيّن الفساد لأنّ المرتدّين هم الذين كانوا في زمن الرّسول ﷺ مثل خالد بن الوليد و أبو قتادة الأنصارى ونظرائهم وجلّهم كان جيش اسامة كما يظهر من كتب السّير.

و ثانياً بعد التنزّل أنّ عدم وجودهم لاينفع بحال أبي بكر على مازعم مع كونه موجوداً بل يدخل المقاتلون معه في عموم الآية لعدم كونهم موجودين ويخرج هو بنفسه عنه لكونه موجوداً، فافهم جيّداً.

الثامن- قوله : إنّ معني الآية إنّ الله قال: فسوف يأتي الله بقوم قادرين متمكّنين من هذا الحرب «إلى قوله» والأمر والنهي.

فيه إذا كان البناء في معني الآية على ذلك فلنا أن نقول : إنّ أمير المؤمنين أيضاً كان موجوداً في ذلك الوقت و فى زمان أبى بكر لكنّه لم يكن متمكّنا من الحرب والأمر والنهي إلى أن استقلّ بالأمر، فقاتل المرتدّين من النّاكثين والقاسطين والمارقين، غاية الأمر إنّ عدم استقلال أبي بكر بوجود الرئيس الحقّ وهو رسول الله ﷺ وعدم استقلال أمير المؤمنين ﷺ بوجود رئيس الباطل أعني الغاصبين للخلافة مع عدم المعاون

التاسع- قوله : فثبت أنّه لايمكن أن يكون المراد هو الرّسول ﷺ قد علمت فساده وامكان إرادته.

العاشر - قوله : اسم المرتدّ إنما يتناول من كان تاركاً للشرايع الاسلاميّة اه .

فيه أنّه إن أراد به تركه لجميعها فيتعرض عليه بأنّ مانعي الزكاة لم يكونوا تاركين للجميع وانّما منعوا الزّكاة فحسب فكيف حكمتم بارتدادهم ، ويدلّ على ماذكرنا من عدم تركهم للجميع ، مضافاً إلى مايأتي قول قاضي القضاة في المغني حيث قال : فان قال قائل فقد كان مالك يصلّي ، قيل له: وكذلك ساير أهل الرّدة والكفرو إنّما كفروا بالامتناع من الزّكاة واعتقاد إسقاط وجوبها دون غيره .

وإن اراد به تناول الاسم ولو بترك بعضها فنقول : إنّ المحاربين لأمير المؤمنين عليه السلام قد كانوا تاركين للبعض ، حيث انّهم قد كانوا يستحلّون قتاله و قتله و قتل ساير المؤمنين التابعين له عليه السلام فضلاً عن إنكارهم النصّ الجليّ و نقضهم لبيعته .

و استحلال قتل المؤمنين وسفك دمائهم فضلا عن أكابرهم و أفاضلهم أشدّ من استحلال الخمر وشربه قطعاً ، فيكونوا كفّاراً مرتدّين .

مع أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له عليه السلام بلاخلاف بين أهل النقل : يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي ، ونحن نعلم أنّ المقصود به ليس إلاّ التشبيه في الأحكام ، ومن أحكام محاربي النّبي الكفر والارتداد بالاتّفاق .

وملخّص الكلام ومحصّل المرام أنّ الرّدة الّتي نقولها في حقّ محاربي عليّ عليه السلام هي بعينها مثل الرّدة الّتي تقولونها في حقّ مانعي الزكاة حرفاً بحرف .

قال شارح صحيح مسلم في المنهاج في كتاب الايمان كلاماً استحسنه من الخطابي ماهذا لفظه قال بعد تقسيم أهل الرّدة إلى ثلاثة أقسام :

فأمّا مانعوا الزكاة منهم المقيمون على أصل الدّين فانّهم أهل بغي ولم يسمّوا على الانفراد منهم كفاراً و إن كانت الرّدة قد اضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدّين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدّين ، و ذلك انّ اسم الرّدة اسم لغويّ وكلّ من انصرف عن أمر كان مقبلا عليه فقد ارتدّ عنه ، وقد وجد من هولاء القوم الانصراف ومنع الحق وانقطع عنهم اسم الثناء والمدح بالدّين وعلّق بهم اسم القبيح لمشاركتهم القوم الّذين كان ارتدادهم حقّا، انتهى.

وهذا الكلام كما ترى صريح في أنّ مانعي الزكاة كانوا مقيمين على أصل الدّين لكنّه اطلق عليهم اسم المرتدّ لترك بعض حقوق الدّين الواجبة ، هذا .

وأما استبعاد الشّارح المعتزلي لارتدادهم أعني الناكثين والقاسطين والمارقين بأنّهم لايطلق عليهم لفظ الرّدة .

أمّا اللفظ فبا الاتّفاق منّا ومن الاماميّة وان سمّوهم كفاراً .

وأمّا المعنى فلأنّ في مذهبهم أنّ من ارتدّ و كان قد ولد على فطرة الاسلام بانت امرأته منه وقسم ماله بين ورثته و كان على زوجته عدّة المتوفى عنها زوجها، و معلوم أنّ أكثر المحاربين لأمير المؤمنين قد ولدوا في الاسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام .

ففيه منع أنّ الاماميّة لايطلقون عليهم اسم المرتدّ ومن أخبارهم المشهورة : ارتدّ النّاس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ ثلاثة أو أربعة .

وأمّا ماحكاه عنهم من انّ مذهبهم أنّ من ارتدّ وكان قد ولد على الفطرة اه ، فهو حقّ لكن نجيب عنه بأنّ أحكام الكفّار كما أنّها مختلفة وإن كان شملهم اسم الكفر، فانّ منهم من يقتل ولايستبقى، ومنهم من يؤخذ منهم الجزية ولايقتل إلاّ بسبب طارغير الكفر، ومنهم من لايجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين ، فكذلك من الجايز اختلاف أحكام الارتداد ويرجع في أنّ حكمهم مخالف لأحكام ساير الكفار والمرتدّين إلى فعله عليه السّلام وسيرته فيهم .

و لذلك قال الشافعي : أخذ المسلمون السيرة في قتال المشركين من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأخذوا السيرة في قتال البغاة من عليّ عليه السّلام .

و بالجملة فلو لم يكن الباغون عليه عليه السّلام كفاراً مرتدّين لما حاربهم أمير المؤمنين ولا استحلّ سفك دمائهم ولم يكن مأموراً من الله تعالى ومن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتالهم على ما صرّح به في أوّل هذا الفصل من كلامه بقوله : وقد أمرني الله بقتال أهل البغي اه .

إذ المسلم لايجوز سفك دمه واستحلال قتله فلمّا حاربهم أمير المؤمنين عليه السّلام ثبت

بذلك كفرهم وارتدادهم .

ولمّا لم يسر فيهم بسيرة ساير الكفار من سبيهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم واتّباع مولّيهم وإجهاز جريحهم ، ولم يسر فيهم بسيرة ساير المرتدّين من إبانة امرأتهم وتقسيم أموالهم وغيرها من الأحكام ، علمنا بذلك اختلاف أحكامهم مع أحكام ساير الكفار والمرتدّين ، فانّ فعل الامام وسيرته كقوله حجّة متّبعة مثل الرّسول صلى الله عليه وآله .

و ان شئت مزيد تحقيق لهذا المقام .

فأقول : إنّ ارتداد المنحرفين عنه عليه السلام كائناً من كان من الغاصبين للخلافة أو الباغين عليه عليه السلام واطلاق اسم المرتدّ عليه قد ورد في الرّوايات العاميّة كوروده في أخبار الخاصّة .

ففي غاية المرام عن الثعلبي قال : أخبرنا عبدالله بن حامد بن محمّد أخبرنا أحمد بن محمّد بن الحسن حدّثنا محمّد بن شبيب حدّثنا أبي عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيّب عن أبي هريرة أنّه كان يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض ، فأقول : يا ربّ أصحابي ، فيقال : إنّك لاعلم لك بما أحدثوا أنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى .

و فيه من صحيح البخاري في الجزء الخامس على حدّ ثلثه الأخير في تفسير قوله «وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم» قال :

حدّثنا شعبة قال أخبرنا المغيرة بن النعمان قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عبّاس «رض» خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا أيّها النّاس إنّكم محشورون إلى الله حفاة عزلا ، ثمّ قال : كما بدئنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنا كنّا فاعلين «إلى آخر الآية » ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم ألا وإنّ أوّل الخلايق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وانه يجاء برجال من أمتي فيؤخذبهم ذات الشمال فأقول : يا ربّ أصحابي ، فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كلّ شيء شهيد ، فقال: إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم .

ورواه فيه من صحيح مسلم في الجزء الثالث من أجزاء ثلاثة من ثلثه الأخير بسنده عن ابن عباس نحوه .

و فيه من البخارى من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان يحدث عن بعض أصحاب النبي قال : يرد على الحوض رجال من امتي فيجلون عنه فأقول يارب أصحابي ، فيقال : إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى .

فان قلت : غاية مايستفاد من هذه الروايات أن جماعة من أمته صلى الله عليه وآله وسلم ارتدوا بعده ، ولادلالة على أنهم مبغضو أمير المؤمنين عليه السلام والمخالفون له .

قلت : الجواب أولاً أنه قد ورد في النبوى المتفق عليه بالنقل البالغ حد الاستفاضة : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه ، ومن جملة طرقه الزمخشرى في ربيع الأبرار قال :

استأذن أبو ثابت مولا علي عليه السلام على أم سلمة رضي الله عنها فقالت : مرحباً بك يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطائرها ؟ قال : تبع علي ، فقالت : والذى نفسي بيده سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : علي مع الحق و القرآن والحق والقرآن معه ولن يفترقا حتى يردا على الحوض

ومن المعلوم أنه عليه السلام إذا كان معهما و كانا معه مصاحبين حتى يردا على الحوض يكون مخالفوه المنحرفون عنه مخالفين للحق و القرآن ، مفترقين عنهما البتة وليس معني الارتداد إلا ذلك فيكون المرتدون المجلون عن الحوض هم هؤلاء .

وبمعناه مارواه إبراهيم بن محمد الحمويني مسنداً عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة والأسود قالا :

أتينا أبا أيوب الأنصارى وقلنا له: يا أبا أيوب إن الله تعالى أكرمك بنبيه حيث كان ضيفاً لك فضيلة من الله فضلك بها أخبرنا بمخرجك مع علي عليه السلام تقاتل أهل لا إله إلا الله ، قال : اقسم لكما بالله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا البيت الذى أنتما فيه معى، وما فى البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي جالس عن يمينه و أنا جالس عن

يساره وأنس قائم بين يديه ، إذحرّك الباب فقال رسول الله ﷺ : افتح لعمّار الطيّب المطيّب ، ففتح النّاس الباب ودخل عمار فسلّم على رسول الله ﷺ فرحّب به ثم قال لعمار : إنه سيكون في أمّتي بعدي هناة حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضا ، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني يعني عليّ بن أبيطالب ، فاذاسلك الناس كلّهم واديا وسلك عليّ واديا فاسلك وادى عليّ وخلّ عن النّاس ، يا عمار إنّ عليّا لايردّك عن هدى ولا يدلّك على ردى ، يا عمارطاعة عليّ طاعتي وطاعتي طاعة الله عزّ وجلّ .

ودلالته على المدّعى غيرخفيّة .

و ثانيا انه قد وقع التصريح منه ﷺ بأنّ المرتدّين المطرودين عن الحوض مبغضوه عليه السلام في مارواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم بسنده عن إبراهيم ابن عبدالله بن العلاء عن أبيه عن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه قال :

قال النبيّ ﷺ يوم فتح خيبر : لولا أن يقول فيك طوايف من أمّتى ماقالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا بحيث لاتمرّ على ملاء من المسلمين إلاّ أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك ، يستشفعون به ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك ترثني وأرثك وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي يا عليّ أنت تؤدّي ديني و تقاتل على سنّتي و أنت في الآخرة أقرب النّاس منّي و إنّك يا عليّ غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين ، و أنت أوّل من يرد على الحوض وأنت أوّل داخل في الجنّة من أمّتي ، وإنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويّين مبيضّة وجوههم حولي أشفع لهم فيكونون في الجنّة غداً جيراني ، وإنّ أعداءك غداً ظماء مظمئين مسودّة وجوههم يتقحمون مقمعون يضربون بالمقامع وهى سياط من نار مقتحمين ، حربك حربي وسلمك سلمي وسرّك سرّي وعلانيتك علانيتي وسريرة صدرك كسريرة صدري وأنت باب علمي وانّ ولدك ولدي ولحمك لحمي ودمك دمي ، وأنّ الحق معك والحقّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك ، والايمان

خالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ، و ان الله عز وجل أمرني أن أبشرك أنك أنت وعترتك في الجنة ، وعدوك في النار لايرد على الحوض مبغض لك ، ولا يغيب عنه محب لك .

قال علي عليه السلام فخررت ساجداً لله تعالى و حمدته على ما أنعم به علي من الاسلام والقرآن وحببني إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين .

و قد أوردت هذه الرواية بطولها لتضمنها وجوهاً من الدلالة على المدعى كما لايخفى على المنصف المجانب عن العصبية والهوى

فقد علم بذلك كله أن المحاربين له عليه السلام كالمنتحلين للخلافة مرتدون على لسان الله والنبي والوصي ومنكر ارتدادهم منكر للنص الجلي .

الحاديعشر ـ قوله: لوكان كل من نازعه في الامامة مرتداً اه

فيه إن ارتدادهم مسلم حسبما عرفت ولكن وجوب إتيان الله بقوم يقهرونهم بحكم الآية غير لازم ، لما عرفت أيضاً من عدم اقتضاء الآية ذلك لأنه سبحانه قال فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه ولم يقل يقهرونهم و يردونهم إلى الدين الصحيح .

لا يقال : لوكان أبوبكر و قومه مرتدين لحاربهم أمير المؤمنين عليه السلام كما حارب الناكثين والقاسطين والمارقين .

لأنا نقول : نعم ولكن تركه لمحاربتهم لأنه لم يجد عوناً له على الحرب كما أشار عليه السلام إلى ذلك في الخطبة الثالثة بقوله : وطفقت أرتاي بين أن أصول بيد جذاء أوأصبر على طخية عمياء فصبرت وفي العين قذى و في الحلق شجى ، و فى الفصل الثاني من الخطبة السادسة و العشرين : فنظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت وأغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم .

و مما رواه عنه نصر بن مزاحم و كثير من أرباب السير أنه قال عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله : لووجدت أربعين ذوى عزم

وقد سأل الرّماني عن الرّضا عليه السلام قال : فقلته ياابن رسول الله أخبرني عن عليّ بن أبيطالب لم لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ جاهدفي أيّام ولايته ؟ فقال : لأنّه اقتدى برسول الله في تركه جهاد المشركين بمكّة ثلاثة عشر سنة بعد النبوّة وبالمدينة تسعة عشر شهراً ، وذلك لقلّة أعوانه عليهم .

فلمّا لم تبطل نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد لم تبطل ولاية عليّ عليه السلام بتركه الجهاد خمساً و عشرين سنة إذ كانت العلّة المانعة لهما عن الجهاد واحدة .

الثاني عشر ـ قوله : ومعلوم أنّ حمل الآية على الرئيس المطاع أولى .

فيه منع الأولوية أوّلا ومنع اقتضاء الأولويّة على فرض تسليمه للاختصاص ثانياً .

الثالث عشر ـ قوله : ولكن محاربة أبي بكر مع المرتدّين كانت أعلى حالا « إلى قوله » وجب أن يكون هو المراد بالآية .

فيه أوّلا إنّ محاربة أبي بكر كانت عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان الأنصار والمهاجرون و ساير المسلمين رغباتهم متوافرة و أيديهم متناصرة و آرائهم متّفقة وأبدانهم مجتمعة وأهوائهم متّحدة وكلمتهم واحدة في حماية الدّين وفي ذبّ الكفار عن شرع سيّد المرسلين ، و كان المرتدّون شرذمة قليلين ، فحارب أبو بكر هؤلاء الجماعة الكثيرة المتّفقة ذوي الحميّة والعصبيّة هذه الشرذمة القليلة مع ما بين الطرفين من عداوة الدّين وتضادّ المذهب على رأي المجاهدين المقتضى للجدّ والثبات في الحرب

وأما حرب أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان بعد السنين المتطاولة وتعوّد الناس على محدثات المتخلّفين الثلاثة و بدعاتهم مع كون سيرته عليه السلام فيهم بخلاف سيرة الشيخين الموجب لتقاعدهم عنه و مخالفتهم له ، و كون هوى أكثرهم في الباطن خلاف هوى أمير المؤمنين عليه السلام ورأيهم مخالفاً لرأيه .

بل كان أكثرهم فى شكّ وتردّد من جواز قتال حرم رسول الله عايشة و جهاد قوم هم من أهل القبلة على ظاهر الاسلام وقوم لهم ثفنات فى مساجدهم كثفنات البعير أجهد منهم عبادة وأكمل قرائة .

فقاتل بهؤلاء الجماعة المختلفة الأهواء و المشتتة الآراء الضعفاء الاعتقاد المرتدّين على كثرتهم بمقتضى تصلّبه فى الدّين من دون أن يأخذه لومة لائم غير هائب ولا محتشم.

فحارب مع من حالهم ذلك بالناكثين وقد بلغوا تسعة آلاف وبالقاسطين وقد كانوا زهاء مأتي ألف ، وبالمارقين و كانوا اثنى عشر ألفاً فى أوّل أمرهم وأربعة آلاف فى آخره فانظر ماذا ترى .

هل كان محاربته عليه السلام والحال بما وصفت أولى وأحقّ بالتعظيم وأن تقصد بالآية الشريفة أم محاربة أبى بكر؟!

وثانياً إنّ محاربة أبى بكر لم تكن إلاّ بمحض الأمر والنهى وانهاض الجيش والسّرايا ، وقد كان جالسا فى كسر بيته وحوله المهاجر والأنصار فى أمن وراحة وطيب عيش ودعة على مصداق قوله :

ألا طعان ألا فرسان عادية ألا تجشؤكم حول التنانير

و أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان شاهراً سيفه واضعاً له على عاتقه فى حروب يضطرب لها فؤاد الجليد ، و يشيب لهولها فود الوليد ، ويذوب لتسعّر بأسها زبر الحديد ، ويجب منها قلب البطل الصنديد .

فتولى عليه السلام الحرب بنفسه النفيسة فخاض غمارها واصطلى نارها ، ودوّخ أعوانها وأنصارها وأجرى بالدّماء أنهارها ، وحكم فى مهج الناكثين والقاسطين والمارقين فجعل بوارها ، فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر، و الشجعان تلوذ بالهزيمة إذا زأر عالمة أنه ما صافحت صفحة سيفه مهجة إلاّ فارقت جسدها ، و لا كافح كتيبة إلاّ افترس ثعلب رمحه أسدها .

وهذا حكم ثبت له بطريق الاجمال وحال اتّصف به بعموم الاستدلال .

وأما تفصيله فليطلب من مظانه من الكتاب ، فانه لا يخفى على ذوي البصاير وأولى الألباب .

فانشدك بالله هل مجاهدة ذلك أجدر و أحرى بالمجمدة والثناء ؟ أم محاربة

هذا ؟! (١) جزى الله خير الجزاء من تجنّب العصبيّة والهوى

الرابع عشر - قوله : فلما ثبت أنّ المراد بهذه الآية أبوبكر ثبت أنّ قوله : يحبّهم ويحبّونه وصفله .

فيه أنّ الاستدلال على اتّصاف أبي بكر بهذا الوصف و مايتلوه من الأوصاف بسبب اختصاص الآية به أشبه شيء بالأكل من القفاء ، إذ المناسب لرسم المناظرة أن يقيم الدليل أولا على اتّصاف أبي بكر بهذه الأوصاف ثمّ يستدلّ بذلك على أنّ الآية في حقّه لابالعكس .

مع أنك قد علمت عدم دلالة الآية على خلافته فضلا عن الاختصاص فلم يثبت اتّصافه بها بما زعمه من الدليل ، بل قد علمت بما ذكرناه و نذكره نزولها في أميرالمؤمنين عليه السلام وأنه المتّصف بهذه الأوصاف لاغير .

الخامس عشر - قوله : ومن وصفه الله بذلك يمتنع أن يكون ظالماً .

هذا مسلّم لكن ظلمه محقّق فاتّصافه به ممتنع فمبطليّته في الامامة محقّقة لاغبار عليها .

أما تحقّق ظلمه فلأنّ أعظم الظلم الشرك بالله وعبادة الأوثان كما قال عزّ من قائل «إنّ الشرك لظلم عظيم» وأبوبكر قد كان مشركاً مدّة مديدة وزمناً طويلاً من عمره فيكون ظالماً البتة ، ومن كان كذلك لايستحقّ الإمامة بمقتضى قوله سبحانه : لا ينال عهدي الظالمين .

روى أبوالحسن الفقيه ابن المغازلي الشافعي مسنداً - حذفت الاسناد للاختصار - عن مينا مولى عبدالرّحمن بن عوف عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا دعوة أبي إبراهيم ، قلت : يا رسول الله و كيف صرت دعوة أبيك إبراهيم ؟ قال : أوحى الله عزّوجلّ إليه إنّي جاعلك للناس إماما ، فاستخفّ إبراهيم الفرح قال عليه السلام ومن ذرّيتي أئمّة مثلي ، فأوحى الله عزّوجلّ إليه أن يا إبراهيم إنّي لا اعطيك عهداً لا أفي لك به، قال : ياربّ ما العهد الذي لاتفي لي به ؟ قال : اعطيك عهداً لظالم من

١- أى أبي بكر

ذرّيتك قال إبراهيم عندها : واجنبني وبنيّ ان نعبدالأصنام ربّ إنّهن أضللن كثيراً من عبادك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله فانتهت إليّ وإلى عليّ لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتّخذني نبياً واتّخذ علياً وصياً .

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى : لا ينال عهدى الظالمين : اعلمه أنّ في ذرّيته الظالم

قال وقال السدى عهدى نبوّتى يعني لاينال ماعهدت إليك من النبوّة والامامة في الدّين من كان ظالماً في ولدك .

قال وقال الفراء : لايكون للناس إمام مشرك .

وقد ظهر بذلك كون المشرك ظالماً غيرمستحقّ للامامة ولا كلام في شرك أبي بكر في أوّل أمره فظلمه في بداية حاله ثابت ، وأما ظلمه بعد إسلامه فكذلك ، لأنه لم يكن معصوماً بالاتّفاق حتى يكون له قوّة العصمة المانعة من الظلم على نفسه وعلى غيره ، وقدقال على المنبر : إنّ لي شيطاناً يعتريني فاذا ملت فسدّدوني ، فمن كان محتاجاً إلى تسديد الغيرعند الميل والانحراف عن الرّشاد كيف يكون مسدّداً لغيره على ماهي وظيفة الامامة .

ومن ظلمه العظيم غصبه للخلافة وحكمه باخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته ملبّباً للبيعة وانتزاع الفدك من يد الصدّيقة الطاهرة حسبما عرفت وتعرف في تضاعيف الشرح ذلك كلّه بالأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة .

ومن عظيم ظلمه الذي صار عليه من أعظم المطاعن مضافاً إلى مطاعنه الأخر محاربته مانعي الزكاة مع عدم كونهم مرتدّين و تركه إقامة الحدّ والقود على خالد بن الوليد و قد قتل مالك بن نويرة و ضاجع المرئة من ليلته وأشار إليه عمر بقتله وعزله، فقال: انّه سيف من سيوف الله سلّه الله على أعدائه وقال عمر مخاطباً لخالد: لان ولّيت الأمر لأقيدنّك له .

وقد روى تفصيل ذلك أرباب السير ورواه أصحابنا في جملة مطاعن أبي بكر

و لا حاجة بنا في هذا المقام إلى ذكر التّفصيل وإنّما نورد ماله مزيد مدخل في إثبات المدّعى فأقول :

روى الطبري في تاريخه و رواه غيره أيضاً في جملة مارواه من تلك القضيّة أنّ من جملة السّرية المبعوثة إلى بني يربوع قوم مالك بن نويرة أباقتادة الحارث ابن ربعي فكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، فحدث أبوقتادة الأنصاري خالد بن الوليد بأنّ القوم ماذوا بالاسلام وأنّ لهم أمانا ، فلم يلتفت خالد إلى قوله و أمر بقتلهم و قسم سبيهم ، فحلف أبوقتادة أن لا يسير تحت لواء خالد في جيش أبداً ، وركب فرسه شادّاً إلى أبي بكر وأخبره بالقصّة وقال : إنّي نهيت خالداً عن قتله فلم يقبل قولي وأخذ بشهادة الأعراب الّذين غرضهم الغنائم ، وأنّ عمر لمّا سمع ذلك تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال : إنّ القصاص قد وجب عليه ، ولما أقبل خالد بن الوليد قافلاً دخل المسجد وعليه قباء له عليه صداء الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فنزع الأسهم عن رأسه فحطمها ثمّ قال : ياعديّ نفسه عدوت على امرء مسلم فقتلته ثمّ نزوت على امرأته والله لنرجمنّك بأحجارك ، وخالد لا يكلّمه و لا يظنّ إلاّ أنّ رأي أبي بكر مثل ما راى عمر فيه ، حتّى دخل إلى أبي بكر واعتذر إليه فعذّره وتجاوزعنه .

و قد رواه الشّارح المعتزلي أيضا في الشّرح و في غير ذلك المقام و قال عقيب ذلك :

فكان عمر يحرّض أبابكر على خالد ويشير عليه أن يقتصّ منه بدل مالك ، فقال أبو بكر إيهاً ياعمر ما هو بأوّل من أخطأ فارفع لسانك عنهم ، ثمّ ودى ذلك من بيت مال المسلمين ، انتهى.

فقد علم بذلك أنّ أبابكر كان ظالما فكيف يكون محبوبا لله سبحانه ومحبّا له.

ثمّ لايخفى عليك إنّ الله وصف القوم المأتيّ بهم بالمحبّة ولم يخصّ المحبّة بالرئيس فقط و من جملة المحاربين للمرتدّين على زعمهم خالد بن الوليد الّذي

عرفت حاله من هتكه لناموس الاسلام وتضييعه لشرع سيّد الأنام أفترى من نفسك أن تحكم بأنّه محبوب الله ومحبّه ؟! حاشا ثمّ حاشا .

السادس عشرـ قوله: أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين، صفة لأبي بكر للدّليل الّذي قدّمناه .

فيه أولاً أنّك قد عرفت عدم تمامية الدّليل وعدم اختصاص الآية بأبي بكر، والخبر الّذي رواه من قوله : أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر . ممّا تفرّد العامّة بروايته لا يكون حجّة علينا

وثانياً أنّ قوله : ألا ترى انّ في أوّل الأمر كيف كان يذبّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

فيه أنّه لم يسمع إلى الآن ذبّ منه عنه عليه السّلام ولم يكن له نسب معروف ، ولا حسب مشهور ، ولا فضل مأثور ، ولا صيت مذكور ، ولم يكن يومئذ ممّن يعتنى بشأنه ويعبأ به في عداد الرّجال حتّى يذبّ عن رسول الله ، ألم يكن يومئذ مثل شيخ بطحاء أبي طالب وأسد الله حمزة وذي الجناحين جعفر وأسد الله الغالب أمير المؤمنين وساير فتية بني هاشم وأنجاد بني عبد مناف محدقين حوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حامين له ذابّين عنه حتّى يكون الذّاب عنه مثل أخي تيم الجلف الجافي الرّذل ، ولو كان له تلك المقام والمنزلة لم يعزله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن إبلاغ سورة برائة .

وثالثاً قوله : وفي آخر الأمر أصرّ على المحاربة مع مانعي الزّكاة .

فيه أنك قد علمت أنّ مانعي الزّكاة لم يكونوا من المرتدّين بل كانوا مسلمين ولذلك صار محاربته معهم من أعظم المطاعن عليه فاستحقّ بذلك عقاباً ونكالاً ، وصار له وزراً ووبالاً .

ورابعاً قوله حتى جاء أكابر الصحابة وتضرّعوا إليه ومنعوه من الذّهاب

النكتة في منعهم منه على تقدير صحّته أنّهم قد كانوا عارفين بجبنه ، عالمين بضعف قلبه ، مجرّبين له في المعارك والمهالك ، وأنّه وصاحبه عمر عند منازلة الشجعان ومبارزة الأقران كان شيمتهما الفرار ، وسجيّتهما عدم الحماية للذّمار ، وقد فرّا يوم خيبر واُحد والأحزاب وغزوة ذات السلسلة وغيرها على أقبح الوجوه كما أثبتته

أرباب السير، وعلى لسان الشعراء والمورخين شاع واشتهر

قال الشارح المعتزلي في اقتصاص غزوة خيبر يقص فرارهما في قصايد السبع العلويات :

و ما أنس لا أنس اللذين تقدما — و فرهما و الفر قد علما حوب
و للراية العظمى و قد ذهبا بها — ملابس ذل فوقها و جلابيب
يشلهما من آل موسى شمردل — طويل نجاد السيف أجيد يعبوب
يمج منوناً سيفه و سنانه — و يلهب ناراً غمده و الأنابيب
احضرهما أم حضر اخرج خاضب — اذان هما ام ناعم الخد مخضوب
عذرتكما أن الحمام لمبغض — وان بقاء النفس للنفس مطلوب(١)

فكان تضرع الصحابة له في الرجوع والاياب مخافة أن يذهب فيهرب بمجرى عادته ومجرب شيمته، فيبطل بالمرة دين الاسلام ويضمحل شرع سيد الأنام فتضرعوا إليه بلسان المقال، وقالوا له بلسان الحال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها — واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

ويشهد بما ذكرنا أنه لو كان عرف في نفسه البأس والنجدة لأصر على المضي ولم يصغ إلى تضرعهم، و كان مثل أمير المؤمنين عليه السلام لماعزم على المسير إلى البصرة تضرع إليه ابنه الحسن بأن لايتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال وبكى وقال أسألك أن لاتقدم العراق ولا تقتل بمضيعة.

---

(١) الحوب الاثم والراية العظمى راية رسول الله «ص» والجلابيب جمع الجلباب وهو الملحفة ويشلهما اى يطردهما، وآل موسى هنا قومه أى اليهود، والشمردل الابل القوى السير وأراد به مرحب والأجيد طويل الجيد وهو العنق و اليعبوب الفرس الكثير الجرى والمج القذف و المنون الموت. و الحضر العدو والاخرج ذكر النعام والخاضب الذى اكل الربيع فاحمر ظنبوياه وناعم الخد مخضوب كناية عن المرأة، يقول: اعدوهذين الرجلين حين طردهما مرحب انه عدو نعامة قوى منفروهما رجلان ام امرأتان ناعمتا الخد بأيديهما خضاب وهذا تهكم واستهزاء (منه)

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها ، ولكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى اتى علي يومي ، على ما عرفت تفصيله في شرح سادس المختار في باب الخطب .

ولعمري إنّ هذه المنقبة الشريفة أعني العزّة على الكافرين هو حظّ أمير المؤمنين عليه السلام لا غير ، واستمع ماقاله الأديب النحرير الشاعر الماهر والاستاد الفاضل .

بدر له شاهد والشعب من أُحد ... والخندقان ويوم الفتح إن علموا
و خيبر و حنين يشهدان لـه ... و في قريظة يوم صيل قتم
مواطن قد علت في كلّ نائبة ... على الصحابة لم اكتم وإن كتموا

وأما كونه عليه السلام ذليلا على المؤمنين فلما عرفت فى تضاعيف الشرح و تعرفه أيضاً من مكارم أخلاقه ومحامد خصاله التى أقرّ بها المخالف كالمؤالف ، ونقله المنحرف كالمعترف، واعترف بها الخاصّة والعامّة و تصدقها المحبّ والمبغض

له شرف فوق النجوم محلّه ... أقرّ بـه حتّى لسان حسوده

حدّث الزّبير بن بكار عن رجاله قال دخل محفن بن أبي محفن الضّبي على معاوية فقال: ياأمير المؤمنين جئتك من عند ألأم العرب «وأبخل العرب ظ» وأعيى العرب وأجبن العرب قال : ومن هوَ يا أخا بني تميم ؟ قال : عليّ بن أبيطالب ، قال معاوية : اسمعوا ياأهل الشام مايقول أخو كم العراقي ، فابتدروه أيّهم ينزله عليه ويكرمه ، فلمّا تصدّع النّاس عنه قال له : كيف قلت ؟ فأعاد عليه ، فقال له : ويحك ياجاهل كيف يكون ألأم العرب وأبوه أبوطالب وجدّه عبدالمطلب وامرأته فاطمة بنت رسول الله ، وأنّى يكون أبخل العرب فوالله لوكان له بيتان بيت تبن وبيت تبر لأنفد تبره قبل تبنه وأنّى يكون أجبن العرب فوالله ما التقت فئتان قطّ إلاّ كان فارسهم غير مدافع ، وأنّى يكون أعيى العرب فوالله ماسنّ البلاغة لقريش غيره ، فوالله لولا ماتعلم لضربت الّذي فيه عيناك فاياك عليك لعنة الله والعود إلى مثل هذا.

فقد أقرّ بفضله العنود الحسود ، و قيام الحجّة بشهادة الخصم أوكد و إن

تعددت الشّهود .

و مليحة شهدت لها ضرّاتها و الفضل ماشهدت به الأعداء

السابع عشر - قوله : إلاّ أنّ حظّ أبي بكر فيه أتمّ « إلى قوله » يوم بدر واحد .

أقول : لايكاد ينقضي عجبي من هذا النّاصب المتعصّب كيف أعمته العصبيّة إلى أن جاوز حدّه وخرج عن زيّه وتكلّم فوق قدره حتّى رجّح ابن أبي قحافة على أبي تراب فواعجبا عجبا كيف يقاس التراب بالتبر المذاب ، وأيّ نسبة للسّراب إلى الشراب وأيّ شبه بين الدّرّ والحصى والسّيف والعصا، وأيّ تطابق بين الشجاع المبارز الغالب على كلّ غالب ، والأجبن من كلّ الثعالب وهذا مقام التمثيل بقول أبي العلاء :

إذا وصف الطّائي بالبخل مادر و عيّر قسّاً بالفهاهة باقل
وقال السهيل للشمس أنت خفيّة وقال الدّجى للصّبح لونك حائل
وطاولت الأرض السّماء ترفّعا وطاول شهبا الحصى والجنادل
فياموت زر إنّ الحياة ذميمة ويا نفس جدّي إنّ دهرك هازل

فيقال لهذا الخابط الهازل اللاّغي الّذي لاينفعل من لغوه وهذيه : أىّ جهاد كان قبل غزوة بدر ؟ وأىّ ذبّ نقل عن أبي بكر؟ و لو كان منه قدرة الذّب والدّفاع لنقل شيء منها في محاربات الرّسول المختار مع الكفّار ، و لنزل فيه ما نزل في أبي الحسن الكرّار ، من مثل «و كفى الله المؤمنين القتال» ولافتى إلاّ عليّ ولاسيف إلاّ ذوالفقار .

وقد كانت العساكر في هذه المعارك حسبما قال مجتمعة، والصفوف متلاصقة ، والكتائب مترادفة ، فاختار هو و صاحبه عمر و الحال هذه الفرّ على الكرّ ، وولّيا عن العدوّ الدّبر ، فمن كان هذه حاله كيف كان يذبّ عن سيّد الأنام حين ضعف الاسلام مع عدم العساكر، ولامعين ولا ناصر .

الثامن عشر - قوله : إنّه كان متقدّما عليه في الزّمان .

فيه انّه إن أراد تقدّمه عليه من حيث الجهاد فقد عرفت بطلانه ، إذ أوّل

غزوة في الاسلام غزوة بدر وقدكانا كلاهما حاضرين فيها معا ، ثمّ فيما بين حضوريهما من التفاوت ما لا يخفي، فان أبابكر لم ينقل منه فيها فردقتيل ، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فقد روى جمهور المؤرّخين أنّ قتلاه فيها شطر جميع المقتولين وكانوا سبعين .

و إن أراد تقدّمه عليه في السّن ففيه إنّ الزّمان الّذى تقدّم به على أمير المؤمنين عليه السلام مع سبقه عليه السلام عليه بالاسلام و مع كونه فيما تقدّم به عليه من أهل الشّرك وعبدة الأصنام ، فأيّ شرف لهذا التقدّم أومنقبة ، أمّ أيّ خير فيه ومنفعة .

التاسع عشر قوله : جهاد أبي بكر في وقت ضعف الرّسول .

فيه إنّك قدعرفت فساده لأنّه لم يكن قبل غزوة بدر غزوة معروفة إلاّ غزوات مختصرة مثل غزوة بوادبواط وعشيرة وغزوة بدر الصغرى ، و لم ينجرّ الأمر فيها إلى القتال فيجاهد أبو بكر ويقعد عنه أمير المؤمنين مع أنّ حضور أبي بكر فيها وغياب عليّ عنها غير ثابت.

وأيضاً لم يكن الرّسول عند المسير إليها ضعيفاً، وإن أراد أنّه كان لأبي بكر جهاد قبل تلك الوقايع فهو ممّا تفرّد به ولم ينقله عن غيره .

نعم لو قلنا إنّ أمير المؤمنين كان سابقاً بالجهاد لأنّه جاهد الكفّار صبيحة ليلة بات فيها على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما ذهب إلى الغار، وجاهدهم أيضاً عند الهجرة بأهل بيت الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكّة إلى المدينة لمّا أرادت قريش المنع منها، لقلنا مقالاً رواه أرباب السيّر ، وورد في صحيح الخبر.

و كيف كان فجهاد أمير المؤمنين عليه السلام في سبيل الله و كون حظّه فيه الأوفر أبين من الشمس في رابعة النّهار ، ولنعم ماقيل :

بعليّ شيّدت معالم دين الله و الأرض بالعناد تمور
و به أيدّ الاله رسول الله إذ ليس فى الأنام نصير
أسد ماله إذا استفحل الناس سوى رنّة السلاح زئير
ثابت الجاش لاير دعه الخطب ولا يعتريه فتور

عزمات أمضي من القدر المحتوم يجرى بحكمه المقدور

فقد ظهر بذلك كلّه أنّ مصداق قوله سبحانه فى الآية الشريفة « اذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله» هو أمير المؤمنين عليه السلام .

وأمّا قوله سبحانه «لايخافون لومة لائم» فيظهر كونه مصداقاً له ويصدّقه قوله صريحا فى الفصل الآتي : وانّي لمن قوم لايأخذهم فى الله لومة لائم .

وقوله عليه السلام فى المختار الرّابع والعشرين: ولعمرى ماعليّ من قتال من خالف الحقّ وخابط الغيّ من إدهان ولا ايهان .

وقوله عليه السلام في المختار الحادى والتسعين لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان: دعوني والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول «إلى قوله» واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب .

و قوله عليه السلام في المختار المأة و السادسة و العشرين لما عوتب على التسوية في العطاء : أتأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه والله ما أطور به ماسمر سمير وما أمّ نجم في السّماء نجماً .

العشرونـ قوله: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا لائق بأبي بكر متأكّد بقوله ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة وقدبيّنا أنّ هذه الآية في أبي بكر.

فيه بعد الغضّ عمّا روي عن ابن عباس و غيره من أنّها نزلت في جماعة من الصّحابة أقسموا على أن لاتتصدّقوا على رجل تكلّم بشيء من الافك ولا يواسوهم ، والبناء على نزولها في أبي بكر كماهو قول جمع من المفسّرين، انّ إحدى الآيتين لاارتباط لها بالاُخرى ، فانّ المراد بالفضل فى الآية الثانية هو الغنى والثروة ، وبه في الآية الاُولى اللّطف والتوفيق، ومعني قوله : و ذلك فضل الله إنّ محبّتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدّتهم على الكافرين فضل من الله وتوفيق ولطف منه ومن جهته يمن به على من يشاء من عباده .

الحادى والعشرونـ قوله: انا بيّنا بالدّليل .

فيه أنّك قدعرفت عدم تماميّة الدّليل بمالامزيد عليه .

الثاني والعشرونـ قوله : هذا الخبرمن باب الآحاد .

فيه منع كونه من الأخبار الآحاد الّتي لايعوّل عليها ، بل هو خبر مستفيض رواه المخالف و المؤالف معتضد مضمونه بأخبار كثيرة قطعية ، ونقتصر على بعض الأخبارالعاميّة لكونه أدحض لحجّة الخصم .

ففى غاية المرام عن عبدالله بن أحمد بن حنبل بسنده عن سعيد بن المسيّب أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: لأدفعنّ الرّاية إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ، فدعا عليّا وأنّه لأرمدمايبصرموضع قدميه ، فتفل في عينيه ثمّ دفعها إليه ففتحالله عليه .

و رواه أيضاً عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن عبدالرّحمن أبي ليلى وعن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وعنه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وعنه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وعنه بسند آخر أيضاً عن عبدالله بن بريدة عن أبيه بريدة الأسلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وعنه عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ورواه أيضاً من صحيح البخاري من الجزء الرّابع في رابع كراسه عن سلمة الأكوع عن رسول الله عليه وآله السلام ومن الجزء الرّابع من صحيح البخارى أيضاً في ثلثه الأخير في باب مناقب عليّ عن سلمة عنه صلى الله عليه وآله ومن الجزء الخامس منه أيضاً عن سلمة عنه صلى الله عليه وآله

ومن صحيح البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و رواه أيضاً من صحيح مسلم من الجزء الرابع في نصف الكراس من أوّله باسناده عن عمر بن الخطاب بعدقتل عامر أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ عليه السلام وهوأرمد

وقال : لاعطينّ الرّاية رجلا يحبّ الله ورسوله و يحبّه الله ورسوله، الحديث.

ومن صحيح مسلم في آخر كراس من الجزء الرابع منه عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومن صحيح مسلم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومن صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و رواه أيضاً من تفسير الثعلبي في تفسير قوله «و يهديك صراطاً مستقيماً» باسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و رواه أيضاً من مناقب ابن المغازلي بسند يرفعه إلى أياس بن سلمة عن أبيه في ذكر حديث خيبر قال فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لاعطينّ الرّاية اليوم رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله.

ومن مناقبه أيضاً عن أبيطالب محمّد بن عثمان يرفعه إلى عمران بن الحصين قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمر إلى خيبر فرجع فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لاعطين الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ليس بفرّار.

ومن المناقب أيضاً عن القاضي أبو الخطاب يرفعه إلى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأعطينّ الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فأعطاها عليّاً ففتح الله عزّ وجلّ خيبر به.

ومن المناقب عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله أبا بكر إلى خيبر فلم يفتح عليه ثمّ بعث عمر فلم يفتح عليه فقال : لاعطينّ الراية رجلا كرّاراً غير فرّار يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله.

ومن المناقب عن أحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران يرفعه إلى أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فدفعها إلى عليّ بن أبيطالب.

ومن المناقب قال : أخبرنا أبو القاسم عمر بن عليّ بن الميموني وأحمد بن محمّد بن عبد الوهاب بن طاران الواسطيان بقرائتي عليهما فأقرّا به يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث كان أرسل عمر بن الخطاب إلى خيبر هو ومن معه فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فبات تلك اللّيلة وبه من الغمّ غير قليل فلما أصبح

خرج إلى النّاس ومعه الرّاية فقال : لاعطين اليوم رجلا يحبّ الله و رسوله ويحبّه الله و رسوله غير فرّار ، فتعرّض لها جميع المهاجرين والأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أين عليّ ، فقالوا: يارسول الله هو أرمد ، فأرسل إليه أباذر و سلمان فجاء وهو يقاد لايقدر على أنّه يفتح عينيه ، ثمّ قال : اللّهمّ اذهب عنه الرّمد والحرّ والبرد وانصره على عدوّه وافتح عليه فانّه عبدك ويحبّك ويحبّ رسولك « خل رسوله » غير فرّار ، ثمّ دفع صلى الله عليه وآله الرّاية إليه عليه السلام و استأذنه حسّان بن ثابت في أن يقول فيه شعراً ، فقال صلى الله عليه وآله له : قل ، فأنشأ يقول :

وكان عليّ أرمد العين يبتغي ... دواءً فلمّا لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقيّاً و بورك رافيا
وقال سأعطي اليوم راية صارما ... كميّاً محبّاً للرّسول محاميا
يحبّ إلهي والاله يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفى بهادون البريّة كلّها ... عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا

ومن المناقب أيضاً عن عبدالله بن بريدة عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بحضرة أهل خيبر و قال : لاعطين اللّواء رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، فلمّا كان من الغد صادف أبابكر فدعا عليّاً وهو أرمد العين فأعطاه الرّاية .

ومن المناقب بسند مرفوع إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم الخيبر: لاعطين الرّاية رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله .

و فيه من الجمع بين الصّحاح الستة باسناده عن سهل بن سعد عن أبيه قال : كان عليّ تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة خيبر فلحق، فلمّا أتينا اللّيلة الّتي فتحت في صبيحتها قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاعطين غداً الرّاية رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله .

ومن الجمع بين الصّحاح الستّة من الصحيح الترمذى قال بالاسناد عن سلمة قال : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ و هو أرمد فقال : لاعطين الرّاية رجلاً

يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله .

وفيه عن إبراهيم بن محمّد الحمويني مسنداً عن جابر بن عبدالله الأنصاري في ذكر حديث خيبر قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لأبعثنّ غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله لايولّي الدّبر ، هذا .

و اقتصرنا على مورد الحاجة في أكثر هذه الرّوايات وحذفنا اسناد أكثرها للاختصار ، وتركنا الأخبار الخاصيّة الواردة في هذا المعنى حذراً من الاطالة ودفعاً لمكابرة الخصم وعناده ، وادّعى صاحب غاية المرام تواتر الخبر في القصّة من طريق العامّة والخاصّة .

أقول : وهذه الأخبار الّتى رواها المخالفون في كتبهم فضلاً عن أخبار الموالين له عليه السلام كافية لمن راقب العدل والانصاف ، وجانب التّعصب والاعتساف في إثبات كونه عليه السلام محبّاً لله ورسوله و كون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله محبّين له .

ولكنّي اُضيف إلى هذه الأخبار على رغم الناصب المعاند الرّازى المتعصّب الجاحد حديث الطير الّذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللّهمّ اعطني «ايتنى ظ» بأحبّ الناس إليك وفي بعض روايته : إليك وإلى رسولك يأكل معي فجاء علي عليه السلام وأكل معه

و قد رواه في غاية المرام بستّة وثلاثين طريقا من طرق العامّة ، ومن جملتها أبو المظفر السمعاني في كتاب مناقب الصّحابة عن السّدى عن أنس بن مالك قال : كان عند النّبي طير فقال : اللّهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء عليّ عليه السلام فأكل معه .

و قد روى ذلك في الجمع بين الصّحاح السّتّة لرزين من مسند أبي داود السّجستاني

ورواه أحمد بن حنبل بطريق واحد من طريق السفينة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله .

ورواه ابن المغازلي الشافعي الواسطي من عشرين طريقا .

ومن جملة طرق غاية المرام أيضا القاصم لظهر المكابرين والرّاغم لاُنوف الناصبين ما أورده من كتاب المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة، روى أبو جعفر بن

محمد بن أحمد بن روح مولى بني هاشم قال : حدثني العباس بن عبدالله الباكناني عن محمد بن يوسف السري عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : حدثني أبي صميم حوثن بن عدي عن أبي ذر ره قال :

بينا نحن قعود مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذا هدي إليه طائر مشوي ، فلما وضع بين يديه قال لأنس : انطلق به إلى المنزل ، وتبعه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا دخل المنزل وضع أنس الطاير بين يديه ، فرفع النبي يديه نحو السماء وقال : اللهم ايت إلي بأحب الناس اليك تحبه أنت ويحبه من في الأرض ومن في السماوات حتى يأكل معي من هذا الطير ، قال أنس : فقلت : اللهم اجعله من قومي . وقالت عايشة : اللهم اجعله أبي و قالت حفصة : اللهم اجعله أبي فما لبثنا حتى أتى علي عليه السلام فقال له أنس : إن رسول الله صلى الله عليه وآله في حاجة حتى أتى علي عليه السلام ثلاث مرات .

فجثا النبي صلى الله عليه وآله على ركبتيه ورفع يديه إلى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال : حاجتي يا رب الساعة الساعة ، فما لبثنا أن قرع الباب فقال أنس : من ذا ؟ فقال : أنا علي وسمع النبي صلى الله عليه وآله صوته فقال افتح ، ففتحته ، فلما دخل وكز أنس بيده حتى ظن أنس أنه قد أنفذ يده من ظهره ، فلما بصر به النبي صلى الله عليه وآله وثب قائما وقبل عينيه و قال : ما الذي أبطاك عني يا قرة عيني ، فقال عليه السلام : يا رسول الله قد أقبلت ثلاثا ويردني أنس ، فصفق رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لا يصفق حتى يغضب ، فقال : يا أنس حجبت عني حبيبي ، فقال : يا رسول الله إني أحببت أن يكون رجلاً من قومي

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أنس أما علمت أن المرء يحب قومه ، إن علياً يحبني وإن الله يحبه والملائكة تحبه ويحبه الله ، يا أنس إني و علياً لم نزل ننقلب إلى مطهرات الأرحام حتى نقلنا إلى عبدالمطلب فصار علي في صلب أبي طالب وصرت أنا في صلب عبدالله عم علي ، فصارت في النبوة وفي علي الولاية والوصية أما علمت يا أنس أن الله عز وجل اشتق لي اسماً من أسمائه ولعلي اسماً فسماني أحمد لتحمدني امتي وأما علي فالله العلي سماه علياً ، يا أنس كما حجبت عني علياً ضربك الله بالوضح ، وكان لا يدخل المسجد بعد الدعوة إلا متبرقع الوجه .

وهذه الرّواية كماترى ظاهرة بل صريحة من جهات عديدة في فرط محبّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم له ومحبّته لله ومحبّة الله له.

والأخبار في كونه أحبّ الناس إلى الله وإلى رسوله متجاوزة عن حدّ الاحصاء ، ولو أردنا أن نجمع ما نقدر عليه منها لصار كتابا كبير الحجم و لكن اوردمنها روايتين اختم بهما المقام ليكون ختامه مسكاً فأقول :

روى في كشف الغمة من مناقب الخوارزمي عن عبدالله بن عمر قال :

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ، قال : خاطبني بلغة عليّ بن أبيطالب فألهمني أن قلت يا ربّ أنت خاطبتني أم عليّ ؟ فقال : ياأحمد أنا شيء لا كالأشياء ولا أقاس بالناس ولاأوصف بالأشباه ، خلقتك من نوري وخلقت علياًمن نورك فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبّ من عليّ بن أبيطالب، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك.

وفيه من المناقب قال :

وأخبرنا بهذا الحديث عالياً الامام الحافظ سليمان بن إبراهيم الاصفهانى مرفوعاً إلى عايشة ، قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو في بيتي لمّا حضره الموت · ادعوا إليّ حبيبي ، فدعوت أبابكر فنظر إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ وضع رأسه ، ثمّ قال : ادعوا إليّ حبيبي فقلت: ويلكم ادعوا له عليّ بن أبيطالب فوالله مايريد غيره ، فلمارآه فرج الثوب الذى كان عليه ثمّ ادخله فيه فلم يزل يحتضنه حتّى قبض ويده عليه .

إذا عرفت هذا فأقول :

قال فيه البليغ ماقال ذوالعيّ فكلّ بفضله منطيق
و كذاك العدوّلم يعدأن قال فيه جميلا كماقال المحبّ الصديق

و مع ذلك كلّه فانظر هداك الله إلى سلوك صراطه المستقيم إلى الرازى واستمراره على غيّه ، وغرقه في سبيل نصبه وتعصّبه ، ومكابرته الحقّ اللايح ، وتنكّبه الجدد الواضح ، وعدوله عن السنن ، وبقائه على غمط (١) حقّ أبي الحسن ، وإرادته

(١) غمط حق فلان حقره م

ستر الشمس المجلّلة بنورها للعالم بالنقاب، والنير الأعظم بالحجاب، فجزاه الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين سلام الله عليهما شرّ الجزاء.

الثالث والعشرون - قوله: ولأنه معارض بالأخبار الدّالة على كون أبي بكر محبّاً لله ورسوله وكون الله محبّاً له اه.

فيه أوّلاً إنّه ليس هنا خبر متضمّن لمحبّة أبي بكر لله أو محبّة الله له يحتجّ به على الاماميّة فضلا عن الأخبار، وما رووه في هذا المعنى ممّا تفرّدوا بروايته لا يكون حجّة علينا.

ومع ذلك فمعارض بالأخبار الكثيرة المتضمّنة لكون عليّ عليه السلام أحبّ النّاس إلى الله وإلى رسوله المستفيضة بل المتواترة معنى من طرقهم حسبما عرفت في الاعتراض الثاني والعشرين، وهي أقوى منها سنداً وأظهر دلالة فلا يكاد تكافوء الأخبار الاولة على تقدير وجود هالها كما لا يخفى صدق المدّعى على أهل البصيرة والنهى

الرابع والعشرون - قوله: قال تعالى في حقّ أبي بكر و لسوف يرضى.

غير مسلّم نزولها في أبي بكر ولما نزله الرازى عن ابن الزّبير وعن أبي بكر الباقلاني، والمرويّ عن المفسّرين خلافه، فقد روى الواحدي بالاسناد المتّصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّها نزلت في رجل من الأنصار، وعن عطاء قال: اسم الرّجل أبو الدّحداح، وفي بعض روايات أصحابنا أنّها في عليّ عليه السلام

وقال بعض المفسّرين: الأولى إبقاؤها على العموم فيرجع الضمير إلى كلّ من يعطي حقّ الله من ماله ابتغاء وجه ربّه، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال

وقوله: وقال: إنّ الله يتجلّي للناس عامة ويتجلّي لأبي بكر خاصّة

أنت خبير بأنّه لاغبار في كونه من الأحاديث الموضوعة، لأنّه إن اُريد من تجلّيه سبحانه تجلّيه بذاته فهو مستلزم للتجسّم مخالف للاُصول المحكمة والبراهين القاطعة السّاطعة، وإن اُريد تجلّيه ببرّه وفضله وعناياته ولطفه المقرّب إلى طاعته والمبعد عن معصيته، ففيه أنّ التجلّي بهذا المعنى لعموم النّاس غير جايز إذ فيهم المؤمن والمنافق والمسلم والكافر، فكيف يتصوّر التجلّي في حقّ الكافر المنافق

وإن خصّ بالمؤمنين فهو مع كونه خلاف الظّاهر يتوجّه عليه أنّ من جملة المؤمنين الأنبياء والرّسل وفيهم اُولوالعزم وغيرهم فيلزم أن يكون أبوبكر أعلى شاناً منهم وهو باطل بالاتفاق .

ثمّ كيف يتجلّى الله سبحانه على قلب أبي بكر وهو عشّ الشيطان و قد قال مخبراً عن نفسه : إنّ لي شيطاناً يعتريني فان استقمت فأعينوني وإن زغت فقوّموني

وقوله : وقال ﷺ : ماصبّ الله شيئاً في صدري إلاّ وصبّه في صدر أبي بكر .

هو كسابقه أيضاً في الوضع ، لأنّ النكرة في سياق النفي مفيد للعموم ، ومن جملة ماصبّ في صدر النّبيّ نور النبوّة والوحي والالهام وعلم ماكان ومايكون وما هو كائن ونحوها ، فهل ترى شيئاً من ذلك ينصبّ في قلب أبي بكر فضلاً عن جميعها ولو صحّ ذلك الصبّ لم يخف عليه معنى الكلالة والأبّ

الخامس والعشرونـ قوله : إنّا لانسلّم دلالة الآية الّتي بعد هذه الآية على امامته وسنذكر الكلام فيه آه .

يريد عدم تسليم دلالة الآية إنّما وليّكم الله الآية على إمامة أمير المؤمنين بماذكره من الوجوه السخيفة في تفسير هذه الآية ، وأنت قد عرفت تماميّة دلالتها على امامته في مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشّقشقيّة ، كما عرفت بطلان ما ذكره من الأدلّة ، لعدم تماميّتها بما لامزيد عليه .

والحمدلله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدينا الله ، وأسأل الله أن يثبت ما أوردناه هنا في ردّ الرّازي النّاصب في صحائف أعمالي ، و يردّه إليّ يوم حشر الأوّلين والآخرين ، ويثقّل به ميزاني ، ويحشرني مع من أتولاّه وأُحبّه وأتعصّب له من محمّدوآله الطيّبين الطاهرين، وأن يكتب ما أورده النّاصب الرّازي في صحيفة أعماله ، ويردّه إليه ، ويحشره يوم القيامة مع من تعصّب له من أوليائه الظالمين في حقّ آل الرّسول، صلّى الله عليهم وعليه أجمعين إلى يوم الدّين .

التنبيه الثانى

قد أشرنا في شرح قوله عليه السلام: إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، أنه ظاهر في سماع الامام ما يسمعه النبيّ من الملك ورؤيته له مثله ، قد اختلفت الأخبار في ذلك

فمما يدلّ على سماعه و رؤيته حديث الأمالي المتقدّم في شرح الفقرة المذكورة

ومنه أيضاً ما في البحار من البصاير عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنا نزداد في الليل والنهار ولولا أنا نزداد لنفد ما عندنا ، فقال أبو بصير : جعلت فداك من يأتيكم ؟ قال : إنا منا لمن يعاين معاينة ، و منّا من ينقر في قلبه كيت و كيت ، ومنا من يسمع باذنه وقعا كوقع السلسلة في الطست ، قال : قلت : جعلني الله فداك من يأتيكم بذاك؟ قال:هو خلق أكبر من جبرئيل وميكائيل.

ومن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان باسناده عن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : وان شئتم أخبرتكم بما هو أعظم من ذلك قالوا : فافعل قال عليه السلام : كنت ذات ليلة تحت سقيفة مع رسول الله صلى الله عليه وآله و اني لاحصي ستاً و ستّين وطئة من الملائكة كلّ وطئة من الملائكة أعرفهم بلغاتهم و صفاتهم و أسمائهم ووطئهم .

ومما يدلّ على السماع فقط من دون الرؤية مثل ما في الاحتجاج قال :كان الصادق عليه السلام يقول : علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع ، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السلام : أما الغابر فالعلم بما يكون ، وأما المزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت في القلوب فهو الالهام ، وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم .

ومثله الأخبار الكثيرة الفارقة بين الرّسول والنبيّ والامام والمحدث .

مثل مارواه في الكافي عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ

و كان رسولا نبياً ، ما الرّسول وما النبيّ ؟ قال عليه السلام النبيّ الذي يرى فى منامه ويسمع الصوت ولايعاين الملك ، والرّسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك ، قلت : الامام مامنزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولايرى ولايعاين الملك ثمّ تلا هذه الآية : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ ولامحدث .

وفيه عن بريد (زيد خ) عن أبي جعفر وأبيعبدالله عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبيّ ولامحدّث » قلت جعلت فداك ليست هذه قرائتنا فماالرّسول والنبيّ والمحدّث قال : الرّسول الّذي يظهر له الملك فيكلّمه والنّبيّ هوالّذي يرى في منامه وربمااجتمعت النبوّة والرّسالة لواحد ، والمحدّث الذى يسمع الصوت ولايرى الصّورة ، قال : قلت : أصلحك الله كيف يعلم أنّ الذي رأى في النّوم حقّ و أنّه الملك ؟ قال : يوفق لذلك حتّى يعرفه ولقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيّكم الأنبياء

وفيه عن الأحول قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن الرّسول والنبيّ والمحدّث قال عليه السلام : الرّسول الذي يأتيه جبرئيل قبلا فيراه و يكلّمه فهذا الرّسول ، وأمّا النّبيّ فهوالّذي يرى في منامه نحورؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل عليه السلام من عندالله عزّوجلّ بالرّسالة وكان محمّد صلى الله عليه وآله حين جمع له النّبوة وجاءته الرّسالة من عندالله عزّوجلّ يجيئه بها جبرئيل عليه السلام يكلّمه بها قبلا ، ومن الأنبياء من جمع له النبّوة ويرى في منامه ويأتيه الرّوح ويكلّمه ويحدثه من غيرأن يكون يرى في اليقظة ، وأمّاالمحدّث فهوالّذي يحدّث فيسمع ولايعاين ولا يرى في منامه .

وعن محمّد بن مسلم قال : ذكر المحدّث عند أبي عبدالله عليه السلام فقال إنّه يسمع الصّوت ولا يرى الشّخص ، قلت له : جعلت فداك كيف يعلم أنّه كلام الملك ؟ قال : إنّه يعطى السّكينة والوقار حتّى يعلم أنّه كلام ملك

بيان

السّكينة اطمينان القلب وعدم التزلزل، والوقار الحالة الّتي بها يعلم أنّه كلام الملك

وفى رواية زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: كيف يعلم أنّه كلام من الملك ولايخاف أن يكون من الشّيطان إذا كان لايرى الشّخص؟ قال: إنّه يلقى عليه السّكينة فيعلم أنّه من الملك ولوكان من الشيطان اعتراه فزع، وإن كان الشّيطان بازراره لايتعرّض لصاحب هذا الأمر.

وفى البحار من أمالي الشّيخ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عليّ محدّثا وكان سلمان محدّثا، قال: قلت: فما آية المحدّث؟ قال عليه السلام: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت.

و من البصاير عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أهل بيتي اثنى عشر محدّثا.

ومن البصاير عن زرارة قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول الاثنى عشر الأئمة من آل محمّد عليه وعليهم السّلام كلّهم محدّث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولد عليّ عليه السلام فرسول الله و عليّ هما الوالدان، فقال عبدالرّحمن بن زيد وأنكر ذلك وكان أخا لعليّ بن الحسين عليهما السلام لأمّه، فضرب أبوجعفر عليه السلام فخذه فقال أمّا ابن امّك كان أحدهم.

ومنه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: كان عليّ عليه السلام والله محدّثا، قال: قلت له: اشرح لي ذلك أصلحك الله قال: يبعث الله ملكا يوقر في اذنه كيت و كيت و كيت.

ومنه عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألست حدّثتني أنّ عليّاً عليه السلام كان محدّثا؟ قال: بلى قلت: من يحدّثه؟ قال: ملك يحدّثه، قال: قلت: فأقول إنّه نبيّ أورسول؟ قال: لابل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى ومثل ذى القرنين، أما بلغك أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن ذى القرنين فقالوا كان نبيّاً؟ قال: لا، بل كان عبداً أحبّ الله فأحبّه، وناصح الله فناصحه فهذا مثله

وبمعناها أخبار كثيرة اخر تركنا ذكرها حذراً من الاطالة

بيان

المراد بصاحب موسى إمّا يوشع بن نون كما صرّح به في بعض الأخبار ، أو الخضر على نبيّنا وعليه السلام كما في البعض الآخر ، فيدلّ على عدم نبوّة واحد منهما ويمكن أن يكون المراد عدم نبوّته في تلك الحال فلا ينافي نبوّته بعد في الأوّل ونبوّته قبل في الثّاني ، هكذا قال في البحار ، والمراد بصاحب سليمان عليه السلام إمّا خضر عليه السلام أو آصف بن برخيا .

قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ في البحار بعد ايراد هذه الأخبار ما هذا لفظه استنباط الفرق بين النبيّ والامام من تلك الأخبار لايخلو من إشكال ، وكذا الجمع بينها مشكل جدّاً ، والّذي يظهر من أكثرها هو أنّ الامام لايرى الحكم الشرعي في المنام والنبيّ قد يراه فيه .

وأمّا الفرق بين النّبيّ والامام وبين الرّسول هو أنّ الرّسول يرى الملك عند إلقاء الحكم والنّبيّ غير الرّسول و الامام لايريانه في تلك الحال وان رأياه في ساير الأحوال ، و يمكن أن يخصّ الملك الّذي لا يريانه بجبرئيل عليه السلام ويعمّ الأحوال لكن فيه أيضاً منافاة لبعض الأخبار .

ومع قطع النظر من الأخبار لعلّ الفرق بين الأئمة وغير اولى العزم من الأنبياء أنّ الأئمة عليهم السلام نوّاب للرّسول صلى الله عليه وآله لايبلّغون إلاّ بالنيابة ، و أمّا الأنبياء و إن كانوا تابعين لشريعة غيرهم لكنّهم مبعوثون بالاصالة وإن كانت تلك النيابة أشرف من تلك الاصالة .

وبالجملة لابدّ من الاذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء وبأنّهم أشرف وأفضل من غير نبيّنا عليه و عليهم السلام من الأنبياء و الأوصياء ، ولا نعرف جهة لعدم اتصّافهم بالنّبوّة إلاّ رعاية جلالة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله ، ولايصل عقولنا إلى فرق بيّن بين النبوّة والامامة ، ومادلّت عليه الأخبار فقد عرفته ، و الله تعالى يعلم حقايق أحوالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وقال المفيد رحمة الله عليه في كتاب المقالات : إنّ العقل لايمنع من نزول

الوحي اليهم صلوات الله عليهم وإن كانوا أئمة غير أنبياء فقد أوحى الله عزّ وجلّ إلى أمّ موسى أن أرضعيه الآية ، فعرفت صحّة ذلك بالوحي وعملت عليه ولم تكن رسولا ولا نبيّا ولا إماما ، ولكنّها كانت من عباده الصّالحين ، و إنّما منعت نزول الوحي اليهم والايحاء بالأشياء إليهم للاجماع على المنع من ذلك والاتفاق على أنه من زعم أنّ أحداً بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله يوحى اليه فقد أخطأ و كفر، ولحصول العلم بذلك من دين النبيّ صلّى الله عليه وآله كما أنّ العقل لم يمنع من بعثة نبيّ بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله و نسخ شرعنا كما نسخ ما قبله من شرايع الانبياء عليهم السلام و إنما منع ذلك العلم و الاجماع ، فانه خلاف دين النبيّ صلّى الله عليه وآله من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار(١) ، والاماميّة جميعاً على ما ذكرت ليس بينها على ما وصفت خلاف .

وقال رحمة الله عليه فى شرح عقايد الصدوق عليه الرّحمة: أصل الوحي هو الكلام الخفيّ ، ثمّ قد يطلق على كلّ شيء قصد به إفهام المخاطب على الستر له عن غيره والتخصيص له به دون من سواه ، و إذا اضيف إلى الله تعالى كان فيما يخصّ به الرّسل خاصّة دون من سواهم على عرف الاسلام وشريعة النبيّ صلّى الله عليه وآله «إلى أن قال» وقد يرى الله فى منامه خلقا كثيراً ما يصحّ تأويله ويثبت حقّه ، لكنّه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي ولا يقال في هذا الوقت لمن اطّلعه الله على علم شيء أنه يوحى إليه

و عندنا أنّ الله تعالى يسمع الحجج بعد نبيّه صلّى الله عليه وآله كلاماً يلقيه إليهم أى الأوصياء فى علم ما يكون لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحى لما قدّمناه من إجماع المسلمين على أنه لا وحي لأحد بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله ، وأنه لا يقال في شيء مما ذكرناه أنه وحي إلى أحد ، ولله تعالى أن يبيح اطلاق الكلام احيانا ، ويحظره احيانا فأما المعانى فانها لا تتغير عن حقايقها ، انتهى كلامه رفع مقامه

---

(١) يعنى أنه يكاد أن يكون ضروريّا، منه

التنبيه الثالث

في ذكر الأخبار الواردة في وزارته عليه السلام وهي كثيرة جداً من طرق الخاصّة والعامّة ولنقتصر على بعضهما حذراً من الاطالة فأقول وبالله التوفيق :

في غاية المرام من مسند أحمد بن حنبل بسنده عن النسيم قال : سمعت رجلا من خثعم يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : اللهمّ إنّي أقول كما قال موسى · اللهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً .

وفيه عن أبي نعيم الحافظ باسناده عن رجاله عن ابن عباس قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ بن أبيطالب عليه السلام وبيدي ونحن بمكة وصلّى أربع ركعات، ثمّ مدّ يديه إلى السماء وقال : اللّهم إنّ نبيّك موسى بن عمران عليه السلام سألك فقال ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري الآية، وأنا محمّد نبيّك أسألك: ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أزري و أشركه في أمري ، قال ابن عبّاس : فسمعت منادياً ينادي : قد اوتيت ماسألت .

وفيه عن أبي الحسن الفقيه من طريق العامّة باسناده عن الباقر عن أبيه عن جدّه الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليّ بن أبيطالب عليه السلام خليفة الله وخليفتي ، وحجّة الله وحجّتي ، وباب الله وبابي ، وصفيّ الله وصفيّي، و حبيب الله وحبيبي ، وخليل الله وخليلي، و سيف الله وسيفي ، و هو أخي وصاحبي ، ووزيري ، ومحبّه محبّي، ومبغضه مبغضي ، ووليّه وليّي ، وعدوّه عدوّي، وزوجته ابنتي ، وولده ولدي ،وحزبه حزبي،وقوله قولي،وأمره أمري،وهو سيّد الوصيّين وخير اُمّتي

وفيه عن ابن شاذان من طريق العامّة بحذف الاسناد عن سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمّ اجعل لي وزيراً من أهل السماء ، و وزيراً من أهل

الأرض ، فأوحى الله إليه أني قدجعلت وزيرك من أهل السماء جبرائيل ، ووزيرك من أهل الأرض عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

وأقنع من غاية المرام بهذه الأحاديث الأربعة ، وقدروى فيه من طرق العامّة أحد عشرحديثاً ، ومن طرق الخاصّة أحداً وعشرين حديثاً ، جلّها بل كلّها ناصّة بخلافته و وصايته عليه الصّلاة والسلام .

و روى الشارح المعتزلي عن الطبرى في تاريخه عن عبدالله بن عبّاس عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال :

لمّا نزلت هذه الآية « وأنذرعشيرتك الأقربين» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاني فقال صلى الله عليه وآله وسلم لى : ياعلىّ إنّ الله أمرنى أن انذرعشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وإنّي علمت متى اناديهم بهذا الأمر أرى منهم ماأكره ، فصمتّ حتّى جاءنى جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد إنّك إن لم تفعل ما امرت به يعذّبك ربّك ، فاصنع لنا صاعاً من طعام و اجعل عليه رجل شاة و املاء لنا عسّاً من لبن ، ثمّ اجمع بني عبدالمطلب حتّى اُكلّمهم وابلّغهم ما اُمرت به ، ففعلت ما أمرنى به ، ثمّ دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلايزيدون رجلا أوينقصونه وفيهم أعمامه : أبوطالب و حمزة والعباس ، وأبولهب .

فلمااجتمعوا إليه صلى الله عليه وآله وسلم دعا بالطعام الّذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلمّاوضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعة من اللحم فشقّها بأسنانه ، ثمّ ألقاها فى نواحى الصحفة ، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم كلوا باسم الله فأكلوا حتّى مالهم إلىشيء من حاجة ، وأيم الله الّذى نفس عليّ بيده أن كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ماقدّمته لجميعهم قال صلى الله عليه وآله وسلم : اسق القوم يا علىّ ، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعاً و أيم الله ان كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلّمهم بدرأبولهب إلى الكلام فقال : لشدّ ما سحركم صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال من الغد: ياعليّ إنّ هذا الرّجل قدسبقني إلى ماسمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن اكلّمهم فعدلنا

اليوم إلى ما سمعت بالأمس ثمّ اجمعهم لي ، ففعلت ثمّ جمعهم ، ثمّ دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتّى مالهم بشيء حاجة ، ثمّ قال : اسقهم فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه جميعا حتّى رووا .

ثمّ تكلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال : يا بني عبدالمطلب إنّي والله ما أعلم أنّ شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي جئتكم بخير الدّنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟

فأحجم القوم عنها جميعاً و قلت أنا و إنّي لأحدثهم سنّاً و أرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً : أنا يارسول الله أكون وزيرك عليه.

فأعاد صلّى الله عليه وآله وسلّم القول فأمسكوا وأعدت ما قلت.

فأخذ صلّى الله عليه وآله وسلّم برقبتي ثمّ قال لهم : هذا أخي ووصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

قال الشارح المعتزلي ويدلّ على أنّه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من نصّ الكتاب والسّنة قول الله تبارك وتعالى «واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزرى وأشركه في أمرى» وقال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في الخبر المجمع على روايته بين ساير فرق الاسلام : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي ، فأثبت له جميع مراتب هارون ومنازله عن موسى فاذاً هو وزير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشادّ أزره ، ولولا أنّه خاتم النبيّين لكان شريكاً في أمره .

أقول وهذه الأخبار كما ترى صريحة في إمامته عليه السلام ووزارته وخلافته حسبما عرفت تحقيقه في مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.

قال المفيد في الارشاد بعد الاستدلال على إمامته عليه السلام بحديث المنزلة : فأوجب له الوزارة والتخصيص بالمودّة والفضل على الكافّة له والخلافة عليهم في حياته وبعد وفاته لشهادة القرآن بذلك كلّه لهارون من موسى عليهما السلام ، قال الله عزّ وجلّ مخبراً عن موسى عليه السلام «واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به ازرى (١) و اشركه

---

(١) اى ظهرى

في امري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً انّك كنت بنا بصيراً» قال الله تعالى «قداوتيت سؤلك يا موسى».

فثبت لهارون شركة موسى عليه السلام في النّبوة ووزارته على تأدية الرّسالة وشدّ ازره به في النصرة.

وقال في استخلافه له: «واخلفني في قومي وأصلح ولاتتّبع سبيل المفسدين» فثبت له خلافته بمحكم التنزيل

فلمّا جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام جميع منازل هارون من موسى على نبيّنا و عليه السلام في الحكم له منه إلاّ النّبوة وجبت له وزارة الرسول صلى الله عليه وآله وشدّ الازر بالنصرة والفضل والمحبّة لماتقتضيه هذه الخصال من ذلك في الحقيقة ثمّ الخلافة في الحياة بالصّريح وبعد النّبوة بتخصيص الاستثناء لما اخرج منها (١) بذكر البعد (٢)، و أمثال هذه الحجج كثيرة يطول بذكرها الكتاب.

و قال «ره» في موضع آخر من الارشاد: فأمّا مناقبه عليه السلام الغنيّة لشهرتها وتواتر النقل بها واجماع العلماء عليها عن ايراد أسانيد الأخبار بها فهي كثيرة يطول بشرحها الكتاب وفي رسمنا منها طرفاً كفاية عن ايراد جميعها.

فمن ذلك أنّ النّبي صلى الله عليه وآله جمع خاصّة أهله وعشيرته في ابتداء الدعوة إلى الاسلام فعرض عليهم الايمان واستنصرهم على الكفر والعدوان وضمن لهم على ذلك الخطوة (٣) في الدّنيا والشرف وثواب الجنان فلم يجبه منهم إلاّ أمير المؤمنين عليّ ابن أبيطالب عليه الصّلاة والسّلام فنحله (٤) بذلك تحقيق الاخوّة والوزارة والوصيّة والوراثة والخلافة، وأوجب له به الجنّة.

و ذلك في حديث الدّار الّذي أجمع على صحّته نقّاد الآثار حين جمع

---

(١) أي المنازل م

(٢) أي قوله لانبيّ بعدي م

(٣) أي المكانة والمنزلة

(٤) أي اعطاه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبدالمطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلا يومئذ يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيما ذكره الرّواة .

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يصنع لهم طعاماً فخذ شاة مع مدّ من برّ و يعدّ لهم صاع من اللّبن ، و قدكان الرّجل منهم معروفا بأكل الجذعة ـ وهو من الضّأن ماله سنة كاملة ـ في مقام واحد ، ويشرب الفرق(١) من الشراب في ذلك المقعد .

فأراد عليه و آله السلام باعداد قليل الطعام والشراب لجماعتهم إظهار الآية لهم في شبعهم وريّهم مما كان لايشبع واحدامنهم ولايرويه ثمّ أمر بتقديمه لهم ، فأكلت الجماعة كلّها من ذلك اليسير حتى تملوا منه ولم يبن ماأكلوه منه و شربوه فيه فبهرهم (٢) بذلك وبيّن لهم آية نبوّته وعلامة صدقه ببرهان الله تعالى فيه .

ثمّ قال لهم بعد أن شبعوا من الطعام ورووا من الشراب : يا بني عبدالمطلب إنّ الله بعثني إلى الخلق كافّة وبعثني إليكم خاصّة فقال « وانذرعشيرتك الأقربين » وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقادلكم بهما الامم وتدخلون بهما الجنّة وتنجون بهمامن النّار : شهادة أن لاإله إلاّالله، وأنّي رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني عليه وعلى القيام به يكون أخي ووصيّي ووزيري و خليفتي من بعدي .

فلم يجبه أحد منهم ، فقال أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام فقمت بين يديه من بينهم وأنا إذ ذاك أصغرهم سناً وأحمشهم(٣)ساقاًوأرمصهم عيناًفقلت:أنا يارسول الله اُوازرك على هذا الأمر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : اجلس .

ثمّ أعاد عليه السلام القول على القوم ثانية فاصمتوا،فقمت أناوقلت مثل مقالتي الاُولى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : اجلس .

---

(١) كيل معروف بالمدينة وهوستّة عشر رطلا وقد يحرّك صحاح م

(٢) أي غلبهم م

(٣) حمش الرجل حمشا صاردقيق الساقين فهوأحمش،والرمص البياض الذي يجتمع في روايا العين يقال رجل أرمص وهو كناية عن صغر العين ؛ منه

ثمّ أعاد على القوم ثالثة فلم ينطق أحدمنهم بحرف فقمت و قلت: أنا أُوازرك يا رسول‌الله على هذا الأمر .

فقال ﷺ : اجلس فانت أخي و وصيّي ووزيری و وارثی وخليفتی من بعدی فنهض القوم وهم يقولون لأبی طالب : يا أباطالب ليهنئك اليوم ان دخلت فی دين ابن اخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك .

قال المفيد قدّس سرّه العزيز : وهذه منقبة جليلة اختصّ بها أميرالمؤمنين عليه الصّلاة والسّلام ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين والأنصار ولا أحد من أهل الاسلام ، وليس لغيره عليه السلام عدل لها من الفضل ولامقارب على حال .

وفی الخبر بها مايفيد أنّ به عليه الصّلاة والسّلام تمكّن النّبی ﷺ من تبليغ الرسالة وإظهار الدّعوة والصدع بالاسلام، ولولاه لم تثبت الملّة ولااستقرّت الشريعة ولاظهرت الدّعوة .

فهو عليه الصّلاة والسّلام ناصر الاسلام ووزيره الدّاعی اليه من قبل الله عزّ وجلّ، وبضمانه لنبيّ الهدى عليه و آله السلام النصرة، تمّ له فی النّبوة ما أراد وفی ذلك من الفضل مالا توازنه الجبال فضلا ،ولاتعادله الفضايل كلّها محلاّ .

الترجمة

اين فصل ازخطبهٔ شريفه مسوقست در بيان مناقب جليله وفضايل جميلهٔ خود آن بزرگوار ميفرمايد :

آگاه باشيد كه بتحقيق امرفرمود خداوند متعال مرا بقتال وجدال أهل ظلم وطغيان و أهل نقض بيعت وأهل فساد در زمين ، پس أما ناقضان بيعت كه أهل جمل بودند پس بتحقيق مقاتله كردم با ايشان ، وأمّا عدول كنندگان ازحقّ كه أهل صفين بودند پس بتحقيق جهاد كردم با ايشان ، و أمّا بيرون روندگان از دين كه أهل نهروان بودند پس بتحقيق كه ذليل گردانيدم ايشان را ، وأما شيطان ردهه پس بتحقيق كفايت كرده شدم ازاو بآواز مهيبی كه شنيدم بجهت شدّت آن آوازاضطراب

قلب وحركت سينهٔ اورا ، وباقی مانده بقيّهٔ ازأهل ستم كه معاويه وأهل شام‌است وأگراذن بدهدخدای تعالی دررجوع برايشان هر آينه البته غالب می‌شوم برايشان وبازگيرم دولت را ازايشان مگراينكه متفرّق شوددراطراف زمين متفرّق شدنی .

من‌پست كردم رؤسای عرب‌را ، شكستم‌شاخهای‌ظاهرشدهٔقبيلهٔربيعه‌ومضررا ،

وبتحقيق كه شما دانسته‌ايد مرتبه ومقام مرا درنزد رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم باقرابت نزديك وبا رتبه ومنزلت مخصوصه ، نهاد مرا در كنارتربيت خود درحالتی كه طفل بودم ، می‌چسباند مرا بسينهٔ خود ، و ضمّ می كرد مرا در رختخواب خود ، و مسّ می كرد بمن بدن شريف‌خودرا ، ومی‌بوئيد مرا بوی معطر خودرا ، وبود كه مضغ می‌فرمود چيزی را ازطعام پس می‌خوراند بمن آنرا .

پس‌بتحقيق كه مقرون گردانيد بآن بزرگوارازوقتی كه فطيم وازشيرواشده بود أعظم ملكی را ازملائكه خود كه می‌برد آنرابراه‌مكرمتها وخوبترين خلقهای عالم درشب وروز او ، وبتحقيق كه تبعيّت می‌نمودم او را مثل تبعيّت شتربچه در عقب مادرخود ، بلندمی گردانيدازبرای من درهرروز رايتی‌ازخلقهای عظيمهٔخود ، وامر ميفرمود مرا به پيروی كردن بخود .

وهرآينه بود آن سيّد أنام عليه صلوات الله الملك العلاّم مجاور می‌شد هر سال بكوه حرا پس می‌ديدم‌من اورا ونمی‌ديد اورا احدی غيرازمن ، وجمع نكرده بود يك خانه آن روز دراسلام غير رسول‌خدا صلى الله عليه وآله وسلم وخديجهٔ كبری عليهاسلام الله ومن ثالث ايشان بودم ، می‌ديدم نور وحی را ومی‌بوئيدم بوی پيغمبری را .

وبتحقيق شنيدم ناله شيطان را در وقت نزول وحی برآن بزرگوار پس گفتم يا رسول‌الله اين چه ناله‌است ؟ پس فرمود كه : اين شيطانست بتحقيق نااميد شده است از اينكه عبادت واطاعت كنند مردمان اورا .

بدرستی كه توای علی می‌شنوی آنچه كه می‌شنوم من ، ومی‌بينی آنچه كه می‌بينم من ، مگرآنكه توپيغمبر نيستی ، ولكن تووزيرمنی ، وبدرستی كه توثابت هستی برخير دنيا وآخرت .

الفصل التاسع

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمّا أتاهُ الْمَلَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقالُوا لَهُ: يا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ إِدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آباؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ وَنَحْنُ نَسْئَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَناهُ عَلِمْنا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنا أَنَّكَ ساحِرٌ كَذّابٌ.

قالَ ﷺ لَهُمْ: وَما تَسْئَلُونَ؟

قالُوا: تَدْعُ لَنا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِها وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقالَ ﷺ: إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذٰلِكَ بِكُمْ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قالُوا: نَعَمْ. قالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ ما تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاٰ تَفِيئُونَ إِلىٰ خَيْرٍ، وَأَنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزابَ.

ثُمَّ قالَ ﷺ: يا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ.

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِها وَجائَتْ وَلَها دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصِيفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ

مُرَفْرَفَةٌ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَاسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ، وَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ـ يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَلَا يَعْلُونَ، وَلَا يَغُلُّونَ، وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

اللغة

(القليب) البئر يذكّر ويؤنّث أو العاديّة القديمة منها و(الأحزاب) جمع الحزب الطائفة وجماعة الناس وتحزّبوا صاروا أحزابا وحزّبتهم تحزيباً جعلتهم حزباً حزباً و(القصف والقصيف) الصوت ' و في بعض النسخ قصف كقصف أجنحة الطير، والجميع بمعنى واحد و (رفرف) الطاير بجناحيه إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه (والسّيما) بالقصر والمدّ العلامة و(غلّ) يغلّ من باب قعد غلولا إذا خان في الغنيمة كأغلّ أومطلق الخيانة و غلّ غلاّ من باب ضرب أى حقد حقداً .

الاعراب

قوله : مرفرفة بالنصب حال من فاعل وقفت ، وقوله : وألقت عطف على وقفت، وعلوّاً واستكباراً منصوبان على المفعول لأجله ، ودويّاً منصوب على التميز، وكفراً وعتوّاً أيضاً منصوبان على المفعول له وكذلك تصديقاً واجلالاً ، وعمّار الليل بالرّفع خبر لمبتدء محذوف ، قوله : وأجسادهم فى العمل الواو فيه للعطف وتحتمل الحال .

المعنى

اعلم أنّه عليه الصّلاة و السّلام لمّا نبّه فى الفصل السابق على علوّ مقامه ورفعة شأنه وشرف محلّه ، وذكر المخاطبين بمناقبه الجميلة وعدّ فيه منها تسعا أردفه بهذا الفصل تذكيراً لهم بمنقبته العاشرة وهو ايمانه برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتصديقه بالمعجزة الظاهرة منه صلوات الله وسلامه عليه فى الشجرة لمّا كفر به غيره ونسبوه إلى السّحر والكذب وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام :

(ولقد كنت معه صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا أتاه الملاء من قريش) أى الجماعة منهم (فقالوا له يا محمّد إنّك قد ادّعيت أمراً عظيماً) وهو النّبوة والرّسالة (لم يدّعه آباؤك) أى الأقربون منهم وإن كان الأبعدون أنبياء ومرسلين كاسماعيل وإبراهيم وغيرهما (ولا أحد من) أهل (بيتك ونحن نسألك أمراً) خارقاً للعادة (إن أجبتنا إليه) وأتيت به (وأريتناه

علماً أنّك نبيّ ورسول) لاتيانك بما أتى به ساير الأنبياء والرّسل ممّا يعجزعنه غيرهم من الآيات البيّنات المصدّقة لرسالتهم ونبوّتهم (وان لم تفعل علمنا) بطلان دعواك و(انّك ساحر كذّاب) لأنّ عدم فعلك لمانسأله كاشف عن عجزك من معاجزة النّبوة ودلائل الرّسالة.

ف(قال لهم) النّبي صلى الله عليه وآله (وماتسألون).

(قالوا تدع لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها) من الأرض و تأتى (وتقف بين يديك) إجابة لدعوتك (فقال صلى الله عليه وآله إنّ الله على كلّ شيء قدير) لايعجزه شيء ولايقصر قدرته عن شيء (فان فعل الله ذلك بكم) وأجاب إلى مسئولكم (أتؤمنون) به (وتشهدون بالحقّ)

وإنّما نسب الفعل إلى الله ولم ينسبه إلى نفسه تنبيهاً لهم على أنّ مايفعله ويصدر منه صلى الله عليه وآله فانّما هو فعل الله سبحانه وهو عليه السلام مظهر له كما قال تعالى « ومارميت اذرميت ولكنّ الله رمى»

و لذلك ذكر أوّلا عموم قدرته تعالى و فرّع عليه قوله : فان فعل الله ذلك، ايماءً إلى أنّ ماتسألونه من انقلاع الشجرة من مكانها ووقوفها بين أيديهم أمر يعجز عنه المخلوق الضعيف ويقدر عليه الخالق القاهر القادر على كلّ شيء، فقال لهم: فان فعلت ذلك مع كونى بشراً مثلكم فانّما هو بكونى مبعوثاً من عنده خليفة له وكون فعلى فعله أتؤمنون حينئذ وتشهدون بأن لا إله إلاّ الله وأنّى رسول الله.

(قالوا نعم قال صلى الله عليه وآله فانّى سأريكم ماتطلبون) أسند الارائة إلى نفسه القدسى بعد اسناد الفعل إلى الله، لماذكرناه من النكتة (و إنّي لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير) أى لاترجعون إلى الاسلام الجامع لخير الدّنيا والآخرة

وفى تصدير الجملة بانّ واللاّم تنبيهاً على أنّ عدم رجوعهم إلى الحقّ وبقائهم على الكفر والضلال محقّق معلوم له صلى الله عليه وآله بعلم اليقين ليس فيه شكّ وريب

(وانّ فيكم من) يبقى على كفره ويقتل و(يطرح فى القليب) قليب بدر (ومن) يستمرّ على غيّه و (يحزّب الأحزاب) و يجمع جموع الكفّار والمشركين على

محاربتى وجهادى .

وهذه الخبر من أخباره الغيبيّة و دلائل نبوّته صلى الله عليه وآله وقد وقع المخبر به على طبق الخبر، فممّن طرح فى القليب بعد قتلهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبى جهل واميّة ابن عبد شمس والوليد بن المغيرة و غيرهم ، وممّن حزّب الأحزاب أبوسفيان بن حرب وعمرو بن ودوصفوان بن اميّة وعكرمة بن أبى جهل وسهل بن عمرو وغيرهم .

(ثمّ قال صلى الله عليه وآله يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أنّى رسول الله) خطابه للشّجرة بخطاب ذوي العقول يدلّ على أنّها صارت بتوجّه نفسه القدسى إليها شاعرة مدركة قابلة للخطاب كساير ذوى العقول المتّصفة بالاحساس و الحياة لأنّ مشيّته صلى الله عليه وآله مشية الله و إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون .

ونظير هذا الخطاب خطاب الله سبحانه للأرض والسماء بقوله « يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى» وفي قوله : ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، دلالة على أنّ للنبات والجماد تكليفا كساير المكلّفين، وقد مرّ بعض الكلام فى ذلك فى شرح المختار المأة والتسعين .

و كيف كان فقد خاطب الشّجرة و قال لها (فانقلعى بعروقك حتّى تقفى بين يدىّ باذن الله) ومشيّته (والّذي بعثه بالحقّ) نبيّاً (لانقلعت بعروقها و جائت ولها دوىّ شديد) صوت كصوت الرّيح (وقصف كقصيف) أى صوت مثل صوت (أجنحة الطير حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله) ممتثلة لأمره منقادة لحكمه (مرفرفة) رفرفة الطير (وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله) إجلالاً له وإعظاماً (وببعض أغصانها على منكبى) تكريماً وتعظيماً (وكنت) واقفاً (عن يمينه صلى الله عليه وآله فلمّا نظر القوم إلى ذلك) الاعجاز (قالوا) له صلى الله عليه وآله (علواً واستكباراً) لا اهتداءً واسترشاداً (فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها فأمرها بذلك) إتماماً للحجّة واكمالا للبيّنة (فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دوياً) و هو كناية عن سرعة إجابتها لأمره (فكادت تلتفّ

برسول الله صلى الله عليه وآله) بمزيد دنوّها منه صلى الله عليه وآله (فقالوا) ثالثة (كفراً وعتوّاً) و تمرّداً و اعتلاءً بقصد تعجيزه وافحامه صلى الله عليه وآله (فمرهذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله) قطعاً للعذروحسماً لمادّة المكابرة (فرجع) إلى النّصف الآخروانضمّ اليه .

قال أمير المؤمنين لماشاهدهذه المعجزة (فقلت أنا: لاإله إلاّ الله فانّى أوّل مؤمن بك) أى برسالتك (يا رسول الله وأوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت مافعلت بأمر الله واذنه (تصديقاً لنبوّتك وإجلالاً لكلمتك) وإجابة لأمرك .

(فقال القوم كلّهم بل ساحر كذّاب) أى أنت مموّه مدلّس لاحقيقه لمافعلته و إنمّا هو تمويه و تخييل لا أصل له وأنّك كذّاب فيما تدعوننا إليه من التوحيد والايمان .

وقد حكى الله عنهم ذلك بقوله في سورة ص «وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب ✿ اجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا الشيء عجاب» .

قال الطبرسي في وجه نزول الآية : قال المفسّرون: إنّ أشراف قريش وهم خمسة و عشرون منهم الوليد بن المغيرة و هو أكبرهم وأبوجهل واُبيّ وامية ابنا خلف وعتبة و شيبة ابنا ربيعة و النضر بن الحارث أتوا أباطالب وقالوا أنت شيخنا و كبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فانّه سفّه أحلامنا وشتم آلهتنا، فدعى أبوطالب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ياابن أخ هؤلاء قومك يسألونك : فقال: ماذا يسألونني قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك فقال صلى الله عليه وآله أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم ، فقال أبوجهل : لله أبوك نعطيك ذلك وعشر أمثالها فقال : قولوا : لاإله إلاّ الله، فقاموا وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، فنزلت هذه الآيات ، هذا .

ولمّا قالوا: إنّه صلى الله عليه وآله ساحر ولم يكونوا شاهدين مثل ما أتى صلى الله عليه وآله به من غيره أعظموا أمره ووصفوه بأنّه (عجيب السّحر) لأنّه قد أتى بما يعجزعنه غيره وبأنّه (خفيف فيه) لأنّه فعل مافعل سريعاً من دون تراخ وتأخير .

ثمّ قالوا استحقاراً واستصغاراً : (وهل يصدّقك) ويؤمن بك (في أمرك إلاّ مثل هذا) الغلام الحدث السنّ (يعنونني) وقد حذاحذو هؤلاء الكفّار أتباعهم الّذين

فضّلوا ابن أبي قحافة على أمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا : إنّ ابن أبي قحافة أسلم وهو ابن أربعين سنة وعليّ أسلم وهو حدث ولم يبلغ الحلم فكان إسلام الأوّل أفضل

و قد نقل تفصيل مقالهم الشارح المعتزلي من كتاب العثمانيّة للجاحظ ، و تفصيل الجواب عن ذلك من كتاب نقض العثمانية لأبي جعفر الاسكافي تغمّده الله بغفرانه ، و كفانا نقل الشّارح المعتزلي لـه مؤنـة النقل هنا ، من أراد الاطلاع فليراجع شرحه .

ثمّ أشار عليه السلام إلى مناقب له اخرى وفصّلها بقوله (وانّی لمن قوم لاتأخذهم في الله لومة لائم) أي لاتأخذهم في سلوك سبيله والتقرّب إليه سبحانه واقامة أحكام الدّين واعلاء كلمة الاسلام ، ملامة لائم ووصف هؤلاء القوم بعشرة أوصاف :

أولها أنّ (سيماهم سيما الصّديقين) أی علامتهم علامة هؤلاء

قال الطبرسیّ ره في تفسير قوله تعالى : من يطع الله والرّسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّديقين ، قيل : في معنى الصّديق إنّه المصدّق بكلّ ما أمر الله به وبأنبيائه لايدخله في ذلك شكّ ويؤيّده قوله تعالى « والّذين آمنوا بالله ورسوله اُولئك هم الصّديقون » وقال في قوله : « واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صدّيقاً نبياً » أی كثير التصديق في امور الدّين ، وقيل : صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله .

أقول : مقتضى كون الصدّيق من أبنية المبالغة أن يكون كثير الصّدق مبالغاً فيه ، وذلك مستلزم لكون عمله مطابقاً لقوله مصدّقا له غير مكذّب أی صادقا في أقواله وأفعاله .

قال سبحانه في وصف الصّادقين « ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين وآتی المال على حبّه ذوی القربی واليتامی والمساكين وابن السبيل والسائلين وفی الرّقاب وأقام الصّلاة وآتی الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فی البأساء والضرّاء وحين البأس اُولئك الذين صدقوا واُولئك هم المتّقون »

وفی البحار عن بصاير الدّرجات عن بريد العجلی قال : سألت أباجعفر عليه السلام

عن قول الله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » قال عليه السلام إيانا عنى

وفيه من البصاير عن أحمد بن محمد قال: سألت الرضا عليه السلام عن هذه الآية قال: الصادقون الأئمة الصديقون بطاعتهم.

وفيه من كنز جامع الفوايد عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: هبط على النبي ملك له عشرون ألف رأس فوثب النبي ليقبل يده، فقال له الملك: مهلاً مهلاً يا محمد فأنت والله أكرم على الله من أهل السماوات وأهل الأرضين أجمعين والملك يقال له: محمود، فاذا بين منكبيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي الصديق الأكبر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حبيبي محمود كم هذا مكتوب بين منكبيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله أباك باثني عشر ألف عام.

فقد علم بما ذكرنا كله أن المراد بالصديقين خصوص الأئمة أو الأعم منهم ومن ساير المتقين، وعلى أي تقدير فرئيسهم هو أمير المؤمنين عليه السلام.

(و) **الثاني** (أن كلامهم كلام الأبرار) أي المطيعين لله المحسنين في أفعالهم قال تعالى « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » قال الحسن في تفسيره هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة

قال الطبرسي و قد أجمع أهل البيت عليهم السلام وموافقوهم و كثير من مخالفيهم أن المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والآية مع ما بعدها متعينة فيهم وأيضاً فقد انعقد الاجماع على أنهم كانوا أبراراً وفي غيرهم خلاف، وعلى أي معنى فالمراد بكلامهم الذكر الدائم وقول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

و **الثالث** أنهم (عمار الليل) أي بالدعاء والمناجاة والصلاة وتلاوة القرآن

(و) **الرابع** أنهم (منار النهار) يعني أنهم يفرغون بالليل لعبادة الخالق ويقومون في النهار بهداية الخلايق فالناس يهتدون بهم من ظلمات الجهالة والضلالة كما يهتدي بالمنار في غياهب الدجى.

الخامس أنهم (متمسكون بحبل القرآن) قال الشارح البحراني استعار

لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سبباً لمتعلّميه ومتدبّريه إلى التروّى من ماء الحياة الباقية كالعلوم و الأخلاق الفاضلة كالحبل هو سبب الارتواء والاستسقاء من الماء أو باعتبار كونه عصمة لمن تمسّك به صاعداً من دركات الجهل إلى أقصى درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل إلى العلو ، انتهى

والأظهر أنّ تشبيهه بالحبل لأنّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض كما فى أخبار الثقلين : من اعتصم به فاز ونجا وارتقى به إلى مقام القرب والزلفى ، ومن تركه ولم يعتصم به ضلّ وغوى وفى مهواة المهانة هوى .

السادس أنّهم (يحيون سنن الله وسنن رسوله صلّى الله عليه وآله) أى يقومون بنشر آثار الدّين ويواظبون على وظايف الشّرع المبين بأقوالهم و أعمالهم

السابع أنّهم (لا يستكبرون و لا يعلون) لما قد علموا من مخازي الكبر والتّرفع ومفاسده التى تضمّنتها هذه الخطبة الشريفة وغيرها من الخطب المتقدّمة

(و) **الثامن** أنّهم (لا يغلون) أى لايحقدون ولايحسدون علماً منهم برذايل الحقد والحسد المتكفلة لبيانها الخطبة الخامسة و الثمانون وشرحها، و لرذالة هذه الصّفة و دنائتها أخرجها سبحانه من صدور أهل الجنّة كما قال فى وصفهم « ونزعنا مافى صدورهم من غلّ » أى أخرجنا مافي قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنّة حتّى لا يحسد بعضهم بعضاً وإن رآه أرفع درجة منه، و على كون يغلون من الغلول فالمراد براءتهم من وصف الخيانة لمعرفتهم برذالتها .

(و) **التاسع** أنّهم (لايفسدون) أى لايحدثون الفساد لأنّه من صفة الفسّاق و المنافقين كما قال تعالى « و إذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا انّما نحن مصلحون » الآية قال الطبرسيّ: معناه إذا قيل للمنافقين لاتفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصدّ الناس عن الايمان أو بممايلة الكفار فانّ فيه توهين الاسلام أو بتغيير الملّة و تحريف الكتاب .

والعاشر أنّ (قلوبهم في الجنان و أجسادهم في العمل) يعني أنّ قلوبهم متوجّهة إلى الجنان مشتاقة إلى الرّضوان ، فهم والجنّة كمن قد رآها وهم فيها منعّمون ، و محصّله أنّ نفوسهم بكلّيتها معرضة عن الدّنيا مقبلة إلى الآخرة،

والحال أنّ أجسادهم مستغرقة في العبادة وأوقاتهم مصروفة بالطاعة .

وعلى كون الواو للعطف يكون قوله : وأجسادهم في العمل الوصف الحادي عشر ، وعلى الاحتمالين فالمراد واحد .

تبصرة

حديث الشجرة مع رسول الله صلّى الله عليه وآله قد روى في ضمن معاجزه على أنحاء مختلفة لا حاجة بنا إلى روايتها ، ولكنّي أحببت أن أُورد رواية مرويّة في تفسير الامام متضمنة لمعجزة شجرية له صلّى الله عليه وآله أوجب مشاهدتها المشاهدها علماً وايماناً، كما أنّ مشاهدة ما رواه أمير المؤمنين عليه السلام لم يزد كفّار قريش إلاّ كفراً وعتوّاً وطغياناً .

فأقول : في تفسير الامام قال علي بن محمّد عليهما السلام وأمّا دعاؤه صلّى الله عليه وآله الشجرة فانّ رجلا من ثقيف كان أطبّ النّاس يقال له حارث بن كلدة الثّقفي ، جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال يا محمّد جئت اداويك من جنونك فقد داويت مجانين كثيراً فشفوا على يدي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ياحارث أنت تفعل فعل المجانين و تنسبني إلى الجنون ، قال الحارث : و ماذا فعلته من أفعال المجانين ، قال : نسبتك إيّاى إلى الجنون من غير محنة منك و لا تجربة ونظر في صدقي أو كذبي ، فقال الحارث : أوليس قد عرفت كذبك و جنونك بدعويك النّبوّة التي لاتقدر لها ، فقال صلّى الله عليه وآله وقولك لاتقدر لها ، فعل المجانين ، لأنّك لم تقل لم قلت كذا ولا طالبتني بحجّة فعجزت عنها ، فقال الحارث: صدقت وأنا أمتحن أمرك بآية اطالبك بها، إن كنت نبيّاً فادع تلك الشّجرة ـ وأشار بشجرة عظيمة بعيد عمقها ـ فان أتتك علمت أنّك رسول الله وشهدت لك بذلك ، وإلاّ فأنت المجنون الّذي قيل لي .

فرفع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده إلى تلك الشّجرة وأشار إليها أن تعالى ، فانقلعت الشّجرة باصولها وعروقها وجعلت تخدّ في الأرض اخدوداً عظيماً كالنهر حتّى دنت من رسول الله صلّى الله عليه وآله فوقفت بين يديه و نادت بصوت فصيح : ها أنا ذا يا رسول الله ماتأمرني؟.

فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله : دعوتك لتشهدلي بالنبوّة بعدشهادتك لله بالتوحيد ثم تشهدي لعليّ هذا بالامامة وأنّه سندي وظهري وعضدي وفخرى ، ولولاه لما خلق الله شيئاً ممّا خلق .

فنادت أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، وأشهد أنّك يا محمّد عبده ورسوله أرسلك بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وأشهد أنّ عليّاً ابن عمّك هو أخوك في دينك أو فر خلق الله من الدّين حظّا ، و أجزلهم من الاسلام نصيباً ، وأنّه سندك وظهرك قاطع أعدائك وناصر أوليائك ، باب علومك في اُمتك ، و أشهد أنّ أولياءك الّذين يوالونه و يعادون أعداءه حشو الجنّة ، و أن أعداءك الذين يوالون أعداءك ويعادون أولياءك حشو النّار .

فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الحارث بن كلدة فقال : يا حارث أومجنونا تعدّ من هذه آياته ؟! فقال : لاوالله يا رسول الله ، ولكنّي أشهد أنّك رسول ربّ العالمين وسيّد الخلق أجمعين وحسن اسلامه .

وقد مضى نظير هذه المعجزة لأمير المؤمنين عليه السلام في شرح الفصل الأوّل من الخطبة المأة والسابعة فتذكر .

قال الشارح عفى الله عنه : إنّ الفصول السّبعة الاول من هذه الخطبة الشريفة كما كانت قاصعة للمستكبرين المتجبّرين ، راغمة لأنفهم ، لاطمة لرأسهم بمقامع التوبيخ والتّقريع والتهديد ، فكذلك الفصل الثامن والتاسع منها قاصعان للمنحرفين عنه عليه السلام من غاصبي الخلافة والنّاكثين والقاسطين والمارقين بما فصّله عليه السلام فيهما من مناقبه ومفاخره ، فتلك المناقب الجميلة له عليه السلام :

علي قمم من آل صخر ترفّعت كجلمود صخر حطّه السّيل من عل

الترجمة

اين فصل آخر از خطبه شريفه باز در ذكر مفاخر ومناقب خود آن بزرگوار است ميفرمايد :

وبتحقیق بودم من با حضرت رسالتمآب صلی الله علیه و آله وقتی که آمدند نزد آنحضرت جماعتی از کفار قریش پس گفتند اورا : أی محمّد بدرستی که تو ادّعا کردی أمرعظیمی را که ادّعا نکرده بود آنرا پدران تو ونه أحدی از خانوادهٔ تو و ما خواهش می کنیم از تو کاریرا اگر اجابت کردی مارا بآن کار ونمودی آن را بما می‌دانیم که تو پیغمبرمرسلی ، واگراجابت نکردی می‌دانیم که تو جادوگرو بسیار دروغ گوئی .

پس‌فرمود آن حضرت بایشان چه خواهش دارید گفتند که بخوانی‌بجهت ما این درخت را تا بر کنده شود باریشه‌های خود وبایستد پیش تو ، پس فرمود آن حضرت که خدای تعالی بهرچیز قادر است پس اگر بکند خداوند عالم بجهت شما آن را آیا ایمان میآورید و شهادت میدهید بحق ؟ پس گفتند : بلی فرمود پس بدرستی که بزودی بنمایم من بشما آن چیزیرا که طلب می کنید درحال آنکه بدرستی که یقین منست که شما بازنمی گردید بسوی اسلام که خیر دنیا و آخرت است ، وبدرستیکه درمیان شما است کسی که انداخته می‌شود درچاه بدر ، و کسیکه جمع سازد لشکرهای کفّار را بمحاربهٔ من .

بعدازآن فرمود آنحضرت بطریق خطاب‌بدرخت که‌ای‌درخت‌اگرهستی که ایمان‌داری‌بخدای تعالی وبروزآخرت ومی‌دانی که منم پیغمبرخدا پس‌بر کنده شو باریشه‌های‌خود تااینکه‌بایستی‌پیش‌من‌باذن‌خدا.

پس قسم بخدائی که مبعوث فرمود اورا بحق هرآینه بر کنده شد بارگ وریشه‌های خود و آمد بسوی آن حضرت درحالتی که مر اورا صدای سخت بود ، وآوازی بود مانند آوازبالهای‌مرغان ، تااینکه ایستاد پیش‌حضرت رسالتمآب صلی الله علیه و آله حرکت کنان مثل مرغ بال زنان ، وانداخت شاخه بلندتر خودرا برپیغمبر خدا وبعض شاخهای خودرا بردوش من ، وبودم من درجانب راست آن حضرت .

پس وقتی که نظر کردند آن جماعت بآن معجزه گفتند از روی تکبّر و گردن کشی پس أمر کن تابیاید بسوی تو نصف آن وباقی‌ماندبرجای خود نصف

دیگر آن ، پس أمر فرمود آن را باین پس پیش آمد بسوی او نصف آن درخت مانند عجب ترین روی آوردن وسخت ترین آن ازروی آواز پس نزدیك شد كه پیچیده شود بحضرت رسول خدا پس گفتند آن ملاعین از روی كفر وستیزه گی پس أمر كن این نصف را بر گردد بسوی آن نصف دیگر چنانكه در اصل بود ، پس أمر فرمود اورا پس بر گشت .

پس گفتم من: لا إله إلاّ الله بدرستی كه من أوّل ایمان آورنده ام بتو یارسول الله وأوّل كسی هستم كه ایمان آورد باینكه آن درخت كرد آنچه كرد بفرمان خدا ازجهت تصدیق پیغمبری تووتعظیم فرمایش تو .

پس گفتند آن كفّار شقاوت آثار جمیعاً كه توجادو گردروغ گوئی عجیب وغریب است سحرتو چابك وسبك دستی درآن ، وتصدیق نمیكند تورا درپیغمبری تو مگرمثل این ـ وقصد میكردند دراین حرف مرا ـ وبدرستی كه من ازقومی هستم كه اخذ نمی كند ایشانرا در راه خدا ملامت هیچ ملامت كننده كه علامت ایشان علامت صدّیقین است ، وكلام ایشان كلام نیكوكاران ، آباد كنندگان شبند بعبادت ، و منارهای روزند بهدایت ، چنگ زنندگانند بریسمان محكم قرآن ، زنده میكنند شریعت إلهی و سنّت رسالت پناهی را ، تكبّر نمی نمایند ، بلندی نمی جویند ، حقد وحسد نمی كنند ، در راه فسادنمیپویند، قلبهای ایشان در بهشت برینست و بدنهای ایشان مشغول عبادت ربّ العالمین ، و الحمدلله و الصّلاة علی محمّد و آله .

قال الشارح المحتاج إلى غفران ربّه :

هذا آخر المجلّد الخامس (١) من مجلّدات منهاج البراعة ، ويتلوه إنشاءالله المجلد السّادس بتوفيق منه سبحانه ، وقد يسّر الله بفضله الواسع ختامه ، وبكرمه السّابغ اتمامه بعد حصول الاياس وتفرّق الحواس واضطراب النّاس واختلال الحال بداهية دهيا ، وبليّة عظمى ، وزلزلة شديدة أدّب الله أهل بلدنا بها في هذه الأيّام ،

(١) حسب تجزأته قدّس سرّه على مافى الطبعة الأولى

يالها رجفة مارأيت مثلها وقد جاوزت خمسين درجة أخذتهم نصف الليل بينما كانوا راقدين فقاموا من مضاجعهم ذعرين مرعوبين كأنّهم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون بهول ترتعد منه الفرائص ، وتفتّ الأكباد ، و تصدّع القلوب ، وتقشعرّ الجلود ، وكان النّاس سكارى من مهول البلا .

فلولا أن تداركنا رحمته السابقة على غضبه سبحانه لم يكن لأحد منها النجاة ولا لذي روح طماعية في الحياة ، وقد حرمنا منذ ليال من سبت الرّقاد ، وخرجنا من تحت الأبنية و العروش بعد ماأشرفت على السّقوط والانهدام ، واتّخذنا الأخبية مسكناً والمظلة أكنانا ، والرّجفة في هذه المدّة وقد مضت منذ ظهرت عشرة أيّام تطرقنا ساعة بعد ساعة .

نعوذ بالله سبحانه من غضبه ونسأله عزّ وجلّ أن لايخاطبنا بذنوبنا ولايؤاخذنا بأعمالنا ولايقايسنا بأفعالنا ، وأن يرفع عنا هذه البلية ، وينجينا من تلك الرزيّة بمحمّد وآله خير البرية ، فانّه ذوالمنّ الكريم والرّؤف الرّحيم .

و قد وقع الفراغ منه ثالث عشر شهر ذى القعدة الحرام - من سنة سبع عشرة وثلاثمأة بعد الألف - و هذه هى النسخة الأصل كتبتها بيمينى وأسأله سبحانه أن يحشرني في أصحاب اليمين بجاه محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذى شرح صدور المؤمنين بمصابيح العرفان واليقين ، ونوّر قلوب المتّقين بأنوار التقوى فى الدّين ، فاهتدوا إلى المحجّة البيضاء و لزموا الشرع المبين ، و سلكوا الجادّة الوسطى و تمسّكوا بالحبل المتين ، ففاز العارفون منهم بعظيم الزلفى وحسن المآب ، وخرجت أرواح الواصلين منهم من أبدانهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب .

والصّلاة والسّلام على أشرف الأوّلين والآخرين محمّد سيّد الأنبياء والمرسلين

ووصيّه و وزيره الوارث لعلمه ، والحامل لسرّه ، وباب مدينة علمه ، ودار حكمته علي أمير المؤمنين وسيّد الوصيين ، و آلهما الخائضين في بحار أنوار الحقايق ، والغائصين في لجج تيّار الدّقائق ، أئمة المسلمين الهداة المهديّين الأطيبين الأنجبين الغرّ الميامين :

هم هداة الورى و هم اكرم النّاس اصولاً شريفة ونفوساً
معشر حبّهم يجلّي الهموم و مزاياهم تحلّي طروساً
كرموا مولداً وطابوا اصولاً و زكوا محتداً و طالوا غروساً
ملأوا بالولاء قلبي رجاءً و بمدحي لهم ملئت الطروساً

أما بعد فهذا هو المجلّد السّادس من مجلّدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة إملاء راجي عفو ربّه الغني « **حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوى الموسوى** » و فقّه الله لما يتمنّاه و جعل عقباه خيراً من اولاه إنّه ولي الاحسان والكريم المنّان .

قال الشريف الرضى قدس سرّه العزيز :

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الثانية و التسعون من المختار فى باب الخطب

وهي مرويّة في الكافي في باب علامات المؤمن وصفاته باختلاف كثير تطلع عليه بعد الفراغ ، من شرح ما أورده السيّد «ره» في المتن .

قال «قده» روى أنّ صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام : كان رجلاً عابداً فقال له : يا أمير المؤمنين صف لى المتّقين حتّى كأنّي أنظر اليهم ، فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثمّ قال عليه السلام يا همّام :

إِتَّقِ اللهَ وَأَحسِنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَهُمْ مُحْسِنُونَ ،
فلم يقنع همام بذلك القول حتى عزم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصاهُ ، وَلا تَنْفَعُهُ طاعَةُ مَنْ أَطاعَهُ، فَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيا مَواضِعَهُمْ .

فَالْمُتَّقُونَ فِيها هُمْ أَهْلُ الْفَضائِلِ ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصادُ ، وَمَشْيُهُمُ التَّواضُعُ ، غَضُّوا أَبْصارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْماعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّذِي نَزَلَتْ فِي الرَّخاءِ ، وَلَوْلا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْواحُهُمْ فِي أَجْسادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوابِ وَخَوْفًا عَنِ الْعِقابِ .

عَظُمَ الْخالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ ما دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فِيها مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فِيها مُعَذَّبُونَ ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَحاجاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ راحَةً طَوِيلَةً ، تِجارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَها لَهُمْ رَبُّهُمْ ، أَرادَتْهُمُ الدُّنْيا فَلَمْ

يُريدُوها، وَأسَرَتْهُمْ فَفَدَوا أنْفُسَهُمْ مِنْها.

أمّا اللّيلُ فَصافُّونَ أقْدامَهُمْ تالِينَ لِأجْزاءِ القُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوآءَ دائِهِمْ، فَإذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيها تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إلَيْها طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إلَيْها شَوْقاً، وَظَنُّوا أنَّها نَصْبُ أعْيُنِهِمْ، وَإذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيها تَخْوِيفٌ أصْغَوا إلَيْها مَسامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَها فِي أُصُولِ آذانِهِمْ، فَهُمْ حانُونَ عَلى أوْساطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِباهِهِمْ وَأكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأطْرافِ أقْدامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إلَى اللهِ تَعالىٰ فِي فَكاكِ رِقابِهِمْ.

وَأمّا النَّهارُ فَحُلَماءُ، عُلَماءُ، أبْرارٌ، أتْقِياءُ، قَدْ بَراهُمُ الخَوْفُ بَرْيَ القِداحِ، يَنْظُرُ إلَيْهِمُ النّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضىٰ وَما بِالقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا وَقَدْ خالَطَهُمْ أمْرٌ عَظِيمٌ، لا يَرْضَوْنَ مِنْ أعْمالِهِمُ القَلِيلَ، وَلا يَسْتَكْثِرُونَ الكَثِيرَ، فَهُمْ لِأنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أعْمالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إذا زُكِّيَ أحَدُهُمْ خافَ مِمّا يُقالُ لَهُ فَيَقُولُ أنا أعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي، أللّٰهُمَّ لا تُؤاخِذْنِي بِما يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أفْضَلَ مِمّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي ما لا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلامَةِ أحَدِهِمْ أنَّكَ تَرىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ،

وَإِيماناً في يَقينٍ، وَحِرْصاً في عِلْمٍ، وَعِلْماً في حِلْمٍ، وَقَصْداً في غِنًى، وَخُشُوعاً في عِبادَةٍ، وَتَجَمُّلاً في فاقَةٍ، وَصَبْراً في شِدَّةٍ، وَطَلَباً في حَلالٍ وَنَشاطاً في هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الأَعْمالَ الصّالِحَةَ وَهُوَ عَلى وَجَلٍ، يُمْسي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً: حَذِراً لِما حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِما أَصابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فيما تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِها سُؤْلَها فيما تُحِبُّ قُرَّةُ عَيْنِهِ فيما لا يَزُولُ، وَزَهادَتُهُ فيما لا يَبْقى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

تَراهُ قَريباً أَمَلُهُ، قَليلاً زَلَلُهُ، خاشِعاً قَلْبُهُ، قانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ «أُكُلُهُ خ»، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَريزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كانَ في الْغافِلينَ كُتِبَ في الذّاكِرينَ، وَإِنْ كانَ في الذّاكِرينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغافِلينَ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غائِباً مُنْكَرُهُ، حاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ، في الزَّلازِلِ وَقُورٌ، وَفي الْمَكارِهِ صَبُورٌ، وَفي الرَّخاءِ شَكُورٌ لا يَحيفُ عَلى مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ

قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَ يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنابِزُ بِالْأَلْقابِ، وَلاَ يُضارُّ بِالْجارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْباطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ تَعالَى هُوَ الَّذي يَنْتَقِمُ لَهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ في عَناءٍ وَالنّاسُ مِنْهُ في راحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وَأَراحَ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، بُعْدُهُ عَمَّنْ تَباعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَباعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَديعَةٍ.

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين: أما والله لقد كنت أخافها عليه، ثمّ قال عليه السلام: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها، فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: ويحك إنّ لكلّ أجل وقتاً لا يعدوه، وسبباً لا يتجاوزه فمهلاً لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك.

اللغة

(عزم) على الأمر يعزم من باب ضرب عزما ومعزما وعزمانا وعزيما وعزيمة وعزمة أراد فعله وقطع عليه أوجدّ فيه فهو عازم وعزم الأمر نفسه عزم عليه وعزم على الرّجل اقسم و(الاقتصاد) ضدّ الافراط و (صغر) من باب شرف وفرح صغارة وصغراً وصَغَراً وصغراناً أى حقر وانحطّ قدره فهو صغير كحقير لفظاً ومعناً و(ثار) ثوراً وثوراناً أى هاج وأثار الغبار واستثاره هيّجه.

و(تطلّع) الى وروده استشرف و(صغى) إلى الشيء كرضى مال إليه وأصغى اليه سمعه أى أماله نحوه و(حنيت) العود حنواً وحناء عطفته فانحنى وتحنّى، وحنت الناقة على ولدها حنواً عطفت ويقال لكلّ مافيه اعوجاج من البدن كعظم اللّحى والضلع ونحوهما

الحنو بالكسر والفتح .

و (برى) السّهم والعود والقلم يبريها بريا نحتها ؛ (القداح) جمع القدح بالكسر فيهما وهو السّهم قبل أن يراش وينصل و (اختلط) فلان وخولط في عقله أى فسد عقله و اختلّ فهو خلط بيّن الخلاطة أى أحمق ، وخالطه مخالطة مازجه وخالطه الدّاء خامره و (تجمل) فلان تزيّن وتكلّف الجميل و (نزر) الشيء ككرم نزراً ونزارة ونزوراً قلّ فهو نزر ونزير ومنزور أى قليل .

و (اكلة) في بعض النسخ بفتح الهمزة وسكون الكاف فيكون مصدراً وفي بعضها بضمّهما و هو الرّزق و الحظّ من الدّنيا فيكون اسما و (الحريز) الحصين يقال هذا حرزحريزأى حصن حصين والحريزة من الابل الّتى لاتباع نفاسة و (المنابزة) و التنابز التّعاير و التداعى بالألقاب و (صعق) صعقاً كسمع وصعقاً بالتحريك و صعقة غشى عليه و الصعق بالتحريك أيضاً شدّة الصوت و (نفث) ينفث من باب ضرب و نصر نفخ .

الاعراب

قوله : حين خلقهم ظرف زمان ، وفي بعض النسخ حيث خلقهم بدله ، وقوله : نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالّذي نزلت في الرّخاء، اختلف الشّراح في اعراب قوله كالذي ، فقال الشارح المعتزلي تقدير الكلام من جهة الاعراب : نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولا كالنزول الذي نزلت منهم في حال الرّخاء ، فموضع كالّذي نصب لأنّه صفة مصدرمحذوف ، والذي الموصول قد حذف العايد اليه وهوالهاء في نزلته كقولك : ضربت الّذي ضربت أى ضربت الذي ضربته .

وتبعه على ذلك الشّارح البحراني حيث قال : والّذي خلقه مصدر محذوف والضمير العايد إليه محذوف أيضاً ، والتقدير : نزلت كالنّزول الّذى نزلته في الرّخاء ثمّ احتمل وجها آخر وقال :

ويحتمل أن يكون المرادبالذي الذين فحذف النّون كما في قوله تعالى « كالّذي خاضوا » ويكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالّذين نزلت أنفسهم منهم في الرّخاء .

وقال بعضهم : إنّه لابدّ من تقدير مضاف لأنّ تشبيه الجمع بالواحد لايصح ، أى كلّ واحد منهم إذا نزلت في البلاء يكون كالرّجل الذي نزلت نفسه في الرّخاء ونحوه قوله تعالى « مثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق » .

أقول : وأنت خبير بأنّ هذه كلّها تكلّفات يأبى عنها الذّوق السّليم مضافاً إلى ما في الوجه الآخر الذي احتمله البحراني وكذلك الوجه الأخير الذي حكيناه عن بعضهم أنّ المنساق من ظاهر كلامه ﷺ تشبيه إحدى حالتى المتّقين بحالتهم الاُخرى لاتشبيههم بغيرهم من أهل الرّخاء .

ثمّ بعد الغضّ عن ذلك والبناء على ما ذكر فلا حاجة في تصحيح تشبيه الجمع بالمفرد إلى تأويل ما هو المفرد ظاهراً بالجمع والمصير إلى حذف النون كما تمحّله الأوّل، أو تأويل الجمع بالمفرد بالمصير إلى تقدير المضاف كما تجشّمه الآخر، لجواز تقدير موصوف الذي لفظ الرّهط والجمع ونحوهما ممّا يكون مفرداً لفظاً وجمعاً في المعنى ، ويكون المعنى نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالرّهط أو الجمع الذي نزلت نفسهم منهم في الرّخاء .

قال نجم الائمة بعدما قال بأنه قد يحذف نون الذين مستشهداً بقول الشاعر :

و إنّ الّذى حانت بفيح دمائهم ... هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد

ويجوز في هذا أن يكون مفرداً وصف به مقدّر مفرد اللّفظ مجموع المعنى أى وانّ الجمع الّذى و انّ الجيش الّذى كقوله تعالى « كمثل الّذى استوقد ناراً» فحمل على اللّفظ أى الجمع الّذى استوقد ناراً ، ثمّ قال : بنورهم فحمل على المعنى و لو كان في الآية مخفّفا من الّذين لم يجز إفراد الضّمير العايد إليه و كذا قوله تعالى «والّذى جاء بالصّدق وصدّق به اُولئك هم المتّقون» و هذا كثير أعني ذكر الّذى مفرداً موصوفا به مقدّر مفردا للّفظ مجموع المعني و أمّا حذف النّون من الّذين فهو قليل ، انتهى .

وبعد ذلك كلّه فالأقرب عندي أن يجعل الّذى مصدريّا بأن يكون حكمه حكم

ماء المصدريّة كما ذهب اليه يونس والأخفش في قوله سبحانه «ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا» أي ذلك تبشير الله وكذلك قالا في قوله تعالى «وخضتم كالّذي خاضوا» وعلى هذا فيكون المعني: نزلت أنفسهم منهم في البلاء مثل نزولها في الرّخاء وهذا لا تكلّف فيه أصلا.

وقوله: تجارة مربحة، بالرّفع على أنّه خبر محذوف المبتداء، أي تجارتهم تجارة مربحة، وفي بعض النسخ بالنصب على المصدر أي اتّجروا تجارة.

وقوله: أمّا الليل فصافون، بالنصب على الظرف، و الناصب، إما لتضمّنها معني الفعل أو الخبر كما في نحو قولك: أما اليوم فأنا ذاهب وأمّا إذا قلت اما في الدّار فزيد، فالعامل هو أما لاغير كما في قولهم أما العبيد فذو عبيد، أي مهما ذكرت العبيد فهو ذو عبيد، هذا.

ويروى بالرّفع على الابتداء فيحتاج إلى العايد في الخبر أي صافّون أقدامهم فيها

وقوله: تالين حال من فاعل صافّون أو من الضمير المجرور بالاضافة في أقدامهم: والأوّل أولى، وجملة يرتّلونه حال من فاعل تالين، و في بعض النسخ يرتّلونها، فالضمير عايد إلى أجزاء القرآن، ونصب أعينهم بنصب النصب على الظرفية، ويروى بالرّفع على أنه خبران والمصدر بمعني المفعول.

وقوله: يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم، تعدية الطلب بحرف الجرّ أعني إلى لتضمينه معني التضرع وفي للظرفية المجازية، أي يتضرّعون إليه سبحانه في فكاك رقابهم.

وأما ماقاله الشارح المعتزلي من أنّ الكلام على الحقيقة مقدّر فيه حال محذوفة يتعلّق بها حرف الجرّ أي يطلبون الى الله سائلين في فكاك رقابهم لأنّ طلبت لايتعدّى بحرف الجرّ فليس بشيء لأنّ تأويل الطلب بالسؤال لا ينهض باثبات مارامه كما لا يخفى.

وفي في قوله: وقوّة في دين، ظرف لغو متعلّق بقوّة، وفي قوله: وحزماً في لين ظرف مستقرّ متعلّق بمقدّر صفة لقوله حزماً، وفي المعطوفات بعد ذلك في بعضها

ظرف لغو وفى بعضها ظرف مستقرّ وصف لسابقه ، فتدبّر تفهم .

المعنى

اعلم أنه قد (روى أنّ صاحبا لأمير المؤمنين) أى رجلا من أصحابه و شيعته ومواليه (يقال له همام) بالتشديد ، و هو كما في شرح المعتزلي همام بن شريح بن يزيد بن مرّة بن عمر بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد ابن عمرو بن ذهل بن سيف بن سعد العشيرة .

وفي البحار والأظهر أنه همام بن عبادة بن خثيم ابن أخ الرّبيع بن خثيم أحد الزّهاد الثمانية كما رواه الكراجكي في كنزه .

و كيف كان فقد (كان رجلا عابدا) زاهداً ناسكا (فقال له يا أمير المؤمنين صف لى المتّقين) واشرح لي حالهم (حتّى كأنى أنظر إليهم) و ابصر بهم لأقتفي آثارهم و أقتبس أنوارهم .

(فتثاقل عليه السّلام عن جوابه) قال الشارح المعتزلى تثاقله عليه السّلام عن الجواب لعلمه بأنّ المصلحة فى تأخير الجواب ، ولعلّه كان فى مجلسه عليه السّلام من لايحبّ أن يجيب وهو حاضر ، فلما انصرف أجاب ، أو لأنه رأى أنّ تثاقله عنه يزيد شوق همام إلى سماعه فيكون أنجع فى موعظته ، أو أنه تثاقل عنه لترتيب المعانى ونظمها فى ألفاظ مناسبة ثمّ النطق بها كما يفعله المترويّ في الخطبة والقريض .

والأولى ماقاله الشارح البحرانى: من أنه عليه السّلام تثاقل عنه لما رأى من استعداد نفسه لأثر الموعظة وخوفه عليه أن يخرج به خوف الله إلى انزعاج نفسه وصعوقها .

(ثمّ) إنه عليه السّلام بعد تثاقله عن الجواب و وصف حال المتّقين تفصيلا لما رآه من المصلحة المقتضية لترك التفصيل أجابه بجواب إجمالى و (قال) له (ياهمام اتّق الله وأحسن) يعنى أنّ الفرض عليك القيام بالتقوى والأخذ بها على قدر ما حصل لك المعرفة به من معناها و حقيقتها من الكتاب والسنة ، وتبيين لك إجمالا من ماهيّتها كما يعرفها جميع المؤمنين ، والزايد عن ذلك غير مفروض عليك ولايجب البحث عنه

وقد تقدّم شرح معناها وحقيقتها وبعض مايترتّب عليها من الثمرات الدنيويّة والاُخرويّة في شرح الخطبة الرّابعة والعشرين ، وقدروينا هناك عن الصّادق عليه السلام انّه قال في تفسيرها : أن لايفقدك الله حيث أمرك ولايراك حيث نهاك ، هذا .

والمراد بقوله : وأحسن هوالاحسان في العمل ، يعني أنّ اللازم عليك الأخذ بالتّقوى والقيام بالحسنى من الأعمال الصّالحة .

وهذا الّذى قلنا أولى ممّا قاله الشارح البحراني من أنّ معنى كلامه أنّه أمره بتقوى الله أى في نفسه أن يصيبها فادح بسبب سؤاله ، وأحسن أى أحسن إليها بترك تكليفها فوق طوقها .

وكيف كان فلمّا أمره بالتّقوى والاحسان علّله بقوله (فانّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون) ترغيباً له إلى القيام بهما ، وهواقتباس من الآية الشريفة خاتمة سورة النحل ، يعني أنّه سبحانه مع الّذين اتّقوا ما حرّم عليهم و أحسنوا فيما فرض عليهم أى معين لهم وناصرلهم وهو وليّهم في الدّنيا والآخرة .

(فلم يقنع همّام بذلك القول) ولم يكتف بالاجمال (حتّى عزم عليه عليه السلام) وأقسم وألحّ في السؤال .

(ف)أجاب عليه السلام مسئوله وأنجح مأموله و(حمدالله) عزّوجلّ(وأثنى عليه) بماهو أهله (وصلّى على النبيّ وآله ثمّ قال أما بعدفانّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم) .

وانما مهّد هذه المقدّمة لأنه عليه السلام لماكان بصدد شرح حال المتقين تفصيلا حسبما اقترحه همام وكان ربما يسبق إلى الأوهام القاصرة أنّ مايأتى به المتّقون من مزايا الأعمال والصالحات وما كلّفهم الله سبحانه به من محامد الخصال والقربات من أجل حاجة منه تعالى عن ذلك إليها ، قدّم هذه المقدّمة تنبيهاً على كونه سبحانه منزّهاً عن ذلك ، متعالياً عن صفات النقص والحاجة في الأزل كما في الأبد ، وأنه لم يكن غرضه تعالى من الخلق والايجاد تكميل ذاته بجلب المنفعة ودفع المضرّة كما فى ساير الصناع البشرية يعملون الصنايع لافتقارهم إليها و استكمالهم بها بما في ذاتهم

من النقص والحاجة ، وأمّا الله الحيّ القيّوم فهو الغنيّ الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ولم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولاتخوّف من عواقب زمان ولااستعانة على ندّ مثاور ولاشريك مكاثر ولاضدّ منافر حسبما عرفته في الخطبة الرّابعة والستّين وشرحها بما لامزيد عليه .

وهذا معنى قوله (لأنه لاتضرّه معصية من عصاه ولاتنفعه طاعة من أطاعه) وقد تقدّم في شرح الخطبة المأة والخامسة والثمانين أنّ غرضه من الخلق والايجاد ومن الأمر بالطاعة والانقياد هو ايصال النفع إلى العباد وإكمالهم بالتكاليف الشرعيّة ورفعهم بالعمل بها إلى حظاير القدس ومحافل الانس .

وقوله (فقسّم بينهم معايشهم ووضعهم من الدّنيا مواضعهم) تفريع على قوله : خلق الخلق لاتقرير وتاكيد ، لغناه المطلق كماقاله الشارح البحراني .

والمراد أنه تعالي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى و قسّم بينهم معيشتهم أى مايعيشون به في الحياة الدّنيا من أنواع الرّزق والخير والمنافع والنعماء ، ووضع كلّاًمنهم موضعه اللّايق بحاله من الفقر واليسار والغنى والافتقار والسعة والاقتار على مايقتضيه حكمته البالغة و توجبه المصلحة الكاملة كما اشير اليه في قوله عزّو جلّ «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» هذا .

وانما فرّع عليه السلام هذه الجملة على ماسبق وعقّبه بهالتكون توطئة وتمهيداً بقوله (فالمتّقون فيها هم أهل الفضايل) يعني أنّ معايش الخلق في الدّنيا لماكانت بحسب تقسيم الله سبحانه و اقتضاء حكمته اقتضى العناية الا لهية و النظم الأصلح في حقّ المتّقين بمقتضى كونهم من أهل السبق والقربى أن يكون عيشهم في الدّنيا بخلاف معايش ساير الخلق ويكون حركاتهم وسكناتهم وحالاتهم وراء حالات أبناء الدّنيا ، فاتّصفوا بالفضايل النفسانية وتزيّنوا بمكارم الأخلاق ومحامد الأوصاف الّتي فصّلها عليه السلام بالبيان البديع والتفصيل العجيب .

اولها أنّ (منطقهم الصواب) وهو ضدّ الخطاء يعني أنهم لايسكتون عماينبغي أن يقال فيكونون مفرّطين ، ولايقولون ماينبغي أن يسكت عنه فيكونون مفرطين

ويحتمل أن يراد به خصوص توحيدالله تعالى وتمجيده والصّلاة على نبيّه و به فسّر في قوله سبحانه «لا يتكلّمون إلاّ من أذن له الرّحمن وقال صواباً».

(و) **الثاني** أنّ (ملبسهم الاقتصاد) أي التوسّط بين الافراط و التفريط، وفي الاسناد توسّع يعني أنّ لباسهم ليس بثمين جداً مثل لباس المترفين المتكبّرين، ولا بذلة كلباس أهل الابتذال والخسّة والدّنائة بل متوسّط بين الأمرين.

(و) **الثالث** أنّ (مشيهم التواضع) وفي الاسناد أيضاً توسّع، يعني أنهم لا يمشون على وجه الأشر والبطر والخيلاء لنهي الله سبحانه عن المشي على هذا الوجه في قوله «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً» وأمره بخلافه في قوله «واقصد في مشيك».

و **قد** روى في الكافي عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيعبدالله عليه السلام قال: فيما أوحي الله عزّ وجلّ إلى داود: كما أنّ أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون.

(و) **الرابع** أنهم (غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم) امتثالاً لأمره تعالى به في قوله «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم» أي يغضّوا أبصارهم عما لا يحلّ لهم النظر اليه.

وفي الوسائل من الكافي عن أبيعبدالله عليه السلام كلّ عين باكية يوم القيامة إلاّ ثلاثة أعين: عين غضّت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف اللّيل من خشية الله.

(و) **الخامس** أنّهم (وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم) في الدّنيا والآخرة الموجب لكمال القوّة النظرية والحكمة العمليّة، وأعرضوا عن الاصغاء إلى اللّغو والأباطيل كالغيبة والغناء والفحش والخناء ونحوها، وقد وصفهم الله سبحانه بذلك في قوله «والّذينهم عن اللّغو معرضون» وفي قوله «والّذين لا يشهدون الزّور وإذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً».

و **السادس** أنّهم (نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالّذي نزلت في الرّخاء) يعني

أنّهم موطّنون أنفسهم على ماقدّره الله في حقّهم من الشدّة و الرّخاء و السّراء والضّراء والضّيق والسّعة والمنحة والمحنة ومحصّله وصفهم بالرّضاء بالقضاء .

روى في الكافي عن ابن سنان عمّن ذكره عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قلت له : بأيّ شيء يعلم المؤمن بأنّه مؤمن ؟ قال عليه السلام : بالتسليم لله والرّضا فيماورد عليه من سرور أوسخط .

وفي رواية اُخرى فيه عنه عليه السلام قال : رأس طاعة الله الصّبر والرّضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره ، ولايرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره إلاّ كان خيراً له فيما أحبّ أو كره .

وعن محمّد بن عذافر عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذلقيه ركب فقالوا : السّلام عليك يا رسول الله ، فقال: ماأنتم ؟ فقالوا : نحن المؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة ايمانكم ؟ قالوا : الرّضا بقضاء الله ، والتفويض الى الله ، والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، فان كنتم صادقين فلاتبنوا مالاتسكنون ، ولاتجمعوا مالا تأكلون ، و اتقّوا الله الّذى إليه ترجعون .

(و)السابع أنه (لولا الأجل الّذى كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب) وهو إشارة إلى غاية نفرتهم عن الدّنيا وفرط رغبتهم إلى الآخرة لما عرفوا من عظمة وعده و وعيده ، يعني أنّهم بكليّتهم متوجّهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدّة الاشتياق ، لامانع لهم من الانتقال إلاّ الآجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها .

روى في الوسائل من الكافي عن أبي حمزة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدّنيا .

والثامن أنّه (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) علماً منهم بأنّه سبحانه موصوف بالعظمة و الكبرياء والجلال غالب على الأشياء كلّها ، قادر قاهر عليها ، وانّ كلّ من سواه مقهور تحت قدرته داخر ذليل في قيد عبوديّته ، فهو

سبحانه عظيم السلطان عظيم الشأن وغيره أسير في ذل الامكان مفتقر اليه لايقدر على شيء إلا باذنه .

و أشار عليه السلام بهذا الوصف إلى شدة يقين المتقين وغاية توكلهم وأن اعتصامهم في جميع امورهم به وتوكلهم عليه و أنهم لايهابون معه ممن سواه .

روى في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس شيء إلا وله حد قال : قلت : جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال : اليقين ، قلت : فما حد اليقين ؟ قال : ألا تخاف مع الله شيئاً .

وعن مفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات من يده وأسخت الأرض من تحته ولم ابال بأي واد هلك ، هذا .

ولما ذكر في الوصف السابع شدة اشتياق المتقين إلى الجنة وخوفهم من العقاب أتبعه بقوله (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها وهم فيها معذبون) إشارة إلى أنهم صاروا في مقام الرجاء و الشوق إلى الثواب وقوة اليقين بحقايق وعده سبحانه بمنزلة من رأى بحس بصره الجنة و سعادتها ، فتنعموا فيها و التذوا بلذائذها ، و في مقام الخوف من النار والعقاب و كمال اليقين بحقايق وعيده تعالى بمنزلة من شاهد النار وشقاوتها فتعذبوا بعذابها و تألموا بآلامها .

ومحصله جمعهم بين مرتبتي الخوف والرجاء وبلوغهم فيه إلى الغاية القصوى ، وهي مرتبة عين اليقين كما قال عليه السلام مخبراً عن نفسه . لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وهذه المرتبة أعني مرتبة عين اليقين مقام جليل لايبلغه إلا الأوحدي من الناس .

و قد روى في الكافي عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله :

كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله و قال : إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هو اجري فعزفت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلايق لذلك وأنا فيهم ، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك يتكئون ، و كأنّي أنظر إلى أهل النّار وهم فيها معذّبون مصطرخون ، و كأنّي الآن أسمع زفير النّار يدور في مسامعي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان ثمّ قال صلى الله عليه وآله له : الزم ما أنت عليه ، فقال الشّاب : ادع الله لي يا رسول الله أن ارزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النّبي فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر .

وقد مرّ هذا الحديث في شرح الخطبة المأة والثالثة عشر ، ورويناه هنا أيضاً لاقتضاء المقام كما هو ظاهر .

و التاسع أنّ (قلوبهم محزونة) لما غلب عليهم من الخوف .

روى في الكافي عن معروف بن خربوز عن أبي جعفر عليه السلام قال : صلّى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله ثمّ قال : أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب المعزى يبيتون لربّهم سجّداً وقياما ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، ويناجون في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون .

وفيه عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : صلّى أمير المؤمنين عليه السلام الفجر ولم يزل في موضعه حتّى صارت الشمس على قدر رمح وأقبل على الناس بوجهه فقال : والله لقد أدركت أقواما يبيتون لربّهم سجداً وقياماً يخالفون بين جباههم وركبهم كأنّ زفير النار في آذانهم ، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كأنّما القوم باتوا غافلين ، قال عليه السلام : ثمّ قام فما رئي ضاحكاً حتّى قبض .

(و) العاشر أنّ (شرورهم مأمونة) لأنّ مبدء الشرور والمفاسد كلّها ورأس كلّ خطيئة هو حبّ الدّنيا ، والمتّقون زاهدون فيها معرضون عنها مجانبون عن شرّها وفسادها .

(و) الحاديعشر أنّ (أجسادهم نحيفة) لاتعاب أنفسهم بالصيام و القيام وقناعتهم بالقدر الضروري من الطعام .

(و) الثانيعشر أنّ (حاجاتهم خفيفة) لاقتصارهم من حوائج الدّنيا على ضروريّاتها وعدم طلبهم منها أكثر من البلاغ .

(و) الثالث عشر أنّ (أنفسهم عفيفة) أي مصونة عن المحرّمات لكسرهم سورة القوّة الشهويّة .

روى في الوسائل من الكافي عن منصور بن حازم عن أبيجعفر عليه السلام قال : مامن عبادة أفضل عندالله من عفّة فرج وبطن .

وعن عبدالله بن ميمون القداح عن أبيعبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج

و الرابع عشر أنّهم (صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم) تلك الأيّام القصيرة (راحة طويلة) يعني أنهم صبروا في دار الدّنيا على طوارق المصائب و على مشاق الطاعات و عن لذّات المعاصي بل احتملوا جميع مكاره الدّنيا واستعملوا الصبر في جميع أهوالها فأوجب ذلك السعادة الدائمة في الدّار الآخرة .

و يدلّ على ذلك مارواه في الكافي عن حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنة ، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات فمن أعطي نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار .

وفيه عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد .

وفيه عن العزرمي عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيأتي على النّاس زمان لاينال فيه الملك إلاّ بالقتل والتّجبّر ، ولا الغنى إلاّ بالغصب والبخل ،

ولا المحبّة إلاّ باستخراج الدّين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزّمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبّة ، وصبر على الذّل وهو يقدر على العزّ آتاه الله ثواب خمسين صدّيقا ممن صدّق بي .هذا

وفي وصف أيّام الصبر بالقصر والرّاحة بالطول تحريص وترغيب اليه، وأكّد ذلك بقوله (تجارة مربحة) استعار لفظ التجارة لاكتسابهم الرّاحة في مقابل الصبر، ورشّح بلفظ الرّبح .

و كونها مربحة باعتبار قصر مدّة الصّبر على المكاره و طول مدّة الرّاحة وفناء الشّهوات الدّنيويّة و اللّذائذ النّفسانيّة و بقاء السّعادات الأخرويّة مضافة إلى خساسة الأولى في نفسها وحقارتها ، ونفاسة الثّانية وشرافتها .

وأكّد ثالثاً بقوله (يسّرها لهم ربّهم) يعني أنّ فوزهم بتلك النّعمة العظمى والسّعادة الدّائمة قد حصل بتوفيق الله سبحانه وتأييده ولطفه ، ففيه ايماء إلى توجّه العناية الرّبانيّة إليهم و شمول الألطاف الالهيّة عليهم و إلى كونهم بعين رحمة الله و كرامته

و الخامس عشر أنّهم (أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها) أي أرادت عجوزة الدّنيا أن تفتنهم وتغرّهم وأن يتزوّجوا بها ، فأعرضوا عنها وزهدوا فيها بما كانوا يعرفونه من حالها و أنّها قتّالة غوّالة ظاهرة الغرور كاسفة النّور يونق منظرها ويوبق مخبرها قد تزيّنت بغرورها وغرّت بزينتها لاتفي بأحد من أزواجها الباقية كما لم تف بأزواجها الماضية .

(و) **السادس عشر** أنّ الدّنيا (أسرتهم ففدوا أنفسهم منها) الأشبه أن يكون المراد بقوله : أسرتهم ، هو الاشراف على الاسر ، يعني أنّهم بمقتضى المزاج الحيواني والقوى النّفسانيّة الّتي لهم كاد أن تغرّهم الدّنيا فيميلوا إليها ويقعوا في قيد اسره وسلسلة رقيّته، لكنّهم نظروا إليها بعين البصيرة وعرفوها حقّ المعرفة وغلب عقلهم على شهوتهم فرغبوا عنها وزهدوا فيها وأعرضوا عن زبرجها وزخارفها ، فالمراد بفداء أنفسهم منها هو الاعراض عن الزّخارف الدّنيويّة ، فكأنّهم بذلوا تلك الزّخارف

لها وخلصوا أنفسهم منها .

و إنّما أتى بالواو في قوله : أرادتهم الدّنيا و لم يريدوها ، وبالفاء في قوله : وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها ، لعدم التّرتيب بين الجملتين المتعاطفتين في القرينة السّابقة ، بخلاف هذه القرينة فانّ الفدية مترتّبة على الاسر كما لايخفى .

والسابع عشر اتّصافهم بالتهجّد وقيام الليل و إليه أشار بقوله (أمّا الليل فصافّون أقدامهم) فيها للصّلاة علماً منهم بمافيه من الفضل العظيم والأجر الخطير و قد مدح الله القيام فيها والقائمين في كتابه الكريم بقوله « سيماهم في وجوههم من أثر السّجود» .

قال الصّادق عليه السلام في تفسيره : هو السّهر في الصّلاة وبقوله «أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه » وقال تعالى أيضاً « إنّ ناشئة الليل هى أشدّ وطأ وأقوم قيلا» .

قال الصادق عليه السلام فيه قيام الرّجل عن فراشه يريد به وجه الله تعالى عزّ وجلّ لا يريد به غيره.

ويكفي في فضله ماروا في الفقية عن جابر بن إسماعيل عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام أنّ رجلا سأل عليّ بن أبيطالب عن قيام اللّيل بالقرآن ، فقال عليه السلام ابشر :

من صلّى من الليل عشر ليلة مخلصاً ابتغاء ثواب الله قال الله لملائكته : اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما انبت في الليل من حبّة وورقة و شجرة وعدد كلّ قصبة وخوص ومرعى .

و من صلّى تسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات و أعطاه الله كتابه بيمينه .

و من صلّى ثمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النيّة و شفّع في أهل بيته .

ومن صلّى سبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتي

يمرّ على الصراط مع الآمنين

و من صلّى سدس ليلة كتب من الأوابين وغفر لـه ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر .

ومن صلّى خمس ليلة زاحم إبراهم خليل الرّحمن في قبّته.

ومن صلّى ربع ليلة كان في أوّل الفائزين حتى يمرّ على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنة بلا حساب .

ومن صلّى ثلث ليلة لم يلق ملكا إلاّ غبطه لمنزلته من الله وقيل ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت .

ومن صلّى نصف ليلة فلو اعطى ملؤ الأرض ذهباً سبعين ألف مرّة لم يعدل جزاه وكان له بذلك عند الله أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل عليه السلام .

و من صلّى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل أُحد عشر مرّات .

ومن صلّى ليلة تامّة تالياً لكتاب الله راكعاً وساجداً وذاكراً اعطى من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته امّه ، ويكتب له عدد ماخلق الله من الحسنات ومثلها درجات ويثبت النّور في قبره وينزع الاثم والحسد من قلبه ، ، ويجار من عذاب القبر ويعطى براءة من النّار ويبعث من الآمنين ، و يقول الربّ لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدى أحيا ليله ابتغاء مرضاتي اسكنوه الفردوس ولـه فيها مأة ألف مدينة في كلّ مدينة جميع ماتشتهى الأنفس وتلذّ الأعين ولم يخطر على بال سوى ماأعددت له من الكرامة والمزيد والقربة ، هذا .

ولما وصف قيامهم بالصّلاة في اللّيل أشار إلى قراءتهم ووصف قراءتهم تفصيلا بقوله (تالين لأجزاء القرآن) فانّ البيوت الّتي يتلى فيها القرآن تضيء لأهل السّماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض كما روى في غير واحد من الأخبار وتكثر بركتها وتحضرها الملائكة وتهجرها الشّياطين كما رواه في الكافي عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام .

(يرتّلونه ترتيلا) قال في مجمع البحرين: التّرتيل في القرآن التّأنّي وتبيين الحروف بحيث يتمكّن السّامع من عدّها.

وفي الكافي عن عبدالله بن سليمان قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «ورتّل القرآن ترتيلا» قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بيّنه تبياناً ولاتهذّه هذّ الشّعر، ولا تنثره نثر الرّمل، ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السّورة.

و في مجمع البحرين عن أمير المؤمنين عليه السلام: ترتيل القرآن حفظ الوقوف وبيان الحروف، وفسّر الوقوف بالوقف التامّ وهو الوقوف على كلام لا تعلّق له بما بعده لا لفظاً ولا معناً، وبالحسن وهو الّذي له تعلّق، وفسّر الثاني بالاتيان بالصّفات المعتبرة عند القراءة من الهمس والجهر والاستعلاء والاطباق.

و عن الصّادق عليه السلام الترتيل أن تتمكّث فيه وتحسن به صوتك، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوّذ بالله من النار.

وقوله عليه السلام (يحزنون به أنفسهم) أى يقرؤنه بصوت حزين.

روى في الكافي عن ابن أبي عمير عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ القرآن نزل بالحزن فاقرؤه بالحزن.

وفي الوسائل من الكافي عن حفص قال: مارأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام ولاأرجى للناس منه، وكانت قراءته حزناً، فاذا قرء فكأنه يخاطب إنساناً.

وقوله: (ويستثيرون به دواء دائهم) الظاهر أنّ المراد بدائهم هو داء الذّنوب الموجب للحرمان من الجنّة والدّخول في النّار، وبدوائه هو التّدبّر والتفكّر الموجب لقضاء ماعليهم من الحقّ وسؤال الجنّة وطلب الرّحمة والمغفرة و التعوّذ من النّار عند قراءة آيتي الوعد والوعيد.

كما أوضحه و شرحه بقوله (فاذا مرّوا بآية فيها تشويق) إلى الجنّة (ركنوا)

أى مالوا واشتاقوا (إليها طمعاً وتطلعت) أى أشرفت (نفوسهم إليها شوقا وظنّوا أنّها نصب أعينهم) أى أيقنوا أنّ تلك الآية أى الجنّة الموعودة بها معدّة لهم بين أيديهم وإنما جعلنا الظنّ بمعني اليقين لما قد مرّ من اتّصافهم بعين اليقين و أنهم والجنّة كمن قدر آهافهم فيها منعّمون .

(و إذا مرّوا بآية فيها تخويف) وتحذير من النار (أصغوا) أى أمالوا (إليها مسامع قلوبهم وظنّوا) أى علموا (أنّ زفير جهنّم و شهيقها) أى صوت توقدها (فى اُصول آذانهم) أو المراد زفير أهلها وشهيقهم ، والزّفير إدخال النفس والشهيق إخراجه ، ومنه قيل : إنّ الزّفير أوّل الصوت والشهيق آخره ، والزّفير من الصّدر والشهيق من الحلق ، و كيف كان فالمراد أنهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون .

ومحصل المراد أنّ المتّقين يقرؤن القرآن بالتّرتيل والصوت الحسن الحزين ويشتدّ رجاؤهم عند قراءة آيات الرّجا وخوفهم عند تلاوة آيات الخوف .

روى في الوسائل عن الشيخ عن البرقي وابن أبي عمير جميعاً عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : ينبغي للعبد إذا صلّى أن يرتّل في قراءته فإذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة وذكر النار سأل الله الجنة وتعوّذ بالله من النار ، وإذا مرّ بيا أيها الناس و يا أيها الذين آمنوا يقول لبّيك ربّنا .

وعنه عن عثمان بن عيسى عن سماعة قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام ينبغي لمن قرء القرآن إذا مرّ بآية فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأل العافية من النار ومن العذاب .

وفيه عن الكليني عن الزّهرى في حديث قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السّلام إذا قرء مالك «ملك» يوم الدّين يكرّرها حتى يكاد أن يموت ، هذا .

ولما ذكر عليه السّلام وصف قيامهم وقراءتهم أشار إلى ركوعهم بقوله (فهم حانون) أى عاطفون (على أوساطهم) يعني أنّهم يحنون ظهرهم فى الرّكوع أى يميلونه في استواء من رقبتهم ومن ظهرهم من غير تقويس .

وأشار إلى سجودهم بقوله (مفترشون لجباههم واكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم)

أي باسطون لهذه الأعضاء السبعة في حالة السجدة على الأرض قال سبحانه « و انّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » .

قال في مجمع البيان روى أنّ المعتصم سأل أباجعفر محمّد بن عليّ بن موسى الرّضا عليهم السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام : هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها .

وفي الوسائل عن الشيخ باسناده عن زرارة قال : قال أبوجعفر عليه السلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : السجود على سبعة أعظم : الجبهة ، و اليدين ، و الرّكبتين ، والابهامين من الرّجلين ، وترغم بأنفك إرغاما أمّا الفرض فهذه السبعة وأمّا الارغام بالأنف فسنّة من النبيّ صلّى الله عليه وآله .

و قوله عليه السلام (يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم) إشارة إلى العلّة الغائيّة لهم من عباداتهم الليلية ، يعني أنهم يتضرّعون اليه سبحانه ويلحّون في فكاك رقابهم من النار وادخالهم الجنة .

والثامن عشر اتّصافهم بأوصاف يطلع عليها النّاظرون لهم نهاراً ، وإليه أشار بقوله (وأمّا النّهار فحلماء علماء أبرار أتقياء) يعني أنّهم متّصفون بالحلم والعلم والبرّ والتّقوى .

أما الحلم فهو فضيلة متوسّطة بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب ، وهو من جنود العقل ويقابله السّفه وهو من جنود الجهل ، كما في الحديث المرويّ في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام .

قال صدر المتألهين في شرح الكافي : الحلم الاناة وهو من شعب الاعتدال في الغضب ، والسفه الخفّة والطيش ، وسفه فلان رأيه إذا كان مضطرباً لااستقامة له فيكون من شعب الافراط في الغضب ضدّ الحلم الذي من شعب الاعتدال فيه .

وقال بعض شرّاح الكافي : الحلم الاناة والتثبّت في الأمور ، وهو يحصل عن الاعتدال في القوّة الغضبية ويمنع من الانفعال عن الواردات المكروهة المؤذية ، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهايلة و عدم طيشها في المؤاخذة و عدم صدور

حركات غير منتظمة منها و عدم إظهار المزية على الغير و عدم التهاون فى حفظ ما يجب حفظه شرعاً وعقلاً .

أقول ويشهد بفضل هذا الوصف :

ما رواه فى الكافى عن جابر عن أبيجعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله يحبّ الحييّ الحليم العفيف المتعفّف .

وعن سعيد بن يسار عن أبيعبدالله عليه السلام قال : إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما : قلت وقلت وأنت أهل لما قلت ستجزى بما قلت ، ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك ، قال : فان ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان ، هذا .

وفى بعض النسخ بدل قوله عليه السلام فحلماء : فحكماء بالكاف فيفيد اتّصافهم بالحكمة وهو أيضاً من جنود العقل ، ويقابله الهوى وهو من جنود الجهل كما فى الحديث الذي أشرنا إليه .

قال صدر المتألهين فى شرح هذا الحديث من الكافى : الحكمة هى العلم بحقايق الأشياء كما هى بقدر الطاقة والعمل على طبقه ، والهوى الرّأى الفاسد واتّباع النفس شهواتها الباطلة ، ويحتمل أن يكون المراد بالحكمة مايستعمل فى كتب الأخلاق وهو التوسط فى القوّة الفكريّة بين الافراط الذي هو الجربزة والتفريط الذى هو البلاهة فيكون المراد بالهوى الجربزة بمايلزمها من الآراء الفاسدة والعقايد الباطلة ، لأنّها تضادّ الحكمة التى بهذا المعنى ، وكلا المعنيين من صفات العقل وملكاته ومقابلاتهما من صفات الجهل وتوابعه .

وأما العلم فهو أيضاً من جنود العقل ، ويقابله الجهل كما فى الحديث المتقدّم إليه الاشارة ، والمراد بكونهم علماء كمالهم في القوّة النظرية بالعلم النظرى الذي هو معرفة الصانع وصفاته والعلم الشرعى الذى هو معرفة تكاليفه وأحكامه .

وأما البر فقد يطلق ويراد به الصادق ، وقد يطلق على الذى من عادته الاحسان

وبهمافسّرقوله « انّه هوالبرّ الرّحيم » وكثيراً مايخصّ الأبرار بالأولياء والزّهاد والعبّاد وبهفسّرقوله تعالى « انّ الأبرارلفي نعيم » أى الأولياء المطيعون فى الدّنيا

وقالفي مجمعالبيانفي تفسيرقوله « انّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » هوجمع البرّ المطيع لله المحسن في أفعاله ، وقال الحسن: هم الّذين لا يؤذون الذّر ولايرضون الشرّ وقيل : هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنّافلة .

واما التقوى فالمراد به هنا الخوف ، يعنى أنّهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبايح البدنيّة والنفسانيّة .

وأشار إلى كمال خوفهم بقوله (قد بريهم الخوف برى القداح) أى نحتهم مثل نحت السّهام وصاروا مثلها في الدّقة والنحافة وإنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النّفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوّة الشّهويّة والغاذية عن أداء بدل مايتحلّل .

وقد كان هذا الوصف أعني كمال الخوف من الله سبحانه و نحول البدن من شدّته مأثوراً عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

فقد روى المفيد في الارشاد عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يصلّي في اليوم واللّيلة ألف ركعة وكانت الرّيح تميله بمنزلة السّنبلة .

و **فيه** أيضاً عن عبدالله بن محمّد القرشي قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا توضّأ يصفرّ لونه فيقول له أهله : ما هذا الّذي يغشاك ؟ فيقول: أتدرون لمن أتأهّب للقيام بين يديه .

و **فيه** أيضاً عن سعيد بن كلثوم عن الصّادق عليه السلام في حديث مدح فيه عليّ بن أبيطالب بماهوأهله وأطراه إلى أن قال : وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحدأقرب شبهاً به في لباسه و فقهه من عليّ بن الحسين عليهما السلام ، ولقد دخل ابنه أبوجعفر عليه فاذا هوقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السّهر ورمصت عيناه من البكاء و دبرت جبهته وانخرم أنفه من السّجود وورمت ساقاه وقد ماه من

القيام في الصّلاة قال أبوجعفر : فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له الحديث .

وقد كان شيعتهم عليهم السلام أيضاً متّصفون بذلك .

كمارواه في الوسايل من الخصال عن عمروبن أبي المقدام عن أبيه قال : قال لي أبوجعفر عليه السلام ياأباالمقدام إنّما شيعة عليّ الشّاحبون النّاحلون الذّابلون ، ذابلة شفاههم خميصة بطونهم متغيّرة ألوانهم مصفرّة وجوههم ، إذا جنّهم اللّيل اتّخذوا الأرض فراشاً واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم كثيرةدموعهم كثير دعاؤهم كثير بكاؤهم يفرح النّاس وهم محزونون .

و فيه من أمالي ابن الشيخ قال : روى انّ أمير المؤمنين خرج ذات ليلة من المسجد و كانت ليلة قمراء فأمّ الجبانة ولحقه جماعة يقفون أثره فوقف عليهم ثمّ قال : من أنتم ؟ قالوا : شيعتك يا أمير المؤمنين ' فتفرّس في وجوههم قال : فمالى لا أرى عليكم سيماء الشيعة ؟ فقالوا : وما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء حدب الظهورمن القيام خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدّعاء عليهم غبرة الخاشعين ، هذا .

ولغلبة الخوف عليهم و نحول أجسادهم وانحلال أعضائهم وشحب ألوانهم من الجدّ والاجتهاد في العبادة (ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و) الحال أنه (ما بالقوم من مرض و) لتوجّه نفوسهم بالملاء الأعلى ، و خروج أفعالهم عن المعتادة المتعارفة بين الناس (يقول) الناظر لهم إنهم (قد خولطوا) أى اختلّ عقلهم وفسد (و) الحال أنهم ما خولطوا بل (قدخالطهم) أى مازجهم (أمرعظيم) من الخوف فتولهوا لأجله .

التاسع عشر أنّهم (لايرضون من أعمالهم القليل) أى لايقنعون بالقليل لعلمهم بشرف الغايات المقصودة من العبادات وعظم مايترتّب عليها من الثمرات ، وهو العتق من النار والدّخول فى الجنة والوصول إلى رضوان الله الذي هوأعظم اللّذات وأشرف الغايات .

ولذلك أنّ أولياء الدّين وأئمة التقوى واليقين كان هممهم مقصورة على الجدّ والاجتهاد والتفرّغ للعبادة .

ولقد قام رسول الله صلّى الله عليه وآله كما في رواية الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله تعالى « طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » بل لتسعد به .

وفي رواية الكافي عن أبي بصير عن الباقر عليه السّلام قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله عند عايشة ليلتها فقالت : يارسول الله لم تتعب نفسك وقد غفرلك ماتقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال صلّى الله عليه وآله : ياعايشة ألا أكون عبداً شكوراً

وكان أمير المؤمنين عليه السّلام يصلّي في اليوم واللّيلة ألف ركعة ، وكذلك ولده عليّ بن الحسين عليهما السّلام حسبما عرفت آنفاً .

وروى في الوسايل من العلل عن أبي حمزة قال : سألت مولاة لعليّ بن الحسين عليهما السّلام بعد موته فقلت : صفي لي امور عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقالت: اطنب أو اختصر؟ فقلت: بل اختصري ، قال : ما أتيته بطعام نهاراً قطّ ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ .

وروى فيه أيضاً من العيون عن عبدالسلام بن صالح الهروي في حديث انّ الرّضا عليه السّلام كان ربما يصلّي في يومه وليلته ألف ركعة ، وانما ينفتل من صلاتـه ساعة في صدر النهار وقبل الزّوال وعند اصفرار الشمس ، فهو في هذه الأوقات قاعد في صلاة « مصلاه ظ » يناجي ربه .

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في وصف عباداتهم عليهم السّلام ، وكفى في تأكد المداومة على العبادة و التفرّغ لها بقوله سبحانه « وما خلقت الجنّ و الانس إلاّ ليعبدون » .

روى في الوسايل من العلل بسنده عن جميل بن درّاج قال : قلت لأبي عبدالله عليه السّلام : جعلت فداك مامعنى قول الله عزّ وجلّ « وماخلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون»؟ فقال : خلقهم للعبادة .

وفيه عن الكليني عن عمر بن يزيد عن أبيعبدالله عليه السلام قال في التوراة مكتوب يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملاء قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك، وعلي أن أسد فاقتك وأملاء قلبك خوفاً منّي .

وعن عمر بن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل النّاس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدّنيا على عسر أم يسر .

وعن أبي جميلة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : قال الله تبارك وتعالى : يا عبادي الصّديقين تنعّموا بعبادتي في الدّنيا فانّكم تنعّمون بها في الآخرة .

(و) العشرون أنّهم (لا يستكثرون) من أعمالهم (الكثير) أي لا يعجبون بكثرة العمل ولا يعدّونه كثيراً وان أتعبوا فيه أنفسهم وبلغوا غاية جهدهم ، لمعرفتهم بأنّ ما أتوا به من العبادات و إن بلغت في كثرتها غاية الغايات زهيدة قليلة في جنب ما يترتّب عليها من الثّمرات، كما أشار إليه في الخطبة الثانية والخمسين بقوله :

فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار المتبتّلي الرّهبان وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه وحفظها رسله ، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه وأخاف عليكم من عقابه ، هذا .

مع ما في استكثار العمل من العجب الموجب لاهباطه والموقوع في الخزي العظيم والعذاب الأليم .

روى في الوسائل من الخصال عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : ثلاث قاصمات الظّهر : رجل استكثر عمله ، ونسي ذنوبه ، وأعجب برأيه .

ومن الخصال عن عبدالرّحمن بن الحجاج عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال ابليس : إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم ابال ما عمل فانّه غير مقبول : إذا استكثر عمله ، ونسي ذنبه ، ودخله العجب .

وفيه عن الكليني عن سماعة قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لا تستكثروا

الخير ولا تستقلّوا قليل الذّنوب .

وعن الكليني عن يونس عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : قال موسى بن عمران لابليس : أخبرني بالذّنب الّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه قال : إذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، وصغر في عينه ذنبه .

وقال : قال الله عزّ وجلّ لداود : يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصّديقين ، قال : كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصّدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذّنب، وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فانّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك

ولمّا ذكر عدم رضاهم بالقليل واعجابهم بالكثير فرّع عليه قوله (فهم لأنفسهم متّهمون ومن أعمالهم مشفقون) يعني أنّهم يتّهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير في العبادة .

روى في الوسائل عن الكليني عن سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال لبعض ولده : يا بنيّ عليك بالجدّ ولا تخرجنّ نفسك من حدّ التقصير في عبادة الله عزّ وجل فانّ الله لا يعبد حقّ عبادته .

وعن الفضل بن يونس عن أبي الحسن عليه السلام قال : أكثر من أن تقول : اللّهم لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير ، قال : قلت له : أمّا المعارون فقد عرفت إنّ الرّجل يعار الدّين ثمّ يخرج منه ، فما معنى لا تخرجني من التقصير؟ فقال : كلّ عمل تريد به وجه الله فكن فيه مقصّراً عند نفسك فانّ النّاس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلاّ من عصمه الله .

وعن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : لا يتّكل العاملون لي على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي ، فانّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عباداتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع الدّرجات العلي في جواري ولكن برحمتي فليثّقوا « فليثقوا ظ » ، وفضلي فليرجوا ، والى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا

و أمّا اشفاقهم من أعمالهم فخوفهم من عدم قبولها أو من عدم كونها جامعة

لشرايط الصّحة والكمال على الوجه الّذي يليق به تعالى فيؤاخذوا به ، وقد مدح الله سبحانه المؤمنين بذلك في قوله «والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة».

روى في الصافي من الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال : هي اشفاقهم و رجاؤهم يخافون أن تردّ عليهم أعمالهم إن لم يطيعوا الله ويرجون أن تقبل منهم .

وفي مجمع البيان قال أبو عبدالله عليه السلام : معناه خائفة أن لا يقبل منهم .

وفي الوسائل من الكافي عن عبدالرّحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام الرّجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثمّ يعمل شيئاً من البرّ فيدخله شبه العجب به فقال عليه السلام : هو في حاله الأولى وهو خائف أحسن حالاً منه في حال عجبه .

الحادى والعشرون أنّه (إذا زكّي أحدهم) أي وصف ومدح بما فيه من محامد الأوصاف ومكارم الأخلاق ومراقبة العبادات ومواظبة الطاعات (خاف ممّا يقال له) واشمئزّ منه (فيقول أنا أعلم بنفسي) أي بعيوبها (من غيري وربّي أعلم منّي بنفسي) وإنّما يشمئزّ ويخاف من التزكية لكون الرّضا بها مظنّة الاعجاب بالنفس والادلال بالعمل .

ولهذه النّكتة أيضاً نهى الله سبحانه عن تزكية النفس قال تعالى «فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى » أي لا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير والطهارة من المعاصي والرّذائل، فانّه يعلم التّقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم .

قال في مجمع البيان: أي لا تعظّموها ولا تمدحوها بما ليس لها فانّي أعلم بها ، وقيل : معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون أقرب إلى النسك والخشوع ، وأبعد من الرّيا هو أعلم بمن برّ وأطاع وأخلص العمل .

وروى في الصافي من العلل عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عنها قال : يقول : لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته و صيامه وزكاته ونسكه ، لأنّ الله عزّ وجل أعلم بمن اتّقى منكم .

وقوله (اللهمّ لا تؤاخذني بما يقولون و اجعلني أفضل مما يظنّون و اغفرلي

مالا يعلمون) أى لاتؤاخذني بتزكية المزكين التي هي مظنة الاعجاب الموجب للسخط والمؤاخذة ، واجعلني أفضل ممايظنّون في التّقوى والورع ، واغفر لى الهفوات والآثام التي أنت عالم بها وهي مستورة عنهم

وعلى ما ذكرنا فهذه الجملة الدّعائية متمّم كلام المتّقين الذي حكاه عليه‌السلام عنهم ، يعني إذا زكّي أحدهم يخاف منه ويجيب المزكّي بقوله : أنا أعلم بنفسي اه ، ويدعو ربه بقوله : اللهمّ لاتؤاخذني اه .

والعجب من الشارح المعتزلى حيث زعم أنّ هذه الجملة من كلام أمير المؤمنين نفسه لاحكاية عن المتّقين قال : و قوله : اللهمّ لاتؤاخذني بمايقولون ، إلى آخر الكلام مفرد مستقلّ بنفسه منقول عنه عليه‌السلام أنه قاله لقوم مرّ عليهم وهم مختلفون في أمره فمنهم الحامد له ومنهم الذّام فقال : اللهمّ لاتؤاخذني اه ، ومعناه : اللهمّ إن كان ماينسبه الذّامون إليّ من الأفعال الموجبة للذّم حقاً فلاتؤاخذني بذلك ، واغفر لى مالا يعلمونه من أفعالى ، وان كان مايقوله الحامدون حقاً فاجعلني أفضل ممايظنّونه فيّ ، انتهى .

والأظهر ماذكرنا كمالايخفى ، هذا .

ولما ذكر جملة من أوصافهم الجميلة أردفها بساير أوصافهم التي بها يعرفون وقال : (فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوّة في دين) أى تراه متصلّبا فيه لا يؤثّر فيه تشكيك المشكك ولاينخدع بخداع الناس .

(وحزماً في لين) أى يكون لينه عن حزم وتثبّت لاعن مهانة وقال الشارح البحراني يكون له الحزم في الأمور الدّنيوية و التّثبّت فيها ممزوجاً باللّين للخلق و عدم الفظاظة ، و هي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق .

(وايماناً في يقين) أى ايماناً مع يقين ، فانّ الايمان وهو معرفة الصّانع والرّسول والتّصديق بماجاء به من عندالله لماكان قابلا للشدّة و الضّعف ، فتارة يكون عن وجه التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب ، وأُخرى عن وجه العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدّليل ، وثالثة عن العلم به مع العلم بأنّه لايكون إلّا كذلك وهو علم اليقين ، أراد أنّ علمهم بأُصول العقايد علم يقين لايتطرّق إليه احتمال

وفي الكافي عن جابر قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : يا أخاجعفي ان الايمان أفضل من الاسلام وإن اليقين أفضل من الايمان ، ومامن شيء أعز من اليقين .

وعن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس قال : سألت أباالحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام فقال: قال أبوجعفر عليه السلام : إنما هو الاسلام والايمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأي شيء اليقين ؟ قال: التوكل على الله والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله ، قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبوجعفر عليه السلام .

قال بعض شراح الكافي في شرح هذا الحديث : الاسلام هو الاقرار والايمان إما التصديق أو التصديق مع الاقرار ، و على التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجة أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فلأن التصديق القلبي أفضل وأعلى من الاقرار اللساني كما أن القلب أفضل من اللسان، والتقوى فوق الايمان بدرجة لأن التقوى هو التجنب عما يضر في الآخرة وإن كان ضرره يسيراً ، واليقين فوق التقوى لأن التقوى قد لايكون في مرتبة اليقين ، وهي التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً .

(وحرصاً في علم) أى وحرصاً في طلب العلم النافع فى الآخرة والازدياد منه (وعلماً فى حلم) أى علماً ممزوجاً بالحلم وقدمر توضيحه فى شرح قوله وأما النهار فعلماء حلماء .

(وقصداً فى غنى) يحتمل أن يكون المراد اقتصاده فى طلب المال وتحصيل الثروة ، يعنى أنه لايجاوز الحد فى كسب المال وتحصيل الغنى بحيث يؤدى إلى فوات بعض ماعليه من الفرايض كما هو المشاهد فى أبناء الدنيا ، وأن يكون المراد أنه مع غناه مقتصد فى حركاته و سكناته و مصارف ماله بل جميع أفعاله يعنى أن غناه لم يوجب طغيانه وخروجه عن القصد وتجاوزه عن الحد كما قال تعالى «ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» .

(وخشوعاً في عبادة) أي خضوعاً وتذللاً في عباداته ، وقد وصف الله المؤمنين بذلك في قوله « الّذينهم في صلوتهم خاشعون »

قال في مجمع البيان أي خاضعون متواضعون متذلّلون لا يدفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً و شمالاً .

وروى أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال : أما انّه لوخشع قلبه لخشعت جوارحه .

وفي هذا دلالة على أنّ الخشوع في الصّلاة يكون بالقلب وبالجوارح ، فأمّا بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجميع الهمّة لها و الاعراض عمّا سواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود ، وأمّا بالجوارح فهو غضّ البصر والاقبال عليها وترك الالتفات والعبث قال ابن عبّاس خشع فلا يعرف من على يمينه ومن على يساره .

(وتجمّلا في فاقة) أي يتعفّف ويظهر الغنى في حال فقره ويترك السّؤال ويستر ماهوعليه من الفقر ، وأصل التجمّل هوتكلّف الجميل .

وقد مدح الله سبحانه أصحاب الصفة بذلك في قوله « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف تعرفهم بسيماهم لايسئلون النّاس الحافا » وكانوا نحواً من أربعمأة من فقراء المهاجرين يسكنون صفّة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغرقون أوقاتهم بالتعلّم والعبادة وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظنّهم الجاهل بحالهم و باطن امورهم أغنياء من التعفّف أي من أجل التعفّف و الامتناع من السّؤال و التجمّل في اللّباس و السّتر لماهم عليه من الفقر وسوء الحال طلباً لرضوان الله وجزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم أي تعرف حالهم بمايرى في وجوههم من علامة الفقر من رثاثة الحال وصفرة الوجه لا يسئلون النّاس أصلا فيكون إلحاح أي إصرار في السّؤال ، فهومن قبيل السّالبة بانتفاء الموضوع مثل قولك : مارأيت مثله وأنت تريد أنّه لا مثل له فيرى ، لا أنّ له مثلا ما رأيته .

قال في مجمع البيان في الحديث : إنّ الله يحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده

و يكره البؤس و التّباؤس ، و يحبّ الحليم المتعفّف من عباده و يبغض البذى السّائل الملحف (١) .

(وصبراً فى شدّة) أى يتحمّل على شدايد الدّنيا ومكارهها ويستحقرها بجنب مايتصوّره من الفرحة بلقاء الله وبما بشّر به من عظيم الأجر للصّابرين فى كتابه المبين مضافاً إلى مافيه من التأسّي والاتباع للسلف الصالحين من الأنبياء والمرسلين و أولياء الدّين .

روى فى الكافى عن حفص بن غياث قال : قال لى أبوعبدالله عليه السلام : ياحفص إنّ من صبر صبر قليلاً وانّ من جزع جزع قليلاً ، ثمّ قال : عليك بالصبر فى جميع أمورك فانّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرّفق فقال « واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلا ✿ وذرنى والمكذّبين أولى النعمة » وقال تبارك وتعالي « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولىّ حميم وما يلقّيها إلاّ الذين صبروا وما يلقّيها إلاّ ذوحظّ عظيم » فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظايم ورموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عزّ وجلّ « ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك و كن من الساجدين » ثمّ كذّبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عزّ وجلّ « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ✿ ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى أتيهم نصرنا » فألزم النبى صلى الله عليه وآله نفسه الصبر فتعدّوا فذكروا الله تعالى و كذّبوه فقال : قد صبرت فى نفسى وعرضى ولا صبر لى على ذكر إلهى فأنزل الله عزّ وجلّ « ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما فى ستّة أيام ومامسّنا من لغوب ✿ فاصبر على مايقولون » فصبر النبى صلى الله عليه وآله فى جميع أحواله ثمّ بشر فى عترته بالأئمة و وصفوا بالصبر فقال جلّ ثناؤه « و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا

---

(١) فى الحديث :ان الله يحب الجمال والتجمل و يبغض البؤس والتباؤس ؛ كان المراد اظهار الفقر والحاجة هكذا فى مجمع البحرين ، وقال الفيروز آبادى : التباؤس التفاقر وأن يرى تخشع الفقراء اخباتا وتضرعا ، منه .

لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله الصبر من الايمان كالرّأس من الجسد ، فشكر الله عزّ وجلّ ذاك له فأنزل الله عزّ وجلّ « وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه و ما كانوا يعرشون » فقال صلى الله عليه وآله : إنه بشرى وانتقام فأباح الله عزّ وجلّ له قتال المشركين فأنزل « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد واقتلوهم حيث ثقفتموهم » فقتلهم الله على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأحبائه وعجّل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة ، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدّنيا حتى يقرّ الله عينه في أعدائه مع ما ادّخر له في الآخرة .

(و طلباً في حلال) أي يطلب الرّزق من الحلال و يقتصر عليه و لا يطلبه من الحرام .

روى في الوسايل عن الكلينيّ باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب و لا يحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بمعصية الله ، فانّ الله تبارك و تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسّمها حراماً ، فمن اتّقى وصبر آتاه الله برزقه من حلّه و من هتك حجاب السرّ « كذا » وعجل فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة .

وفيه عن المفيد في المقنعة قال : قال الصادق عليه السلام الرّزق مقسوم على ضربين أحدهما واصل إلى صاحبه وان لم يطلبه ، والآخر معلّق بطلبه ، فالذي قسّم للعبد على كلّ حال آتيه وإن لم يسع له ، والذي قسّم له بالسعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه وهو ما أحلّه الله له دون غيره ، فان طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه و حوسب به .

(ونشاطاً في هدى) أي خفة واسراعاً فيه ، وبعبارة اخرى أن يكون سلوكه لسبيل الله واتيانه بالعبادات المشروعة الموصلة إلى رضوان الله سبحانه بطيب النفس

وعلى وجه الخفّة و السهولة لا عن الكسل والتغافل ، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين فيما وعدالله المتّقين من الجزاء الجميل و الأجر العظيم بخلاف أهل الرّيا فانّه يكسل في الخلوة وينشط بين الناس.

كما روى في الوسايل عن الكلينى عن السكوني عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ثلاث علامات للمرائى : ينشط إذا رأى الناس ، ويكسل إذا كان وحده ، ويحبّ أن يحمد في جميع اموره .

(وتحرّجاً عن طمع) أى تجنّباً عنه أى لايطمع فيما في أيدى النّاس لعلمه بأنّه من الرّذايل النّفسانيّة ومنشأ المفاسد العظيمة لأنّه يورث الذّل والاستخفاف والحقد والحسد والعداوة والغيبة وظهور الفضايح والمداهنة لأهل المعاصي والنّفاق والرّيا وسدّ باب النّهى عن المنكر والأمر بالمعروف و ترك التّوكّل على الله والتّضرع إليه وعدم الرّضا بقسمه إلى غيرذلك ممّا لايحصى .

روى في الكافي عن سعدان عن أبيعبدالله عليه السلام قال قلت له: الّذى يثبت الايمان في العبد ؟ قال : الورع والذى يخرجه منه قال : الطمع .

وعن الزّهري قال : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : رأيت الخير كلّه قداجتمع في قطع الطمع مما في أيدى الناس .

وفيه مرفوعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه .

(يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل) أي على خوف من ردّها وعدم قبولها لعدم اقترانها بالشرايط المقتضية للقبول كما قال تعالى « و الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » وقدمضى توضيح ذلك في شرح قوله عليه السلام من هذه الخطبة: ومن أعمالهم مشفقون .

(يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذّكر) قال الشارح البحراني أي يكون همّه عند المساء الشكر على ما رزق بالنهار و مّا لم يرزق ، ويصبح و همّه ذكر الله ليذكره الله فيرزقه من الكمالات النفسانية وَ البدنيّة كما قال تعالى « فاذكروني

أذكركم واشكروا لي ولاتكفرون».

أقول : ما ذكره (ره) قاصر عن تأدية المراد غير واف بافادة نكتة تقييد الاهتمام بالذكر بالصباح والاهتمام بالشكر بالمساء ، فالأولى أن يقال :

أما كون همّه مقصوراً على الذّكر في الصباح فلتأكّد استحباب الذكر فيه

و يدلّ عليه ما رواه في الوسايل من مجالس الصدوق باسناده عن عمير بن ميمون قال : رأيت الحسن بن عليّ عليهما السلام يقعد في مجلسه حين يصلّي الفجر حتى تطلع الشمس ، وسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من صلّى الفجر ثمّ جلس في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس ستره الله من النار ستره الله من النار ستره الله من النار.

وفيه أيضاً من المجالس عن أنس في حديث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان ابن مظعون : من صلّى الفجر في جماعة ثمّ جلس يذكر الله حتى يطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجة بعد ما بين درجتين كحضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة .

وفيه عن الشيخ عن ابن عمر عن الحسن بن عليّ عليهما السلام قال : سمعت أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيما امرء جلس في مصلّاه الذي صلّى فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحجاج بيت الله و غفر له .

والنكتة الأخرى في ذلك أنّ الله سبحانه لما خلق النهار لتحصيل المعاش وطلب الرّزق والابتغاء من فضله كما أنّه خلق اللّيل للدّعة والسّكون و الراحة والنوم وكان للذكر عند الصباح مدخل عظيم في الرّزق لاجرم كان اهتمامهم بالذكر فيه

أما أن خلق النهار للرّزق والمعاش فلقوله سبحانه « وجعلنا نومكم سباتاً ✿ وجعلنا الليل لباساً ✿ وجعلنا النهار معاشاً»

وأما أنّ الذّكر في الصبح جالب للرّزق .

فلما رواه في الوسائل عن الصادق عليه السلام قال : الجلوس بعد صلاة الغداة في التعقيب والدعاء حتى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرّزق من الضرب في الأرض

وفيه عن الكليني عن حماد بن عثمان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لجلوس الرّجل في دبر صلاة الفجر إلي طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من

ركوب البحر ، قلت : قد يكون للرجل الحاجة يخاف فوتها فقال عليه السلام : يدلج فيها وليذكر الله عزّ وجلّ فانه في تعقيب مادام على وضوئه .

وبمعناهما أخبار اُخر لانطيل بروايتها .

و اما كون همّه بالشكر عند المساء ، فلأنّ المساء ضدّ الصّباح وإذا كان طلب الرّزق واستنزال النعمة بالذّكر في أوّل النّهار حسبما عرفت ، فناسب أن يكون الشكر على النعم النّازلة في النّهار في آخره كما هو واضح .

(يبيت حذراً ويصبح فرحاً) الظاهر عدم القصد إلى تخصيص الحذر بالبيات والفرح بالصّباح ، وإنّما المراد أنّه يبيت ويصبح جامعاً بين وظيفتي الخوف والرّجا ، فعبّر عن الخوف بالحذر وعن الرّجاء بالفرح لكونه موجباً للفرح والسرور .

وأشار إلى علّتهما بقوله (حذراً لما حذّر) منه (من الغفلة) والتقصير في رعاية وظايف العبودية ، لما عرفت في شرح قوله : فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون ، من عدم جواز إخراج النّفس من حدّ التّقصير في عبادته تعالى و إن بولغ فيها .

وبقوله (وفرحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة) أى بما وفّق له من فضل الله سبحانه وما تفضّل به عليه من دين الاسلام وموالاة محمّد وآل محمّد عليهم السلام وما أتى صلّى الله عليه وآله وسلّم به من شرايع الأحكام ، فانّ ذلك كلّه فضل منه عزّ وجلّ ورحمة يوفّق له من يشاء من عباده كما قال تعالى «قل انّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ۞ يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» .

ويحتمل أن يكون المراد بما أصاب خصوص ما أتى به من الفروعات العمليّة والعبادات الشرعية الموجبة لفضل الله ورحمته عليه في الآخرة ، فيكون محصل المراد بهذه الجملة سروره و فرحه بحسناته ، لما فيها من رجاء الأجر والثواب ، وبالجملة السابقة مساءته وخوفه من الغفلة لما فيها من الوزر والعقاب .

روى في الوسائل عن الكليني ، عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من سرّته حسنته وساءته سيّئته فهو مؤمن .

وعن سليمان عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل النّبي صلى الله عليه وآله عن خيار العباد فقال: الّذين إذا احسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا اعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا .

(ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ) لما كان من شأن المتّقي كراهته للمعاصي ومحبّته للحسنات ، و من شأن نفسه الأمّارة بالسوء عكس ذلك أي كراهته للحسنات ومحبّته للمعاصي يقول عليه السلام إنّ نفسه إن لم تطعه ولم يتمكّن له في إتيان العبادات والحسنات التي تكرهها وكان ميلها ومحبّتها في السيئآت لم يعطها سؤلها ولا يطاوعها فيما تريد ، بل يقهرها على خلاف ما تكره وتحبّ ، ومحصّله أنّه يجاهد نفسه لعلمه بأنّها عدوّ له .

روى في الوسائل عن الكليني عن أحمد بن محمّد بن خالد رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام لرجل : اجعل قلبك قريناً برّاً وولداً واصلاً واجعل علمك والداً تتبعه واجعل نفسك عدوّاً تجاهده واجعل مالك عارية تردّها .

وفيه عن الصّدوق قال : ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله : الشّديد من غلب نفسه .

وعن الصّدوق عن المفضّل بن عمر قال قال الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام : من لم يكن له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوّه من عنقه .

و هذا الجهاد أعني مجاهدة النفس هو الّذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر كما مرّ في الحديث الّذي رويناه في شرح الخطبة الخامسة والثمانين ومضى هنالك أيضاً بعض الأخبار المناسبة لهذا المقام فلينظر ثمّة .

(قرّة عينه فيما لا يزول) أي سروره وابتهاجه المستلزم لقرّة عينه في الباقيات الصالحات والسعادات الاُخرويّة الباقية .

(وزهادته فيما لا يبقى) أي زهده في الدّنيا وزخارفها الفانية .

(يمزج الحلم بالعلم) قد مرّ الوصف بالحلم والعلم في قوله : وأما النهار فحلماء علماء ، وقدّمنا هناك تفسير معناهما ولا حاجة إلى الاعادة وإنّما أعاد عليه السلام الوصف بهما

قصداً إلى أنّه قدخلط حلمه بعلمه يعني قد تزيّن مع علمه بالحلم والوقار وليس بعالم سفيه جبّار .

كماقال أبوعبدالله عليه السلام في رواية الكافي : اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولاتكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم .

وفيه باسناده عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ياطالب العلم إنّ للعالم ثلاث علامات : العلم ، والحلم ، والصّمت ، وللمتكلّف ثلاث علامات : ينازع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة ، ويظاهر الظّلمة .

و فيه بسند مرفوع عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال عليه السلام لايكون السّفه والغرّة في قلب العالم ، هذا .

و قال بعض الشارحين : معنى قوله يمزج الحلم بالعلم أنّه يحلم مع العلم بفضيلة الحلم لا كحلم بعض الجاهلين عن ضعف النفس وعدم المبالات بما قيل له وفعل به، ولا بأس به.

(و) يمزج (القول بالعمل) أي يكون عمله موافقاً لقوله بأن يأمر بالمعروف ويأتي به ، وينهى عن المنكر ويتناهي عنه ، ويعد ويفي بوعده لاأن يقول مالايفعل ويعد فيخلف فيستحقّ بذلك السخط العظيم والمقت الشديد قال تعالى «ياايّها الّذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون» وقال «فكبكبوا فيها هم والغاون » .

روى في الكافي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال : هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره .

(تراه قريباً أمله) لأنّ بعد الأمل وطوله ينشأ من حبّ الدّنيا ونسيان الآخرة ، حسبما عرفته تحقيقاً وتفصيلا في شرح الخطبة الثانية والأربعين ، والمؤمن المتّقي لزهده في الدّنيا و نفرته عنها و اشتياقه إلى الآخرة لا يطول له الأمل البتّة كما

هو ظاهر

(قليلاً زلله) أى خطاه وذنبه لماله من ملكة العدالة المانعة من ارتكاب الكبائر وإصرار الصغائر .

(خاشعاً قلبه) أى خاضعاً ذليلا من تصوّر عظمة الربّ المتعال جلّ جلاله

(قانعة نفسه) بما قدّره الله تعالى في حقّه راضية بالقسم المقسوم مستغنية عن الناس .

روى في الكافي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أراد أن يكون أغنى النّاس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره .

وفيه عن عمر بن أبي المقدام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مكتوب في التوراة يا ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان من رضي من الله بالقليل من الرّزق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته وزكت مكسبته و خرج من حدّ الفجور .

وفيه عن محمّد بن عرفة عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : من لم يقنعه من الرّزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلاّ الكثير ، ومن كفاه من الرّزق القليل فانّه يكفيه من العمل القليل .

(منزوراً اكله) أى قليلا ، فانّ الجوع والتقليل من الطعام يورث رقّة القلب وصفاء الذّهن وانفاذ البصيرة و ايقاد القريحة والاستعداد للذّة المناجات والتأثّر بالذّكر والموعظة ، مضافاً إلى ما فيه من المنافع الكثيرة الّتي أشرنا إليها في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والتاسعة والخمسين .

و كفى في فضله أنّ فيه تأسّياً بالسّلف الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين وأصحابهم الأكرمين حسبما عرفت في شرح الخطبة المذكورة فليراجع ثمّة.

(سهلاً أمره) أى خفيف المؤنة لا يتكلّف لأحد ولا يكلّفه فانّ شرّ الأخوان من يتكلّف له .

(حريزاً دينه) أى محرزاً محفوظاً من تطرّق الشكوك والشّبه لرسوخه و كونه عن علم اليقين المانع من عروض الاحتمال و الخلل حسبما عرفت في شرح قوله

وايماناً في يقين.

(ميتة شهوته) قال الشارح البحراني لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرّم عليه ويعود إلى العفة.

أقول روى في الكافي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث أخافهن على اُمتي بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج

وفيه عن ميمون القداح قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام: يقول: ما من عبادة أفضل من عفة بطن و فرج.

وعن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أفضل العبادة العفاف.

وفي الوسائل عن الصدوق باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: ومن لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده.

(مكظوماً غيظه) أي محبوساً وكظم الغيظ حبسه وتكلف الحلم عند هياج الغضب قال تعالى «والكاظمين الغيظ و العافين عن الناس» مدحهم بهذه الصفة يعني أنهم يحبسون غيظهم ويتجرعونه عند القدرة.

روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن مالك بن حصين السكوني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله عز وجل «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» وأثابه الله مكان غيظه ذلك.

وفيه باسناده عن أبي حمزة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه إما بصبر وإما بحلم.

وعن سيف بن عميرة قال: حدثني من سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: من كظم غيظاً و لوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر.

والأخبار في فضله كثيرة و قد عقد في الكافي باباً عليه وما أوردناها كافية في المقام .

(الخير منه مأمول) لكثرة الخيرات الصّادرة منه وغلبتها الموجبة لأن يرجى ويؤمّل منه خيره .

(والشرّ منه مأمون) لملكة التّقوى المانعة من إقدامه على الشرور الباعثة على الأمن من شرّه .

(ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين) قال الشّارح المعتزلي والبحراني وغيرهما : يعنى أنّه إن كان مع الغافلين عن ذكر الله وفي عدادهم كتب في الذاكرين لكونه ذاكراً لله بقلبه وإن لم يذكره بلسانه .

أقول : والأظهر عندي أنّ الغرض به الاشارة إلى دوام ذكره ، يعني أنّه مع كونه بين الغافلين وفي مجلسهم لا يغفل عن ذكره عزّ وجلّ كغفلتهم عنه ، بل يداوم عليه ويكتب في زمرة الذّاكرين لعلمه بأنّ الذّكر في الغافلين يوجب مزيد الأجر.

و يدل عليه ما في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن مختار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الذّاكر لله عزّ وجلّ في الغافلين كالمقاتل في المحاربين .

وعنه عن أبيه عن النّوفلي عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام : قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارّين ، والمقاتل عن الفارّين له الجنّة

وفى الوسائل عن الشيخ باسناده عن أبي ذر عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : قال : ياأباذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين في سبيل الله .

وفيه من عدّة الدّاعي قال : قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة وغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر .

(وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين) لعدم غفلته عن الذّكر، لأنه مع عدم غفلته عنه مع كونه بين الغافلين كما عرفت آنفا فعدم غفلته عنه إذا كان في

الذّاكرين بطريق اولى ، ويجوز أن يراد به معني آخر وهو الاشارة إلى كون ذكره عن وجه الخلوص و القربة وعدم كتبه من الغافلين لأجل ذلك ، و أمّا غيره فربما يكتب من الغافلين وإن كان ذاكراً لعدم كون ذكره عن وجه الاخلاص بل بقصد الرّيا كماقال تعالى في حقّ المنافقين «يخادعون الله وهوخادعهم وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالي يراؤن النّاس ولايذكرون الله إلاّ قليلا» .

قال بعض المفسّرين: إنمّا وصف الذّكر بالقلّة لأنّه سبحانه لم يقبله و كلّ ماردّه الله فهو قليل .

روى الطبرسي في مجمع البيان عن العياشي باسناده عن مسعدة بن زياد عن أبيعبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل فيم النّجاة غداً ؟ قال : النّجاة أن لاتخادعوا الله فيخدعكم فانّه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لوشعر، فقيل : إنّه فكيف يخادع الله ؟ قال : يعمل بما أمره الله ثمّ يريد به غيره ، فاتّقوا الرّيا فانّه شرك بالله إنّ المرائي يدعي يوم القيامة بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، حبط عملك و بطل أجرك ولاخلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل به .

فقد ظهر بذلك أنّ الذّكر المشوب بالرّيا غير مكتوب في صحايف الحسنات بل في صحايف السيّئآت ، والذّاكر كذلك مكتوب في الخائبين الخاسرين فضلاً عن الغافلين ، هذا .

ولا يخفى حسن المقابلة و المطابقة بين هذه القرينة و القرينة السابقة من كلامه عليه السلام وهي من مقابلة الثلاثة بالثلاثة .

(يعفو عمّن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه) هذه الصّفات الثلاث من مكارم الأخلاق ومحامد الخصال ، فالاُولى مندرجة تحت الشجاعة ، والثانية مندرجة تحت السخاء ، والثالثة مندرجة تحت العفّة ، وقد ورد الأخبار في فضلها كثيراً .

منها مارواه في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطبة: ألا اُخبركم بخير خلايق «أخلاق خ» الدّنيا والآخرة : العفو عمّن ظلمك

وتصل من قطعك ، والاحسان إلى من أساء إليك ، وإعطاء من حرمك .

وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادي مناد أين أهل الفضل ، قال : فيقوم عنق من النّاس فتلقّاهم الملائكة فيقولون : وما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا ، قال : فيقال لهم : صدقتم ادخلوا الجنّة

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء إلاّ عزّاً : الصّفح عمّن ظلمه ، وإعطاء من حرمه ، والصّلة لمن قطعه .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة أوردها الكليني في باب العفو من الكافي ولا مهمّ بنا إلى الاطالة ، هذا .

وانّما خصّ العفو بمن ظلمه لقوّة الدّاعي الى الانتقام عنه وحاجة العفو حينئذ إلى مجاهدة نفسانيّة كاملة وكذلك إعطاء من حرمه وصلة من قطعه .

قال بعض شرّاح الكافي : من صفات الكرام العفو عن الظّلم والتّجاوز عن المسيء ، ومن صفات اللّئام الانتقام وطلب التّشفي والمعاقبة لدفع الغيظ وهو آفة نفسانية تغيّر الجهّال والنّاقصين من أجل تأثّر نفوسهم عن كلّ مايخالف هواها .

و أمّا إعطاء من حرمك فالمقصود به أنّه إذا أحسنت إلى أحد و لم يقابل إحسانك باحسان أوقابلك بالاساءة والكفران ، فلا ترغب عن احسانه بكفرانه ، فانّه إذا لم يشكرك فقد يشكرك غيره ولو لم يشكرك أحد فانّ الله يحبّ المحسنين كما نطق به الكتاب المبين ، وكفى شرفاً وفضلاً بأن تخاطب بخطاب أين أهل الفضل يوم حشر الأوّلين والآخرين .

و أمّا صلة من قطعك فالمراد بها وصله بالمال واليد واللّسان ومراقبة أحواله بقدر الامكان لاسيما إذا كان من الأرحام حسبما عرفت في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثّالثة والعشرين على بسط وتفصيل .

(بعيداً فحشه) إن اُريد بالفحش معناه الظاهر أي السبّ وبذاءة اللّسان فلابدّ

من صرف لفظ البعيد عن ظاهره وجعله كناية عن العدم، وإن ابقى البعد على ظاهره المفيد لاقدامه على الفحش احيانا فلابدّ من ارتكاب التأويل في لفظ الفحش وجعل المراد به فضول الكلام والقول القبيح الغير البالغ إلى حدّ الحرام لئلاّ ينافى ملكة العدالة والتّقوى الّتى للمتّقى .

و كيف كان فالفحش بمعناه الظاهر من الموبقات العظيمة ، وقد حذّر منه في الأخبار الكثيرة وبشّر الفحّاش بالنّار .

مثل ما في الكافي باسناده عن أبى بصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال : من علامات شرك الشّيطان الّذى لايشكّ فيه أن يكون فحاشاً لايبالى بما قال ولا بما قيل له .

وعن عبدالله بن سنان عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيتم الرّجل لايبالى ماقال ولاما قيل له فانّه لغيّة أوشرك شيطان .

وعن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ قليل الحياء لايبالى ماقال ولاماقيل له ، فانّك إن فتّشته لم تجده إلاّ لغيّة أو شرك شيطان قيل : يا رسول الله و في النّاس شرك شيطان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما تقرء قول الله عزّ وجل «وشاركهم في الأموال والأولاد» قال : وسأل رجل فقيهاً هل في النّاس من لايبالى ماقيل له ؟ قال : من تعرّض النّاس بشتمهم وهو يعلم انّهم لايتركونه فذلك لايبالى ماقال ولاماقيل له .

وعن سماعة عن أبيعبدالله عليه السلام : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه .

وعن أبى عبيدة عن أبيعبدالله عليه السلام : قال : البذاء من الجفاء والجفاء في النّار .

(ليّناً قوله) أى يتكلّم بالرّفق ولايغلظ في كلامه ، فانّ الرّفق في القول يوجب المحبّة ويجلب الالفة ويدعو إلى الاجابة عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولذلك أمر الله عزّ وجل موسى وهارون عليهما السلام عند بعثهما إلى فرعون بأن يقولا له قولا ليّناً ليكون أسرع إلى القبول وأبعد من النّفور .

وروى في الكافي باسناده عن عمّار السّاباطى عن أبيعبدالله عليه السلام قال : كان

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى النّاس و الاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك.

(غائبا منكره حاضراً معروفه) أى مفقوداً أعماله القبيحة المحرّمة موجوداً أعماله الحسنة المتضمّنة للرّجحان الشرعى من الواجبات والمندوبات.

(مقبلاً خيره مدبراً شرّه) يعنى أنّه من الأخيار كثير الخير قليل الشّر كما وصفه سابقاً بقوله: الخير منه مأمول والشّر منه مأمون.

ومحصّل معناه أنّ خيره في إقبال يزيد شيئاً فشيئاً و شرّه في إدبار ينقص شيئاً فشيئاً إذ بقدر الزيادة في طلب الخير يحصل النّقيصة في جانب الشّر لأنّ كثرة أحد المتضادّين توجب بمقتضى التضّاد قلّة الآخر كما هو ظاهر.

(في الزّلازل وقور) يعني أنّه في النوازل و الشّدايد و الحوادث العظيمة الموجبة لاضطراب النّاس متّصف بشدّة الوقار و الرّزانة والسّكينة و الثّبات كالجبل لاتحرّكه العواصف، والوقار من جنود العقل ويقابله الخفّة وهي الطيش والعجلة من جنود الجهل.

(و في المكاره صبور وفي الرّخاء شكور) لأنّ الايمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر كما في الحديث المرفوع في احياء العلوم عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمتّقي بماله من وصف التّقوى والايمان قد أكمل بأخذهما كلا شطرى الايمان.

وإنّما كانا نصف الايمان لأنّ الايمان الكامل حسبما عرفت فيما تقدّم هو ما تضمّن العلم والعمل، وكلّ ما يلاقيه العبد من الأعمال ينقسم الى ماينفعه في الدّنيا والآخرة وإلى مايضرّه فيهما، وله بالاضافة إلى مايضرّه ويكرهه طبعه حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر.

(لايحيف على من يبغض) أى لايظلمه مع قوّة الدّاعي إلى الحيف وهو البغض والعداوة (ولايأثم فيمن يحبّ) مع قيام الدّاعي إلى الاثم وهو المحبّة.

ومحصّل هاتين الفقرتين أنّه لايخرجه الحبّ والبغض عن تكليفه الشرعي

إلى مايخالفه كما هوشأن قضاة السوء وامراء الجور ووظيفة أهل الهوى والعصبيّة .

(يعترف بالحقّ قبل أن يشهد عليه) لأنّ مسيس الحاجة إلى الاشهاد إنّما يكون في صورة الانكار و إنكار الحق كذب صريح مناف للتّقوى والعدالة .

(لايضيّع مااستحفظ) أي لا يضيّع ما أمر الله بمحافظته من الصلوات الخمس ونحوها من الطاعات قال سبحانه « حافظوا على الصّلوات والصلوة الوسطى » وقال أيضاً « و الّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون » و بشّر الحافظين لها في سورة المؤمنين بقوله « والّذينهم على صلواتهم يحافظون ✿ اولئك هم الوارثون الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » وفي سورة المعارج بقوله « والّذينهم على صلوتهم يحافظون ✿ اولئك في جنّات مكرمون » .

والمراد بمحافظتها محافظة أوقاتها وحدودها و مراعات آدابها و شرايطها والمداومة عليها ، و ضدّ المحافظة التّهاون والأوّل من جنود العقل ، والثاني من جنود الجهل كما في حديث الكافي ، والمراد بالتضييع هنا الأعمّ من الترك والتهاون والاخلال بالحدود الموظفة .

(ولا ينسى ما ذكر) التذكّر والنّسيان أمران متقابلان ، والأوّل من جنود العقل والثّاني من جنود الجهل .

و توضيح معناهما حسبما أوضحه بعض المحقّقين أنّ الادراك فينا عبارة عن حصول الصّورة العقليّة أو الحسّيه في قوّة من قوانا ، و تلك القوّة هى المسمّاة بالمدركة . والحفظ عبارة عن وجود تلك الصّورة في قوّة اخرى فوقها هى المسمّاة بالخزانة والحافظة ، و التّذكّر عبارة عن استحضار تلك الصّورة مرّة اخرى من الحافظة بعد اختزانها فيها ، والنّسيان عبارة عن زوالها عن المدركة والحافظة بما هى حافظة جميعاً ، والسّهو عبارة عن زوالها من المدركة فقط لا من الحافظة .

إذا عرفت ذلك فأقول : إنّ المراد بقوله لاينسى ما ذكر أنّه لاينسى المتّقى ما ذكره الله سبحانه بآيات كتابه الكريم من الفرايض والأحكام و العبر و الأمثال وغيرهاممّافيه تذكرة وذكرى لاُولي الألباب ، بل يعمل بهاويداوم على ملاحظتها

ويكثر من اخطارها بباله ولايغيبها عن نظره ·

(ولاينابز بالألقاب) لكون النّبز منهيّاً عنه في الكتاب الحكيم قال سبحانه « ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » أى لايدعو بعضكم بعضاً باللقب السوء مثل قول الرّجل للرّجل ياكافر يا فاسق يا منافق بئس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الايمان ، والنكتة في النهي عنه كونه موجباً للتباغض والعداوة و إثارة الفتن .

(ولا يضارّ بالجارّ) لوجوب كفّ الأذى عن الجار كما صرّح به في غير واحد من الأخبار .

روى في الوسائل عن الكليني باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال : قال : قرأت في كتاب عليّ عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب : انّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا اثم وحرمة الجار على الجار كحرمة أُمه .

وعن عمرو بن عكرمة عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل من الأنصـار فقال : إني اشتريت داراً من بني فلان وانّ أقرب جيراني منّي جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شرّه ، قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وسلمان وأباذر ونسيت آخر وأظنه المقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى صوتهم بأنه : لاايمان لمن لم يأمن جاره بوايقه ، فنادوابها ثلاثاً ثمّ اومى بيده إلى كلّ أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله .

وعن أبي حمزة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : المؤمن من آمن جاره بوايقه ، قلت : ما بوايقه ؟ قال : ظلمه وغشمه .

و فيه عن الصدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عن عليّ عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المناهي قال : من أذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنّم وبئس المصير ، ومن ضيّع حقّ جاره فلس منّا ومازال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنه سيورثه ، وما زال يوصيني بالمماليك

حتى ظننت أنه سيجعل لهم وقتا إذا بلغوا ذلك الوقت اعتقوا، ومازال يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه سيجعله فريضة، وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار امتي لن ينامو.

(ولا يشمت بالمصائب) لأن المصائب النازلة إنما هي بقضاء من الله عز وجل وقدر والشامت بسبب نزولها بغيره في معرض أن تصيبه مثلها فكيف يشمت ويفرح بمصيبة نزلت به.

روى في الكافي باسناده عن أبان بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تبدى الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيّرها بك.

و قال عليه السلام من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيـا حتى يفتتن، هذا.

مضافاً إلى أن في الشماتة بالمؤمن كسراً لقلبه وإدخالا للحزن عليه، و هو خلاف غرض الشارع.

و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأيتم أهل البلا فاحمدوا الله ولا تسمعوهم فان ذلك يحزنهم رواه في الكافي عن حفص بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله

(ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق) الأولى أن يراد بالباطل كلّما يبعد من الله تعالى، و بالحق كلّما يقرب منه عز وجل، فالمعنى أنه لا يخرج عن سمت الهدى إلى مسلك الضلال والردى.

(إن صمت لم يغمه صمته) لأنه بمقتضى عقله و كماله يضع كلاً من الصمت والكلام في موضعه اللايق به ومقامه المناسب له، فلا يكون داع إلى التكلّم في مقام مقتض للصمت حتى يكون إمساكه عن التكلّم موجباً لاغتمامه.

وبعبارة اخرى الاغتمام بالصمت إنما يكون ممن تعود لسانه بالهذر أي الهذيان وفضول الكلام واعتاد الخوض فيما لا يعني، وأهل التقوى لعلمهم بما في الصمت من الثمرات الدنيوية والاخروية، وبما في الكلام من المفاسد والآفات الكثيرة كالخطاء والكذب والغيبة والنميمة والريا والنفاق والفحش والجدال وتزكية النفس والخوض

في الباطل والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات إلى غير هذه من الآفات اعتادوا أن لا يزيدوا في كلامهم على قدر الحاجة ، و التزموا الصمت إلا في مقام الضرورة .

وإلى ذلك ينظر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام إن كان كلامك من فضة فأيقن أن السكوت من ذهب وقيل : أليق شيء يكون في السجن هو اللسان ، وقيل : اللسان صغير الجرم عظيم الجرم

قال أبو بكر بن عياش : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند وملك الصين و كسرى وقيصر فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل ، وقال الثاني : إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها و إذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني ، وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه ، و قال الرابع : أنا على رد مالم أقل أقدرمني على رد ماقلت .

وقد ورد في مدح الصمت وذم التكلم من الأخبار ماهو غير محصور .

مثل ما في الكافي باسناده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قال أبو الحسن عليه السلام : من علامات الفقه العلم والحلم والصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة إن الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير .

وعن الحلبي رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أمسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال : ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه .

وعن الحلبي أيضاً رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نجاة المؤمن من حفظ لسانه .

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : كان أبوذر يقول : يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك و ورقك .

وعن عمر بن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : كان المسيح يقول : لاتكثروا

الكلام في غير ذكر الله فانّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون .

وعن الوشا قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : كان الرّجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين .

و عن منصور بن يونس عن أبيعبدالله عليه السلام قال : في حكمة آل داود : على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه .

إلى غيرهذه ممّا لم نطل بروايتها ، وقد مضى بعضها في شرح الخطبة السّابعة و السّبعين .

(وإن ضحك لم يعل صوته) لأنّ ضحك المؤمن التّبسّم والقهقهة من الشيطان كما رواه في الوسائل من الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام .

و فيه أيضاً من مجالس الشّيخ عن هارون بن عمرو بن عبدالعزيز عن محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبيه أبيعبدالله عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: كان ضحك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم التّبسّم ، فاجتاز ذات يوم بفتية من الأنصار و إذاهم يتحدّثون و يضحكون ملأ أفواههم ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : مه ياهؤلاء من غرّه منكم أمله وقصّر به في الخير عمله فليطلع القبور وليعتبر بالنّشور واذكروا الموت فانّه هادم اللّذات

ومن مجالس الصّدوق بسنده عن معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال كان بالمدينة رجل بطّال يضحك النّاس فقال : قد أعياني هذا الرّجل أن أضحكه يعني عليّ بن الحسين عليهما السلام ، الحديث وفيه إن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قولوا له : إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون .

ومن عيون الأخبار عن الرّضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قال الصّادق عليه السلام : كم ممّن أكثر ضحكه لاغياً يكثر يوم القيامة بكاؤه ، وكم ممّن كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامة في الجنّة ضحكه وسروره .

(وإن بغي عليه صبر حتّى يكون الله هو الّذي ينتقم له) يعني إن ظلمه أحد

وتعدّى عليه صبر على ذلك وفوّض أمره إلى الله عزّ وجلّ حتّى ينتقم له من الباغي لأنّه تعالى قد وعد له النصرة في كتابه العزيز بقوله « ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله » أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه ثمّ ظُلم عليه لينصرنّه الله أي المظلوم الّذي بغى عليه لامحالة ، وإنّما يصبر المتّقي على بغى الباغي ولا يجازيه عملا بقوله سبحانه « و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين » يعني إن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ماعوقبتم به ولاتزيدوا عليه ولئن تركتم المكافاة و القصاص و جرعتم مرارته لهو أي الصّبر خير وأنفع للصّابرين لمافيه من جزيل الثواب .

(نفسه منه في عناء و النّاس منه في راحة) أي نفسه منه في تعب و مشقّة لمجاهدته لها و مخالفته لهواها و حمله إيّاها على ماتكره وردعه لها عمّاتحبّ كما عرفت في شرح قوله عليه السلام : إن استصعبت عليه نفسه فيماتكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ ، كلّ ذلك لعلمه بأنّها أمّارة بالسّوء وأنّها له عدوّ مبين ، ولذلك كان النّاس منه في راحة ، لأنّ ايذاء النّاس من هوى الأنفس فاذا كان قاهراً لها على خلاف هواها يكون النّاس مأمونين من شرّها مستريحين من أذاها

(أتعب نفسه لآخرته وأراح النّاس من نفسه) وهذه الجملة في الحقيقة تعليل و توضيح للجملة السّابقة ، لأنّه لماقال هناك : نفسه منه في عناء ، علّله هنا بأنّ إتعابه لنفسه إنّما هو لأجل آخرته .

فقد روى في الوسائل عن الصّدوق عن شعيب العرقوفي عن الصّادق عليه السلام : قال : من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضي حرّم الله جسده على النّار .

ولمّا قال ثمّة : النّاس منه في راحة ، أوضحه هنا بأنّ استراحتهم من شرور نفسه لمجاهدته لها .

كماروى في الوسايل عن الصدوق عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام في وصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : قال : يا عليّ أفضل الجهاد من أصبح لايهمّ بظلم أحد

(بعده عمّن تباعد عنه زهدونزاهة) يعنى بعده عن أهل الدّنيا وعن مجالسهم من باب الزّهد والتباعد عن مكروههم وأباطيلهم .

(ودنوّه ممّن دنامنه لين ورحمة) أى قربه من المؤمنين من باب التعاطف والتواصل كماقال تعالى «محمّد رسول الله والّذين آمنوا معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم» .

قال فى مجمع البيان: قال الحسن: بلغ تشدّدهم على الكفّار أن كانوا يتحرّزون من ثياب المشركين حتّى لايلتزق بثيابهم ، و عن أبدانهم حتّى لاتمسّ أبدانهم ، وبلغ تراحمهم فيهما بينهم أن كان لايرى مؤمن مؤمناً إلّاصافحه و عانقه .

روى فى الكافى باسناده عن شعيب العقرقوفى قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لأصحابه : اتّقوا الله و كونوا اخوة بررة متحابّين فى الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه .

وعن كليب الصيّداوى عن أبيعبدالله عليه السلام قال : تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا اخوة بررة كما أمركم الله عزّوجلّ .

وعن أبى المعزاعن أبيعبدالله عليه السلام قال : يحقّ على المسلمين الاجتهاد فى التواصل والتعاون على التعاطف و المواساة لأهل الحاجة و تعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّوجلّ رحماء بينهم متراحمين مغتمين لماغاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

فقد ظهر بذلك أنّ تباعده وتدانيه عمّن تباعد عنه ودنى منه من باب المواظبة على الوظايف و الآداب الشرعيّة وأنّه (ليس تباعده بكبروعظمة ولا دنوّه بمكر وخديعة) كما هوفعل أبناء الدّنيا و ذوى الأغراض الفاسدة و من شأن أهل النفاق يخادعون الله وهوخادعهم ، وإذالقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا واذاخلوا الى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزؤن .

(قال) الرّاوى للحديث (فصعق همام صعقة) أى غشى عليه غشوة من فزع ما سمع من الموعظة البالغة كماخرّ موسى عليه السلام صعقاً أى مغشياً عليه من هول مارأى (كانت نفسه فيها) أى مات فى تلك الغشوة وخرج روحه من بدنه

قال الشارح المعتزلي : اعلم أنّ الوجد أمر شريف قد اختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا ، و قالت الصوفية فيه أقوالا .

أما الحكماء فقالوا : الوجد حالة تحدث للنفس عند انقطاع علايقها عن المحسوسات بغتة إذا كان قد ورد عليها وارد مشوّق ، و قال بعضهم : الوجد هو اتّصال النفس بمباديها المجرّدة عند سماع مايقتضي ذلك الاتّصال .

وأمّا الصّوفيّة فقد قال بعضهم : الوجد رفع الحجاب و مشاهدة المحبوب وحضور الفهم و ملاحظة الغيب ومحادثة السرّ وهوفناؤك من حيث أنت أنت ، و قال بعضهم : الوجد سرّ الله عند العارفين ومكاشفة من الحقّ يوجب الفناء ، والأقوال فيه متقاربة المعني وان اختلّ العبارة ، انتهى .

وهي كلّها مخالفة لمذاق أهل الشّرع منافية للأخبار .

وكيف كان (فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها) أى تلك الصعقة الّتي فيها موت همّام (عليه ثمّ قال عليه السلام : هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ، فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين) لا تصنع موعظتك بك ماصنعت بهمّام (فقال : ويحك إنّ لكلّ أجل) محتوم (وقتاً) معيّناً (لايعدوه) أى لايتجاوزه ولا يتأخّر عنه كما قال تعالى «إنّ أجل الله إذاجاء لايؤخّر» (وسبباً) أى علّة معيّنة (لايتجاوزه) أى لايتجاوزعنه إلى سبب آخر .

ومحصّل الجواب أنّ كلّ انسان له أجل حتمي مقدّر و وقت معيّن لموته لايتقدّم ولا يتأخّر وعلّة معيّنة لأجله لاتتبدّل ولاتتغيّر كما قال تعالى « وماكان لنفس ان تموت الاّ باذن الله كتابا مؤجّلا» و على ذلك فانّما مات همّام باستماع الموعظة البالغة لأنّه قدتمّ عمره وبلغت مدّة حياته الّتي قدّرت في حقّه غايتها مع حصول السبب المعين المكتوب في امّ الكتاب لموته وهو الانفعال بالموعظة

وأما أنا فلم يكمل أيامي بعد ولم يبلغ أجلي غايته والسبب المقدّر فيحقي غيرهذا السبب وهوما أنتظره من ضربة ابن ملجم المرادي عليه اللّعنة والعذاب .

والحاصل أنّ مشية الله واذنه عزّوجل قدتعلّق بموت همام عن سببه الذي حصل

ولم يتعلّق بعد بموتى ولم يحصل سببه ، وان شئت مزيد توضيح لذلك فعليك بالكلام الحادى و الستّين وشرحه ، هذا .

و لما أجاب عليه السلام عن اعتراض القائل نهاه عن العود إلى مثل ذلك بقوله (فمهلا لاتعد لمثلها) أى لاترجع إلى مثل تلك الكلمة (فانما نفث الشيطان) أى نفخ وتكلّم (على لسانك) .

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة حسبما اشرت اليه سابقاً مرويّة في الكافي باختلاف كثير جدّاً اقتضي المقام روايتها بالسّند الّذى فيه واتباعها ببيان غرايب ألفاظها فأقول وبالله التوفيق:

روى ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكليني قدّس الله روحه عن محمّد بن يحيى عن جعفر عن محمّد بن إسماعيل عن عبدالله بن زاهر عن الحسن بن يحيى عن قثم بن أبي قتادة الحرّاني عن عبدالله بن يونس عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

قام رجل يقال له همّام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب ، فقال يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأنّنا ننظر إليه فقال عليه السلام :

يا همام المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً ، وأذلّ شيء نفساً ، زاجرٌ عن كلّ فان ، حاضٌ عن كلّ حسن ، لا حقودٌ ، ولاحسودٌ ، ولاوثّابٌ، ولاسبّاب ، ولاعيّاب ، و لا مغتابٌ، يكره الرّفعة ، و يشنأُ السمعة ، طويل الغمّ ، بعيد الهمّ ، كثير الصّمت ، و قورٌ، ذكور ، شكورٌ ، مغمومٌ بفكره ، مسرورٌ بفقره ، سهل الخليقة ، لين العريكة ، رصين الوفاء ، قليل الاذى ،لامتأفّكٌ ، ولامتهتّكٌ ، إن ضحك لم يخرق ، و إن غضب لم ينزق ، ضحكه تبسّمٌ ، واستفهامه تعلّم ، ومراجعته تفهّمٌ ، كثير علمه ، عظيمٌ حلمه، كثير الرّحمة، لايبخل، ولا يُعجل، ولايضجر، ولايبطر، ولايحيف في حكمه ، ولايجور في علمه ، أصلب من الصّلد ، ومكادحته أحلي من الشهد ، لاجشعٌ ، ولا هلعٌ ، و لا عنفٌ ، ولا

صلف، ولامتكلّف، ولامتعمّق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر، ولايتهتّك، ولايتجبّر، خالص الودّ، وثيق العهد، وفي العقد، شفيق وصول، حليم خمول، قليل الفضول، راض عن الله عزّ وجلّ، مخالف لهواه، لايغلظ على من دونه، «يؤذيه خ» ولايخوض فيما لايعنيه، ناصر للدّين، محام عن المؤمنين كهف للمسلمين، لايخرق الثناء سمعه، ولاينكي الطمع قلبه، ولا يصرف اللّعب حكمه، ولايطلع الجاهل علمه، قوّال، عمال، عالم، حازم، لابفحّاش، ولابطيّاش، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف، لابختّار، ولابغدّار، ولايقتفي اثراً، ولا يحيف بشراً، رفيق بالخلق، ساع في الأرض، عون للضعيف، غوث للملهوف، لايهتك ستراً، ولايكشف سرّاً، كثير البلوى، قليل الشكوى، إن رأى خيراً ذكره، وان عاين شرّاً ستره، يستر العيب، ويحفظ الغيب، ويقيل العثرة، ويغفر الزّلّة، لايطلع على نصح فيذره، ولا يدع جنح حيف فيصلحه، أمين، رصين، تقي، نقي، زكي، رضي، يقبل العذر، ويجمل الذّكر، ويحسن بالنّاس الظنّ، ويتّهم على العيب نفسه، يحبّ في الله بفقه وعلم، ويقطع في الله بحزم وعزم، لايخرق به فرح، ولا يطيش به مرح، مذكّر للعالم، معلّم للجاهل، لايتوقّع له بائقة، ولايخاف له غائلة، كلّ سعي أخلص عنده من سعيه، وكلّ نفس أصلح عنده من نفسه، عالم بعيبه، شاغل بغمّه، لايثق بغير ربّه، غريب «خل قريب»، وحيد حزين، يحبّ في الله ويجاهد في الله ليتّبع رضاه، ولاينتقم لنفسه بنفسه، ولايوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصّدق، موازر لأهل الحقّ، عون للغريب، أب لليتيم بعل للأرملة، حفي بأهل المسكنة، مرجوّ لكلّ كريهة، مأمول لكلّ شدّة، هشّاش، بشّاش، لابعبّاس، ولا بجسّاس، صليب، كظّام، بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لا يبخل، وإن بخل عليه «خ ل عنه» صبر، عقل فاستحيي، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، و ودّه يعلو حسده، و عفوه يعلو حقده، لاينطق بغير صواب، ولا يلبس إلاّ الاقتصاد، مشيه التّواضع، خاضع لربّه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غشّ ولا خديعة،

نظره عبرة ، وسكوته فكرة ، وكلامه حكمة ،مناصحاً، متبادلاً ، متواخياً، ناصح في السر والعلانية ، لايهجر أخاه، ولايغتابه ،ولايمكر به، ولايأسف على مافاته ، ولايحزن على ما أصابه ، ولا يرجو ما لايجوزله الرجا ، و لا يفشل في الشدة، و لا يبطر في الرخا ، يمزج العلم بالحلم ، والعقل بالصبر ، تراه بعيداً كسله ، دائماً نشاطه، قريباً أمله ، قليلاً زلله ، متوقعاً لأجله ، خاشعاً قلبه ، ذاكراً ربه، قانعةً نفسه ، منفياً جهله ، سهلاً أمره ، حزيناً لذنبه ، ميتةً شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه ، آمناً منه جاره ، ضعيفاً كبره ، قانعاً بالذى قدرله ، مبينا « متيناً خ » صبره ، محكماً أمره كثيراً ذكره ، يخالط الناس ليعلم ، ويصمت ليسلم ، ويسأل ليفهم ، ويتجر ليغنم ، لا ينصب للخير ليفخر به ، ولايتكلم ليتجبر به على من سواه ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه ، إن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له ،بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة ، ودنوه ممن دنامنه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبراً ولا عظمة ، ولا دنوه خديعة ولا خلابة ، بل يقتدى بمن كان قبله من أهل الخير ، فهو امام لمن بعده من أهل البر .

قال: فصاح همام صيحة ثم وقع مغشياً عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال : هكذا تصنع الموعظة « المواعظ خ » البالغة بأهلها فقال له عليه السلام قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام : إن لكل أجلا لن «لا خ» يعدوه وسبباً لايجاوزه ، فمهلا لا تعد فانما نفث على لسانك شيطان .

بيان

« الكيس » العاقل من الكيس وزان فلس خلاف الحمق وقيل : جودة القريحة و قوله : « و لاوثاب » أى ليس بخفيف من وثب وثوباً قام بسرعة قوله : « وقور » أى كثير الوقار في الأمور الموجبة لاضطراب الناس .

قوله « لين العريكة » أى سلس مطيع منقاد والعريكة الطبيعة قوله « رصين الوفاء » بالصاد المهملة الحكم الثابت والحفى بحاجة صاحبه من رصنه أى أحكمه

و أكمله قوله « إن ضحك لم يخرق » أى لم يشقّ فاه حتّى يبلغ ضحكه القهقهة قوله « إن غضب لم ينزق » أى لايأخذه الخفّة والطيش عند الغضب قوله « ولابطر» من البطر وهو الطغيان عند النعمة . وقيل التّجبّر وشدّة النشاط .

قوله « أصلب من الصّلد » أى لايدخل قلبه ريب ولا جزع ، والصّلد الحجر الصّلب الأملس قوله « مكادحته » أى عمله وسعيه أحلى من العسل قوله « لاجشع ولاهلع » الجشع أشدّ الحرص على الطّعام و أسوئه ، و الهلع أفحش الجزع قوله « ولاعنف ولاصلف » العنف وزان كتف من لا رفق له في قوله وفعله ، والعنيف مثله والصّلف ككتف أيضاً من لا يتكلّم بما يكرهه صاحبه ويمدح نفسه و لا خير عنده يقال سحاب صلف أى قليل الماء كثير الرّعد .

قوله « لايتهوّر ولايتهتّك » التّهوّر الوقوع في الأمر بقلّة مبالاة، والتهتّك خرق السّتر والافتضاح قوله « خمول قليل الفضول » أى خامل الذكر وقليل فضول كلامه قوله « لايخرق الثّناء سمعه » لكون أعماله لله لا للنّاس ، فلا يؤثّر فيه ثناؤهم و مدحهم .

قوله : « ولاينكى الطمع قلبه » أى لايجرحه ولايؤثّر فيه تأثير الجرح قوله « عالم حازم » في بعض النّسخ بالحاء المهملة من الحزم وهو التثبّت في عواقب الأمور ، وفي بعضها بالجيم قوله « ولابطيّاش » الطيش النزق والخفّة قوله « ولا بختّال » أى بخدّاع من الختل وهو المخادعة قوله « ولايدع جنح حيف فيصلحه » أى لايترك ظلام ظلم واصلاحه قوله « لايخرق به فرح » من الخرق بالخاء المعجمة والرّاء المهملة وهو الحمق والجهل وضعف العقل قوله « و لا يطيش به مرح » المرح شدّة النّشاط و الفرح .

و « البائقة » النّازلة الشّديدة والشرّ و الدّاهية و « الغائلة » الفساد والشرّ وقوله «حفىّ بأهل المسكنة » أى بارّ معين قوله « هشّاش بشّاش » من الهشاشة وهو طلاقة الوجه قوله «لايهجر أخاه» الهجر الهذيان ويحتمل أن يكون من الهجر أى الترك والمفارقة قوله « ويتّجر ليغنم» أى يتّجر للآخرة .

قوله « ولا دنوّه خديعة ولا خلابة » الخلابة بكسر الخاء المعجمة و تخفيف اللاّم الخديعة باللسان بالقول اللطيف من خلبه يخلبه من باب قتل وضرب خدعه ، والاسم الخلابة والفاعل خلوب كرسول .

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن امام دين است دروصف متقين .

روايت شده كه مصاحبى بود ازبراى أمير المؤمنين عليه السلام همام نام كه شخص عابدى بودپس گفت بآنحضرت كه ياأمير المؤمنين وصف كن ازبراى من پرهيز كاران را تااينكه گويامن نگاه مينكم بسوى ايشان ، پس سنگينى ورزيدند ودرنگ كردند آنحضرت از جواب او ، وبعداز آن فرمود اى همّام بپرهيز ازخدا وكار نيك بكن پس بدرستى كه خدايتعالى يار پرهيزكارانست وبا نيكوكاران .

پس قناعت نكرد همام باين جواب تااينكه سوگند داد برحضرت در جواب گفتن پس حضرت حمد وثناى خدا را بجا آورد وصلوات فرستاد برپيغمبر وآل او پس گفت :

أما بعد پس بتحقيق كه خداوند سبحانه ايجاد فرمود مخلوقات را وقتى كه ايجاد فرمود ايشان را درحالتى كه بى‌نياز بود از طاعت ايشان ، وايمن بود از ضرر معصيت ايشان ، ازجهت اينكه ضرر نمى‌رساند اورا معصيت كسى كه معصيت نمود ، و منفعت نمى‌بخشد اورا اطاعت كسى كه‌اطاعت نمود ، پس‌قسمت فرمود در ميان مخلوقات معيشتها و گذرانى ايشان را ، و گذاشت ايشانرا از دنيا درجايگاه ايشان كه لايق شأن ومناسب حال هريكى باشد .

پس پرهيزكاران در دنيا ايشانند أهل فضيلتها ، گفتار ايشان راست ودرست ، ولباس ايشان حدّ وسط است ، و رفتار ايشان تواضع و فروتنى است ، پوشيده‌اند چشمهاى خودرا ازچيزى كه‌خداحرام كرده‌برايشان ، وواداشته‌اند گوشهاى‌خود را برشنيدن علم منفعت بخشنده از براى ايشان ، نازل شد نفسهاى ايشان از ايشان

دربلا وشدّت مثل نزول آنهادررفاه وفراخی ـ یعنی ایشان رضا بقضادارند وشاکرند بطیب نفس بآنچه که در حقّ ایشان مقدّر شده ـ اگر نبود أجل معیّنی که نوشته شده‌است ازبرای ایشان هرآینه‌قرار نمیگرفت روحهای ایشان دربدنهای ایشان لحظهٔ ازجهت اشتیاق بثواب وترسیدن ازعقاب.

بزرگ شد خالق تعالی درپیش نفسهای ایشان پس کوچك شد ماسوای خالق درنظر ایشان پس حال ایشان با بهشت حال کسی‌است با رأی العین دیده باشد اورا پس در آنجا بنازونعمت گذرانده باشد، وحال ایشان باجهنم حال کسی‌است که دیده باشد آنرا پس درآنجا معذّب باشد ـ یعنی ایشان در امر بهشت وجهنم اعتقاد یقینی دارند بمنزلهٔ‌مشاهده ـ.

قلبهای ایشان غمگین ومحزونست ومردم از شرهای ایشان آسوده وایمنند، و بدنهای ایشان لاغر وضعیف، وحاجت و خاهشات ایشان سبك و خفیف، نفسهای ایشان با عفت است، صبر وتحمل کردند برزحمات چند روز کوتاه که عاقبت آن راحت وآسایش‌دراز گردید، تجارت با منفعتی است که میسر ساخت ازبرای ایشان پروردگار ایشان.

خواست ایشان را دنیا پس‌نخواستندایشان دنیارا، واسیر کرد ایشان را دنیا پس‌دادندنفسهای‌خودشان‌ازدنیا ـ یعني بمقتضای‌شهوت‌وغضب‌جبلی انسانی که‌درایشان بود نزدیك بود که ایشان مفتون دنیا باشند وأسیرشهوات نفسانیهٔ آن‌شوند ولیکن ایشان بمقتضای قوّهٔ عقلانیه ترك لذایذ دنیویه کرده خودشان را ازقید اسیری دنیا خلاص نمودند ـ

أما حالت ایشان در شب پس صف زنندگانند بپاهای خودشان در حالتی که تلاوت کنندگان باشند جزئهای قرآن را درحالتی که نیك قرائت می کنند آن‌را نیك قرائت کردنی، باتأنّی‌وحفظ وقوف وأداء حروف، محزون مینمایندبسبب قراءة آن نفسهای خودشان را، وبهیجان می‌آورند با آن دواء درد خودشان را

پس اگر بگذرند دراثنای قرائت آن بآیهٔ که درآن‌تشویقی باشد بسوی بهشت

اعتماد می کنند بآن ومایل می‌شوند بسوی آن آیه ازجهت طمع آن‌بشارت ومطلع باشد نفسهایشان بسوی آن ازروی‌شوق و گمان کنند که آن‌آیه-یعنی وعدهٔ بهشت که مضمون آن‌آیه است- پیش چشم ایشان است .

واگر بگذرند بآیهٔ که در آن ترساندن ازعذاب باشد متوجه باشند بسوی آن باگوشهای قلبهای خودشان ، وگمان می کنند که صدای افروخته شدن جهنم وشیون اهل آن در بیخهای گوشهای ایشانست ، پس ایشان خم شوندگان باشند بر کمرهای‌خود ، پهن سازندگان باشند مرپیشانیهای خودرا وکفهای دست خودرا وزانوهای‌خودرا وسرهای پاهای خودشان‌را ، تضرّع می کنند بسوی‌خدا دروا کردن گردنهای ایشانرا از زنجیرعذاب .

وأما حالت ایشان در روز پس صاحبان حلم وعلمند ، نیکوکارانند ، پرهیز کارانند ، بتحقیق که باریك کرده وکاهانده‌است ایشان‌را ترس خدا مثل باریك شدن چوب تیر تراشیده شده ، نگاه می کند بسوی ایشان نگاه کننده پس گمان می کند که ایشان مریضانند وحال آنکه نیست درأین‌جماعت مرضی، ومی گوید که خبط آورده‌اند و حال آنکه هرآینه آمیخته بایشان امر بزرگی که اشتیاق وعشق بلقاء خدا باشد .

راضی نمی‌شوند در عبادات و عملهای خودشان بأندك ، و بسیار نمی‌شمارند بسیار را ، پس ایشان همیشه بنفسهای خود تهمت می‌زنند بجهت قصور در بندگی واز عبادات خودترسناکند، اگرتزکیه کرده‌شودیکی‌ازایشان‌می‌ترسدازآنچیزی که دربارهٔاو گفته شده پس‌می گوید که : من‌داناترم بنفس‌خودم‌ازغیرخودم‌وپروردگار من داناتر است از من بنفس من ، بارخدایا مؤاخذه مکن مرا بسبب آنچه گفتند دربارهٔ من ، وبگردان مرا بهتر ازآنچه‌گمان بروند درحق من ، وبیامرز ازبرای من‌گناهی راکه ایشان نمی‌دانند .

پس ازعلامت یکی از ایشانست این که تو می‌بینی ازبرای اوقوّتی دردین ، واحتیاطی در نرمی ، و ایمانی درکمال یقین ، وحرصی در تحصیل علم ، وعلمی در

غایت‌حلم ، ومیانه روی دربی‌نیازی، وخضوع وخشوعی درعبادت ، واستغنائی درعین فقر، وصبری درحالت‌شدّت ، وطلبی‌در کسب حلال ، وخوشحالی درهدایت ، و کناره جوئی از طمع ، می کند عملهای نیکو را و حال آنکه ترسناك‌است، روز را بشب می‌آوردوحال‌آنکه همّت اومصروف‌بشکراست ، وشب‌را بصبح‌میرساندوحال‌آنکه همتش‌مصروف ذکراست .

بیتوته می کند در حالتی که ترسناك است ، صباح می کند در حالتی که خوشحال، ترسناکی‌ازجهت آنچه که ترسانده شده ازغفلت درعبادت ، و خوشحالی بجهت آنچیزی که رسیده است ازفضل ورحمت ، أگردشوار بگیرد براو نفس اودر چیزی که ناخوش دارد نمی‌بخشد بنفس خود خواهش اورا در چیزی که دوست دارد آنرا .

چشم روشنی او در نعیم آخرت جاودانیست ، وزهد او در لذت دنیای فانی ، مخلوط میکند حلم را بعلم ، و گفتار را بکردار، می‌بینی‌اورا که نزدیکست‌آرزوی او ، اندك است لغزش او ، ترسانست قلب او ، قانعست نفس او، اندکست اکل او آسانست کاراو ، محفوظست دین‌او ، مرده است شهوت او ، فرونشانده شده است خشم او .

خیرازاو امیدگرفته شده است ، وشرّ ازاو أیمن شده ، اگر در میان غافلان باشد نوشته می‌شود ازذکر کنندکان ، واگر درزمرۀ ذاکران باشد نوشته نمی‌شود ازغفلت کنندگان ، عفومیکنداز کسی که ظلم نماید اورا ، وعطا میکند بکسی که محروم نمایداورا، وصلۀ رحم بجا می‌آوردباکسی که قطع صلۀ رحم او کرده‌است .

دور است ازمردم فحش گفتن او ، نرم وملایمست گفتار او ، غایب است از مردمان بدی او ، حاضراست ازبرای ایشان نیکی او ، اقبال کننده است خیراو، ادبارکننده است شرّ او .

و در شداید روزگار صاحب تمکین و وقار است ، و در مصایب صبر کننده وبردبار ، ودرحالت وسعت شاکر، ظلم نمی کند بر کسی که دشمن‌دارد ، ومرتکب

گناه نمی‌شود دربارهٔ کسی که دوست دارد ، اقرار بحق میکند پیش ازاینکه شهادت داده شود بضرر او ، ضایع نمی‌سازد چیزی را که طلب شده دراوحفظ آن ، و فراموش نمی کند چیزی را که یادآوری اوشده ، و نمی‌خواند مردم را بلقبهای بد ، و ضرر نمیرساند به همسایه ، وشماتت نمی کند بمصیبتها ، وداخل نمی‌شود در امر باطل ، وبیرون نمیرود ازحق .

اگرساکت شود غمگین نسازد اورا سکوت او ، واگر بخندد بلند نشود آواز او ، واگر مظلوم شودصبر میکند تا اینکه باشدخدای‌تعالی‌اوانتقام می کشد از برای او ، نفس او از او در رنج و مشقت است، ومردمان از او در آسودگی و راحت ، بمشقت انداخته نفس خودرا از برای راحت آخرت ، وراحت کرده مردمان را از شر نفس خود .

دوری اواز کسی که دوری جسته از اوازبابت زهد وپاکی‌است ، ونزدیکی او از کسی که نزدیك شده باو از بابت ملایمت ودلسوزیست ، نیست دوری جستن او بسبب کبر وبزرگی ، ونه نزدیکی اوبسبب مکروخدعه .

گفت راوی‌حدیث : پس‌صیحه زدهمام صیحهٔ که بود روح اودر آن صیحه ، پس‌فرمود أمیرالمؤمنین عليه‌السلام : آگاه باشیدسوگند بخدا که هر آینه بودم می‌ترسیدم آن صیحه را براو ، یعني از اینجهت تثاقل میکردم درجواب ، پس از آن فرمود همچنین تاثیرمیکند موعظه‌های کامل بأهلش .

پس گفت بآن‌حضرت گویندهٔ : پس چگونه است حال توأی‌أمیر المؤمنین ؟ یعنی چرا به تواین تأثیرنکرد .

پس فرمود : وای‌برتو ازبرای هرمرگی‌مدت معینی‌است که تجاوزنمیکند ازآن ، پس فرمود : ترك کن‌این کلام را ورجوع مکن‌بعد از این بمثل آن ، پس جزاین‌نیست که دمیده‌شیطان ملعون این کلام را برزبان تو ـ یعنی اعتراض به‌امام از إغواء شیطانست ـ .

و من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين و هى المأة و الثالثة و التسعون من المختار فى باب الخطب

نَحْمَدُهُ عَلىٰ ما وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطّاعَةِ، وَ ذادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَ نَسْئَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَماماً، وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصاماً، وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلّى اللّه عليه و آله عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، خاضَ إِلىٰ رِضْوانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ، وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَها، وَ ضَرَبَتْ إِلىٰ مُحارَبَتِهِ بُطُونَ رَواحِلِها، حَتّىٰ أَنْزَلَتْ بِساحَتِهِ عَداوَتَها مِنْ أَبْعَدِ الدّارِ، وَ أَسْحَقِ الْمَزارِ.

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَ أُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفاقِ، فَإِنَّهُمُ الضّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَ الزّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْواناً، وَ يَفْتَنُّونَ افْتِناناً، وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمادٍ، وَ يَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَ صِفاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمْشُونَ الْخَفاءَ، وَ يَدِبُّونَ الضَّراءَ، وَصْفُهُمْ دَواءٌ، وَ قَوْلُهُمْ شِفاءٌ، وَ فِعْلُهُمُ الدّاءُ الْعَياءُ، حَسَدَةُ الرَّخاءِ، وَ مُؤَكِّدُوا

اْلبَلاَءِ ، وَ مُقَنِّطُوا الرَّجآءِ ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ ، وَ إِلىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ ، يَتَقارَضُونَ الثَّنآءَ ، وَ يَتَرَاقَبُونَ اْلجَزاءَ ، إِنْ سَئَلُوا أَلْحَفُوا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا ، قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ باطِلاً ، وَ لِكُلِّ قائِمٍ مائِلاً ، وَ لِكُلِّ حَيٍّ قاتِلاً ، وَ لِكُلِّ بابٍ مِفْتاحاً ، وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مِصْباحاً ، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْواقَهُمْ ، وَ يُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلاقَهُمْ ، يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَ يَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ ، قَدْ هَيَّؤُا الطَّرِيقَ ، وَ أَضْلَعُوا اْلمَضِيقَ ، فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطانِ ، وَ حُمَّةُ النِّيرانِ ، أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ اْلخاسِرُونَ .

اللغة

قال في محكيّ النهاية : قدتكرّر في الحديث ذكر النفاق و ما تصرّف منه اسماً وفعلاً ،وهواسم لم يعرفه العرب بالمعني المخصوص،وهوالّذى يستتر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله في اللغة معروفا يقال نافق ينافق منافقه ونفاقاً ، وهومأخوذ من النافقاء إحد جحرتي اليربوع إذاطلب من واحد هرب إلى الآخر و خرج منه ، وقيل من النفق وهوالسّرب الّذى يستتر فيه لستره كفره انتهى.

وقال الطريحي: المنافق هو الّذى يستتر الكفرو يظهر غيره من النّفق و هو السّرب في الأرض أى يستتر بالاسلام كمايستتر في السّرب .

و(الذّود) الطّرد والدّفع و(خاض) في الأمر دخل فيه وأصل الخوض دخول

القدم فيماكان مايعأمن الماء والطّين ، ثمّ كثر استعماله في كلّ دخول فيه اذى و(الغمرة) الشدّة وغمرات الموت شدائده، وفي القاموس غمرة الشيء شدّته ومزدحمه و(الغصّة) الشجى في الحلق والجمع غصص و(سحق) المكان فهوسحيق مثل بعدفهو بعيد لفظاً و معناً قال تعالى « فسحقاً لأصحاب السعير» أى بعداً و(المزار) المكان الّذى يزار منه أوفيه ، والمراد هنا الأوّل و (زلّ) فلان عن الأمر أخطاء و أزلّه غيره أوقعه في الخطاء .

ورجل(مفنن) ذوفنون في القول وغيره (ويعمدونكم بكلّ عماد) قال الشّارح المعتزلي: أى يفدحونكم ويهدّونكم يقول عمده المرض يعمده أى هدّه بكلّ عماد أى بأمر فادح وخطب مؤلم ، انتهى .

أقول : ويجوز جعل يعمدونكم بمعني يقصدونكم و (رصدته) رصداً من باب قتل إذا قعدت له على طريقه تترقبه ، و قعد فلان بالمرصد وزان جعفر وبالمرصاد بالكسر أى بطريق الارتقاب والانتظار و(خفى) الشيء يخفى خفاء بالفتح إذا استتر و(دبّ) النّمل دبيباً مشى مشياً رويداً و(الضراء) بالفتح وتخفيف الراء والمدّ الشّجر الملتف فى الوادى و(الدّاء العياء) الّذى أعيا الأطبّاء ولم ينجع فيه الدّواء و(نفق) البيع نفاقا كسحاب راج ونفّق السّلعة تنفيقا روّجها كأنفقها و(الاعلاق) جمع علق كأحبار وحبر وهو النفيس من كلّ شيء و(التمويه) التزيين وموّه الشيء طلاه بفضّة أوذهب و تحته نحاس ليزيّنه به .

قوله (فدهيؤا الطريق) في بعض النسخ هيّؤا بالهمزة من التهيّاء ، وفي بعض بالنّون من الهيّن وهو السّهل فكانّه منقول من الواو إلى الياء ، و الأصل هوّنوا الطريق أى سهّلوها و(أضلع) الشيء أماله وجعله معوجا وضلع الشيء ضلعا من باب تعب أعوج و (اللّمة) بضمّ اللام و فتح الميم مخففة الجماعة و بالتشديد الصاحب والاصحاب في السّفر والمونس يستعمل في الواحد والجمع و(حمّة النيران) بالتشديد معظم حرّها و بالتّخفيف سمّ العقرب .

الاعراب

من في قوله : من الطاعة ومن المعصية بيان لما ، والضّمير في له و عنه عايد إلي ما ، وقوله : خاض إلى رضوان الله إلى متعلّق بمقدّر حال من فاعل خاض أى متوجّها إلى رضوانه ، والخفاء والضّراء منصوبان على الظّرفيّة المجازيّة .

المعنى

اعلم أنّ الخطبة السّابقة لماكانت في وصف المتّقين عقّبها الرّضي «قد» بهذه الخطبة الّتي يصف عليه السلام فيها المنافقين ملاحظة لحسن النّظم و بديع ترتيب الكتاب ، والمنافق حسبما عرفت آنفا هو الّذى يبطن الكفر ويظهر الايمان كما قال الشاعر :

للمؤمنين أمور محزية و للمنافق سرّ دونه نفق

واطلاق المنافق بهذا المعني هو المعروف في الكتاب والسّنة ، والمستفاد من بعض الأخبار أنّه قد يطلق على النّاقص الايمان .

مثل مارواه في الكافي في باب أصول الكفر وأركانه عن عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن بعض أصحابه عن عبدالله بن سنان عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث من كنّ فيه كان منافقا وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم: من إذا ائتمن خان ، و إذا حدّث كذب ، و إذا وعد أخلف إنّ الله عزّ وجل قال في كتابه «ان الله لايحبّ الخائنين» وقال «انّ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين» وفي قوله عزّ وجل «واذكر في الكتاب اسمعيل انّه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيّا» .

وفيه في باب النفاق والمنافق باسناده عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: إنّ المنافق ينهى ولاينتهى ويأمر بمالايأتى ، و إذا قام إلى الصّلاة اعترض ، قلت : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما الاعتراض ؟ قال عليه السلام : الالتفات وإذا ركع ربض ، يمسى وهمّه العشاء وهو مفطر ، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر ، إن حدّثك كذبك و إن ائتمنته خانك ، وإن غبت اغتابك ، وإن وعدك أخلفك .

إذا عرفت ذلك فأقول : إنّه عليه السلام قبل أن يأخذ في وصف المنافقين افتتح كلامه بماجرى عادته على الافتتاح به في باب الخطابة من ثناءِ الله تعالى و تعظيمه وتمجيد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال

(نحمده على ماوفق له من الطاعة وذادعنه من المعصية) أي نحمده على ماوفّقنا له من طاعاته الموصلة الى جنانه والمحصلة لرضوانه ، وعلى ما أبعدنا منه من سيئآته المؤدية الى نيرانه ، والموجبة لخذلانه .

وحصول هذا التوفيق منه عزّ وجلّ في حقه عليه السلام بما أفاض عليه من القوّة العاصمة وملكة العصمة الدّاعية إلى المعروف والرّادعة عن المنكر .

واما في حقّ غيره الذين شرّكهم(١) معه في ثنائه فبالأوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسّنة واجتماع شرايط الطاعة وانقطاع أسباب المعصية .

(ونسأله لمنّته تماما) أي نسأل منه عزّ وجل أن يتمّ علينا نعمته ، فانّه المنّان الذي يبدء بالنوال قبل السؤال .

والمراد بنعمته التي سأل تمامها إما خصوص نعمة التوفيق المذكورة في الجملة السابقة أو الأعمّ منها ، والأوّل أولى بسبق العهد ، والثاني أنسب بمقام السؤال

فان قلت : نعم الله سبحانه غير متناهية كما قال عزّ من قائل « ان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها » فكيف سأل تماميّتها وهي أجلّ عن أن تستقصى وأعظم من أن تستتمّ .

قلت: إن اُريد بمنّته خصوص نعمة التوفيق فلا إشكال، ويراد حينئذ بتماميّتها كمالها واستمرارها إلى آخر العمر، وإن اُريد الأعمّ فيراد بتماميّتها أن ينضمّ ماأنعم به عليه في الدّنيا إلى نعمة الآخرة أي يصل نعمة الدّنيا بنعمة الآخرة كماقاله بعض المفسرين في قوله تعالى «ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على ابويك من قبل إبراهيم وإسحاق» من أنّ المراد بقوله يتمّ نعمته أن يصل نعمة الدّنيا بنعمة الآخرة بأن يجعلهم أنبياء و ملوكا ثم ينقلهم إلى نعيم الآخرة والدّرجات العلى من الجنّة

(و) نسأله (بحبله اعتصاما) أي تمسّكاً بكتابه المبين ، فانّه حبل الله المتين

---

(١) حيث قال: نحمده بصيغة المتكلّم مع الغير منه

كما وصفه عليه السلام بذلك في الخطبة المأة والخامسة والسبعين وكذلك وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً به في حديث الثقلين الذي قدّمنا روايته في شرح الخطبة السادسة والثمانين .

• واستعير عنه أيضاً في الكتاب العزيز في قوله «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا» على أحد تفاسيره ، ووجه الاستعارة أنّ الاعتصام والتمسك بالحبل الوثيق المحكم كما أنه سبب النجاة من المهاوي والمهالك ، فكذلك بالتمسك بالقرآن يحصل النجاة من الكفر والضلال الموجب للهلاك الدّائم والخزى العظيم .

وروى الطريحي في مجمع البحرين عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: الامام منّا لايكون إلاّ معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ، قيل : فما معني المعصوم ؟ قال عليه السلام : المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة .

وبما ذكرناه ظهر أنّ جعل المراد بالحبل في المتن هو القرآن أولى وأظهر من تفسيره بالدّين القويم كما في شرح البحراني، هذا .

ولمّا حمد الله عزّ وجلّ بماهو أهله عقّبه بالشهادة بالرّسالة فقال (و نشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله) فقدمرّ بيان معني العبد وأنّ مرتبة الرّسالة فوق مرتبة العبوديّة في شرح الخطبة الاحدى والسبعين فليتذكر .

ولمّا شهد برسالته اتبعه بشرح حاله صلى الله عليه وآله حين أداء الرّسالة فقال (خاض إلى رضوان الله كلّ غمرة) استعار لفظ الغمرة عن غمرة الماء وهي معظمه و مزدحمه للشدائد و المكاره الّتي ابتلى بها حين بعثته ، والجامع للاستعارة أنّ غمرة الماء كما تغمر وتغطى الخائض فيها من كلّ جانب فكذلك تلك المكاره والشدائد حسبما تعرف كانت محيطة به صلى الله عليه وآله من كلّ طرف ، ورشّح الاستعارة بذكر لفظ الخوض .

ومحصّل المراد انّه صلى الله عليه وآله تحمل كلّ مكروه توجّهاً إلى منتهى رضاه عزّ وجلّ (وتجرّع فيه كلّ غصّة)أى تجرّع الغصص في تحصيل رضوانه تعالى ، أى ابتلعها جرعة بعد جرعة وأراد بالغصص الغموم والهموم العارضة له من مزيد أذى المشركين

وسوء فعالهم .

(وقد تلوّن له الأدنون) أي تغيّر له أقاربه من قريش ألواناً (وتألّب عليه الأقصون) أي تجمّع على حربه الأباعدمنه نسباً من أقصى البلاد (وخلعت) متوجّهة (اليه) معاشر (العرب أعنّتها وضربت إلى محاربته بطون رواحلها) قال الشارح البحراني: هذان مثلان كنّي بهما عن المسارعة إلى حربه لأنّ أقوى عَدْوِ الخيل إذا خلعت أعنّتها وأقوى عَدْوِ الرّواحل إذا ضربت بطونها وفيه ايماء إلى أنّهم أتوه فرساناً وركباناً مسرعين إلى حربه .

(حتى انزلت بساحته) و منزله (عداوتها) أي حربها و اطلاقها عليه من باب اطلاق اسم السبب على المسبب، أي أسرعوا إلي حربه ﷺ (من أبعد الدّار وأسحق المزار) وفيه إشارة إلى غاية عداوتهم، لأنّ الظعن إلى الحرب من مكان بعيد لا يكون إلاّ عن اهتمام أكيد وعناد عنيد وعداوة شديدة .

قال الشارح المعتزلي: من قرء كتب السّير علم مالاقي رسول الله ﷺ في ذات الله من المشقّة واستهزاء قريش به في أوّل الدّعوة ورميهم إيّاه بالحجارة حتى أدموا عقبيه و صياح الصبيان به والقاء فرث الكرش على رأسه، وفتل الثوب في عنقه، وحصره و حصر أهله في شعب بني هاشم سنين عديدة محرّمة معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتى كادوا يموتون جوعاً لولا أنّ بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشيء القليل من الدّقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلاً .

ثمّ ضربهم أصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق في الشمس وطردهم إياه عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة و خرج ﷺ مستجيراً منهم تارة بثقيف ، وتارة ببني عامر ، وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم .

ثمّ أجمعوا إلى قتله والفتك به ليلاً حتى هرب منهم لائذاً بالأوس والخزرج ، تاركاً أهله و أولاده وما حوته يده ، ناجياً بحشاشة نفسه حتى وصل إلى المدينة ، فناصبوه الحرب ورموه بالمناسر والكتائب ، وضربوا له آباط الابل .

ولم يزل منهم في عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه الله تعالى وأيّده ونصر دينه وأظهره ، انتهى .

ومحصّل الكلام أنه صلى الله عليه وآله قد كابد الشدايد وقاسى الهموم وتجرّع الغصص لتأسيس أساس الاسلام وتشييد قوائم الدّين ، هذا .

وانما مهّد عليه السلام تلك المقدّمة أعني مقدّمة البعثة لأنه لما كان غرضه الأصلى من هذه الخطبة التحذير من المنافقين الذين كان همّهم في إبطال الدّين وترويج الباطل ، أراد أن ينبّه على مزيد خبث طينتهم الموجب لمزيد الحذر منهم حيث إنهم يريدون ليطفؤا نور الله ، و يبطلوا الدّين القويم الذى قد قوسي فيه هذه المكاره ، واحتمل تلك المشاق الكثيرة .

وقبل التحذير منهم أوصى المخاطبين بما لايزال يوصى به فقال (اُوصيكم عباد الله بتقوى الله) والتصلّب فى الدّين (واُحذّركم) من كيد (أهل النفاق) وخديعة الخائنين أى الذين أظهروا الاسلام وأبطنوا الكفر .

والظاهر أنّ غرضه عليه السلام منه التعريض على معاوية وعمرو بن العاص و أمثالهما من المنتحلين للاسلام ، ويشعر بذلك قوله عليه السلام في عهده الآتي في المتن إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر حيث قال فيه متعرّضاً على معاوية :

فانه لاسواء إمام الهدى وإمام الرّدى ، و وليّ النبيّ وعدوّ النبيّ ، ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله إني لاأخاف على اُمتى مؤمناً ، ولامشركاً ، أمّا المؤمن فيمنعه الله بايمانه ، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان ، عالم اللّسان ، يقول ماتعرفون ، ويفعل ماتنكرون .

ولما حذّر عن المنافقين اتبعه بذكر مذامّهم ومثالبهم تنفيراً عنهم وقال (فانّهم الضالّون) عن الصراط المستقيم والنهج القويم (المضلّون) لغيرهم عنه بالشبه و التمويه (والزّالون المزلّون) أى الخاطئون الموقعون لغيرهم فى الخطاء أيضاً .

(يتلوّنون ألوانا) أى يتغيّرون فى أقوالهم وأفعالهم من حال إلى حال بحسب

تبدّل أهوائهم الفاسدة فيلاقون كلاً بوجه ولسان غير الآخر .

(ويفتنون افتناناً) أي يتشعّبون بأنحاء مختلفة في القول والعمل على مقتضى اختلاف آرائهم الباطلة .

(ويعمدونكم بكلّ عماد) أي يقصدونكم بكلّ أمر فادح ثقيل وخطب مؤلم على وجه الخدعة والحيلة .

(ويرصدونكم بكلّ مرصاد) أي يترقّبونكم ويقعدون منتظرين بكلّ طريق معدّ للارتقاب ، يعني أنّهم لا يغفلون عنكم و لا يدعون مراقبتكم ويهيّئون وجوه الحيل في اضلالكم وإصابتكم بكلّ مكروه .

(قلوبهم دويّة) أي فاسدة من داء أصابها وهو الدّاء النّفساني الموجب لمرضها كالحقد والحسد والعداوة والبخل والنّفاق والشّك والارتياب ، قد وصفهم الله سبحانه أيضاً بهذا الوصف حيث قال « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » .

قال الطبرسي في تفسير الآية ، إنما سمى الشك في الدّين مرضاً لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال ، فالبدن مالم تصبه آفة يكون صحيحاً سويّاً ، و كذلك القلب مالم يصبه آفة من الشّك يكون صحيحاً ، وقيل : المرض هو الفتور فهو في القلب فتوره عن الحقّ كما أنّه في البدن فتور الأعضاء .

(وصفاحهم نقيّة) أي صفحات وجوههم طاهرة نظيفة ، وهو كناية عن اتّصاف ظاهرهم بالبشر والبشاشة والمحبّة والنّصح والصّداقة خلاف ما في باطنهم من الشرّ والفساد واللّدد والعناد .

(يمشون) في (الخفاء) أي مختفياً قال الشارح البحراني : وهو كناية عن كون حركاتهم القوليّة والفعليّة فيما يريدونه في خفاء أفهام النّاس .

(ويدبّون الضّراء) وهو مثل يضرب لمن أراد أن يختل صاحبه يقال : فلان يدبّ له الضّراء إذا أراد بصاحبه سوءً و أذىً من حيث لا يعلم ، كمن يمشي في الشّجر الملتف الساتر للاصطياد .

(وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الدّاء العياء) يعني أنّهم يتّصفون ظاهراً

بأوصاف أهل الايمان أو أنّهم يصفون من الطاعات والخيرات ما هو دواء الأمراض النفسانية كالمؤمنين ، ويقولون من الأقوال الحسنة والمواعظ البالغة ماهو شفاء الصّدور كالنّاسكين والزّاهدين ، و يفعلون فعل الفاسقين الفاجرين الّذى هو الدّاء الأكبر المعيي للأطباء من العلاج .

ومحصّله أنّهم يتّصفون ظاهراً بصفات المؤمنين ، ويتكلّمون بمثل كلامهم إلاّ أنّ أفعالهم خلاف أقوالهم ، و باطنهم مناف لظاهرهم كما قال تعالى في وصفهم « يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بمايكتمون » وقال أيضاً « وإذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم انّما نحن مستهزؤن » وفي سورة آل عمران « وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم انّ الله عليم بذات الصّدور » .

(حسدة الرّخاء) أى إن رأوا لأحدٍ سعة و رفاهيّة في العيش و نعمة أنعم الله سبحانه بها عليه يحسدونه ويحزنونه به كما قال تعالى « ان تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها »

(ومؤكّدوا البلاء) يعني إذا وقع أحد في بلاء ومكروه يسعون في تأكيده وتشديده بالسّعاية والنميمة وساير أسباب التّشديد ، ولايسعون في دفعه ورفعه واصلاحه وفي بعض النّسخ ومولّدوا البلاء باللاّم وهوظاهر .

(ومقنطوا الرّجاء) قال البحراني : أى إذا رجا راج أمراً ففي طباعهم أن يقنطوه ويؤيسوه ، وهكذا شأن المنافق الكذّاب أن يبعّد القريب و يقرّب البعيد

أقول : و يحتمل أن يكون المراد أنّهم بمقتضى خبثهم الباطني يقنّطون الرّاجين من رحمة الله عزّوجلّ ويؤيسونهم منها ، وذلك لقنوطهم في أنفسهم منها بمالهم من الغيّ والضّلال كما قال تعالى « ومن يقنط من رحمة ربّه إلاّ الضّالّون »

(لهم بكلّ طريق صريع) الظّاهر أنّ المراد به أنّ لهم في كلّ طريق من طرق البرّ صرعى أى هلكى لاضلالهم النّاس عنها ، و قال الشّارح البحراني : إنّه كناية عن كثرة من يقتلونه أويؤذونه بخديعتهم و كنّى بالطّريق إمّا عن كلّ مقصد

قصدوه أو عن كلّ حيلة احتالوها ومكر مكروه ، فانّه لابدّ أن يستلزم أذىً والأظهر ما قلناه .

(وإلى كلّ قلب شفيع) أي إلى صرف كلّ قلب نحوهم وعطفه إليهم وسيلة وواسطة ، وهي خلابة ألسنتهم وملقهم ومايظهرونه من التّلطّف والتّودد والتّملق أو المراد أنّ لهم إلى تحريف كلّ قلب وإضلاله عن الحقّ شفيع ، وعلى أيّ تقدير فالمراد به التّنبيه على شدّة استيلائهم على القلوب و تمكّنهم من التّصرّف فيها بأيّ نحو كان .

(ولكلّ شجودموع) يعني أنّهم يسكبون دموعهم و يبكون رياء عند كلّ محزون ومصاب تخييلا بأنّهم مشاركوهم في الحزن والأسف وقصدهم بذلك التوصّل إلى حصول أغراضهم الفاسدة .

(يتقارضون الثّناء) أى يثنى أحدهم على الآخر ليثنى الآخر عليه كأنّه يقرض الثناء ليأخذ عوضه.

(ويتراقبون الجزاء) أى يترقّب كلّ واحد منهم جزاء محمدته وثنائه من صاحبه إذا أثنى عليه وينتظر أن يجزيه بمثل ثنائه أوبغيره من وجوه الجزاء.

(إن سألوا ألحفوا) أى أسرّوا في سؤالهم وألحّوا فيه (وإن عذلوا كشفوا) يعني إن لاموا أحداً ببعض المعايب كشفوا عيوبه عند الأجانب والأقارب ، و ربما يظهرونها عند من لايرضى بالاظهار عنده ، وذلك لعدم كون نصحهم عن وجه الصدق والخلوص حتى يناصحوه في الخلوة لافي الملاء .

(وان حكموا أسرفوا) أى إذا ولى أحدهم ولاية أسرف فيها بالظلم والطغيان و أفرط في الأكل و الشرب و الانهماك في شهوات نفسه كما فعل معاوية في ولاية الشام .

ويحتمل أن يرادبه أنهم إذافوّض إليهم الحكم تعدّوا فيه وتجاوزوا عن الاعتدال كما صدر عن عمروبن العاص وأبي موسى الأشعري في قضيّة التحكيم .

(قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا) أى هيّؤا لابطال الحقّ شبهة فاسدة باطلة ليموّهوا

بها كما اعتذر المنافق الثاني في زوى الخلافة عنه عليه السلام بأنّ فيه دعابة ، وتبعه على ذلك عمرو بن العاص اللّعين كما حكى عليه السلام عنه في المختار الثالث والثمانين بقوله : عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام إنّ فيّ دعابة وإنّي امرء تلعابة .

(و لكلّ قائم مائلا) أي أعدّوا لكلّ أمر صحيح مستقيم ليس به اعوجاج ما يوجب اعوجاجه من الشّبه والتمويهات.

(ولكلّ حيّ قاتلا) يحتمل أن يراد به خصوص ذى الحياة من نوع الانسان فيراد بالقاتل معناه المعروف وأن يراد به معناه المجازى أى هيؤا لكلّ ماله قوام وثبات من امور الدّين مايوجب فساده وإبطاله كما قال عليه السلام في المختار المأة والسابع والعشرين ، وانما حكم الحكمان ليحييا ما أحيى القرآن ويميتا ما أمات القرآن وإحياؤه الاجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه .

(ولكلّ باب مفتاحاً) أى لكلّ باب من أبواب الضلال مفتاحاً من وجوه التدبير والحيل يفتحونه به على الناس لا ضلالهم .

(ولكلّ ليل مصباحاً) أى لكلّ أمر مظلم يعيي فيه رأياً يستضاء به فيه ويهتدى به إليه كما دبّره ابن العاص عند ضيق الخناق على أهل الشام بصفّين من رفع المصاحف على الرّماح صبيحة ليلة الهرير ، فأنجاهم بتلك الحيلة والمكيدة عن هذه الورطة العظيمة .

(يتوصّلون إلى الطمع باليأس) لعلّ المراد أنهم يتزهّدون ويظهرون اليأس والاستغناء عما في أيدى الناس وصلة به إلى مطامعهم ، ومحصله أنهم يتركون الدنيا للدّنيا ويستغنون عن الناس تزويراً .

(ليقيموا به أسواقهم وينفقوا به أعلاقهم) شبههم في قصدهم إلى إضلال الناس بالتاجر الذي يجلس في السوق ويعرض متاعه على المشترين ويرغبهم إليه بحسن المعاملة قصداً إلى رواج متاعه ، فجعلهم بمنزلة التاجر ، وما عندهم من متاع الضلال بمنزلة المبيع، و من يريدون إضلاله بمنزلة المشترى ، وماعنده من الهدى بمنزلة الثمن .

فيكون محصّل المعنى أنهم يظهرون اليأس من الناس جلباً لقلوبهم إليهم، وتوصلا به إلى مايطمعونه منهم من الاضلال والاغواء وغرضهم بذلك إقامة أسواقهم أى انتظام معاملتهم معهم و ترويج ما لديهم من متاع الضلال الذي يزعمون أنه متاع نفيس مع أنه خبيث خسيس.

(يقولون فيشبهون) أى يقولون قولاً فاسداً فيوقعون به الشبهة في قلوب الخلق (ويصفون فيموّهون) أى يصفون الباطل ويزيّنونه بصورة الحقّ.

(قد هيّنوا الطريق و أضلعوا المضيق) لعلّ المراد به أنهم جعلوا الطريق المؤدّى إلى الضلال سهلاً هيناً لمن أرادوا اسلاكهم فيه بالخدع والتمويهات، وجعلوا المسلك الضيق معوجاً لمن أراد الخروج من ورطة الضلال بعد تورطه فيها، فسهولة الطريق بالنسبة إلى الوارد، والضيق والاعوجاج بالنسبة إلى الخارج.

(فهم لمة الشيطان) أى جماعته وأصحابه وأتباعه (وحمة النيران) أى معظم حرّها وقال الشارح البحراني مستعار لمعظم شرورهم، ووجه المشابهة استلزامها للأذى البالغ و كذلك حمة بالتخفيف.

(اولئك حزب الشيطان) لاضلالهم الناس عن الهدى إلى الرّدى (ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون) اقتباس من الآية الشريفة في سورة المجادلة قال تعالى «استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان» الآية.

قال الطبرسي في تفسيره: أى استولي عليهم يعني المنافقين وغلب عليهم لشدّة اتباعهم اياه فأنساهم ذكر الله حتى لايخافون الله ولا يذكرونه، اولئك حزب الشيطان أى جنوده، ألا انّ حزب الشيطان هم الخاسرون، يخسرون الجنّة و يحصل لهم بدلها النار.

أقول: وبعبارة أوضح أنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبّد وعرضوها للعذاب المخلّد بما اتّصفوا به من صفة النفاق.

روى في الكافي باسناده عن محمّد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام

أسأله عن مسألة فكتب عليه السلام إلي إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى يراؤن النّاس ولايذكرون الله إلاّ قليلا مذبذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ، ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الايمان و يصيرون إلى الكفر و التكذيب لعنهم الله .

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن حضرتست كـه وصف فرموده در آن منافقين را ميفرمايد :

حمد ميكنم خدا را درمقابل آن چيزى كه توفيق داد مر آن چيزرا درطاعت وفرمانبردارى ، و دفع ومنع فرمود بندگان را از آن ازمعصيت و گردن كشى ، ودرخواست مى كنيم از اوتمام كردن مر منّت اورا ، وچنگ زدن بريسمان محكم او كه عبارتست از اسلام يا قرآن .

و گواهى ميدهيم اينكه محمد بندۀ پسنديده وفرستادۀ اواست ، فرو رفت درهر شدايد بجهت توجّه برضاى خدا ، وجرعه جرعه نوشيد هرغصّه در تحصيل رضاى إلهى وحال آنكه متغيّر ومتلوّن الحال شدند ازبراى اونزديكان وخويشان ، وجمع گشتند برعداوت اوبيگانگان ، و كندند طايفۀ عرب بسوى حرب اولجامهاى خودرا وزدند برشكمهاى شتران باركش خودشان بجهت رفتن بسوى جنگ او تا آنكه فرود آوردند درفضاى خانه ومنزل اودشمنى خودشان را ازدورترين خانه ودورترين زيارتگاه

وصيّت مى كنم شمارا اى بندگان خدا بپرهيزكارى خدا ومى ترسانم شما را از أهل نفاق ، پس بدرستيكه منافقان گمراهان و گمراه كنندگانند ، ولغزندگان ولغزانندگانند ، رنگ برنگ ومختلف الحال مى شوند وخلق را تفتين مى كنند ، قصد مى كنند شما را بهر أمرسنگين ، و انتظار شمارا مى كشند درهر گذرگاهى ،

قلبهای ایشان فاسد است ، وصفحهٔ روهای ایشان پاك ونظیف ، راه‌می‌روند درپنهانی وحرکت می کنند در طرق اذیّت واضرار .

صفت ایشان‌دواءاست ، وگفتارایشان شفاءاست ، و کردارایشان درد بی‌درمان حسد کنندگان رفاهیّتند ، ومحکم کنندگان بلا ومصیبت ، ومأیوس کنندگان امیدند ، ایشان را است درهر راهی افتادهٔ ، وبسوی هرقلبی واسطهٔ ، واز برای هر اندوهی اشك چشمی ، بقرض میدهند بیکدیگر ثنا وستایش را ، و منتظر می‌باشند از یکدیگرجزا واحسان را .

اگر سؤال نمایند اصرار می کنند ، واگرملامت نمایند پرده دری می کنند ، و اگر حاکم نمایند ایشان را در حکومتی اسراف می‌نمایند ، بتحقیق که مهیّا ساخته‌اند ازبرای هرحق باطلی را ، واز برای هرراست کجی را ، وازبرای هرزنده قاتلی را ، واز برای هردر کلیدی را واز برای هرشب چراغی را .

یعنی‌صاحبان أنواع وأقسام حیله وخدعه می‌باشند ، توصّل می کنند بسوی طمع با اظهار یأس از مردم تا اینکه برپا کنند بسبب‌اظهار یأس بازارکارخودشان‌را ورواج دهند متاع خودرا ، حرف می‌زنند پس مشتبه میسازند خلق را ، وتعریف می کنند پس‌زینت می‌دهند وآسان می گردانند راه باطل را بجهت داخلین ، و کج میکنند راه تنگ را بجهت خارجین ، پس ایشان جماعت شیطانند ، وچشمهٔ آتشند ایشان دستهٔ شیطانند ، آگاه باش بدرستی دستهٔ شیطان‌ایشانند زیانکاران .

و من خطبة له عليه السلام و هی المأة والرابعة والتسعون من المختار فی باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي أَظْهَرَ مِنْ آثارِ سُلْطانِهِ وَجَلالِ كِبْرِيائِهِ ما حَيَّرَ

مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَآئِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَامِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلّاَ اللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدٰى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدٰى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصٰى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ ، وَاسْتَنْجِحُوهُ ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ ، وَاسْتَمْنِحُوهُ ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ « زمان خ » ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ ، لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ ، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ ، وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلاَ يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ ، قَرُبَ فَنَأٰى ، وَعَلاَ فَدَنٰى ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ ، لَمْ يَذْرَءِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَلاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ .

أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، فَإِنَّهَا الزِّمامُ وَالْقِوامُ ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثائِقِها ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقائِقِها ، تَؤُلْ بِكُمْ إِلىٰ أَكْنانِ الدَّعَةِ ، وَأَوْطانِ السَّعَةِ ، وَمَعاقِلِ الْحِرْزِ ، وَمَنازِلِ الْعِزِّ ، في يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطارُ ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشارِ ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوامِخُ ، وَالصُّمُّ الرَّواسِخُ ، فَيَصِيرُ صَلْدُها سَراباً رَقْرَقاً ، وَمَعْهَدُها قاعاً سَمْلَقاً ، فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

اللغة

(المقل) جمع مقلة كغرف و غرفة وهى شحمة العين الّتي تجمع سوادها وبيضها و (الهمهمة) الكلام الخفي أوصوت يسمع ولا يفهم محصوله وتردّد الزئير في الصّدر من الهمّ ونحوه ، قاله في القاموس

أقول : والزئير مأخوذ من الزئر و هو ترديد الصّوت في الجوف ثمّ مدّه ، و يطلق الزئير على صوت الأسد من صدره و على كلّ صوت فيه بحح كصوت الفيلة ونحوها .

و (طمست) الشيء طمساًمحوته وطمس هويتعدّى ولايتعدّي وطمس الطريق درست و (الجانّ) اسم جمع للجنّ و أبوالجنّ و (استمنحوه) بالنّون من المنحة و هي العطيّة و في بعض النّسخ بالياء يقال استمحت الرّجل طلبت عطاءه و محت الرّجل أعطيته و (الثّلمة) في الحايط وغيره الخلل والجمع ثلم كغرفة و غرف و (نفد) الشيء ينفد من باب تعب نفاداً فنى وانقطع وأنفدته أفنيته و (النّائل)

العطاء كالنوال والنّال و (سلبت) ثوب زيد من باب قتل أخذته والسّلب بالتحريك الاختلاس واسم لما يسلب ومنه الحديث من قتل قتيلا فله سلبه .

وقوله (ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون) هكذا في نسخة الشّارح المعتزلي بتذكير الفعلين ، و عليها فالبطون والظهور مصدر بطن وظهر ، وفي بعض النّسخ بتأنيثهما وعلى ذلك فلابدّ من جعلهما جمعاً للبطن والظهر كما هو مقتضى القواعد الأدبيّة .

و (الدّين) الجزاء و منه الحديث كما تدين تدان أى كما تجازى تجازى بما فعلت ويقال أيضاً على القهر والغلبة قال ابن الأثير : ومنه الحديث كان عليّ عليه السلام ديّان هذه الأمّة أى قاهرهم على الطّاعة وفي القاموس الدّين الحساب و القهر والغلبة والاستعلاء والسّلطان والملك والحكم .

و (الكلال) العجز و الاعياء و (الاكنان) جمع كن وهو السّتر يستر من الحرّ والبرد قال تعالى «ومن الجبال أكنانا» و (المعاقل) جمع معقل وهو الملجأ .

و (الصّروم) إمّا جمع صرمة بالكسر القطعة من الابل مابين العشرة إلى الأربعين والقطعة من السّحاب وتجمع على صرم مثل سدرة وسدر وإمّا جمع صرم وهى الطّائفة المجتمعة من القوم ينزلون بابلهم ناحية من الماء ويجمع على أصرام مثل حمل و أحمال ، أو جمع صرماء وهى النّاقة القليلة اللّبن ، و تجمع على صرم وزان قفل والأخير أظهر .

و (العشار) من الابل النّوق أتى عليها من يوم ارسل الفحل فيها عشرة شهر فزال عنها اسم المخاض ولا يزال ذلك اسمها حتّى تضع ، والواحدة عشراء ، وقال الفيروز آبادى والعشراء من النّوق الّتى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أوهى كالنّفساء من النساء والجمع عشراوات وعشار ، أوالعشار اسم يقع على النّوق حتّى تنتج بعضها وبعضها ينتظر نتاجها .

(و الشمّ) جمع اشم يقول جبل اشم أى فيه شمم و ارتفاع و رجل اشم أى بأنفه ارتفاع قال في القاموس و (رقرقان) السّراب بالضم ماترقرق منه أى تحرّك

و الرّقراقة التى كان الماء يجرى فى وجهها و (القاع) الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام و (السملق) الصفصف وهى المستوى من الأرض .

الاعراب

قوله واطلبوا إليه ، تعدية الطلب لتضمينة معنى التضرّع ، وقوله : تؤل ، بالجزم لوقوعه في جواب الأمر كما في نسخة الشارح المعتزلي ، وفي أكثر النسخ بالرفع والظاهر أنه على الاستيناف البياني ، وقوله : في يوم تشخص ، متعلّق بقوله تؤل ، والفاء في قوله : فتزهق ، وقوله : فيصير ، وقوله : فلا شفيع ، كلّها فصيحة .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة للنصح والموعظة والأمر بالتقوى مع التنبيه على جملة من صفات الكمال والعظمة والجلال لله عزّ وجلّ ، وافتتحها بحمده والثناء عليه والشهادة بالتوحيد والرّسالة فقال :

(الحمد لله الذي أظهر) في الملك والملكوت والانفس والآفاق والأرض والسماوات (من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيّر مقل العيون) وابصار البصاير (من عجايب قدرته) وبدايع صنعته و قد تقدّم الاشارة إلى بعضها في شرح الخطب المسوقة لهذا الغرض ومرّ فصل واف منها في الخطبة التسعين وشرحها فانظر ماذا ترى .

ونسبة عجائب القدرة إلى سلطانه وجلال كبريائه لأنّ الآثار العظيمة والمبدعات المحكمة المتقنة إنما يناسب صدورها بالسّلطنة الالهيّة والجلال الالهى .

(وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته) أى دفع ومنع الافكار والرّويات التي تخطر بالنفوس وتوجب همهمتها عن معرفة كنه صفات جماله وجلاله ويحتمل أن يراد بالهماهم نفس تلك الأفكار على سبيل الاستعارة لتردّدها في الجوف مثل تردّد الهماهم .

وكيف كان فالغرض منه التنبيه على عجز العقول والمشاعر الظاهرة والباطنة عن إدراك حقيقته وذاته حسبما عرفته فى شرح الفصل الثاني من الخطبة التسعين وفي تضاعيف الشّرح مراراً ، و أردف الثّناء عليه تعالى بالشّهادة بتوحيده فقال :

(وأشهد أن لا إله إلاّ الله) وقد مضى الكلام في تحقيق معناها والأخبار الواردة في فضلها بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية، ووصفها هنا بأوصاف أربعة :

أحدها كونها (شهادة ايمان) أى يطابق القول فيها للعقد القلبي .

(و) ثانيها كونها شهادة (ايقان) أى صادرة عن علم اليقين لا عن وجه التقليد ولا تكون كذلك إلاّ باعتقاد أن لا إله إلاّ هو مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون ذلك المعتقد إلاّ كذلك .

(و) ثالثها أن تكون عن (اخلاص) أى جعلها خالصاً عن شوب غيره من الرّيا ونحوه وقال الشّارح البحراني : هى أن يحذف عن ذلك المعتقد كلّ أمر عن درجة الاعتبار ولا يلاحظ معه غيره ، انتهى وقد مرّ له معنى آخر في الأخبار المتقدّمة في شرح الخطبة الثانية من أنّ إخلاصها أن حجزه لا إله إلاّ الله عمّا حرّم الله .

(و) رابعها أن تكون متلبّسة بـ(اذعان) وانقياد لما هو من توابعها ومقتضياتها من التّكاليف والأحكام .

وأردفها بالشهادة بالرّسالة لما عرفت في الأخبار المتقدّمة في شرح الخطبة الثّانية من فضل المقارنة بينهما فقال:

(وأشهد أنّ محمّداً عبده) المرتضى (ورسوله) المصطفى (أرسله) إلى الخلق بالهدى ودين الحقّ على حين فترة من الرّسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم (و) الحال أنّ (أعلام الهدى دارسة) استعارها للأنبياء والمرسلين وأولياء الدّين الّذين يهتدى بأنوارهم في سلوك سبيل الله كما يهتدى بالأعلام في الطّرق، ودروسها بما كانت من الفترة بعد عيسى إلى بعثه صلّى الله عليه وآله (ومناهج الدّين طامسة) أى طرق المعارف الحقّة الالهيّة مندرسة منمحية بطول المدّة وبعد العهد وغلبة الغفلة .

(فصدع بالحقّ) امتثالا لما كان ماموراً به بقوله عزّ وجلّ « فاصدع بما تؤمر » وأصل الصّدع عبارة عن كسر الزّجاجة وشقّها وتفريقها ، فاستعير عنه للبيان الواضح والتبليغ الكامل ، والجامع التأثّر .

وقد قيل في تفسير الآية : أنّ معناها أبن الأمر إبانة لا تنمحى كما لا يلتئم كسر الزّجاجة ، وقيل : أفرق بين الحقّ والباطل، وقيل: شقّ جماعاتهم بالتّوحيد أو بالقرآن .

(ونصح للخلق) بصرفهم عن الرّدى إلى الهدى وردّهم عن الجحيم إلى النعيم (وهدى إلى الرّشد) أى إلى الصّواب والسّداد في القول والعمل (وأمر بالقصد) أى بالعدل في الأمور المصون عن الافراط والتّفريط ، ويحتمل أن يكون المراد به قصد السبيل الموصل إلى الحق أى الصّراط المستقيم (صلّى الله عليه وآله) وسلّم

ثمّ نبّه المخاطبين على عدم كونه تعالى في خلقهم وايجادهم لاغياً عابثاً فقال (واعلموا عباد الله أنّه لم يخلقكم عبثاً) تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، وانما خلقكم للمعرفة والعبوديّة كما قال « وما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون » ،

(ولم يرسلكم هملا) أى لم يترككم سدى مهملين كالبهايم والأنعام ، وإنّما كلّفكم بالتكاليف والأحكام (علم مبلغ نعمه) ومقدارها كمّاً وكيفاً (عليكم وأحصى إحسانه) وفضله (إليكم) ليبلوكم أتشكرونه أم تكفرون ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فانّه غنىّ كريم (فاستفتحوه) أى اطلبوا منه فتح أبواب النّعم (واستنجحوه) أى اطلبوا منه نجاح عوائد المزيد والقسم (واطلبوا) منه متضرّعين (إليه) أن يصرف عنكم ما لا يصرفه أحد غيره من عذاب النّار وسخط الجبّار .

(واستمنحوه) أى اطلبوا منه أن يعطيكم ما لا يعطيه أحد غيره من فوز الجنان ورضى الرّحمن، وطلب ذلك كلّه منه سبحانه إنما هو بالقيام بمراسم الحمد والشكر وبالمواظبة على وظايف الطّاعات والقربات الّتي بها يستعدّ لافاضة الرّحمة ونزول الخيرات ، هذا .

و لمّا أمرهم بالطّلب والسّؤال أردفه بما يشوّقهم إلى ذلك ويرغّبهم إليه بالتّنبيه على انتهاء جميع السّؤالات و الطلبات إليه وعدم رادع ومانع من وصولها إليه وهوقوله:

(فماقطعكم عنه حجاب ولااغلق عنكم دونه باب) يعني أنّ بابه مفتوح لمن دعاه وليس بينه و بين خلقه حجاب مانع ولا باب مغلق يمنع من الوصول إليه ومن عرض الحوايج والمقاصد عليه كساير الملوك والسّلاطين يأخذون لأنفسهم حجّاباً وبوّاباً ، لأنّ ذلك من أوصاف الأجسام وصفات النّقص والامكان والله تعالى موصوف بالعظمة و الجلال منزّه عن الحيّز و المكان فلا يتصوّر أن يكون له باب أو عنده حجاب كما أفصح عن ذلك بقوله:

(وانّه لبكلّ مكان) بالعلم والاحاطة لا بالتحيّز والحواية ، فلا يخفى عليه شيء من حوائج السّائلين وإنّما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد ، و لا يحويه مكان ولايحيط به مكان حتّى إذا كان في ذلك المكان يحجب عنه أخبار ساير الأمكنة والمكانيّات .

يوضح ذلك ما رواه في الكافي باسناده عن عيسى بن يونس قال : قال ابن أبي العوجاء لأبي عبدالله عليه السلام في بعض ماكان يحاوره : ذكرت الله فأحلت على غايب فقال أبوعبدالله عليه السلام : ويلك كيف يكون غائباً من هومع خلقه شاهد واليهم أقرب من حبل الوريد ، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم ، فقال ابن أبي العوجاء أهو في كلّ مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان فلايدرى في المكان الذي صار إليه ماحدث في المكان الذي كان فيه ، فأماالله العظيم الشأن الملك الدّيان فلايخلو منه مكان ولايشتغل به مكان ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان .

وقد مرّ هذا الحديث في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى ومرّ تحقيق الكلام في تنزّهه سبحانه من المكان في شرح الفصل الخامس منها فليراجع ثمّة

فان هناك مطالب نفيسة .

ولما نبّه على عدم خلوّ الأمكنة منه عزّ وجلّ أردفه بالتنبّه على عدم خلوّ الأزمنة منه فقال:

(وفي كلّ حين وزمان) بالعلم والاحاطة أيضاً لا بمعنى ظرفيّته له ، لأنّ الكون فيه بمعنى الظرفية مستلزم للحدوث المنافي للوجوب ، فالواجب الأوّل تعالى منزّه عن ذلك ، وقد تقدّم مزيد تحقيق لذلك في شرح الخطبة المأة والخامسة والثمانين

(ومع كلّ إنس وجانّ) لا معيّة بالاقتران بل بمعنى كونه عالماً بهم شاهداً عليهم غير غايب عنهم كما قال عزّ من قائل « ألم تر أنّ الله يعلم ما في السموات وما في الأرض مايكون من نجوى ثلثة إلاّ هو رابعهم و لا خمسة إلاّ هو سادسهم و لا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا ثمّ ينبّئهم بما عملوا يوم القيامة انّ الله بكلّ شيء عليم » وقد مرّ مزيد تحقيق لهذا المعنى في شرح الفصل الخامس والسادس من الخطبة الاولى ، هذا .

و لما شوّق المخاطبين إلى الطلب والسؤال بالتنبيه على عموم علمه بحالات السائلين و حاجات الطالبين و عدم خفاء شيء منها عليه أكّد تشويقهم بالتنبيه على سعة جوده فقال :

(لا يثلمه العطاء و لا ينقصه الحباء) أي لايوجب كثرة عطائه ومزيد حبائه خللا ونقصاً في خزانة كرمه وبحر جوده ، وذلك لعدم تناهي مقدوراته .

ويوضح ذلك ما فى الحديث المرويّ فى الكافي عن أبيعبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ يقول : فلو أنّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة ، وكيف ينتقص ملك أنا قيّمه ، فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ، ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني.

و بذلك الحديث أيضاً اتّضح معنى قوله (لايستنفده سائل ولايستقصيه نائل) أى لايفني جوده سائل وإن بلغ الغاية في طلبه وسؤاله ، وكذا لايبلغ القصوى والغاية عطاؤه ونواله بل لو وهب ماتنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللّجين والعقيان ونثارة الدرّ و حصيد المرجان ما أثّر ذلك في جوده و لا

أنفد سعة ما عنده ، و لكان عنده من ذخاير الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام، لأنّه الجواد الّذى لا يغيضه سؤال السّائلين ، ولا يبخّله إلحاح الملحّين حسبما مرّ في الخطبةالتّسعين .

(ولايلويه) أى لايصرفه (شخص عن شخص ولا يلهيه) أى لا يشغله (صوت عن صوت) لأنّ الصّرف واللّهويستلزمان الغفلة عن أمروالفطنةلغيره بعدالغفلة عنه وهما من عوارض المزاج الحيواني وتوابع الامكان .

(ولا تحجزه هبة عن سلب) أى لايمنعه البذل والانعام عن سلب المال وأُخذه قال الشّارح المعتزلي : أى ليس كالقادرين منّا فانّ الواحد منّا يصرفه اهتمامه بعطيّة عن سلب مال عمرو حال مايكون مهتمّاً بتلك العطيّة لأنّ اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الآخر ، انتهى .

أقول : ومحصّله أنّه تعالى لايشغله شأن عن شأن ، ويحتمل أن يراد به أنّه تعالى لايمنعه هبته لأحد وإنعامه عليه عن سلب نعمة اخرى عنه كالواحد منّا إذا وهب يمنعه هبتهعنسلبه ، لاستلزام الهبة فيناالتلطف والعطف ، واستلزام السلب فينا الغيظ والغضب ، وهما أمران متضادّان لايمكن اجتماعهما في شخص واحد في حالة واحدة ، فلا يكون الواهب حال ماهو واهب سالباً وبالعكس ، وأمّا الواجب تعالى فلمّا لم يكن منشأهبته وسلبهالعطف والغضب لكونهما من عوارض المزاجالحيواني وتنزّهه عنها جاز اتّصافه بهما معاً .

وهذان الاحتمالان يأتيان فيقوله (ولا يشغله غضب عن رحمة) والمرادبهما غايتهما ، أى العقاب والاحسانلا معناهما المعروف المستلزم للحدوث والنّقصان .

وأمّا قوله (ولاتوله رحمة عن عقاب) فقد قال الشارح المعتزلي أىلايحدث الرّحمة لمستحقها عنده ولهاً وهو التحيّر والتردّدويصرفهعنعقابالمستحقّ ، وذلك لأنّالواحد منّا إذا رحم انساناً حدث عنده رقّة خصوصاً إذا توالت منه الرّحمة لقوم متعدّدين فانه يصير الرّحمة كالملكة عنده فلا يطيق فى تلك الحال أن ينتقم

والباري سبحانه بخلاف ذلك ، لأنّه ليس بذي مزاج سبحانه ، هذا .

وقوله (ولا يجنّه البطون عن الظّهور) قد تقدّم منّا في شرح الخطبة التّاسعة والأربعين والخطبة الرّابعة والسّتين ماهو كاف في شرح معنى هذه الفقرة ومايتلوها من الفقرات الآتية إلى قوله : وبطن فعلن .

وأقول هنا مزيداً للتّوضيح : إنّ الغرض بهذه الجملات جميعاً التّنبيه على كمال الحقّ المتعال عزّ وجلّ و على تنزّهه من صفات المخلوقين ، فانّ البطون في الخلق مانع من الظهور ، والظهور من البطون ، والقرب من البعد ، و البعد من القرب ، والعلوّ من الدّنوّ ، والدّنوّ من العلوّ لكون كلّ من هذه الصّفات بمعناه المعروف مضاداً للآخر ، فلا يمكن اتّصاف شخص واحد بهما معاً في حالة واحدة ولا اجتماعهما في محلّ واحد على ما هو مقتضى التّضادّ .

أمّا الله الحيّ القيّوم جلّ جلاله فيتّصف بهما جميعاً بمعنى آخر وراء ذلك المعنى المعروف ، فهو تعالى ظاهر باطن قريب بعيد عال دان .

وعلى ذلك فلا يجنّه البطون عن الظهور ، أي لايستره خفاؤه بذاته عن ظهوره بآياته ، أولا يستره اختفاؤه عن الأبصار عن ظهوره للعقول والبصاير ، أو لا يحجبه خفاؤه عن الأبصار والأوهام بذاته عن قهره وغلبته للأشياء بسلطانه وقدرته .

و محصّله أنّه ليس بطونه بلطافة أواجتنان ، ولا ظهوره برؤية وعيان حتّى يكون اتّصافه بأحدهما حاجباً ومانعاً عن الآخر كما في المخلوق .

وعلى ما في بعض النّسخ من رواية لاتجنّه بصيغة التّأنيث ، فالمراد أنّه لا تستره بواطن الأشياء عن ظواهرها أي لاتحجب علمه بطونها عن ظهورها ، لأنّ علمه ببواطن الأشياء ليس على وجه الاستبطان والغور فيها ، ولا علمه بظواهر الأشياء من أجل كونه فوقها حتّى تحجبه البطون عن الظّهور والظّهور عن البطون كمافينا .

ويحتمل أن يكون المراد أنّه تعالى حين ما هو عالم بالباطن عالم بالظاهر لكمال علمه وعموم إحاطته ، وليس كالمخلوق حين علمه بأحدهما يغفل عن الآخر لنقصان علمه وقصوره .

(و) بذلك كلّه ظهر أيضاً معنى قوله : (لايقطعه الظّهور عن البطون)

و أمّا قوله (قرب فنأى) فالمراد به أنّه قرب من الخلق بالعلم و الاحاطة و بالرّحمة و الافاضة ، و بعد عنهم بالذّات والحقيقة وليس قربه قرباً مكانيّاً حتّى ينافي لبعده ، ولا بعده بعداً مكانيّاً بتراخى مسافة حتّى ينافي لقربه .

(و علا فدنا) أى علا بحوله وقدرته وغلبته وسلطانه ودنا بطوله وفضله ومننه واحسانه كمامرّ التصريح بـه منه عليه السلام في الخطبة الثّانية والثمانين ، ويجوز أن يراد علوّه على الأشياء بجلاله وعزّته ودنوّه منها بعلمه واحاطته ، وأن يراد بالعلوّ العلوّ بالعليّة وبالدّنوّ قربه من الأشياء قرب العلّة من معلولها ، و هذا هو الأولى بالارادة هنا وأنسب بعطفه الدّنوّ على العلوّ بالفاء المفيدة لتفريعه عليه فافهم جيّداً وقد مضى تحقيق ذلك في شرح الخطبة التّاسعة والأربعين .

(و ظهر فبطن) أى ظهر على الأشياء بسلطانـه و عظمته ، وبطن في الأشياء بعلمه ومعرفته (وبطن فعلن) أى خفى بذاته و كنهه وظهر بآثاره وآياته ، و هاتان الفقرتان تأكيدتان للفقرتين المتقدّمتين ، فانّه لمّا نبّه فيهما على عدم حجب بطونه عن ظهوره و ظهوره عن بطونـه نبّه هنا على مايستلزمه عدم الحجب و هو اتّصافه بهما معاً

روى في الكافي في باب الفرق بين المعاني الّتي تحت أسماء الله تعالى وأسماء المخلوقين عن عليّ بن محمّد مرسلاً عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : قال :

وأمّا الظاهر فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنّم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبته الأشياء وقدرته عليها ، كقول الرّجل ظهرت على أعدائى و أظهرنى الله على خصمى ، يخبر عن الفلج و الغلبة فهكذا ظهور الله على الأشياء، ووجه آخر أنّه الظّاهر لمن أراده ولايخفى عليه شيء وأنّه مدبّر لكلّ ما برء فأىّ ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى ، لأنّك لاتعدم صنعته حيثما توجّهت وفيك من آثاره مايغنيك ، و الظّاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى .

و أمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان في الأشياء بأن يغور فيها ، ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل أبطنته يعني خبرته و علمت مكتوم سرّه ، و الباطن منّا الغايب في الشيء المستتر و قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى .

(و) أمّا قوله (دان ولم يدن) فأراد به أنّه جزى العباد بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ، ولم يجز ، أو أنّه حاسب ولم يحاسب ، أو أنّه استعلا عليهم ولم يستعل عليه ، أو أنّه تسلّط على كلّ ما سواه و لم يسلّط عليه ، أو أنّه ملك جميع الخلايق ولم يملك ، أو أنّه قهر الكلّ وغلبهم بافتقار الكلّ إليه واستغنائه عنهم ولم يقهر عليه .

قال الرّضا عليه السلام في الحديث الّذى قدّمناه آنفاً :

وأما القاهر فانه ليس على معنى علاج ونصب « وتصلّبخ» واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يكون مقهوراً ، ولكن ذلك من الله عزّ وجلّ على أنّ جميع ما خلق ملبس به الذّل لفاعله و قلّة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون ، والقاهر منّا على ماذكرت ووصفت فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

(لم يذرء الخلق باحتيال) أى لم يخلقهم باستخراج وجوه الحيل و إجالة الرّأى والفكر في استخراجها كما هو شأن البشر في صنعهم ، وذلك لأنّ الفكرة والحركة القلبية مختصّة بذوى الضماير ، وجلال البارى تعالى شأنه منزّه عنه وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

(و لا استعان بهم لكلال) أى لعجز و اعياء ، لأنّ منشأ الاعياء تناهي القوّة الجسمية المخصوصة بذوى الأجسام ، وطلب العون والحاجة إلى المعين من ضعف القدرة ، و إذلا ضعف و لا عجز لكمال ذاته سبحانه قوّة وقدرة فلا يتصوّر في حقه الاستعانة .

و لما فرغ من تمجيد الحقّ المتعال بما هو أهله و تنزيهه عن صفات النقص

والافتقار أردفه بالايصاء بما لا يزال يوصى به فقال :

(أوصيكم عباداللهّ بتقوى الله فانها الزّمام) للانسان المانع له عن تقحّم المهالك الجاذب إلى أقوم المسالك والصارف لـه عن الرّدى إلى الهدى و عن الجحيم إلى النعيم كما أنّ الزّمام للخيل مانع لها عن اقتحام الهلكات وتورّط الورطات (و) هى أيضاً (القوام) أى قوام الدّين ونظام وظايف الشرع المبين .

(فتمسكوا بوثائقها) أى بعريها الوثيقة و حبالها المحكمة من الطاعات والقربات التي هى جزؤها .

(واعتصموا بحقايقها) أى بأصولها الثابتة الموافقة للواقع والمطابقة لغرض الشارع .

و أشار إلى ثمرة التمسك و الاعتصام بها بقولـه (تؤل بكم) أى ترجعكم وتقودكم (إلى أكنان الدّعة) ومواطن الرّاحة متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً .

(وأوطان السعة) أى جنة عرضها السموات والأرض مع عيش سعيد و أكل رغيد ، فالدّاخل فيها في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية .

(ومعاقل الحرز) المانعة من عذاب النار و من غضب الجبار وظلّ ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللّهب .

(ومنازل العزّ) أى حظاير القدس و مجالس الانس مع النبيّين و الصدّيقين والشهداء والصالحين من السادة الأبرار و القادة الأخيار في جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق و حلّوا أساور من فضّة و سقيهم ربّهم شراباً طهوراً ، إنّ هذا كان لكم جزاءً و كان سعيكم مشكوراً

و لما أوصى بالتقوى و أمر بالتمسك والاعتصام بها و رغّب فيها بالتنبيه على مالها من المنفعة العظيمة وهى إرجاعها إلى جنّة النعيم أكّد ذلك الترغيب بانجائها

من الهول العظيم وأشار إلى ذلك بقوله .

(في يوم) أى اعتصموا بالتقوى تؤل بكم إلى مساكن الأمن والعزّ والسعة والراحة في يوم القيامة وما أعظم شدايدها وأهوالها ، وقد زلزلت الأرض فيها زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها .

(تشخص فيه الأبصار و تظلم له الأقطار) أما شخوص الأبصار في ذلك اليوم فهو نص الكتاب الكريم قال تعالى في سورة إبراهيم « ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ۞ مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » .

قال الطبرسيّ : معناه إنما يؤخّر عقابهم إلى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون الابصار فيه شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف ، وقيل تشخص أبصارهم إلى إجابة الدّاعي حين يدعوهم ، و قيل : تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرّعب .

مهطعين أى مسرعين ، وقيل : يريد دائمى النظر إلى مايرون لا يطرفون .

مقنعى رؤسهم ، أى رافعى رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرّجل مكان قدمه من شدّة رفع الرّأس ، وذلك من هول يوم القيامة .

لا يرتدّ إليهم طرفهم ، أى لا يرجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها و لا يغمضونها ، و إنما هو نظر دائم .

وأما ظلمة الاقطار فقد أشير إليها وإلى ماتقدّم أيضا في قوله تعالى « فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفرّ » .

في الصّافي عن القمّي قال: يبرق البصر فلا يقدر أن يطرف. و قرء بفتح الرّاء و هو لغة ، أو من البريق من شدّة شخوصه، و خسف القمر ذهب ضوءه ونوره، وجمع الشّمس والقمر قال الطبرسيّ : أى جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتّى يراهما كلّ أحد بغير نور و ضياء .

و في الصّافي من الاحتجاج عن النّبي صلّى الله عليه وآله انّه سئل عن قوله «يوم تبدّل

الأرض غير الأرض» وقيل له : فأين النّاس يومئذ؟ فقال : في الظلمة دون المحشر .

(و تعطل فيه صروم العشار) قدمرّ تفسيرهما في بيان اللّغة ، و قد صرّح بتعطيلها و اُشير إلى ظلمة الأقطار كليهما في قوله تعالى «إذا الشّمس كوّرت* و إذا النّجوم انكدرت* و إذا الجبال سيّرت* و إذا العشار عطلت»

قال أمين الاسلام الطبرسيّ: أخبرالله سبحانه عن القيامة و شدائدها فقال : إذا الشّمس كوّرت ، أى ذهب ضوءها و نور ها فاظلمت واضمحلّت، و إذا النّجوم انكدرت، أى تساقطت و تناثرت، وإذا الجبال سيّرت، عن وجه الأرض فصارت هباء منبثّاً ، و إذا العشار عطلت، أى النّوق الحوامل الّتي أتت عليها عشرة أشهر، وهو أنفس مال عندالعرب تركت هملا بلاراع، هذا.

و لمّا ذكر جملة من أوصاف يوم القيامة و أهاويلها تحذيراً منها أردفها بذكر نفخ الصّور الذى هو من أشراط الساعة و علاماتها الدّالة على قربها تهويلا به أيضاً فقال:

(و ينفخ في الصّور) وقد مضى شرح وصفه و تفصيل كيفيّة النفخ فيه في شرح الفصل الثّالث من الخطبة الثّانية والثمانين بما لامزيد عليه .

و أراد به النّفخة الأولى كما يدلّ عليه قوله: (فتزهق كلّ مهجة و تبكم كلّ لهجة) أى تضمحلّ و تهلك كلّ قلب و تخرس كلّ لسان، و هو كناية عن هلاك العموم، وقد اُشير إليه في قوله تعالى «و نفخ في الصّور فصعق من في السموات و من في الأرض».

و يدلّ عليه أيضاً قوله (و تذلّ الشّم الشّوامخ) أى الجبال الرّاسيات الشّامخات العاليات (والصّم الرّواسخ) أى الثابتات المحكمات الرّاسيات وأراد بذّلتها دكّ بعضها بعضاًمن هيبة جلاله عزّوجلّ و مخوف سلطنته.

و قد اُشير إلى ذلك في قوله تعالى «فاذا نفخ في الصّور نفخة واحدة * و حملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة.»

قال السيّد المحدّث الجزائرى: إنّ النفخة الاُولى الّتي هى للهلاك تأتى

النّاس بغتة وهم في أسواقهم وطلب معايشهم، فاذا سمعوا صوت الصّور تقطعت قلوبهم و أكبادهم من شدّته فيموتوا دفعة واحدة، فيبقى الجبّار جلّ جلاله فيأمر عاصفة فتقطع الجبال من أماكنها و تلقيها في البحار ، و تفور مياه البحار و كلّما في الأرض و تسطح الأرض كلّها للحساب، فلايبقى جبل ولا شجر ولا بحر ولا وهدة ولاتلعة ، فتكون أرضاً بيضاء حتّى أنّه روي لو وضعت بيضة في المشرق رأيت في المغرب.

وإلى ذلك أشار بقوله (فيصير صلدها سراباً رقرقاً) أى يصير صلبها مثل السّراب المترقرق المتحرّك.

(و معهدها قاعاً سملقا) أى ماكان منها معهداً للنّاس و منزلا لهم أرضاً خالية صفصفاً مستوية ليس للجبل فيها أثر.

وقد أُشير إلى هذين في قوله تعالى «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربّى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولاأمتاً» و في قوله « و بسّت الجبال بسّاً فكانت هباءً منبثاً» وقولهَ «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» وقد مضى تفسير هذه الآيات و جملة ممّاينفع في هذا المقام في شرح الفصل الثالث من الخطبة المأة والثامنة ، هذا.

ولمّا ذكر جملة من أهوال يوم القيامة و أفزاعها و شدائدها رتّب على ذلك قوله (فلاشفيع يشفع ولاحميم يدفع ولا معذرة تنفع) تنبيهاً بذلك على أنه لاملجأ من أهاويلها ولا منجا ترغيباً به على ملازمة التقوى الّتي هى الغرض الأصلى من سوق هذا الفصل والنتيجة لتمهيد تلك المقدّمات لأنّها المعاذ و الملاذ والملجاء و المنجا من هذه الأهاويل القائدة للآخذ بها و الملازم عليها إلى أكنان الدّعة و أوطان السّعة و غرفات الجنان ومنازل الرّضوان كماقال تعالى « و أنذربه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولاشفيع لعلّهم يتّقون»

وقدأُشير إلى عدم الشفيع والحميم في قوله تعالى في سورة الشعراء «يوم لاينفع مال ولا بنون ✿ إلاّ من اتى الله بقلب سليم ✿ و ازلفت الجنّة للمتقين ✿ و برزت الجحيم للغاوين » إلى قوله حكاية عن الغاوين «فمالنا من شافعين ✿ولاصديق حميم».

قال أمين الاسلام الطبرسيّ : أي لاينفع المال والبنون أحداً إذلايتهيأ لذي مال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم به، ولا يتحمّل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه إلاّ من أتى الله بقلب سليم من الشّرك والشكّ.

و روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو القلب الذى سلم من حبّ الدّنيا، ويؤيّده قول النبي صلى الله عليه وآله :حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة.

و ازلفت الجنّة للمتقين أى قربت لهم ليدخلوها ، و برّزت الجحيم للغاوين. أى أظهرت و كشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحقّ والصواب.

ثمّ أظهر الغاوون الحسرة فقالوا: فمالنا من شافعين يشفعون لنا و يسألون فى أمرنا، ولاصديق حميم أى ذي قرابة يهمّه أمرنا أى مالنا شفيع من الأباعد ولاصديق من الأقارب، و ذلك حين يشفع الملائكة والنّبيون والمؤمنون.

وأشير إلى عدم نفع المعذرة فى سورة الرّوم بقوله « فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون » أى لاينفع الظالمين اعتذارهم لعدم تمكنهم من الاعتذار،ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم ولايطلب منهم الاعتاب والرّجوع إلى الحقّ، و فى سورة المؤمن « يوم لاينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللعنة و لهم سوء الدّار » أى ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم و إن تابوا لم ينفعهم التّوبة.

قال الطبرسيّ: و انما نفى أن ينفعهم المعذرة فى الآخرة مع كونها نافعة فى دار الدّنيا، لأنّ الآخرة دار الالجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذى الجأ اليه ، ولهم اللعنة والبعد من الرّحمة ، ولهم سوء الدّار جهنّم وبئس القرار ، نعوذ بالله من غضب الجبار.

بشارة

اعلم أنّ ظاهر قوله : فلاشفيع يشفع ولا حميم يدفع ، عموم انتفاء الانتفاع بالشفيع والحميم يوم القيامة على ما هو مقتضى القاعدة الاصولية المقرّرة من إفادة النّكرة في سياق النفى للعموم ، لكن الأدلة القاطعة من الكتاب والسّنة قدقامت

على التخصيص

أمّا القرابة فقد ورد في الأخبار الكثيرة المستفيضة أنّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلاّ سبب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نسبه.

و أمّا الشفاعة فلاخلاف بين علماء الاسلام بل صار من ضروريّ دين سيّد الأنام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يشفع يوم القيامة لأمّته بل لساير الأمم أيضاً.

و إنّما الخلاف في أنّ الشّفاعة هل هي لطلب مزيد الأجر و جلب زيادة المنفعة فمختصّة بالمؤمنين المطيعين المستحقّين للثّواب فقط، أولدفع مضرّة العقوبة أيضاً فتعمّ المجرمين المستحقّين للعقاب.

فأكثر العامّة على عدم اختصاصها بأحد الفريقين، وذهب الخوارج والوعيديّة من المعتزلة إلى اختصاصها بالفرقة الأولى.

و الذى ذهبت إليه أصحابنا الاماميّة رضوان الله عليهم من دون خلاف بينهم هوعدم الاختصاص، وقالوا: إنّه تنال الشفاعة للمذنبين من الشيعة و لو كان من أهل الكباير والذى دلت عليه أخبارهم أيضاً عدم اختصاص الشفيع برسول الله صلى الله عليه وآله بل الأئمّة الهداة من ذرّيته و كذا ابنته الصّدّيقة الكبرى سلام الله عليها وعليهم تترى أيضاً شفعاء دار البقاء بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ علماء الشّيعة و الصالحين منهم أيضاً يشفعون.

إذا عرفت ذلك فلا بأس بإيراد بعض الآيات و الأخبار الواردة في هذا الباب فأقول:

قال أمين الاسلام في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» معناه يقيمك ربك مقاماً محموداً يحمدك فيه الأوّلون و الآخرون، وهو مقام الشّفاعة تشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى و تشفع فتشفّع.

وقد أجمع المفسّرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشّفاعة، و هو المقام الذى يشفع فيه للنّاس، و هو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفّه و يجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون أوّل شافع و أوّل مشفّع.

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسير هذه الآية:

حدّثني أبي عن الحسن بن محبوب عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته

عن شفاعة النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم القيامة قال يلجم الناس يوم القيامة بالعرق فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم عليه السلام يشفع لنا، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون اشفع لناعند ربك فيقول: إنّ لي ذنباً و خطيئة فعليكم بنوح عليه السلام، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، و يردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فيعرضون أنفسهم عليه و يسألونه فيقول : انطلقوا فينطلق بهم إلى باب الجنّة ويستقبل باب الرّحمن و يخرّ ساجداً فيمكث ماشاءالله فيقول الله : ارفع رأسك و اشفع تشفّع و سل تعط، وذلك قول الله عزّ وجل «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً».

وروى عليّ بن إبراهيم أيضاً عن أبيه عن محمّد بن أبي عمير عن معاوية و هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لوقد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي و أمّي وعمّي وأخ كان لي في الجاهليّة.

وفي الصافي عن العياشي عن أحدهما عليهما السلام في هذه الآية قال: هي الشّفاعة.

وفيه عن روضة الواعظين عن النّبي صلّى الله عليه وآله قال: هو المقام الذي أشفع لامّتي.

قال و قال عليه السلام إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكباير من امّتي فيشفعني الله فيهم، والله لاتشفعت فيمن أذى ذرّيتي

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى « ولاتنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له» إنّه لاتنفع الشّفاعة عندالله إلاّ لمن رضيه الله و ارتضاه و أذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء ، ويجوز أن يكون المعنى إلاّ لمن أذن الله في أن يشفع له فيكون مثل قوله « ولايشفعون إلاّ لمن ارتضى» و إنّما قال سبحانه ذلك، لأنّ الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى و هؤلاء شفعاؤنا عندالله، فحكم الله ببطلان اعتقاداتهم .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم في هذه الآية قال: لايشفع أحد من أنبياء الله و رسله يوم القيامة حتّى يأذن الله له إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله فانّ الله قد أذن له الشّفاعة من قبل يوم القيامة والشفاعة له صلّى الله عليه وآله وللأئمة من ولده، ثمّ بعد ذلك للأنبياء صلوات

الله عليهم و على محمد وآله

قال : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبّر قال:

دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليهما السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر تغترّون الناس و تقولون شفاعة محمد شفاعة محمد، فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال: و يحك يا أبا أيمن أغرّك أن عفّ بطنك و فرجك أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار، ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا و هو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة ثم قال أبو جعفر عليه السلام : إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في امته ولنا شفاعة في شيعتنا ، و لشيعتنا شفاعة في أهاليهم، ثم قال عليه السلام : و إن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة و مضر، و إن المؤمن ليشفع حتى لخادمه و يقول : يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد .

وقال الطبرسي في قوله عز وجل « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً» أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض، لأن تلك الشفاعة على وجهين : أحدهما أن يشفع للغير ، والآخر أن يستدعى الشفاعة من غيره لنفسه، فبيّن سبحانه أن هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعتهم لغيرهم ولا شفاعة لهم لغيرهم، ثم استثنى سبحانه فقال: إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً، أي لا يملك الشفاعة إلا هؤلاء، و قيل : لا يشفع إلا لهؤلاء، و العهد هو الايمان والاقرار بوحدانية الله تعالى و تصديق أنبيائه، وقيل: هو شهادة أن لا إله إلا الله و أن يتبرء إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله.

وفي الصافي من الكافي عن الصادق عليه السلام إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده فهو العهد عند الله .

وفيه من الجوامع عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لأصحابه ذات يوم:

أيعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح و مساء عندالله عهداً ؟ قالوا : و كيف ذاك؟ قال: يقول: اللّهمّ فاطر السّموات و الأرض عالم الغيب و الشّهادة إني أعهد إليك بأنّي أشهد أن لا إله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك و أنّ محمّداً صلّى الله عليه و آله عبدك ورسولك و أنّك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشرّ و تباعدني من الخير، و أنّي لاأثق إلاّ برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينه يوم القيامة إنّك لاتخلف الميعاد ،فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع وضع تحت العرش، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عندالله عهد فيدخلون الجنّة.

وقال الطبرسيّ في قوله تعالى « فمالنا من شافعين ولا صديق حميم » في الخبر المأثور عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : إنّ الرّجل يقول في الجنّة ما فعل صديقي و صديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنّة ، فيقول من بقي في النّار : فمالنا من شافعين ولاصديق حميم .

وقال وروى العياشيّ عن حمران بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال : و الله لنشفعنّ لشيعتنا ، والله لنشفعنّ لشيعتنا ، والله لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول النّاس : فمالنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين ، وفي رواية اخرى حتّى يقول عدوّنا.

وعن أبان بن تغلب قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتّى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبّابتيه : يا ربّ خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد، فيشفع فيه.

وفي الصافي من المحاسن عن الصادق عليه السلام الشّافعون الأئمّة والصّديق من المؤمنين، والله لنشفعنّ من المذنبين في شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: فمالنا من شافعين ولاصديق حميم.

وفيه من الكافي عن الباقر عليه السلام و انّ الشّفاعة لمقبولة ولاتقبل في ناصب، و إنّ المؤمن ليشفع في جاره و ما له حسنة فيقول: يارب جاري كان يكفّ عنّي الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربّك و أنا أحقّ من كافي عنك فيدخله

الله الجنّة و ماله حسنة، و إنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فمنذلك يقول أهل النار : فمالنا من شافعين ولاصديق حميم

و لنقتصر بذلك في هذا المقام و نسأل الله سبحانه بمحمّد صلّى الله عليه و آله و آله الكرام عليهم السلام أن يثبتنا على القول الثّابت في الحياة الدّنيا، و أن يخرجنا منها إلى الدّار الاُخرى بموالاة أئمّة الهدى، و أن لايحرمنا من شفاعتهم الكبرى يوم لاينفع مال ولابنون ولا يدفع صديق حميم إلاّ من أتى الله بقلب سليم، إنّه الغفور الرحيم ذوالفضل العظيم.

التّرجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن بزرگوار است در حمد و ثناى إلهى و وصيّت به تقوى و پرهيزكارى ميفرمايد:

سپاس خداراست آنچنان خدائى كه آشكار كرد از آثار پادشاهى خـود و بزرگى بزرگوارى خود آن چيزى را كه متحيّر گردانيد ديدهاى عقلهارا از مقدورات عجيبهٔ خود ، و دفع نمود خطورات فكرهاى نفسها را از شناسائى حقيقت صفت خود

و شهادت ميدهم باينكه معبود بحقى نيست مگر خدا شهادتى از روى اعتقاد جازم ثابت خالص از شوب ريا ملازم طاعات و عبادات ، و شهادت ميدهم كه محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه و آله بندهٔ خالص اوست و پيغمبر اوست فرستاد اورا در حالتيكه نشانهاى هدايت مندرس بود، و راههاى دين محو شده بود ، پس آشكار كرد حق راو نصيحت كرد خلق را و هدايت نمود براه راست، و امر نمود بعدل و قسط، صلوات خدا بر او و بر أولاد او باد .

و بدانيد اى بندگان خدا كه بتحقيق خدا خلق نفرموده شما راعبث وبيفايده و رها نكرده شما را سر خود، دانسته است مقدار نعمتهاى خود را برشما، وشمرده است انعام خود را برشما، پس طلب فتح و نصرت كنيد از او ، و طلب فوز بمقصود نمائيد از او ، و متوجّه شويد بسوى او در مطالب، و طلب بخشش او كنيد ، پس

نبریده است شما را از او پردهٔ ، و بسته نشده است از شما نزد او هیچ دری ، و بدرستی که او در هر مکان و در هر وقت و زمان حاضر ، و با هر انسان وجان مصاحب.

صدمه نمیرساند کرم او را بخشش و عطا ، و نقصان نمیرساند خزانهٔ احسان او را کرم او، و تمام نمینماید بحرعطای اورا هیچ سؤال کنندهٔ، وبپایان نمیرساند نعمتهای اوراهیچ عطیهٔ، پیچیده نمینماید اورا شخصی از شخصی، ومشغول نمیگرداند او را آوازی از آوازی، و مانع نمیشود او را بخششی از ربودنی ، و رو گردان نمیسازد او را غضبی از رحمتی ، و حیران نمیگرداند او را رأفتی ازعذابی، وپنهان نمیدارد پنهانی ذات او از آشکاری آثار او ، و منقطع نمیسازد ظهور آثار او از خفاء ذات او، نزدیك شد بمخلوقات باعلم و قیومیّت پس دور شد از ایشان بحسب ذات، و بلند شد بهمه چیز با استیلا و سلطنت پس نزدیك شد بایشان باعلم و احاطه و ظاهر شد پس از کثرت ظهور خفا بهم رساند، و مخفی گشت پس درخفایش آشکار گردید، ولنعم ماقیل:

از همه کان بی نیاز و بر همه مشفق وزهمه عالم نهان وبرهمه پیدا

و جزا داد بهمهٔ عباد و جزا داده نشد، و خلق نفرمود خلق را با جولان فکر و تدبیر، و طلب اعانت نجست از ایشان بجهت عجز وضعفی.

وصیّت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیزکاری خدا پس بدرستی که آن تقوی افساریست مانع از دخول هلاکتها، و قوام دین شما با اوست ، پس بچسبید بریسمانهای محکم او، و چنگ بزنید بحقیقتهای آن یعنی اعتقادات حقهٔ یقینیه که راجع میسازد شما را بمکان‌های راحت و وطنهای با وسعت و حصار های محکم و منزلهای عزت در روزی که شاخص میشود در آن دیدها، و تاریك میشود بسبب شدت آن روز اطراف عالم، و معطل و بی‌صاحب میماند در آن روز شتران کم شیر که از مدت حمل او ده ماه گذشته باشد و نزدیك بزائیدن شود.

ودمیده شود درصوراسرافیل پس مضمحل وهلاك می‌شود هر قلب ، ولال میشود

هززبان ، و ذلیل می‌شود کوههای بلند بالا و سنگهای سخت محکم پس می گردد سنگهای صلب آنها مثل سراب متحرك ، و قرارگاههای آنها زمین خالی هموار بی‌بلندوپست ، پس‌نباشدشفیعی که شفاعت نماید ، ونه خویشی که دفع عذاب کند ونه عذری که منفعت بخشد .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والخامس و التسعون من المختار فى باب الخطب

بَعَثَهُ حِينَ لاٰ عَلَمٌ قائِمٌ ، وَلاٰ مَنارٌ ساطِعٌ ، وَلاٰ مَنْهَجٌ واضِحٌ .

أُوصيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنيا فَإِنَّها دارُ شُخُوصٍ ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ، ساكِنُها ظاعِنٌ ، وَقاطِنُها بائِنٌ ، تَمِيدُ بِأَهْلِها مَيَدانَ السَّفِينَةِ بِأَهْلِها ، تَقْصِفُهَا الْعَواصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحارِ ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ ، وَمِنْهُمُ النّاجِي عَلىٰ مُتُونِ الأَمْواجِ ، تَحْفِزُهُ الرِّياحُ بِأَذْيالِها ، وَتَحْمِلُهُ عَلىٰ أَهْوالِها ، فَما غَرِقَ مِنْها فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَما نَجىٰ مِنْها فَإِلىٰ مَهْلَكٍ .

عِبادَ اللهِ الآنَ فَاعْمَلُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالأَبْدانُ صَحِيحَةٌ ، وَالأَعْضاءُ لَدْنَةٌ ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ، وَالْمَجالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهاقِ الْفَوْتِ ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلاٰ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

اللغة

(العلم) محرّكة ماينصب فى الطريق ليهتدى به ويقال أيضاً للجبل أوالجبل المرتفع والجمع أعلام و (المنار) موضع النور والمسرجة كالمنارة وأصلها منورة و جمعه مناور وذوالمنار أبرهة تبّع بن الرّايش لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدى به إذارجع .

و (سطع) الشيء من باب منع سطوعاً ارتفع و (شخص) من باب منع أيضاً شخوصاً خرج من موضع إلى غيره و (نغص) الرّجل من باب فرح لم يتمّ مراده ، و البعير لم يتمّ شربه و أنغص الله عليه العيش و نغّصه كدّره فتنغّصت معيشته تكدّرت .

و (قصفه) يقصفه قصفاً كسره ، وفي بعض النّسخ تصفقها بدل تقصفها من الصّفق وهوالضّرب يسمع له صوت ، ومنه صفق يده على يده صفقاًوصفقة أىضرب يده على يده ، وذلك عند وجوب البيع .

و (اللّجج) جمع لجّة وهي معظم البحر و (غرق) غرقاً من باب فرح فهو غرق و (وبق) من باب وعد و وجل وورث وبوقاً وموبقاً هلك فهو وبق و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه وبالرّمح طعنه وعن الأمر أزعجه وأعجله وحفز اللّيل النّهار ساقه

و (اللّدن) واللّدنة اللّين من كلّ شيء والجمع لدان و ُلدن بالضمّ ، والفعل لدن من باب كرم لدانة و ُلدونة أى لان و (رهقه) من باب فرح غشيه ولحقه أو دنا منه سواء أخذه أولم يأخذه ، والارهاق أن يحمل الانسان على ما لايطيقه .

الاعراب

جملة تحفزه في محلّ النّصب على الحال من النّاجي ، وقوله : فالى مهلك

متعلّق بمقدّر خبر ما ، وقوله: الآن ، منصوب على الظّرف مقدّم على عامله و هو قوله : فاعملوا ، وجملة : والألسن مطلقة ، مع الجملات الأربع التّالية في موضع النّصب حال من فاعل فاعملوا ، و قوله : قبل ارهاق الفوت ، يجوز تعلّقه بعريض وبقوله فاعملوا ، والأوّل أقرب لفظاً ، والثاني أنسب معناً .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة للوصيّة بالتّقوى و التنفير من الدّنيا بذكر معايبها المنفرة عنها و للأمر بالأعمال الصّالحة والمبادرة إليها قبل لحوق الفوت ونزول الموت ، وقبل أن يشرع في الغرض افتتح بذكر بعثة الرّسول صلّى الله عليه وآله لكونها أعظم ما منّ الله به على عباده حيث إنّها مبدء جميع الآلاء والنّعماء في الآخرة ، ومنشأ السعادة الدّائمة فقال عليه السّلام :

(بعثه حين لا علم) من أعلام الدّين (قائم) واستعاره للأنبياء و المرسلين لأنّه يستدلّ بهم في سلوك طريق الآخرة كما يستدلّ بالأعلام في طرق الدّنيا

(و لا منار) للشّرع المبين (ساطع) استعاره لأولياء الدّين وقادة اليقين لأنّه يهتدى بهم ويقتبس من علومهم وأنوارهم في ظلمات الجهالة كما يهتدى بالمنار في ورطات الضلالة .

و أشار بعدم سطوع المنار وقيام العلم إلى خلوّ الأرض من الرّسل والحجج وانقطاع الوحى حين بعثه صلّى الله عليه وآله ، لأنّه كان زمان فترة كما قال عليه السّلام في الخطبة الثامنة والثمانين : أرسله على حين فترة من الرّسل وطول هجعة من الامم «إلى قوله» و الدّنيا كاسفة النّور ظاهرة الغرور ، و قد مضى في شرحها ما ينفعك المراجعة إليه في هذا المقام .

(و لا منهج) لليقين (واضح) و أشار به إلى اندراس نهج الحقّ و انطماس طريق السّلوك إلى الله و كون النّاس في خبط وضلالة وغفلة وجهالة .

ثمّ شرع بالوصيّة بالتقوى و التّحذير من الدّنيا فقال (اوصيكم عباد الله بتقوى الله) فانّها اليوم الحرز والجنّة وغداً الطريق إلى الجنّة (واُحذّركم الدّنيا فانّها) ظلّ زائل وضوء آفل وسنادمائل (دارشخوص) وارتحال (ومحلّة تنغيص) وتكدير لتكدّر عيشه بالآلام والأسقام (ساكنها ظاعن) مرتحل (وقاطنها بائن) مفترق يعني انّ السّاكن فيها ليس بساكن في الحقيقة، والمقيم بها منتقل عنها البتّة وذلك لما بيّنا في تضاعيف شرح الخطب السّابقة أنها في الحقيقة سفر الآخرة وهى الوطن الأصلي للانسان فهو من أوّل يوم خرج من بطن امّه ووضع قدمه في هذه النشأة دائماً في حركة وازيال وازداف وانتقال وينقضى عمره شيئاً فشيئاً يبعد من المبدء ويقرب من المنتهى فسكونها نفس زوالها ، واقامتها نفس ارتحالها ، وبقاؤها عين انتقالها و وجودها حدوثها ، و تجدّدها فناؤها ، فانّها عند ذوى العقول كفىء الظل ، بينا تراه سابغاً حتّى قلص ، وزايداً حتّى نقص .

ثمّ ضرب للدّنيا وأهلها مثلا عجيباً بقوله (تميد بأهلها ميدان السّفينة بأهلها) حالكونها (تقصفها) القواصف وتصفقها (العواصف) من الرّياح (في لجج البحار) الغامرات المتلاطمة التيّار المتراكمة الزّخار ، وهومن تشبيه المركب بالمركب على حدّ قول الشاعر :

وكأنّ أجرام النجوم طوالعاً درر نشرن على بساط أزرق

شبّه عليه السلام الدّنيا بالسّفينة التي في اللّجج حالكونها تضربها الرّياح الشديدة العاصفة وشبّه أهل الدّنيا بأهل السّفينة ، و شبه تقلّباتها بأهلها بالهموم والأحزان و الغموم والمحن بميدان السفينة واضطرابها بأهلها ، وشبّه الأمراض والآلام والعلل والأسقام ونحوها من الابتلاءات الدّنيويّة الموجبة للهموم والغموم بالرّياح العاصفة الموجبة لاضطراب السّفينة ، و وجه الشّبه أنّ راكبى السّفينة في لجج البحار الغامرة عند هبوب الرّيح العاصفة والزعزع القاصفة كما لاينفكّون من علز القلق وغصص الجرض ، فكذلك أهل الدّنيا لاينفكّون من مقاسات الشدايد وألم المضض .

وأيضاً (ف) كما أنّ راكبي السّفينة بعد ما انكسرت بالقواصف على قسمين: قسم (منهم الغرق الوبق) الهالك في غمار البحر (و) قسم (منهم النّاجي) من الغرق على بعض أخشاب السّفينة وألواحها (على متون الأمواج) المتلاطمة المتراكمة (تحفزه) وتدفعه (الرّياح) العاصفة والزّعازع القاصفة (بأذيالها) من جنب إلى جنب (وتحمله علي أهوالها) وتسوقه من رفع إلى خفض ومن خفض إلى رفع .

فكذلك أهل الدّنيا ينقسم إلى قسمين : أحدهما الهالك عاجلا بغمرات الآلام وطوارق الأوجاع والأسقام ، و الثّاني النّاجي من الهلاك بعد مكابدة تعب الأمراض و مقاساة مرارة العلل .

و أيضاً (ف) كما أنّ (ماغرق منها) أي من السّفينة وأراد به الغريق من أهلها مجازاً (فليس بمستدرك) أي ممكن التدارك (و ما نجى منها) أي النّاجي من أهلها (ف) عاقبته (إلى مهلك) أي إلى الهلاك وإن عاش يسيراً .

فكذلك أهل الدّنيا من مات منهم لا يتدارك ولا يعود ، و من حصل له البرء والشفاء من مرضه و نجا من الموت عاجلاً فمآلـه إليه لا محالة آجلاً وإن تراخي أجله قليلا .

و الغرض من هذه التشبيهات كلّها التّنفير عن الدّنيا و التنبيه على قرب زوالها وتكدّر عيشها ومرارة حياتها ليرغب بذلك كلّه إلى العمل للدّار الآخرة ، ولذلك فرّع عليه قوله:

(عباد الله الآن فاعملوا) أي بادروا العمل واستقربوا الأجل و لا يغرّنّكم طول الأمل (والألسن مطلقة) متمكنة من التّكلم بما هو فرضها من القراءة والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها قبل ثقلها واعتقالها بالمرض الحايل بينها وبين منطقها كما في حالة الاحتضار .

(و الأبدان صحيحة) مقتدرة على الاتيان بالتكاليف الشّرعيّة قبل سقمها و عجزها منها .

(والأعضاء) والجوارح (لدنة) لينة ببضاضة الشّباب وغضارة الصحّة قادرة على

القيام بالطاعات والحسنات قبل يبسها بنوازل السقم وعجزها بحوانى الهرم .

(والمنقلب فسيح) أى محل الانقلاب والتصرف وسيع ، لأن الخناق مهمل والروح مرسل في راحة الاجساد وباحة الاحتشاد.

(والمجال عريض) لانفساح الحوبة و إمكان تدارك الذنوب بالتوبة قبل الضنك والضيق والروع والزهوق .

و (قبل إرهاق الفوت) و قدوم الغائب المنتظر (و حلول الموت) و أخذة العزيز المقتدر.

(فحققوا عليكم نزوله) ولاتستبطئوه(ولاتنتظروا قدومه) ولاتسوفوه، وهو أمر بالاستعداد للموت والمبادرة الى أخذ الزاد له ولما بعده

يقول: إن الموت قد أظلكم و أشرف عليكم فكأنه قد أدرككم و نزل إلى ساحتكم فلايغرنكم الأمل ولايطولن بكم الأمد، فبادروا إلى الصالحات واستبقوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها الأرض و السموات، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممن لايغره الآمال ، ولا تلهيه الامنيات ، انه الموفق والمعين.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در اشارت به بعثت و وصيت بتقوى و تحذير از دنيا ميفرمايد:

مبعوث فرمود حضرت پروردگار رسول مختار را در زمانيكه نبود هيچ علمى برپا، و نه منارهٔ بلند، ونه راهى روشن

وصيت ميكنم شما را أى بندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى خدا، وميترسانم شما را ازدنياى بيوفا ، پس بدرستيكه آن دنيا خانهٔ رحلت است و محله كدورت ، ساكن او كوچ كننده است، ومقيم او جدا شونده، مضطرب ميشود بأهل خود مثل اضطراب كشتى در حالتيكه سخت بوزد به آن كشتى تندبادها در گردابهاى درياها، پس

بعضی از اهل آن کشتی غرق و هلاك شونده باشد، و بعضی دیگر نجات یابنده بر بالای موجها در حالتیکه براند اورا بادها با دامنهای خود، و بردارد اورا بهجاهای هولناك دریا، پس کسیکه غرق شده از آن کشتی درك نمیشود، و کسیکه نجات یافته از آن پس عاقبت کار او بهلاکت است.

ای بندگان خدا پس مواظب عمل باشید این زمان در حالتیکه زبانها سلامت است، و بدنها صحیح است، و عضوها تر و تازه، و مکان تصرّف وسیع است و مجال عبادت فراخ، پیش از احاطهٔ وفات و حلول ممات، پس محقق انکارید بخودتان حلول آنرا، و منتظر نباشید بقدم و آمدن آن.

ومن خطبة له عليه السلام و هی المأة والسادسة والتسعون من المختار فی باب الخطب

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ ساعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ واسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَواطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدامُ. نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِها، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُها عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وَلِّيتُ غُسْلَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْمَلائِكَةُ أَعْوانِي، فَضَجَّتِ الدّارُ وَالْأَفْنِيَةُ، مَلَأٌ يَهْبِطُ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ، وَما فارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وارَيْناهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً، فَانْفُذُوا

عَلىٰ بَصائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيّاتُكُمْ في جِهادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذي لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ إِنّي لَعَلىٰ جادَةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلىٰ مَزَلَّةِ الْباطِلِ، أَقولُ ما تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لي وَلَكُمْ.

اللغة

(المستحفظون) بصيغة المفعول من استحفظه الشيء أي أودعه عنده و طلب منه أن يحفظه فهو مستحفظ و ذاك مستحفظ و (واسيته) من المواساة يقال و اسيته و آسيته و بالهمزة أفصح و (نكص) عن الشيء نكوصاً من باب قعد أحجم عنه، و نكص على عقبيه رجع قال تعالى «فلمّا ترائت الفئتان نكص على عقبيه».

و (النّجدة) البأس والشّدة والشجاعة و (النفس) بسكون الفاء الدّم و بالتحريك واحد الأنفاس و (فناء) الدّار وزان كساء ما اتّسع أمامها أو ما امتدّ من جوانبها والجمع أفنية و فنى و (الضجيج) الصّياح عند المكروه والجزع و (الهينمة) بفتح الهاء الصّوت الخفيّ و قيل الكلام الخفيّ لايفهم و (الضّريح) القبر أو الشقّ وسطه والأول هو المراد هنا و (المزلّة) الموضع الذي تزلّ فيه قدم الانسان كالمزلقة

الاعراب

الواو في قوله: ولقد في المواضع الخمسة كلّها للقسم و المقسم به محذوف واللاّم جواب القسم، قوله: نجدة، منصوب على المفعول له و العامل واسيته قال الشّارح المعتزلي: منصوب على المصدر والعامل محذوف والأوّل أظهر.

و قوله: ملاء يهبط و ملاء يعرج، مرفوعان بالابتداء ولايضرّ كونهما نكرتين لتضمّن الفايدة العظيمة، وجملة و ما فارقت، في محلّ النصب على الحال من فاعل يهبط و يعرج، و جملة يصلّون استينافيّة بيانيّة و تحتمل الانتصاب محلاّ على الحال

من هينمة أى ما فارقت سمعى هينمتهم حالكونهم يصلّون، والأوّل أولى لاحتياج الثّاني إلى نوع تكلّف وقوله: حيّاً و ميّتاً، حالان من الضمير المجرور في به والفاء في قوله: فانفذوا، فصيحة

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة لبيان جملة من مناقبه الجميلة وخصايصه المختصّة به المفيد لمزيد اختصاصه برسول الله صلّى الله عليه وآله و قربه منه استدلالاً بذلك على أنّه أحقّ و أولى بالخلافة و القيام مقامه صلّى الله عليه وآله و أنّه على الحقّ و غيره على الباطل، وغرضه منه تنبيه المخاطبين على وجوب إطاعته فيما يأمرهم به من جهاد الأعداء المبطلين.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّه ذكر خمساً من فضايله و صدّر كلاّ بالقسم البارّ تأكيداً للغرض المسوق له الكلام و تنبيهاً على أنّ اتّصافه بها جميعاً حقّ لايعتريه ريب ولايدانيه شكّ.

أولها ما أشار إليه بقوله (و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله انّى لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قطّ) المراد بالمستحفظون خيار الصحابة المطلعون على أسرار رسول الله صلّى الله عليه وآله و سيرته و معجزاته و كراماته و عهوده و مواثيقه والملاحم الواقعة في زمانه صلّى الله عليه وآله و نحو ذلك ممّا يتعلّق به صلّى الله عليه وآله ، في نفسه و في أوصيائه و أتباعه من الأمور المعظمة الّتي يهتمّ بها في الشريعة و لها مدخل في قوام أركان الدّين و إعلاء لواء الشرع المبين الذين كلّفوا بحفظ ذلك كلّه و اُمروا بأن يبلغوها و يؤدّوها في مقام الضرورة والحاجة.

و إنّما خصّ علمما ذكره بهؤلاء مع عدم اختصاصه بهم لأنّ هؤلاء بمقتضى تصلّبهم في الدّين لايكتمون الشهادة ولايغيّرونها ولا يبدّلونها في مقام الحاجة للأغراض الدّنيويّة الفاسدة كما كتمها جمع منهم مثل زيد بن أرقم و أنس بن مالك ونظرائهم.

كماروى في البحار من الخصال والأمالى عن جابر الجعفي عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال:

خطبنا علي بن أبيطالب عليه‌الصلاة والسلام فحمدالله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن قدام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم انس بن مالك والبراء بن عازب الأنصارى والأشعث بن قيس الكندى و خالدبن يزيدالبجلى ثم أقبل بوجهه على أنس‌بن مالك فقال:

ياأنس إن كنت سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فهذاعلى مولاه ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لاتغطيه العمامة

و أما أنت يا أشعث فان كنت سمعت من رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو يقول : من كنت مولاه فهذا على مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه ثم لم تشهد لى اليوم بالولاية فلاأماتك‌الله حتى يذهب بكريمتيك.

و أما أنت يا خالدبن يزيد إن كنت سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فهذاعلى مولاه اللّهم وال من والاه‌وعاد من عاداه ثم لم‌تشهدلي‌اليوم‌بالولاية فلا أماتك الله إلا ميتة‌جاهلية.

و أما أنت يا براء بن عازب إن كنت سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول:من كنت مولاه فهذا على مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه ثم لم تشهد لي بالولاية فلا أماتك الله إلا حيث‌هاجرت منه.

قال جابربن عبدالله الأنصارى:

والله لقد رأيت أنس بن مالك قدابتلى ببرص يغطيه بالعمامة فما يستتره.

ولقد رأيت‌الأشعث‌بن‌قيس‌وقد ذهبت كريمتاه و هويقول: الحمدلله‌الذى‌جعل دعاء أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بالعمى فى الدنيا ولم يدع على بالعذاب في الآخرة فأعذب.

و أما خالد بن يزيد فانه مات فأراد أهله أن يدفنوه و حفرله في منزله فسمعت بذلك كندة‌فجائت بالخيل والابل فعقرتهاعلى‌باب منزله فمات‌ميتة‌جاهلية.

و أمّا البراء بن عازب فانّه ولاّه معاوية اليمن فمات بها و منها كان هاجر .

فقد ظهر بذلك أنّ المستحفظين هم المكلّفون بحفظ الامور المهمّة المعتدّ بها في أمر الدين، و أنّ تخصيصهم بالعلم لعدم كتمانهم لما حملوه لو رجع الخاطئون اليهم.

واما أنّه عليه السلام ماردّ على الله و رسوله أبداً فهو معلوم محقّق لاخفاء فيه بل من ضروريّات المذهب لملكة العصمة المانعة من مخالفته لله و لرسوله صلى الله عليه وآله.

وقال الشّارح المعتزلي: والظاهر أنّه يرمز في قوله عليه السلام: لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعة قط، إلى أمور وقعت من غيره كماجرى يوم الحديبيّة عندسطر كتاب الصّلح، فانّ بعض الصحابة أنكر ذلك، و قال: يا رسول الله ألسنا المسلمين؟ قال صلى الله عليه وآله: بلى قال: أوليسوا الكافرين ؟ قال : بلى ، قال: فكيف نعطي الدّنية من دنيانا والله لوأجد أعواناً لم أعط الدّنية أبداً ، فقال أبو بكر لهذا القائل : ويحك الزم غرزه (١) فوالله إنّه لرسول الله و إنّ الله لايضيعه . ثمّ قال له : أقال لك أنّه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال:فسيدخلها، فلمّا فتح النّبيّ صلى الله عليه وآله مكّة وأخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال: هذا الّذى وعدتم به.

قال الشّارح: و اعلم أنّ هذا الخبر صحيح لاريب فيه، والنّاس كلّهم رووه وليس عندى بقبيح ولا بمستهجر أن يكون سؤال هذا الشخص رسول الله صلى الله عليه وآله عما سأله عنه على سبيل الاسترشاد و التماساً لطمأنينة النّفس . فقد قال الله تعالى لخليله إبراهيم «أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبى».

وقد كانت الصحابة يراجع رسول الله صلى الله عليه وآله في الامور و تسأله عمّا يشتبهم عليها و تقول له أهذا منك أم من الله.

و أمّا قول أبي بكر له: الزم غرزه فوالله انّه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فانّما هو تاكيد و تثبيت على عقيدته الّتي في قلبه، ولايدلّ ذلك على الشّك فقد قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله «ولولاأن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا» و كلّ أحد لايستغنى عن زيادة اليقين والطمأنينة.

---

(١) أى ركابه ، منه .

قال: وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذا القصة، كقوله : دعني أضرب عنق أبي سفيان ، و قوله: دعني أضرب عنق عبدالله ابن أبيّ، و قوله: دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة ، و نهى النبيّ صلّى الله عليه و آله عن التسرع إلى ذلك وجذبه ثوب رسول الله صلّى الله عليه و آله حين قام على جنازة ابن سلول يصلّي و قوله : تستغفر لرأس المنافقين.

و ليس في ذلك جميعه ما يدلّ على وقوع القبيح منه و إنّما كان الرّجل مطبوعاً على الشدّة والشّراسة والخشونة و كان يقول ما يقول على مقتضى السجيّة الّتي طبع عليها ، و على أيّ حال كان فلقد نال الاسلام بولايته و خلافته خيراً كثيراً، انتهى.

اقول: مراد الشارح بهذا الرّجل الذى حكى عنه هذه الأباطيل هو عمر بن الخطاب، و إنّما ترك التّصريح باسمه ملاحظة لجانبه، ولقد عكس في شرح قوله عليه السلام: فصيّرها في حوزة خشناء، من الخطبة الثالثة و قال هناك : قال عمر للنّبيّ صلّى الله عليه و آله لم تقل لنا ستدخلونها في ألفاظ نكره حكايتها حتّى شكاه النبي صلّى الله عليه و آله إلى أبى بكر و حتى قال له أبو بكر: الزم بغرزه فوالله إنه لرسول الله صلّى الله عليه و آله، انتهى.

فصرّح باسمه و طوى عن تحصيل مقاله و فضول كلامه استكراهاً واستهجاناً لما صدر منه من الرّدّ والمخالفة و إساءة الأدب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و استحياء منه عليه السلام.

ولكن غير خفيّ على المنصف البعيد عن العصبيّة والهوى أنّ شناعة ما صدر من هذا الرّجل لايمكن أن يتدارك بالستر و الكتمان و الابهام عن اسمه تارة والاجمال عن هذيانه اخرى، و نعم ماقيل:

و لن يصلح العطار ماأفسد الدّهر

فلقد صدر منه من القول الشنيع القبيح ما هو أشدّ و أعظم من ذلك، وهو ما قاله لرسول الله صلّى الله عليه و آله فى مرضه الذى مات فيه لما قال صلّى الله عليه و آله : ائتونى بكتف و دواة اكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده أبداً، فقال عمر: إنّ الرّجل ليهجر.

وفي البحار من المجلّد الثاني من صحيح مسلم فقال: إنّ رسول الله ﷺ يهجر.

و أما ما اعتذر به الشارح عن مثالبه بأنه ليس بقبيح أن يكون سؤال هذا الرّجل على سبيل الاسترشاد والتماساً لطمأنينة النفس.

ففيه أنه لو كان غرضه الاسترشاد دون الاعتراض لاكتفى بماسمعه من النبيّ ﷺ له و أمسك عن فضول كلامه ولم يغضبه ﷺ حتى يشكوإلى أبي بكر،فعلم بذلك أنه أراد التعريض والاعتراض كما علم عدم جواز قياس سؤاله بسؤال الخليل عليه السلام الذي كان غرضه منه الطمأنينة كما صرّح به بقوله: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي، و ستعرف مزيد توضيحه بمانحكيه من البحار في التنبيه الآتي.

وأما سؤال ساير الصّحابة عنه ﷺ في الامور و قولهم له: أهذا من الله أو منك.

ففيه أنّ سؤالهم ذلك أيضاً كان ناشياً عن جهالتهم، لأنّهم لو كانوا معتقدين بما أنزل الله في حقّه من قوله: وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، ومذعنين بأنّ جميع ما يقوله و يفعله بوحي من الله سبحانه و اذن منه عزّ وجلّ، لم يكن لهم حاجة إلى السّؤال، و لسلّموا في جميع أفعاله وأقواله تسليماً.

وأما التّمثيل على نفي الشّكّ عن عمر بقوله تعالى «و لولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا».

ففيه أنّ النّبيّ ﷺ قدقامت الأدلّة القاطعة من العقل و النقل على عصمته و على رسوخه في الدّين، والآية و إن كان الخطاب فيها ظاهراً متوجهاً إلى النّبي ﷺ إلاّ أنّ المراد بها امّته من قبيل ايّاك أعني و اسمعي ياجاره.

و على إبقائه على ظاهره فالمراد بتثبيته ﷺ هو تثبيته بالنّبوة والعصمة والألطاف الخفيّة الالهيّة، لما قددللنا على أنه كان معصوما، و أمّا عمر فأيّ دليل على أنّه لم يكن شاكاً في الدّين حتّى يقال إنّ قول أبي بكر له: فوالله إنه لرسول الله، لم يكن لأجل الشكّ بل لتثبيته على عقيدته، فافهم جيّداً.

واما دنس جذبه بثوب رسول الله ﷺ حين إرادته الصّلاة على ابن سلول فلا يطهره النّيل ولا الرّس.

إن فيه من القباحة و المخالفة و الاعتراض و سوء الأدب و التّعريض ما لا مزيد عليه.

مضافاً إلى قوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين أكان رسول الله ﷺ و العياذ بالله جاهلاً بتكليفه الشّرعى فعلّمه عمر، وقد كان معالم الدّين منه ظهرت و أحكام الشّرع المبين منه اخذت، وهو ﷺ شارعها و صادعها.

و قيامه على جنازة ابن سلول و صلاته عليه إمّا من جهة أداء حقّ ولده وهو عبدالله بن عبدالله بن أبي سلول فلقد كان مؤمناً.

وإمّا من جهة أنّه ﷺ صلّى عليه لاترحّماً له بل دعا عليه بالنار والعذاب و لم يكن به بأس.

وأمّا استغفاره ﷺ فلكونه ﷺ، مخيّراً بين الاستغفار وعدم الاستغفار.

و يوضح ما ذكرته ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا مات عبدالله بن أبي سلول حضر النّبيّ ﷺ جنازته فقال عمر لرسول الله: يارسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت فقال: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال له: ويلك وما يدريك ما قلت إنّي قلت: اللهمّ احش جوفه ناراً و املاء قبره ناراً واصله ناراً، قال أبوعبدالله صلوات الله عليه: فأبدى من رسول الله ﷺ ما كان يكره.

وفى الصافى من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى « استغفر لهم او لاتستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم» انّها نزلت لمّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة و مرض عبدالله بن أبي و كان ابنه عبدالله مؤمناً فجاء إلى النّبيّ ﷺ و أبوه يجود بنفسه فقال: يا رسول الله بأبي أنت و امّي إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل عليه رسول الله ﷺ والمنافقون عنده، فقال ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله استغفر له، فاستغفر له، فقال عمر: ألم ينهك يا رسول الله أن

تصلّي عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعاد عليه، فقال له: ويلك إنّي خيّرت إنّ الله يقول استغفر لهم أولا تستغفر لهم، الآية.

فلمّا مات عبدالله جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت و امّي يارسول الله أرأيت تحضر جنازته فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قام على قبره فقال له عمر: يا رسول الله أولم ينهك الله أن تصلّي على أحد منهم مات أبداً و أن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ويلك وهل تدري ماقلت، إنّما قلت: اللهمّ احش قبره ناراً وجوفه ناراً واصله النار، فبدا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالم يكن يحبّ.

وفي الصافي عن العياشي عن الباقر عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لابن عبدالله بن أبيّ اذا فرغت من أبيك فأعلمني، وكان قد توفّي فأتاه فأعلمه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعليه للقيام فقال له عمر: أليس قد قال الله تعالى: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره، فقال صلى الله عليه وآله له: ويلك أو ويحك إنّما أقول: اللهمّ املاء قبره ناراً و املاء جوفه ناراً، واصله يوم القيامة ناراً

وفي رواية اخرى أنّه أخذ بيد ابنه في الجنازة فمضى فتصدّى له عمر ثمّ قال: أما نهاك ربك عن هذا أن تصلّي على أحد منهم مات أبداً أو تقوم على قبره؟ فلم يجبه، فلما كان قبل أن ينتهوا به إلى القبر أعاد عمر ماقاله أوّلاً، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعمر عند ذلك: مارأيتنا صلّينا له على جنازة ولا قمنا له على قبر.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ابنه رجل من المؤمنين وكان يحقّ علينا أداء حقّه، فقال عمر: أعوذ بالله من سخط الله وسخطك يارسول الله.

قال في الصّافي بعد ايراد هذه الرّوايات:

أقول: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حييا كريماً كما قال الله عزّ وجلّ: فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحقّ، فكان يكره أن يفتضح رجل من أصحابه ممّن يظهر الايمان، وكان يدعو على المنافق ويورّي أنّه يدعو له، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله لعمر: مارأيتنا صلّينا له على جنازة ولا قمنا له على قبر، وكذا معنى قوله في حديث القمّي: خيّرت فاخترت، فورّى عليه السلام باختيار الاستغفار

وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله فيه : فاستغفر له فلعلّه استغفر لابنه لمّا سأل لأبيه الاستغفار وكان يعلم أنه من أصحاب الجحيم ، ويدلّ على ما قلنا قوله: فبدا من رسول الله صلّى الله عليه وآله ما لم يكن يحبّ ، انتهى .

فقد اتّضح بما ذكرنا كلّ الوضوح نكتة قيام رسول الله صلّى الله عليه وآله على قبر ابن سلول وصلاته عليه ، وعلّة ما صدر منه صلّى الله عليه وآله من الاستغفار .

و مع الغضّ عن ذلك أيضاً فهو صلّى الله عليه وآله أعلم بعلل ما يقول ويفعل ، و بوجوه المصالح الكامنة فيما يأتي ويأمر به ، فلاحقّ للجلف الجافي ابن حنتمة و أمثاله من الأوغاد الطغام أن يعترضوا على سيّد الأنام ورسول الملك العلّام عليه و آله آلاف التحيّة والاكرام .

و أما ما اعتذر به الشارح المعتزلي أخيراً من أنّ الرّجل كان مطبوعاً على الشدّة والشراسة والخشونة وكان يقول ما يقول على مقتضى سجيّته التي طبع عليها .

فقد تقدّم جوابه في شرح الفصل الثاني من الخطبة الشقشقية .

ومحصّل ما قلناه هناك إنّ خشونة سجيّته وجفاوة طبيعته إن كانت بالغة إلى مرتبة لم يبق له معها اختيار في الامساك عن فضول كلامه وسقطات لسانه والكفّ عن هجره وهذيانه، فيتوجّه عليه أنّ من كان كذلك يعدّ في زمرة المجانين فكيف يصلح لامامة الأمة وخلافة النبوّة .

وإن لم تكن بالغة إلى تلك المرتبة فذلك الاعتذار لا يدفع عنه العار والشنار كما لم يدفع عن ابليس استحقاق النار وسخط الجبّار ، ولم يرفع عنه لؤم الاستكبار حين استكبر بمقتضى الجبلة النارية واعتذر به في قوله: خلقتني من نار وخلقته من طين ، بل استحقّ اللّعنة والابعاد إلى يوم الدّين وخلّد في الجحيم أبد الآبدين .

و أما قول الشارح و على أيّ حال كان فلقد نال الاسلام بولايته و خلافته خيراً كثيراً .

فيه أنه هب أنّ إنهاض الجيوش و بعث العساكر وفتح بعض البلاد كان في زمان

خلافته وبأمره ، ولكن إذا كان أصل الخلافة باطلة حسبما عرفته في تضاعيف الشرح مراراً فأيّ ثمر أخرويّ له في هذه الخيرات النائلة منه إلى الاسلام على فرض تسليمها لأنّه عزّ وجلّ إنّما يتقبّل من المتّقين ، بل كلّ ما صدر منه في أيّام ولايته وخلافته ومخالفته لله ولرسوله كان عليه وزراً ووبالاً دون أن يكون له ثواباً ونوالاً

كمطعمة الرّمان ممّا زنت به جرت مثلا للخائن المتصدّق

فقال لها أهل البصيرة و التّقى لك الويل لا تزني و لا تتصدّق

بل لو قيست سيئة من سيئآته وهي غصب الخلافة من آل بيت الرّسول وإحراقه لباب ابنته البتول وما كان بأمره من كسر ضلعها وسقوط جنينها ، وما نشأت من تلك الشجرة الملعونة الخبيثة وثمرته من أعظم الظّلم في وقعة الطّف الّذي لا يتصوّر ظلم فوقه ، إلى سيئآت جميع الامّة لرجحت عليها فضلاً عن ساير جرايمه وبدعاته ومحدثاته التي بقيت على صفحات الأيام ، و استمرّت إلى يوم القيامة و القيام ، فليحملن أوزارها كاملة ومن أوزار الّذين بها يعملون ، وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد حقّهم أيّ منقلب ينقلبون .

الثانية ما أشار إليه بقوله (ولقد واسيته في المواطن الّتي تنكص) وترجع (فيها الأبطال) والأنجاد (وتتأخّر فيها الأقدام) من أجل (نجدة) وشجاعة (أكرمني الله بها) وجعلها مخصوصة بي و آثرني بها على غيري .

قال الشّارح المعتزلي : وهذا يعني المواساة ممّا اختصّ عليه السلام بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم احد وفرّ النّاس وثبت معه يوم حنين وفرّ النّاس ، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتّى فتحها وفرّ من كان بعث من قبله .

اقول :أوّل مواساته عليه وآله آلاف التحيّة و الثناء مبيته على فراش خاتم الأنبياء حتى باهى الله به ملائكة السماء ، فوهب نفسه لله تعالى وبذلها لنبيّه المصطفى وبات على فراشه لينجو به من كيد الأعداء ، ويتمّ له بذلك السلامة والبقاء ، وينتظم له به الغرض في الدّعاء إلى الحنيفيّة البيضاء ، فكان ذلك سبب نجاة النبيّ صلى الله عليه وآله وبقائه وحقن دمه حتى صدع بأمر ربّه .

ولولاه عليه السلام لما تمّ لرسول الله صلى الله عليه وآله التبليغ والأداء ولااستدام له العمر والبقاء ولظفر به الحسدة و الأعداء فلما أصبحوا و عرفوا تفرّقوا عنه و انصرفوا وقد ضلّت لهم الحيل وانقطع بهم الأمل و انتقض ما بنوه من التدبير وخابت لهم الظنون .

وكان بذلك انتظام الايمان و إرغام الشيطان وخذلان أهل الكفر و العدوان ، وهذه منقبة لم يشركه عليه السلام فيها أحد من أهل الاسلام وقد انزل فيه محكم التبيان وهو قول الله « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد »

وأما مواساته له صلى الله عليه وآله في مواطن جهاده ، ومواطن جدّه واجتهاده ، ومقامات جداله بالسنة الاسنة وجلاده ، فهو فوق حدّ الاحصاء ، متجاوز عن حدّ العدّ والاستقصاء .

منها غزوة بدر التي هدّت قوى الشرك ، و قذفت طواغيته في قليب الهلك ، ودوّخت مردة الكفار ، و سقتهم كاسات الدّمار و البوار ، و نقلتهم من القليب إلى النار .

فيومها اليوم الذى لم يأت الدّهر بمثله ، و أفاض الله فيه من أحسن فضله ، أنزل فيه الملائكة لتأييد رسوله تفضيلاً له على جميع رسله ، وحباه من علوّ القدر ما لم ينله أحد من قبله ، و أشرب صناديد قريش كاس أسره وقتله ، و جبرئيل ينادى أقدم حيزوم لاظهار دينه على الدّين كلّه ، وأمير المؤمنين كان فارس تلك الملحمة فما تعدّ الأسدُ الغضاب بشسع نعله ، ومسعّر تلك الحرب العوان ينصب على الأعداء انصباب السحاب و وبله ، ونار سطوته ونجدته تتسعّر تسعر النار في دقيق الغضا وجزله .

وقد عرفت في شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة والحادية والتسعين أنّ نصف القتلي في تلك الوقعة وكانوا سبعين رجلا كان قتيله باشر بنفسه قتله من دون شركة غيره له .

ومنها غزوة أحد

قال في كشف الغمّة في حديث عمران بن حصين قال :

لمّا تفرّق النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء عليّ عليه السلام متقلّداً بسيفه حتّى

قام بين يديه فرفع رأسه إليه و قال صلى الله عليه وآله له : ما لك لم تفرّ مع النّاس ؟ فقال : يارسول الله أرجع كافراً بعد إسلامي فأشار إلى قوم انحدروا من الجبل ، فحمل عليهم فهزمهم فجاء جبرئيل ، و قال : يا رسول الله قد عجبت الملائكة من حسن مواساة عليّ لك بنفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يمنعه من ذلك وهو منّي وأنا منه فقال جبرئيل : وأنا منكما .

وفيه عن زيد بن وهب قال : قلت لابن مسعود : انهزم النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق معه إلّا عليّ عليه السلام وأبودجانة وسهل ؟ قال : انهزم النّاس إلّا عليّ وحده ، وثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نفر كان أوّلهم عاصم بن ثابت و أبودجانة وسهل بن حنيف ، ولحقهم طلحة بن عبيدالله ، فقلت له : فأين كان أبوبكر و عمر ؟ قال : كانا فيمن تنحّى ، فقلت : فأين كان عثمان ؟ قال : جاء بعد ثالثة من الوقعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد ذهبت فيها عريضة ، قلت : فأين كنت ؟ قال : فيمن تنحّى ، قلت : فمن حدّثك بهذا ؟ قال : عاصم بن ثابت و سهل بن حنيف ، قلت : إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب ، قال : إن تعجب منه فقد تعجّبت منه الملائكة أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السّماء : لاسيف إلّا ذوالفقار لا فتى إلّا عليّ ، فقلنا : و من أين علم أنّ جبرئيل قال ذلك؟ قال: سمع النّاس النّداء بذلك وأخبرهم به النبيّ صلى الله عليه وآله .

قال كاشف الغمة : و روى عن عكرمة قال : سمعت عليّاً يقول : امّا انهزم النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد لحقني من الجزع عليه مالم أملك نفسي و كنت أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره فقلت . ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليفرّ وما رأيته في القتلى وأظنّه رفع من بيننا إلى السّماء ، فكسرت جفن سيفي وقلت : لاُقاتلنّ به حتّى اقتل ، وحملت على القوم فأفرجوا فاذاً أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وقد وقع مغشيّاً عليه ، فنظر إليّ وقال : مافعل النّاس يا عليّ ؟ قلت: كفروا يارسول الله وولّوا الدّبر وأسلموك ، فنظر إلى كتيبة قد أقبلت فقال : ردّهم عنّي ، فحملت

عليهم أضربهم يميناً وشمالاً حتّى فرّوا فقال صلى الله عليه وآله : أما تسمع مديحك في السماء إنّ ملكا اسمه رضوان ينادى : لاسيف إلاّ ذوالفقار ولافتى إلاّ عليّ ، فبكيت سروراً وحمدت الله على نعمته .

قال:وقد ذكر أهل السّير قتلى اُحد من المشركين و كان جمهورهم قتلى أميرالمؤمنين عليه السلام وانصرف المشركون إلى مكّة و انصرف النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة فاستقبلته فاطمة و معها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، و لحقه أميرالمؤمنين عليه السلام ، وقد خضب الدّم يده إلى كتفه و معه ذوالفقار، فناوله فاطمة وقال: خذى هذا السّيف فقد صدقني اليوم وقال عليه السلام :

أفاطم هاك السّيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم(١)
أميطى دماء الكفر عنه فانّه سقا آل عبد الدّار كاس حميم
لعمرى لقد أعذرت في نصر أحمد و طاعة ربّ بالعباد عليم

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذيه يافاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه،وقد قتل الله صناديد قريش بيده .

ومنها غزوة الأحزاب المعروفة بغزاة خندق

قال المفيد في الارشاد : وقد روى قيس بن الرّبيع قال : حدّثنا أبو هارون العبدى عن ربيعة السّعدى قال : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت يا أبا عبدالله إنّا لنتحدّث عن عليّ عليه السلام و مناقبه فيقول لنا أهل البصرة : إنّكم لتفرطون في على عليه السلام، فهل أنت تحدّثني بحديث فيه قال حذيفة : يا ربيعة و ما تسألنى عن عليّ فوالذى نفسى بيده لووضع جميع أعمال أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم الناس هذا، و وضع عمل عليّ عليه السلام في الكفّة الأخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم ، فقال ربيعة : هذ الذى لايقام ولا يقعد ، فقال حذيفة : يا لكع و كيف لايحمل وأين كان أبوبكر و عمر و حذيفة وجميع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبدود وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلّهم ما خلا

١ـ الرعديد الجبان، المليم الذى يلائم على ما يصدر منه،ك.

عليّاً عليه السلام، فانّه برز إليه و قتله الله على يده، والذى نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة

قال في كشف الغمّة: رأيت في بعض الكتب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال حين بارز عليّ عمرو بن عبدود: خرج الاسلام كلّه إلى الشرك كلّه.

قال: و روى أنّ عبدالله بن مسعود كان يقرء: و كفى الله المؤمنين القتال بعليّ و كان الله قويّاً عزيزاً.

قال: و في قتل عمرو يقول حسان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر

فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ... و لقد وجدت جيادنا لم تقصر

و لقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب المحشر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال: ولمّا بلغ شعر حسان بنى عامر أجابه فتى منهم فقال يردّ عليه فخره:

كذبتم و بيت الله لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميّين فافخروا

بسيف ابن عبدالله أحمد في الوغا ... بكفّ عليّ نلتم ذاك فاقصروا

فلم تقتلوا عمرو بن و دّ ولا ابنه ... و لكنه الكفّ الجسور الغضنفر

عليّ الذى في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدّعوى علينا فتحقروا

ببدر خرجتم للبراز فردّكم ... شيوخ قريش جهرة و تأخّروا

فلما أتاهم حمزة و عبيدة ... و جاء عليّ بالمهنّد يخطر

فقالوا نعم أكفاء صدق وأقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا

فجال عليّ جولة هاشميّة ... فدمّرهم لما عتوا و تكبّروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... و ليس لكم فخر يعدّ ويذكر

و منها غزوة وادى الرّمل و تسمى غزوة ذات السلسلة.

وقد كان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة بعد أن كان فيها من غيره من الافساد ما كان، وفيها نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سورة والعاديات فتضمّنت ذكر ما

فعله أمير المؤمنين فيها.

قال المفيد : روى عن ام سلمة قالت : كان نبيّ الله صلى الله عليه وآله قائلاً في بيتي إذ انتبه فزعاً من منامه فقلت له: الله جارك قال: صدقت والله جاري لكن هذا جبرئيل يخبرني أنّ علياً قادم ، ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام فقام المسلمون له صفّين مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما بصر بالنبيّ صلى الله عليه وآله ترجّل عن فرسه و أهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له عليه السلام : اركب فانّ الله تعالى و رسوله عنك راضيان فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً و انصرف إلى منزله، و تسلّم المسلمون الغنايم «إلى أن قال» ثمّ قال صلى الله عليه وآله له : ياعلي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوايف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لاتمرّ بملاء منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك.

ومنها غزوة الحديبيّة.

وفيها أقبل سهيل بن عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له يا محمّد إنّ أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول الله حتّى تبيّن الغضب في وجهه ثمّ قال : لتنتهنّ يا معاشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب رقابكم على الدين، فقال بعض من حضر: يارسول الله أبو بكر ذلك الرّجل؟ قال: لا، قال: فعمر، قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة، فتبادر الناس إلى الحجرة ينظرون من الرّجل فاذاً هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام رواه المفيد في الارشاد، و رواه في كشف الغمة وصحيح الترمذي نحوه.

ومنها غزوة خيبر

قال المفيد : ثمّ تلت الحديبيّة خيبر و كان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام بلا ارتياب فظهر من فضله في هذه الغزاة ما أجمع عليه نقلة الرّواة و تفرّد فيها مناقب لم يشركه فيها أحد من الناس.

وقال كاشف الغمة: قال ابن طلحة: و تلخيص المقصد فيها على ماذكره أبو محمّد عبدالملك بن هشام في كتاب السيرة النبويّة يرفعه بسنده عن ابن الأكوع قال:

بعث النبيّ صلى الله عليه وآله أبابكر برايته و كانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثمّ رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثمّ بعث عمربن الخطاب فكان كذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار ، قال سلمة: فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال :خذ هذه الرّاية فامض بها حتّى يفتح الله عليك ، فخرج يهرول و أنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم(١) من حجارة تحت الحصن، فاطلع عليه يهوديّ من الحصن فقال: من أنت؟قال: أنا عليّ بن أبيطالب فقال اليهودي : علوتم حصننا وما انزل على موسى أو كما قال ، فمارجع حتّى فتح الله على يديه.

ومنها فتح مكّة.

قال المفيد ره: و فيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين عليه السلام ،في قتل من قتل من أعداء الله بمكة و إخافة من أخاف و معونة رسول الله صلى الله عليه وآله على تطهير المسجد من الأصنام و شدّة بأسه في الله و قطع الأرحام في طاعة الله عزّ وجلّ أوّل دليل على تخصيصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسبما قدمناه.

ومنها غزوة حنين.

فاستظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بكثرة الجمع، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله و معه عشرة آلاف من المسلمين فظنّ أكثرهم أنهم لن يغلبوا لما شاهدوا من كثرة جمعهم و عددهم و عدّتهم و أعجب أبابكر الكثرة يومئذ فقال لن نغلب اليوم من قلّة فكان الأمر بخلاف ما ظنّوه وعانهم(٢) أبو بكر.

فلمّا التقوا لم يلبثوا وانهزموا بأجمعهم فلم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ تسعة من بني هاشم و عاشرهم أيمن بن امّ ايمن، و قتل رحمه الله و ثبت التّسعة الهاشميّون رئيسهم أمير المؤمنين عليه السلام و رجعوا بعد ذلك و تلاحقوا و كانت الكرّة لهم على المشركين فأنزل الله في إعجاب أبي بكر بالكثرة «و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

١ـ الرضم والرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية،منه.

٢ـ اى اصابهم بعين يعنى چشم زخم زد، منه.

فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين ✿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين » يريد عليّاً عليه السلام و من ثبت معه من بني هاشم.

قال كاشف الغمّة بعد شرح هذه الغزوة : فانظر إلى مفاخر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة و مناقبه، وجل بفكرك في بدايع فضله و عجايبه، و احكم فيها برأي صحيح الرّأي صايبه، و اعجب من ثباته حين فرّ الشّجاع على أعقابه، ولم ينظر في الأمر و عواقبه، و اعلم أنّه عليه السلام أحقّ بالصّحبة حين لم ير مفارقة صاحبه، و تيقّن أنّه إذا حمّ الحمام لم ينتفع المرء بغير أهله وأقاربه، فاذا صحّ ذلك عندك بدلايله و بيّناته، و عرفته بشواهده و علاماته، فاقطع أنّ ثبات من ثبت من نتايج ثباته، وأنّهم كانوا أتباعاً له في حروبه و مقاماته ،وأنّ رجوع من رجع من هزيمته فانّما كان عندما بان لهم من النّصر و أما راته.

قال الشارح الفقير : هذا قليل من كثير و يسير من جم غفير من مناقبه و مفاخره ومجاهداته و مواساته لرسول الله صلّى الله عليه وآله أوردته باقتضاء المقام و شرحاً لمعنى قوله عليه السلام: ولقد واسيته في المواطن الّتي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام

و كم له عليه السلام من الآثار والمناقب والأخبار الّتي لاتستتر، والمفاخر والفضائل و المجاهدات المثبتة في كتب التواريخ و السّير ، و كم له من المزايا والخلال والبلاء المذكور في النّزال، ولاصدرت منه عليه السلام ، هذه الأفعال إلاّ عن نجدة وشجاعة تذلّ لها الأبطال، و تقلّ لديها الأهوال،ولاتقوم بوصفها الأقلام والأقوال، ولايحتاج في اثباتها إلى تجشّم الاستدلال، وعلى الجملة والتفصيل فمقام بأسه ونجدته لاينال وماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال .

الثالثة ما أشار إليه بقوله (ولقد قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله و انّ رأسه لعلى صدرى) قيل: لعلّه عليه السلام أسنده صلّى الله عليه وآله إلى صدره عند اشتداد مرضه، وقيل : انّه كان رأسه على ركبته فيكون رأسه صلّى الله عليه وآله، في صدره عند اكبابه عليه، والأول أظهر .

ويؤيده ما في البحار عن أمالي الشّيخ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : كنت

عند رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الّذي قبض فيه وكان رأسه في حجري والعبّاس يذبّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاغمى عليه اغماء ثمّ فتح عينه فقال: يا عبّاس ياعمّ رسول الله اقبل وصيّتي و اضمن ديني و عداتي، فقال العباس: يا رسول الله أنت أجود من الرّيح المرسلة وليس في مالي وفاء لدينك و عداتك، فقال النّبي صلى الله عليه وآله ذلك ثلاثاً يعيده عليه والعبّاس في كلّ ذلك يجيبه بماقال أوّل مرّة.

قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لأقولنّها لمن يقبلها ولا يقول ياعبّاس مثل مقالتك، فقال: يا علي اقبل وصيّتي واضمن ديني وعداتي.

قال: فخنقتني العبرة وارتج جسدي و نظرت إلى رأس رسول الله صلى الله عليه وآله يذهب ويجيء في حجري فقطرت دموعي على وجهه ولم اقدر أن اجيبه، ثمّ ثنّى فقال: اقبل وصيّتي واضمن ديني وعداتي قال: قلت: نعم بأبي وامّي قال: اجلسني، فأجلسته فكان ظهره في صدري فقال: يا علي أنت أخي في الدّنيا والآخرة، ووصيّي وخليفتي في أهلي.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا بلال هلمّ سيفي و درعي و بغلتي و سرجها و لجامها ومنطقتي الّتي أشدّ بها على درعي، فجاء بلال بهذه الأشياء فوقف بالبغلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي قم فاقبض، فقال: قمت وقام العبّاس فجلس مكاني فقمت فقبضت ذلك، فقال: انطلق به إلى منزلك، فانطلقت ثمّ جئت فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً فنظر إليّ ثمّ عمد إلى خاتمه فنزعه ثمّ دفعه إليّ فقال: هاك يا عليّ هذا لك في الدّنيا والآخرة والبيت غاصّ من بني هاشم والمسلمين.

فقال: يا بني هاشم يا معشر المسلمين لا تخالفوا عليّاً فتضلّوا ولا تحسدوه فتكفروا، يا عبّاس قم من مكان عليّ عليه السلام، فقال: تقيم الشيخ وتجلس الغلام؟ فأعادها ثلاث مرّات فقام العبّاس فنهض مغضباً وجلست مكاني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبّاس ياعمّ رسول الله لااخرج من الدّنيا وأنا ساخط عليك فيدخلك سخطي عليك النّار فرجع وجلس.

ومن الامالي أيضاً عنه عليه السلام في حديث قال:

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أجلسني، فأجلسته وأسندته إلى صدري قال علي عليه السلام: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ليثقل ضعفاً و هو يقول يسمع أهل البيت أعلاهم و أدناهم: إنّ أخي ووصيّي و وزيري و خليفتي في أهلي عليّ بن أبيطالب عليه السلام، يقضي ديني و ينجز و عدي، يا بني هاشم يا بني عبدالمطلب لا تبغضوا عليّاً ولا تخالفوا عن أمره فتضلّوا، ولا تحسدوه و ترغبوا عنه فتكفروا، أضجعني يا علي فأضجعته، الحديث.

وفي البحار من الأمالي أيضاً باسناده عن ابن أبي رافع عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال:

دخلت على نبيّ الله و هو مريض فاذا رأسه في حجر رجل أحسن مارأيت من الخلق والنّبي نائم، فلمّا دخلت عليه صلى الله عليه وآله، قال الرّجل: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي، فدنوت منهما فقام الرّجل و جلست مكانه ووضعت رأس النبيّ صلى الله عليه وآله في حجري كماكان في حجر الرّجل، فمكث ساعة

ثمّ إنّ النّبي صلى الله عليه وآله استيقظ فقال: أين الرّجل الّذى كان رأسى في حجره؟ فقلت: لمّا دخلت عليك دعانى إليك ثمّ قال: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي ثمّ قام فجلست مكانه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: فهل تدرى من الرّجل؟ قلت: لابأبي و امّي، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك جبرئيل كان يحدّثني حتّى خفّ عنّي وجعي و نمت و رأسى في حجره.

و أما كيفية وفاته صلوات الله و سلامه عليه و آله

ففي البحار من امالي الصّدوق باسناده عن ابن عبّاس قال:

لمّا مرض رسول الله صلى الله عليه وآله و عنده أصحابه، قام إليه عمّار بن ياسر فقال له: فداك أبي و اُمّي يا رسول الله فمن يغسلك منّا إذا كان ذلك منك؟ قال: ذلك عليّ ابن أبيطالب لأنّه لايهم بعضو من أعضائي إلاّ أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فداك أبي و اُمّي يا رسول الله فمن يصلّي عليك منّا إذا كان ذلك

منك؟ قال : مه رحمك الله.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا ابن أبيطالب إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وانق غسلي و كفنّي في طمري هذين أو في بياض مصر حبرة وبرديمان، ولاتغال في كفني و احملوني حتّى تضعوني على شفير قبري، فأوّل من يصلّي عليّ الجبّار جلّ جلاله من فوق عرشه، ثمّ جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل في جنود من الملائكة لايحصى عددهم إلّا الله جلّ وعزّ ثمّ الحافّون بالعرش ثمّ سكّان أهل سماء فسماء ثمّ جلّ أهل بيتي و نسائي الأقربون فالأقربون يؤمون ايماء و يسلّمون تسليما لايؤذوني بصوت نادبة « نائحة خ »ولامرنّة

ثمّ قال : يا بلال هلمّ عليّ بالناس ، فاجتمع الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله متعصّبا بعمامته متوكّئا على قوسه حتّى صعد المنبر فحمدالله وأثني عليه ثمّ قال:

معاشر أصحابي أيّ نبيّ كنت لكم ؟ ألم اُجاهد بين أظهركم؟ ألم تكسر رباعيّتي؟ ألم يعفر جبيني؟ ألم تسل الدّماء على حرّ وجهي حتّى كنفت (١) لحيتي؟ ألم اكابد الشدّة والجهد مع جهّال قومي ؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟!

قالوا: بلى يارسول الله صلى الله عليه وآله ولقد كنت لله صابراً، و عن منكر بلاءالله ناهياً، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء.

قال صلى الله عليه وآله: وأنتم فجزاكم الله ثمّ قال : إنّ ربّي عزّ وجلّ حكم و اقسم أن لايجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أيّ رجل منكم كانت له قبل محمّد مظلمة إلّا قام فليقتصّ منه فالقصاص في دار الدّنيا أحبّ إليّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء .

فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له : سوادة بن قيس فقال له : فداك أبي و امّي يا رسول الله إنّك لمّا أقبلت من الطايف استقبلتك و أنت على ناقتك الغضباء و بيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب و أنت تريد الرّاحلة فأصاب بطني فلا أدري عمداً أو خطاء.

---

(١) أي أحاطت ، بحار .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : معاذالله أن أكون تعمّدت ، ثمّ قال : يا بلال قم إلى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق.

فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة فهذا محمد صلى الله عليه وآله يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة.

و طرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام و هو يقول : يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: يا بلال ومايصنع والدي بالقضيب و ليس هذا يوم القضيب ، فقال بلال : يا فاطمة أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر و هو يودّع أهل الدّين والدّنيا، فصاحت فاطمة عليها السلام و قالت : واغماه لغمك يا أبتاه من للفقراء والمساكين و ابن السبيل يا حبيب الله و حبيب القلوب، ثمّ ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتّى ناوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أين الشيخ؟ فقال الشيخ :ها أنا ذا يارسول الله بأبي أنت وامّي فقال: فاقتصّ منّي حتى ترضى، فقال الشيخ : فاكشف لي عن بطنك يارسول الله، فكشف عن بطنه فقال الشيخ: بأبي أنت و امّي يا رسول الله أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له فقال : أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النار.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يا سوادة بن قيس أتعفو أم تقتصّ ؟ فقال :بل أعفو يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهمّ اعف عن سوادة بن قيس كما عفى عن محمد نبيك.

ثمّ قام رسول الله فدخل بيت امّ سلمة و هو يقول ، ربّ سلّم امة محمد من النار و يسّر عليهم الحساب، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله مالي أراك مغموماً متغيّر اللون فقال صلى الله عليه وآله ، نعيت إلى نفسي هذه الساعة فسلام لك في الدّنيا فلاتسمعين بعد هذا اليوم صوت محمد أبداً ، فقالت أمّ سلمة : و احزناه حزناً لاتدركه الندامة عليك يامحمد

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم:ادع لي حبيبة قلبي و قرّة عيني فاطمة، فجائت فاطمة وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه ألاتكلّمني كلمة فاني أنظر إليك وأراك مفارق الدّنيا و أرى عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم لها: يا بنية إنّي مفارقك فسلام عليك منّي، قالت : يا أبتاه فأين

الملتقى يوم القيامة ؟ قال عليه السلام : عند الحساب، قالت: فان لم ألقك عند الحساب؟ قال: عند الشفاعة لامتي، قالت: فان لم ألقك عند الشفاعة لأمتك ؟ قال: عند الصراط جبرئيل عن يميني و ميكائيل عن يساري والملائكة خلفي وقدّامي ينادون ربّ سلم أمة محمّد من النار ويسّر عليهم الحساب، قالت فاطمة : فأين والدتي خديجة؟ قال: في قصر له أربعة أبواب إلى الجنة.

ثمّ اغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل بلال وهو يقول : الصّلاة رحمك الله ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلّى بالنّاس وخفّف الصّلاة .

ثمّ قال : ادعوا لي عليّ بن أبيطالب واسامة بن زيد ، فجاءا فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده على عاتق عليّ والأُخرى على اسامة ثمّ قال : انطلقا بي إلى فاطمة ، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فاذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك الوقاء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من هذان يا عليّ ؟ فقال عليه السلام : ابناك الحسن والحسين ، فعانقهما وقبّلهما و كان الحسن عليه السلام أشدّ بكاء فقال صلى الله عليه وآله : كفّ يا حسن فقد شققت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنزل ملك الموت قال : السلام عليك يا رسول الله قال : و عليك السّلام ياملك الموت لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك يا نبيّ الله ؟ قال : حاجتي أن لاتقبض روحي حتى يجيئني جبرئيل فتسلم عليّ واسلم عليه .

فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمّداه ، فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال : ياملك الموت قبضت روح محمّد ؟ قال : لا ياجبرئيل سألني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه ويسلم عليك ، فقال جبرئيل : ياملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتّحة لروح محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أما ترى الحور العين قد تزيّن لروح محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم نزل جبرئيل فقال : السلام عليك ياأبا القاسم فقال: وعليك السلام ياجبرئيل ادن مني حبيبي جبرئيل ، فدنا منه ، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل : ياملك الموت احفظ وصية الله في روح محمّد ، و كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت

آخذ بروحه ، فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى جبرئيل فقال له عند الشدائد تخذلني ، فقال: يا محمد إنك ميّت وانهم ميّتون ، كلّ نفس ذائقة الموت.

فروى عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذلك المرض كان يقول: ادعوا الى حبيبى فجعل يدعا له رجل بعد رجل فيعرض عنه فقيل لفاطمة عليها السلام امضى إلى علي فما نرى رسول الله يريد غير علي ، فبعثت فاطمة إلى علي عليه السلام فلما دخل فتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وتهلّل وجهه ثم قال: إليّ يا علي إليّ يا علي فما زال صلى الله عليه وآله يدنيه حتى أخذه بيده وأجلسه عند رأسه ثمّ اغمى عليه فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأراد علي أن ينحيهما عنه صلى الله عليه وآله فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال يا على دعنى أشمّهما و يشمّانى وأتزوّد منهما ويتزوّدان منّي أما أنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلماً فلعنة الله على من يظلمهما يقول ذلك ثلاثاً .

ثمّ مدّ يده إلى علي فجذ به إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذى كان عليه ، ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة صلوات الله عليه و آله.

فانسلّ عليّ من تحت ثيابه وقال : اعظم الله اجوركم فى نبيّكم فقد قبضه الله إليه ، فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام : ما الذى ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وآله حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علّمنى ألف باب كلّ باب يفتح ألف باب

قال الشارح عفى الله عنه : ما فى هذا الحديث من قصة سوادة مناف للاصول المحكمة والأدلة القاطعة العقلية والنقلية الدالّة على كون الأنبياء معصومين من السهو والخطاء والنسيان كعصمتهم من المعاصى مطلقاً حسبما عرفته تفصيلا فى شرح الفصل الثانى عشر من الخطبة الاولى ، فلابدّ من تأويله على وجه لا ينافى العصمة أورده لمخالفته لاصول مذهب الامامية ، و لعلّ الصدوق رواه بناء على مذهبه من تجويزه السهو على النبيّ كما صرّح به فى الفقيه وغيره .

وفى كشف الغمة من كتاب أبى إسحاق الثعلبى قال :

دخل أبو بكر على النبيّ صلى الله عليه وآله و قد ثقل فقال : يا رسول الله متى الأجل ؟ قال صلى الله عليه وآله : قد حضر ، قال أبو بكر : الله المستعان على ذلك فالى ما المنقلب ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : إلى السدرة المنتهى والجنة المأوى وإلى الرفيق الأعلى والكاس الأوفى والعيش المهنّى ، قال أبو بكر : فمن يلي غسلك ؟ قال : رجال أهل بيتي الأدنى فأدنى قال : ففيم نكفنك ؟ قال : في ثيابي هذه التي عليّ أو في حلّة يمانية أو في بياض مصر قال : كيف الصلاة عليك ؟ فارتجت الأرض بالبكاء :

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مهلاً عفى الله عنكم إذا غسلت فكفنت فضعوني على سريري في بيتي على شفير قبري ثمّ اخرجوا عني ساعة فان الله تبارك وتعالى أوّل من يصلّي عليّ ثمّ يأذن الملائكة في الصّلاة عليّ ، فأوّل من ينزل جبرئيل ثمّ إسرافيل ثمّ ميكائيل ثم ملك الموت عليه السلام في جنود كثير من الملائكة بأجمعها ، ثمّ ادخلوا عليّ زمرة زمرة فصلّوا عليّ وسلموا تسليماً ولا تؤذوني بتزكية (١) ولا رنّة ، وليبدء بالصلاة عليّ الأدنى فالأدنى من أهل بيتي ، ثمّ النساء ، ثمّ الصبيان زمراً .

قال أبو بكر : فمن يدخل قبرك ؟ قال : الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لاترونهم ، قوموا فأدّوا عنّي إلى من ورائكم فقلت للحارث بن مرّة : من حدّثك بهذا الحديث ؟ قال : عبدالله بن مسعود عن عليّ عليه السلام

قال : كان جبرئيل ينزل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي قبض فيه في كلّ يوم وليلة فيقول : السلام عليك إنّ ربّك يقرؤك السلام فيقول : كيف تجدك وهو أعلم بك ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً إلى ما أعطاك على الخلق وأراد أن يكون عيادة المريض سنة في امتك .

فيقول له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إن كان وجعاً : ياجبرئيل أجدني وجعاً ، فقال له جبرئيل اعلم يا محمّد أنّ الله لم يشدد عليك وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك ، ولكنه أحبّ

---

(١) اى بذكر مايعدونه من الفضائل وليس منها كما كانت عادة العرب من الذكر بالحمية والعصبية وأمثالها أو مطلقاً فان الدّعا في تلك الحال أفضل، هكذا في البحار

أقول: و يؤيده مارواه ابن شهر آشوب من الكافي قال : اجتمعت نسوة بني هاشم وجعل يذكرن النبيّ (ص) فقالت فاطمة : اتركن التعداد وعليكنّ بالدّعاء (منه) .

أن يسمع صوتك و دعاءك حتّى تلقاه مستوجباً للدّرجة و الثواب الذى أعدّ لك والكرامة والفضيلة على الخلق .

وإن قال له النّبي صلّى الله عليه وآله: أجدني مريحاً في عافية قال له : فاحمدالله على ذلك فانّه يحبّ أن تحمده و تشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً فانّه يحبّ أن يحمد و يزيد من شكر .

قال : وانّه نزل عليه في الوقت الذى كان ينزل فيه فعرفناحسّه فقال علي عليه السلام فخرج من كان في البيت غيرى ، فقال له جبرئيل : يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويسألك وهو أعلم بك كيف تجدك؟ فقال له النّبي صلّى الله عليه وآله: أجدني ميّتاً ، قال له جبرئيل : يا محمّد ابشر فانّ الله إنّما أراد أن يبلّغك بما تجد ما أعدّ لك من الكرامة قال له النّبي صلّى الله عليه وآله: إنّ ملك الموت استأذن عليّ فأذنت له فدخل واستنظرته مجيئك فقال له جبرئيل: يا محمّد إنّ ربك إليك مشتاق فما استاذن ملك الموت على أحد قبلك ولا يستأذن على أحد بعدك فقال له النّبي صلّى الله عليه وآله: لاتبرح يا جبرئيل حتّى يعود .

ثمّ أذن للنساء فدخلن عليه فقال لابنته : ادني منّي يافاطمة فأكبّت عليه فناجاها فرفعت رأسها فعيناها تهملان دموعاً ، فقال لها : ادني منّي فدنت منه فأكبّت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك .

فتعجّبنا لما رأينا ، فسألناها فأخبرتنا أنّه نعى إليها نفسه فبكت فقال لها يا بنيّة لا تجزعي فانّي سألت الله أن يجعلك أوّل أهل بيتي لحاقاً بي فأخبرني أنّه قد استجاب لي فضحكت

قال:ثمّ دعا النّبي صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فقبّلهما و شمّهما و جعل يترشفهما وعيناه تهملان .

قال الشارح عفى الله عنه : ولقد كنت عند نقلي هذه الرّواية للثعلبي كاد أن يشرح قلبي بالسّكاكين ممّا تضمّنه صدرها من شنيع فعل أبي بكر وإصراره في سؤال الرّسول صلّى الله عليه وآله و من أجله وغسله ودفنه و كفنه ومنقلبه في هذه الحال من شدّة

مرضه وضعفه ، وقد أحاطت به غمرات الآلام و غشيته طوارق الأوجاع و الأسقام ، وكيف تمالك نفسه ولم تخنقه عبرته وبالغ في السؤال حتّى ارتجّت الأرض بالبكاء وألجأ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ردعه بقوله : مهلا ، فيالله ما أقلّ حياء الرّجل وأسوء أدبه وأقسى قلبه وأقبح فعله .

وفي البحار من المناقب عن سهل بن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّه اغمي على النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه فدقّ بابه، فقالت فاطمة : من ذا ؟ قال : أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله أتأذنون لي في الدّخول عليه ؟ فأجابت امض رحمك الله لحاجتك فرسول الله عنك مشغول .

فمضى ثمّ رجع فدقّ الباب و قال : غريب يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله أتاذنون للغرباء ؟ فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله من غشيته وقال : يافاطمة أتدرين من هذا قالت : لايارسول الله، قال: هذا مفرّق الجماعات ومنقض «منغص» اللّذات، هذا ملك الموت ما استأذن والله على أحد قبلي ولايستأذن على أحد بعدي، استأذن عليّ لكرامتي على الله ائذني له فقالت : ادخل رحمك الله ، فدخل كريح هفافة و قال: السلام على أهل بيت رسول الله ، فأوصى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام بالصبر عن الدّنيا وبحفظ فاطمة وبجمع القرآن وبقضاء دينه وبغسله وأن يعمل حول قبره حايطوبحفظ الحسن و الحسين .

وفي كشف الغمة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لمّا حضرت النبيّ الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه عليّ عليه السلام فقال: ماحاجتك ؟ قال : اريد الدّخول على رسول الله فقال عليّ: لست تصل إليه فما حاجتك ؟ فقال الرّجل: إنه لابدّ من الدّخول عليه ، فدخل عليّ عليه السلام فاستأذن النّبيّ صلى الله عليه وآله فاذن لـه فدخل فجلس عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثمّ قال : يا نبيّ الله إنّي رسول الله إليك ، قال: وأيّ رسل الله أنت ؟ قال : أنا ملك الموت أرسلني إليك يخيّرك بين لقائه والرّجوع إلى الدّنيا ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله فامهلني حتّى ينزل جبرئيل فأستشيره .

و نزل جبرئيل فقال: يارسول الله الآخرة خير لك من الأولى و لسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال عليه السلام لقاء ربّي خير لى فامض لما امرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لاتعجل حتى أعرج الى السماء «ربى خ» وأهبط، قال ملك الموت: لقد صارت نفسه في موضع لاأقدر على تأخيرها، فعندذلك قال جبرئيل: يا محمّد هذا آخر هبوطى إلى الدّنيا إنما كنت أنت حاجتى فيها.

وفي البحار من كتاب اعلام الورى قال الصادق عليه السلام: قال جبرئيل: يا محمّد هذا آخر نزولى إلى الدّنيا إنما كنت أنت حاجتى منها، قال: و صاحت فاطمة و صاح المسلمون ويضعون التراب على رؤوسهم ومات صلى الله عليه وآله لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة، وروى أيضاً لاثنى عشر ليلة من ربيع الأوّل صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليما كثيراً.

الرابعة ماأشار إليه بقوله (ولقد سالت نفسه في كفّى فأمررتها على وجهى)

قال الشارح البحراني: أراد بنفسه دمه يقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قاء وقت موته دماً يسيراً و إنّ علياً عليه السلام مسّح بذلك الدّم وجهه، ولاينافي ذلك نجاسة الدّم لجواز أن يخصّص دم الرّسول كما روى أن أباطيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه وآله حين حجمه فقال صلى الله عليه وآله إذاً لاينجع بطنك، انتهى كلامه، ومثله الشارح المعتزلي.

أقول: أمّا طهارة دم النبيّ صلى الله عليه وآله فلاريب فيها كما قال الشاعر:

فان تفق الأنام و أنت منهم فانّ المسك بعض دم الغزال

ويشهد بها آية التطهير

فان قلت: لو كان طاهراً لم حذّر النبيّ صلى الله عليه وآله أباسعيد الخدرى من شربه كما رواه في البحار من تفسير الامام في حديث طويل قال فيه:

و أما الدّم فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله احتجم مرّة فدفع الدّم الخارج منه إلى أبى سعيد الخدرى وقال له: غيّبه، فذهب فشربه فقال صلى الله عليه وآله له: ماصنعت به؟ قال له: شربته يارسول الله، قال: ألم أقل لك غيّبه؟ فقال له: غيّبته في وعاء حريز، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاك

وأن تعود لمثل هذا ، ثمّ اعلم أنّ الله قد حرّم على النّار لحمك و دمك لما اختلط بلحمي ودمي .

قلت : لعلّ تحذيره عن شربه لأجل حرمته لا لأجل النّجاسة.

و أمّا حمل النفس في قوله عليه السلام: ولقد سالت نفسه بمعنى الدّم فلا يخفى بعده بل ضعفه ، والأقوى عندي أن يراد بالنّفس نفسه النّاطقة القدسيّة الّتي هي مبدء الفكر والذّكر والعلم والحلم والنّباهة، و لها خاصيّة الحكمة والنّزاهة، فيكون محصّل المراد بالكلام أنّ روحه الطيبة الكاملة الّتي هي المصداق الحقيقي لقوله: قل الرّوح من أمر ربّي، والمقصود الأصلي بقوله: و نفخت فيه من روحي، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدي فمسحت بها على وجهي .

ولعلّ هذا مراد من قال إنّ المراد بسيلان النّفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس ، هذا .

و انّما مسح بها على وجهه إماتيمّنا أو لحكمة عظيمة لا نعرفها .

وانما فعل عليه السلام ذلك بوصيّة منه صلى الله عليه وآله كما رواه في البحار من مناقب ابن شهر آشوب قال: و من طريقة أهل البيت عليهم السلام أنّ عايشة دعت أباها فأعرض عنه ودعت حفصة أباها فأعرض عنه و دعت أمّ سلمة عليّاً فناجاه طويلاً ثمّ اغمى عليه فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان و يبكيان حتّى وقعا على رسول الله صلى الله عليه وآله و أراد عليّ عليه السلام أن ينحّيهما عنه، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا عليّ دعهما أشمّهما و يشمّاني و أتزوّد منهما و يتزوّدان منّي.

ثمّ جذب عليّاً عليه السلام تحت ثوبه و وضع فاه على فيه و جعل يناجيه ، فلمّا حضره الموت قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك فقد جاء أمر الله فاذا فاضت نفسي فتناولها بيدك و امسح بها وجهك ثمّ وجّهني إلى القبلة و تولّ أمري و صلّ عليّ أوّل النّاس ولا تفارقني حتّى تواريني في رمسي واستعن بالله عزّ وجلّ.

و أخذ عليّ برأسه فوضعه في حجره فاُغمي عليه فبكت فاطمة فأومى إليها بالدنوّ منه، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها ـ القصّة ـ.

ثمّ قضى صلى الله عليه وآله و مدّ أمير المؤمنين عليه السلام يده اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه و مدّ عليه ازاره واستقبل بالنّظر في أمره.

وفي البحار من كتاب اعلام الورى قضى رسول الله صلى الله عليه وآله و يد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها ثمّ وجّهه و غمّضه ومدّ عليه ازاره و اشتغل بالنّظر في أمره.

الخامسة ما أشار إليه بقوله (ولقد وليت) أى باشرت (غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعوانى) باطناً، والفضل بن عباس يعينه ظاهراً و كان مباشرته بغسله عليه السلام أيضاً بوصيّته صلى الله عليه وآله.

كما يدل عليه ما رواه في البحار من المناقب عن أبان بن بطة قال يزيد بن بلال قال علي عليه السلام: أوصى النبيّ ألاّ يغسّله أحد غيرى فانّه لايرى عورتى أحد إلاّ طمست عيناه، قال: فماتناولت عضواً إلاّ كأنّما يقلّبه معى ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله.

وروى أنّه لمّا أراد عليّ عليه السلام غسله استدعا الفضل بن عباس ليعينه وكان مشدود العينين و قد أمره عليّ عليه السلام بذلك إشفاقاً عليه من العمى، وفي هذا المعنى قال العبدى:

من ولى غسل النّبي ومن لفّقه من بعد في الكفن

و قال آخر:

غسّله إمام صدق طاهر من دنس الشرك وأسباب الغير
فأورث الله عليّاً علمه و كان من بعد إليه يفتقر

وفي البحار من كتاب الطرف لابن طاووس نقلا من كتاب الوصيّة للشيخ عيسى بن المستفاد الضّرير عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أضمنت دينى تقضيه عنّى؟ قال: نعم: قال: اللّهمّ فاشهد، ثمّ قال: يا علي تغسلنى ولا يغسلنى غيرك فيعمى بصره، قال علي عليه السلام ولم يا رسول الله؟ قال: كذلك قال جبرئيل عن ربّى أنّه لايرى عورتى غيرك إلاّ عمى

بصره، قال علي عليه السلام فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و ملك الموت و إسماعيل صاحب السماء الدّنيا، قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شيء منّي فانّه لايحلّ له ولا لغيره من الرّجال والنساء النظر إلى عورتي، وهي حرام عليهم، فاذا فرغت من غسلي فضعني على لوح و أفرغ عليّ من بئري بئر غرس أربعين دلواً مفتّحة الأبواب أو قال أربعين قربة شككت أنا في ذلك ثمّ ضع يدك ياعلي على صدري واحضر معك فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي ثمّ تفهّم عند ذلك تفهم ما كان وما هو كائن إنشاء الله.

ومن كتاب فقه الرّضا و قال جعفر عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى عليّ أن لايغسلني غيرك، فقال علي عليه السلام : يا رسول الله من يناولني الماء و انّك رجل ثقيل لااستطيع أن أُقلّبك؟ فقال: جبرئيل معك يعاونك ويناولك الفضل الماء، و قل له فليغطّ عينيه فانّه لايرى أحد عورتي غيرك إلاّ انفقأت عيناه، قال: كان الفضل يناوله الماء و جبرئيل يعاونه وعليّ يغسّله.

و قوله (فضجّت الدّار والأفنية ملاء يهبط و ملاء يعرج) نسبة الضجيج إلى الدار و الأفنية من التوسّع ، والاسناد إلى المكان ، و المراد به ضجيج الملائكة النّازلين فيهما حين موته صلى الله عليه وآله و بكاؤهم عليه مثل ضجيج ساير الحاضرين لديه.

ويشهد بذلك ما في البحار من كتاب الطرف لابن طاووس في الحديث الذى قدّمنا روايته آنفا و فيه بعد قوله صلى الله عليه وآله تفهم ما كان وما هو كائن: أقبلت ياعليّ؟ قال: نعم قال: اللّهمّ فاشهد.

قال: ياعليّ ما أنت صانع لو قد تأمّر القوم عليك بعدي وتقدّموا عليك وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة ثمّ لبّبت بثوبك تقاد كما يقاد الشّارد من الابل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً وبعد ذلك ينزل بهذه الذّلّ.

قال: فلمّا سمعت فاطمة ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرخت و بكت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وقال: يابنيّة لاتبكين ولاتؤذين جلساءك من الملائكة، هذا جبرئيل

بكى لبكائك و ميكائيل و صاحب سرّ الله إسرافيل ، يا بنية لاتبكين فقد بكيت السّماوات والأرض لبكائك.

فقال عليّ عليه السلام : يا رسول الله انقاد للقوم وأصبر على ماأصابني من غير بيعة لهم مالم اصب أعوانا لم أنا جز القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللّهمّ اشهد.

و فيه من الكتاب المذكور أيضاً من كتاب الوصيّة لعيسى الضّرير عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال:

لمّا كانت اللّيلة الّتي قبض النّبيّ صلى الله عليه وآله في صبيحتها دعى عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام و اغلق عليه و عليهم الباب، و قال : يا فاطمة و أدناها منه فناجاها من اللّيل طويلا، فلمّا طال ذلك خرج عليّ و معه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب و نساء النّبي ينظرون إلى عليّ و معه ابناه.

فقالت عايشة : لأمر ما أخرجك منه رسول الله صلى الله عليه وآله و خلا بابنته دونك في هذه السّاعة؟

فقال عليّ عليه السلام قدعرفت الذى خلا بها و أرادها له و هو بعض ما كنت فيه وأبوك و صاحباه ممّا قدسمّاه، فوجمت أن تردّ عليه كلمة

قال عليّ عليه السلام: فما لبثت أن نادتني فاطمة عليها السلام فدخلت على النّبي صلى الله عليه وآله وهو يجود بنفسه فبكيت ولم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال يجود بنفسه.

فقال صلى الله عليه وآله لي : ما يبكيك يا على ليس هذا أوان البكاء فقدحان الفراق بيني و بينك فاستودعك الله يا أخي فقداختارلي ربّي ما عنده، و إنما بكائي و غمّي وحزني عليك وعلى هذه - أى فاطمة - أن تضيع بعدى، فقدأجمع القوم على ظلمكم وقداستودعكم الله و قبلكم منّي وديعة يا علي قدأوصيت فاطمة ابنتي بأشياء و أمرتها أن تلقيها إليك فأنفذها فهي الصّادقة المصدّقة.

ثمّ ضمها إليه و قبّل رأسها وقال : فداك أبوك يا فاطمة ، فعلا صوتها بالبكاء ثمّ ضمها إليه وقال : والله لينتقمنّ الله ربّي وليغضبنّ لغضبك ، فالويل ثمّ الويل للظالمين ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال علي عليه السلام: فوالله لقد حسبت بضعة منّي قد ذهبت لبكائه صلّى الله عليه وآله حتّى هملت عيناه مثل المطر حتّى بلّت دموعه لحيته و ملاءة كانت عليه وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ورأسه على صدري وأنا مسنده والحسن والحسين يقبلان قدميه ويبكيان بأعلى أصواتهما

قال علي عليه السلام: فلو قلت إنّ جبرئيل في البيت لصدقت لأنّي كنت اسمع بكاء ونغمة لا أعرفها و كنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا أشكّ فيها، لأنّ جبرئيل لم يكن في مثل تلك اللّيلة يفارق النّبي صلّى الله عليه وآله، ولقد رأيت بكاء منها أحسب أنّ السّماوات والأرضين قد بكت لها.

ثمّ قال لها: يا بنيّة الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة.

و الّذى بعثني بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله و ما حوله من الملائكة و السّماوات والأرضون وما بينهما.

يا فاطمة والذى بعثني بالحقّ لقد حرّمت الجنّة على الخلايق حتّى أدخلها وأنّك لأوّل خلق الله يدخلها بعدى كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة هنيئاً لك.

والذى بعثني بالحقّ إنّك لسيّدة من يدخلها من النّساء، والّذى بعثني بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل إلاّ صعق، فينادى اليها أن يا جهنّم يقول لك الجبّار اسكني بعزّى واستقرّى حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد إلى الجنان لا يغشيها قتر ولا ذلّة.

والذي بعثني بالحقّ ليدخلنّ حسن و حسين، حسن عن يمينك و حسين عن يسارك ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدى الله فى المقام الشريف ولواء الحمد مع علىّ بن أبيطالب يكسى إذا كسيت ويحبى إذا حبيت.

والّذي بعثني بالحقّ لأقومنّ لخصومة أعدائك وليندمنّ قوم أخذوا حقّك وقطعوا مودّتك و كذبوا عليّاً وليختلجنّ دوني فأقول: امّتى امّتى، فيقال: انّهم بدلوا بعدك وصاروا إلى السّعير.

قال الشارح عفى الله عنه: و إنّما أوردت هذه الرّواية بتمامها و طولها مع كون موضع الحاجة منها بعضها كأكثر الأخبار المتقدّمة فى شرح هذه الخطبة،

لكونها متضمنة مثل سايرما تقدم للغرض الذى سوق هذه الخطبة لأجله مؤكدة له ، وهو إفادة مزيد اختصاصه عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرباه منه ، على أنا أحببنا أن يكون شرح هذه الخطبة متكفلا لجمل أخبار وفاة الرسول صلى الله عليه وآله .

وقوله (و ما فارقت سمعى هينمة منهم) أى لم يغب أصواتهم عن سمعى ولم تخف علي ، و يدل عليه عموم الأخبار المفيدة لكونه محدثا يسمع صوت الملك ولايرى شخصه ، و قد تقدمت جملة منها فى التنبيه الثانى من شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة والحادية والتسعين .

و يدل عليه خصوصاً بل يدل على رؤيته عليه السلام لهم أيضاً فى تلك الحال ما رواه فى البحار من كتاب بصاير الدرجات عن أحمد بن محمد وأحمد بن اسحاق عن القاسم بن يحيى عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هبط جبرئيل ومعه الملائكة و الروح الذين كانوا يهبطون فى ليلة القدر ، قال : ففتح لأمير المؤمنين بصره فرآهم فى منتهى السماوات إلى الأرض يغسلون النبي معه ويصلون عليه معه ويحفرون له ، والله ما حفر لـه غيرهم حتى إذا وضع فى قبره نزلوا مع من نزل، فوضعوه فتكلم، وفتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى عليه السلام وسمعهم يقولون لا نالوه جهداً وانما هو صاحبنا بعدك إلا أنه ليس يعايننا ببصره بعد مرتنا هذه .

حتى إذ مات أمير المؤمنين عليه السلام رأى الحسن والحسين عليهما السلام مثل ذلك الذى رأى ورأيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعين الملائكة مثل الذى صنعوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حتى اذا مات الحسن عليه السلام رأى منه الحسين مثل ذلك ورأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام يعينان الملائكة .

حتى إذا مات الحسين عليه السلام رأى علي بن الحسين عليهما السلام منه مثل ذلك و رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليا والحسن عليهما السلام يعينون الملائكة .

حتى إذا مات علي بن الحسين عليهما السلام رأى محمد بن علي مثل ذلك ورأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام يعينون الملائكة .

حتى اذا مات محمد بن علي عليهما السلام رأى جعفر عليه السلام مثل ذلك ورأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام يعينون الملائكة .

حتى اذا مات جعفر عليه السلام رأى موسى عليه السلام منه مثل ذلك ، هكذا يجري إلى آخر

وقوله (يصلّون عليه) صريح في صلاة الملائكة ، وقد مرّ في شرح قوله عليه السلام : ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله في رواية الأمالي إنّ أوّل من يصلّي عليه هو الله سبحانه ثمّ الملائكة ، ثمّ المسلمون .

وروى في الكافي بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما قبض النبيّ صلى الله عليه وآله صلّت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً

وقال : قال أمير المؤمنين عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحّته وسلامته : إنّما انزلت هذه الآية عليّ في الصّلاة بعد قبض الله لي : إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً .

وفي البحار من الاحتجاج وفي رواية سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي أنّه قال :

أتيت علياً عليه السلام و هو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان أوصى أن لا يغسله غير عليّ عليه السلام وأخبر عنه أنّه لا يريد أن يقلّب منه عضو إلاّ قلب له ، وقد قال أمير المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وآله : من يعينني على غسلك يا رسول الله ؟ قال: جبرئيل .

فلمّا غسّله و كفّنه أدخلني وأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فتقدّم وصففنا خلفه وصلّى عليه ، وعايشة في الحجرة لا تعلم قد أخذ جبرئيل ببصرها ثمّ ادخل عشرة عشرة من المهاجرين والأنصار فيصلّون و يخرجون ، حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ صلّى عليه ، الخبر .

ومن كتاب اعلام الورى قال أبان : وحدّثني أبو مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال قال الناس : كيف الصلاة عليه ؟ فقال عليّ عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا حياً وميتاً فدخل عليه عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلثاء حتّى صلّى عليه كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وانثاهم وضواحي المدينة بغير إمام .

ومن المناقب قال أبو جعفر عليه السلام قال الناس : كيف الصلاة ؟ فقال علي عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله إمام حياً وميتاً فدخل عليه عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلثاء حتى الصّباح ويوم الثلثاء حتّى صلّى عليه الأقرباء و الخواص ، و لم يحضر أهل السقيفة وكان علي عليه السلام أنفذ اليهم بريدة ، وإنّما تمّت بيعتهم بعد دفنه

ومن المناقب وسئل الباقر عليه السلام كيف كانت الصّلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله ؟ فقال لمّا غسله أمير المؤمنين و كفّنه وسجّاه وادخل عليه عشرة فداروا حوله ، ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم فقال : إنّ الله و ملائكته ، الآية فيقول القوم مثل ما يقول حتّى صلّى عليه أهل المدينة وأهل العوالى .

قال المحدّث العلامة المجلسي (قد) بعد إيراد هذه الأخبار في البحار : يظهر من مجموعها أنّ الصّلاة الحقيقيّة هي التي كان أمير المؤمنين عليه السلام صلاّها أوّلا مع الستة المذكورين في خبر سليم ، ولم يدخل في ذلك سوى الخواص من أهل بيته و أصحابه لئلاّ يتقدّم أحد من لصوص الخلافة في الصلاة أو يحضر أحد من هؤلاء المنافقين فيها ، ثمّ كان يدخل عشرة عشرة من الصحاب فيقرء الآيـة و يدعون ويخرجون من غير صلاة .

وقوله (حتّى واريناه في ضريحه) روى فى البحار من المناقب قال : واختلفوا أين يدفن فقال بعضهم : في البقيع ، و قال آخرون : في صحن المسجد ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله لم يقبض نبياً إلاّ في أطهر البقاع فينبغي أن يدفن في البقعة التى قبض فيها ، فاتّفقت الجماعة على قوله ودفن في حجرته .

ومن فقه الرّضا عليه السلام وقال جعفر عليه السلام فلما أن فرغ من غسله و كفنه أتاه العباس فقال : يا عليّ إنّ الناس قد اجتمعوا على أن يدفن النبيّ صلى الله عليه وآله فى بقيع المصلّى وأن يؤمّهم رجل منهم ، فخرج عليّ عليه السلام إلى الناس فقال : يا أيها الناس أما تعلمون أنّ رسول الله إمامنا حياً وميتاً وهل تعلمون أنه صلى الله عليه وآله لعن من جعل القبور مصلّى ، ولعن من جعل مع الله إلهاً ولعن من كسر رباعيّته وشقّ لثته،قال : فقالوا: الأمر إليك فاصنع ما رأيت قال: وإنى أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله فى البقعة التى قبض فيها ، الحديث .

ومن أعلام الورى عن أبي جعفر عليه السلام قال: وخاض المسلمون في موضع دفنه صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: إن الله لم يقبض نبياً في مكان إلا وارتضاه لرمسه فيه، وإني دافنه في حجرته التي قبض فيها، فرضي المسلمون بذلك.

فلما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح، وأنفذ إلى زيد بن سهل أبي طلحة وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد فاستدعاهما وقال: اللهم خر لنبيك، فوجد أبو طلحة فقيل له: احفر لرسول الله صلى الله عليه وآله فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين علي عليه السلام والعباس والفضل واسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله، فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذهب ادخل منا رجلاً يكون لنا حظ به من مواراة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال ليدخل أوس بن خولي رجل من بني عوف بن الخزرج وكان بدرياً، فدخل البيت وقال له علي عليه السلام: انزل القبر فنزل، ووضع علي رسول الله صلى الله عليه وآله على يديه ثم ولاه في حفرته، ثم قال له: اخرج فخرج، ونزل علي عليه السلام فكشف عن وجهه ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب.

و من الديوان المنسوب إليه عليه السلام في رثائه صلوات الله وسلامه عليه وآله:

أمن بعد تكفين النبي و دفنه ... بأثوابه آسى على هالك ثوى
رزئنا رسول الله فينا فلن نرى ... بذاك عديلاً ما حيينا من الردى
و كان لنا كالحصن من دون أهله ... له معقل حرز حريز من الردى
و كنا بمرآه نرى النور والهدى ... صباحاً مساء راح فينا أو اغتدى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته ... نهاراً فقد زادت على ظلمة الدجى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى
كأن أمور الناس بعدك ضمنت ... سفينة موج حين في البحر قد سما
و ضاق فضاء الأرض عنهم برحبة ... لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة ... كصدع الصفا الاشعب للصدع في الصفا

فلن يستقلّ الناس تلك مصيبة ولم يجبر العظم الذى منهم وهى

و في كلّ وقت للصلاة يهيجه بلال و يدعو باسمه كلّما دعا

و يطلب أقوام مواريث هالك و فينا مواريث النّبوة والهدى

و قالت فاطمة عليها السلام في رثائه صلى الله عليه وآله أيضاً:

إذا اشتدّ شوقي زرت قبرك باكياً أنوح و أشكو لا أراك مجاوبي

فيا ساكن الصّحراء علّمتني البكا و ذكرك أنساني جميع المصائب

فان كنت عنّي في التّراب مغيّباً فما كنت عن قلب الحزين بغائب

ولها صلوات الله و سلامه عليها أيضاً:

إذا مات يوماً ميّت قلّ ذكره و ذكر أبي مذ مات والله أزيد

تذكّرت لمّا فرق الموت بيننا فعزّيت نفسي بالنّبي محمّد صلى الله عليه وآله

فقلت لها إنّ الممات سبيلنا ومن لم يمت في يومه مات في غد

و لها أيضاً ما اشتهر في الألسنة والأفواه:

ماذا على من شمّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزّمان غواليا

صبّت عليّ مصائب لو أنّها صبّت على الأيام صرن لياليا

هذا، ولمّا مهّد عليه السلام المقدمات المفيدة لمزيد اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله و قربه منه في حال حياته و حين مماته حسبما عرفته تفصيلا تحقيقاً فرّع على ذلك قوله:

(فمن ذا أحقّ به منى حيّاً و ميتاً) و هو استفهام على سبيل الانكار والابطال يقتضى أنّ ما بعده غير واقع و أنّ مدّعيه كاذب فيفيد كونه أولى به في حياته وأحقّ بالخلافة و الوصاية بعد موته ، و هو حقّ لاريب فيه على رغم الناصب الجاحد والمبغض المعاند.

(فانفذوا) أى أسرعوا إلى قتال عدوّكم مستقرّين (على بصائركم) و عقايدكم الحقّة (و لتصدق نياتكم في جهاد عدوّكم) أى أنهضوا إلى عدوّكم بنيّات صادقة و قلوب طاهرة سالمة من اعتراض الشك والرّيب والشبهة ولا يوسوسنكم

الشيطان بكونهم من أهل القبلة والاسلام غير جايز قتلتهم و قتالهم، لأنكم اتباع الامام الحقّ و هم تابعوا الامام الباطل

(فو) الله (الذى لا إله الاّ هو إنّى لعلي جادّة الحقّ و انّهم لعلى مزلّة الباطل) كما يشهد به النّبوى المعروف بين الفريقين: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ.

ولا يخفى حسن المقابلة بين جادّة الحقّ و بين مزلّة الباطل كما لا يخفى لطف إضافة الجادّة إلى الحقّ و إضافة المزلّة إلى الباطل، لأنّ طريق الحقّ لما كان واضحاً جلياً ثابتاً بالبيّنة والبرهان يوصل سالكها إلى منزل الزلفى وجنّات النعيم و طريق الباطل لما كان تمويهاً و تدليساً مخالفاً للواقع يزلّ فيه قدم سالكه ويزلق فيهوى إلى دركات الجحيم.

(أقول ما تسمعون) من قول حقّ و كلام صدق (و أستغفر الله لي ولكم).

تنبيهان : ـ الاول

روى الشارح المعتزلي في شرح هذه الخطبة من قصّة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو ظاهر بل نصّ في الطعن على المتخلّفين المنتحلين للخلافة و على المتعصّبين لهم السالكين لطريقتهم من العامّة العمياء أحببت أن أذكر ملخّص ما أورده مما يطعن به عليهم فأقول:

قال الشارح : قد روى من قصّة وفاة رسول الله عليه السلام أنه عرضت له الشّكاة الّتي عرضت في أواخر من سنة إحدى عشرة للهجرة فجهّز جيش أسامة بن زيد بالمسير إلى البلقاء حيث أصيب زيد و جعفر من الرّوم.

و خرج صلى الله عليه وآله في تلك اللّيلة إلى البقيع و قال : إنّى قد امرت بالاستغفار عليهم فقال عليه السلام : يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً.

ثمّ انصرف إلى بيته ، فخطب الناس في غده و أعلمهم بموته ثمّ نزل فصلّى

بالناس صلاة خفيفة، ثمّ دخل بيت امّ سلمة.

ثمّ انتقل إلى بيت عايشة يعلّمه النساء والرّجال ، أمّا النساء فأزواجه و بنته، و أما الرّجال فعليّ عليه السلام والعباس والحسن والحسين و كانا غلامين يومئذ و كان الفضل بن العباس يدخل احيانا إليهم.

ثمّ حدث الاختلاف بين المسلمين أيّام مرضه.

فأوّل ذلك التنازع الواقع يوم قال : ايتوني بدواة و قرطاس ، و تلى ذلك حديث التخلّف عن جيش أسامة، ثمّ اشتدّ به المرض و كان عند خفّة مرضه يصلّي بالناس بنفسه ، فلما اشتدّ به المرض أمر أبابكر أن يصلّي بالناس.

وقد اختلف في صلاته بهم فالشيعة تزعم أنه لم يصلّ بهم إلاّ صلاة واحدة وهى الصلاة التي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فيها يتهادى بين عليّ والفضل فقام في المحراب مقامه و تأخّر أبوبكر ، والصحيح عندى و هو الأكثر الأشهر أنها لم تكن آخر الصلاة في حياته بالناس جماعة و أنّ أبابكر صلّى بالناس بعد ذلك يومين.

ثمّ مات صلى الله عليه وآله فمن قائل يقول توفّي لليلتين بقيتا من شهر صفر وهو الذى تقوله الشيعة ، والأكثرون أنه توفّى فى شهر ربيع الأوّل بعد مضيّ أيام منه، وقد اختلفت الرّواية في موته فأنكر عمر ذلك وقال: إنه لم يمت و إنه غاب وإنه سيعود فثناه أبوبكر هذا القول و تلى عليه الآيات المتضمّنة أنه سيموت ، فرجع إلى قوله و صلّوا عليه ارسالا لايؤمّهم أحد، وقيل: إنّ علياً عليه السلام أشار بذلك فقبلوه و أنا أعجب من ذلك لأنّ الصلاة عليه كانت بعد بيعة أبي بكر فماالذى منع من أن يتقدّم أبوبكر فيصلّي عليه إماماً

و تنازعوا في تلحيده و تضريحه فأرسل العباس عمّه إلى أبي عبيدة بن الجراح و كان يحفر لأهل مكة و يضرح على عادتهم رجلاً وأرسل إلى أبي طلحة الأنصارى و كان يلحد لأهل المدينة على عادتهم رجلاً و قال : اللهمّ اختر لنبيّك ، فجاء أبو طلحة فلحد له و ادخل في اللحد

و تنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمنع عليّ الناس أن ينزلوا معه وقال:لاينزل

قبره غيري وغير العباس ، ثم أذن في نزول الفضل و اسامة بن زيد مولاهم ثم ضجت الأنصار و سألت أن ينزل منها رجل في قبره فانزلوا أوس بن خولى و كان بدرياً.

فأما الغسل فان علياً تولاه بيده و كان الفضل يصب عليه الماء، انتهى ما أهمنا نقله من كلامه

ووجوه الطعن في تلك القضية على ما صدر من أهل الخلافة غير خفية على الفطن العارف إلا أنا ننبه على بعضها لكونها أشد تشنيعاً وطعناً .

أولها ما أشار إليه الشارح بقوله: فأول ذلك التنازع الواقع يوم قال ايتوني بدواة و قرطاس، فقد روت العامة والخاصة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد في مرضه أن يكتب لأمته كتاباً لئلا يضلوا بعده ولا يختلفوا، فطلب دواة و كتفاً أو نحو ذلك فمنع عمر من احضار ذلك و قال: إنه ليهجر، أو ما يؤدي هذا المعنى، وقد وصفه الله سبحانه بأنه لا ينطق عن الهوى و أن كلامه ليس إلا وحياً يوحى، و كثر اختلافهم وارتفعت أصواتهم حتى تسأم و تزجر فقال بعضهم: احضروا ما طلب ، و قال بعضهم : القول ما قاله عمر ، وقد قال الله سبحانه «و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً» و قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً»

روى في البحار من كتاب الطرايف للسيد علي بن طاووس رضى الله عنه أنه قال : من أعظم طرايف المسلمين أنهم شهدوا جميعاً أن نبيهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده أبداً، و أن عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب و سبب ضلال من ضل من امته و سبب اختلافهم و سفك الدماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشريعة وهلاك اثنين و سبعين فرقة من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من يخلد في النار منهم، و مع هذا كله فان أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذى قد شهدوا عليه بهذه الأحوال في الخلافة و عظموه و كفروا بعد ذلك من يطعن فيه وهم من جملة الطاعنين، و ضللوا من يذمه وهم من جملة الضالين ،

وتبرءوا ممن يقبح ذكره وهم من جملة المقبحين

فمن روايتهم في ذلك ما ذكره الحميدى في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع من المتفق عليه في صحته من مسند عبد الله بن عباس قال: لما احتضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و في بيته رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر بن الخطاب: إن النبي قد غلبه الوجع و عندكم القرآن حسبكم كتاب ربكم.

و في رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدى قال عمر: إن الرجل ليهجر.

و في كتاب الحميدى قالوا ماشأنه هجر.

و في المجلد الثاني من صحيح مسلم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يهجر.

قال الحميدى: فاختلف الحاضرون عند النبي صلى الله عليه وآله فبعضهم يقول: القول ماقاله النبي صلى الله عليه وآله فقربوا إليه كتابا يكتب لكم، ومنهم من يقول: القول ماقاله عمر.

فلما اكثروا اللفظ «اللغط» والاختلاط قال النبي صلى الله عليه وآله: قوموا عني فلاينبغي عندى التنازع، فكان ابن عباس يبكي حتى يبل دموعه الحصاو يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس.

قال راوى الحديث فقلت: ياابن عباس و ما يوم الخميس؟ فذكره عبدالله بن عباس يوم منع رسول الله من ذلك الكتاب، وكان يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه.

وثانيها حديث التخلف عن جيش اسامة، فان أبابكر و عمر و عثمان كانوا من جيشه، وقد كرر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اشتد مرضه الأمر بتجهيز جيشه ولعن المتخلف عنه فتأخروا عنه و اشتغلوا بعقد البيعة فى سقيفة بني ساعدة و خالفوا أمره، و شملهم اللعن و ظهر أنهم لايصلحون للخلافة.

قال أصحابنا: ولو تنزلنا عن هذا المقام وقلنا بما ادعاه بعضهم من عدم كون أبي بكر من الجيش نقول: لاخلاف أن عمر منهم، و قد منعه أبوبكر من النفوذ معهم، و هذا كالأول في كونه معصية و مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله،

اما انّهم كانوا من جيش اسامة ، فقد رواه علم الهدى في الشّافي بطرق كثيرة من العامّة .

قال ره : إنّ كون أبي بكرفي جيش اسامة قد ذكره أصحاب السيروالتواريخ.

قال : وقد روى البلادرى في تاريخه و هو معروف ثقة كثير الضّبط و برىء من ممائلة الشيعة : إنّ أبابكرو عمر كانا معاً في جيش اسامة و اورد روايات اخر من أراد الاطلاع عليها فعليه بالمراجعة إلى الكتاب المذكور، و ستطلع عليه ممّا نحكيه عن المفيد في الارشاد في الطعن الآتى .

و أما تخلّفهم عن الجيش فلاينازع فيه أحد .

و أما أنّ ذلك قادح في خلافتهم و موجب للطعن عليهم، فلاستحقاقهم بسبب التخلف للّعن الصّريح من الله و من رسوله، والملعون لايصلح للامامة.

أمّا اللعن من الله فانّهم لمّا خالفوا أمر رسول الله ﷺ بعد تأكيده وتكريره آذوه فيدخلون في عموم قوله تعالى « إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة» و قوله «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم »

وأمّا لعن رسول الله ﷺ فلمارواه الشهرستانى في كتاب الملل والنّحل عند ذكر الاختلافات الواقعة في مرض النّبي ﷺ : الخلاف الثاني أنه قال جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره واسامة قدبرز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدّ مرض النّبي فلاتسع قلوبنا لمفارقته و الحال هذه، فنصبر حتى نبصر أيّ شيء يكون من أمره.

و ثالثها صلاة أبي بكر بالناس و عدم إقرار رسول الله ﷺ عليها دليل على عدم قابليّته للامامة في الصلاة فكيف بامامة الامّة؟!

قال المفيد في كتاب الارشاد في قصّة وفاة النّبي ﷺ :

و استمرّ به المرض في بيت عايشة أيّاما و ثقل فجاء بلال عند صلاة الصّبح و رسول الله ﷺ مغمور بالمرض فنادى:الصلاة رحمكم الله ، فاوذن رسول الله ﷺ بندائه فقال: يصلّي بالناس بعضهم فانّي مشغول بنفسي فقالت عايشة: مروا أبابكر،

وقالت حفصة: مروا عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع كلامهما ورأى حرص كلّ واحدة منهما على التنويه بأبيها و افتتانهما بذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيّ: اكففن فانّكنّ صويحبات يوسف

ثمّ قام عليه السلام مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرّجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع اسامة ولم يك عنده أنّهما قد تخلّفا، فلمّا سمع من عايشة و حفصة ما سمع علم أنهما متأخّران عن أمره، فبدر لكفّ الفتنة و إزالة الشّبهة فقام عليه الصلاة والسلام و أنه لا يستقلّ على الأرض من الضّعف، فأخذ بيده عليّ بن أبيطالب والفضل بن العباس فاعتمد عليهما و رجلاه تخطان الأرض من الضّعف.

فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده أن تأخّر عنه، فتأخّر أبو بكر، و قام رسول الله صلى الله عليه وآله مقامه، فكبّر وابتدء الصلاة الّتي كان قد ابتدأها ولم يبن على ما مضى من أفعاله، فلمّا سلّم انصرف إلى منزله.

و استدعا أبا بكر و عمر و جماعة ممّن حضر بالمسجد من المسلمين ثمّ قال: ألم آمركم أن تنفذوا جيش اسامة؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: فلم تأخّرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إني خرجت ثمّ رجعت لأجدّد بك عهداً، و قال عمر: يارسول الله إنّى لم أخرج لأنّنى لم احبّ أن أسأل عنك الرّكب، فقال النّبي صلى الله عليه وآله نفّذوا جيش اسامة يكرّرها ثلاث مرات.

ثمّ اغمي عليه من التّعب الذى لحقه والأسف الذى ملكه فمكث هنيئة مغمى عليه، و بكى المسلمون و ارتفع النحيب من أزواجه و ولده و نساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إليهم.

ثمّ قال: ايتونى بدواة و كتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، ثمّ اغمى عليه فقام بعض من حضره يلتمس دواة و كتفاً فقال له عمر: ارجع فانّه يهجر فرجع و ندم من حضر على ما كان منهم من التّضجيع (١) في احضار الدّواة والكتف وتلاوموا بينهم و قالوا: إنّا لله و إنّا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف رسول

١ــ أى التقصير.

الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة و كتف يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : أبعد الذي قلتم ؟ لا، ولكنّي اُوصيكم بأهل بيتي خيراً و أعرض بوجهه عن القوم فنهضوا ، انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه رضي الله عنه.

وقد ذكرناه بطوله لأنّه قد ثبت أنه ثقة مقبول الكلام عند العامة والخاصة لامغمز فيه لأحد ولا يطعن بالعصبيّة و الهوى.

ثمّ أقول: يا اُولي الأبصار انظروا بنظر الانصاف و الاعتبار إلى سوء حركات هؤلاء الأوغاد الأشرار كيف آذوا رسول الله في تلك الحال وقد استولت عليه غمرات الأمراض والآلام و طوارق الأوجاع والأسقام، ولم يتركوه و حاله ليستريح في فراشه و يشغل بنفسه، حتى ألجأوه إلى الخروج إلى المسجد و رجلاه يخطان الأرض و كابدوه الغصص بالتخلف عن الجيش ونسبوه إلى الهذيان عند طلب الكتف والدواة لعنهم الله و أبعدهم و عذّبهم عذاباً أليماً.

رابعها إنكار عمر لموته صلى الله عليه وآله وسلم و بلوغه في الجهل إلى حيث لم يعلم بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت وأنه يجوز الموت عليه و أنّه اسوة الأنبياء في ذلك، فقال: والله مامات حتّى يقطع أيدي رجال و أرجلهم، فقال له أبو بكر أما سمعت قول الله عزّ وجلّ « إنّك ميّت و إنهم ميّتون» و قوله تعالى « و ما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم».

قال: فلمّا سمعت ذلك أيقنت بوفاته و سقطت إلى الأرض و علمت أنه قد مات فمن بلغ من غاية الجهل إلى هذه المرتبة كيف يليق بالخلافة الكلّيّة و الرّياسة الإلهيّة ؟!

الثاني

لما كان هذه الخطبة الشريفة التي نحن في شرحها مسوقة لذكر مناقبه

و خصايصه الجميلة المخصوصة به المفيدة لكونه أحقّ و أولى بالخلافة والامامة من غيره، أحببت أن اُورد رواية متضمنة لجلّ كراماته و بيناته التي لم يشركه فيها أحد تأكيداً للغرض المسوق له الخطبة الشريفة وتكميلاً له وهو:

ماروراه في البحار من الخصال عن القطان والسنان والدقاق والمكتب والوراق جميعاً عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن سليمان بن حكيم عن ثور بن يزيد عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلاّ وقد شركته فيها و فضلته، ولى سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهنّ فقال عليه السلام:

إنّ أول منقبة لي أنّي لم اشرك بالله طرفة عين و لم أعبد اللاّت والعزّى

والثانية أنّي لم أشرب الخمر قطّ.

والثالثة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله استوهبني من أبي في صباي فكنت أكيله وشريبه و مونسه و محدّثه.

والرابعة أنّي أوّل الناس ايماناً و اسلاماً.

والخامسة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لانبيّ بعدي

والسادسة أنّي كنت آخر الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وآله و وليته في حفرته.

والسابعة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أنامني على فراشه حيث ذهب إلى الغار و سجّاني ببرده فلما جاء المشركون ظنّوني محمّداً فأيقظوني و قالوا: مافعل صاحبك فقلت: ذهب في حاجته، فقالوا: لوكان هرب لهرب هذا معه.

و أما الثامنة فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله علّمني ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، ولم يعلّم ذلك أحداً غيري.

وأما التاسعة فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لي: ياعليّ إذا حشر الله عزّ وجل الأوّلين والآخرين نصب لي منبراً فوق منابر النّبيّين ونصب لك منبراً فوق منابر الوصيّين

فترتقي عليه

وأما العاشرة فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا اُعطى في القيامة شيئاً إلاّ سألت لك مثله .

وأما الحادية عشرة فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنت أخي وأنا أخوك يدك في يدي حتّى ندخل الجنّة .

وأما الثانية عشرة فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ياعليّ مثلك في امّتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق .

وأما الثالثة عشرة فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله عمّمني بعمامة نفسه بيده ودعى لي بدعوات النّصر على أعداء الله فهزمتهم باذن الله عزّ وجلّ .

وأما الرابعة عشرة فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن امسح يدي على ضرع شاة قد يبس ضرعها فقلت : يارسول الله بل امسح أنت ، فقال : ياعليّ فعلك فعلي ، فمسحت عليها يدي فدرّ عليّ من لبنها فسقيت رسول الله صلى الله عليه وآله شربة ، ثمّ أتت عجوز فشكت الظماء فسقيتها فقال رسول الله : انّي سألت الله عزّ وجلّ أن يبارك في يدك ففعل

وأما الخامسة عشرة فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إليّ وقال : يا عليّ لا يلي غسلي غيرك ، و لا يواري عورتي غيرك ، فانّه إن رأى عورتي غيرك تفقأت عيناه ، فقلت له : كيف لي بتقليبك يا رسول الله؟ فقال : إنّك ستعان ، فوالله ما أردت أن اقلّب عضواً من أعضائه إلاّ قلب لي .

وأما السادسة عشرة فانّي أردت أن اُجرّده عليه السّلام فنوديت : ياأخا وصيّ محمّد لاتجرّده فغسلته والقميص عليه ، فلا والله الذي أكرمه بالنّبوة وخصّه بالرسالة ما رأيت له عورة خصّني الله بذلك من بين أصحابه .

وأما السابعة عشرة فانّ الله عزّ وجلّ زوّجني فاطمة وقد كان خطبها أبوبكر وعمر ، فزوّجني الله من فوق سبع سماواته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هنيئاً لك ياعلي فانّ الله عزّ وجلّ قد زوّجك فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة وهي بضعة منّي فقلت: يا رسول الله أولست منك ؟ قال : بلى ياعليّ أنت منّي وأنا منك كيميني من شمالي لا أستغني عنك

فى الدّنيا والآخرة .

وأما الثامنة عشرة فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ياعليّ أنت صاحب لواء الحمد في الآخرة و أنت يوم القيامة أقرب الخلايق منّي مجلساً يبسط لي و يبسط لك فأكون في زمرة النّبيّين وتكون فى زمرة الوصيّين ، ويوضع على رأسك تاج النّور واكليل الكرامة يحف بك سبعون ألف ملك حتّى يفرغ الله عزّوجلّ من حساب الخلايق

وأما التاسعة عشرة فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي : ستقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين فمن قاتلك منهم فانّ لك بكلّ رجل منهم شفاعة في مأة ألف من شيعتك فقلت يارسول الله فمن الناكثون ؟ قال : طلحة والزبير سيبايعانك بالحجاز وينكثانك بالعراق فاذا فعلا ذلك فحاربهما فانّ في قتالهما طهارة لأهل الأرض ، قلت : فمن القاسطون ؟ قال : معاوية وأصحابه ، قلت : فمن المارقون ؟ قال : أصحاب ذوالثّدية و هم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرمية فاقتلهم فانّ في قتلهم فرجاً لأهل الأرض وعذاباً مؤجّلاً عليهم وذخراً لك عندالله عزّوجلّ يوم القيامة .

وأما العشرون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : مثلك في امتي مثل باب حطة في بني إسرائيل فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عزّ وجلّ

وأما الحادية والعشرون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولن يدخل المدينة إلاّ من بابها ، ثمّ قال : يا عليّ إنّك سترعى ذمّتي وتقاتل على سنّتي وتخالفك امّتي .

وأما الثانية و العشرون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ الله تبارك وتعالى خلق ابنيّ الحسن والحسين من نور ألقاه إليك وإلى فاطمة ، وهما يهتزّان كما يهتزّ القرطان إذا كانا في الاذنين ، ونورهما متضاعف على نور الشهداء سبعين ألف ضعف ، يا عليّ إنّ الله عزّ وجلّ قد و عدني أن يكرمهما كرامة لا يكرم بها أحداً ما خلا النبيّين والمرسلين .

وأما الثالثة و العشرون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني خاتمه في حياته ودرعه و منطقه و قلّدني سيفه و أصحابه كلّهم حضور وعمّي العبّاس حاضر ، فخصّني الله

عزّ وجلّ بذلك دونهم .

وأما الرابعة والعشرون فان الله عزّ وجلّ أنزل على رسوله « ياأيّها الّذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجويكم صدقة » فكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله اصدق قبل ذلك بدرهم ، ووالله مافعل هذا أحد من أصحابه قبلي ولابعدي ، فأنزل الله عزّ وجلّ «ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجويكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم» الآية فهل تكون التّوبة إلاّ من ذنب كان

وأما الخامسة والعشرون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا وهي محرّمة على الأوصياء حتى تدخلها أنت ، ياعلي إنّ الله تبارك و تعالى بشّرني فيك ببشرى لم يبشّر بها نبياً قبلي بشّرني بأنك سيّد الأوصياء وأنّ ابنيك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة يوم القيامة .

وأما السادسة والعشرون فان جعفراً أخي الطيار في الجنّة مع الملائكة المزيّن بالجناحين من درّ وياقوت وزبرجد .

وأما السابعة والعشرون فعمّي حمزة سيّد الشهداء .

وأما الثامنة و العشرون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله تعالى وعدني فيك وعداً لن يخلفه ، جعلني نبياً وجعلك وصياً ، وستلقى من أمتي من بعدي مالقى موسى من فرعون فاصبر واحتسب حتى تلقاني ، فاوالي من والاك واعادي من عاداك

و أما التاسعة والعشرون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ياعليّ أنت صاحب الحوض لايملكه غيرك و سيأتيك قوم فيستسقونك فتقول : لا ولامثل ذرّة ، فينصرفون مسودّة وجوههم و سترد عليك شيعتي و شيعتك فتقول روّوا رواء مرويّين فيردون مبيضّة وجوههم .

و أما الثلاثون فانّي سمعته صلى الله عليه وآله يقول : يحشر اُمتي يوم القيامة على خمس رايات : فأوّل راية ترد عليّ راية فرعون هذه الامة وهو معاوية ، والثانية مع سامري هذه الامة عمرو بن العاص ، والثالثة مع جاثليق هذه الامة وهو أبوموسى الأشعري والرابعة مع أبي الأعور السلمي ، وأما الخامسة فمعك ياعلي تحتها المؤمنون وأنت

إمامهم ، ثمّ يقول الله تبارك و تعالى للأربعة : ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمة ، وهم شيعتى ومن والاني وقاتل معي الفئة الباغية والناكثة عن الصراط ، وباب الرحمة هم شيعتى ، فينادى هولاء ألم نكن معكم ؟ قالوا : بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمرالله وغرّكم بالله الغرور ، فاليوم لا يُؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأويكم النار هى موليكم وبئس المصير ثمّ ترد امتي وشيعتي فيروون من حوض محمّد ﷺ وبيدي عصا عوسج اطردبها أعدائي طرد غريبة الابل .

وأما الحادية والثلاثون فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لولا أن يقول فيك الغالون من امتي ماقالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لاتمرّ بملاء من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون .

و أما الثانية والثلاثون فانّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الله تبارك وتعالى نصرني بالرّعب فسألته أن ينصرك بمثله فجعل لك من ذلك مثل الذي جعله لي.

وأما الثالثة و الثلاثون فانّ رسول الله ﷺ التقم اذني و علّمني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فساق الله عزّ وجلّ ذلك إلى لسان نبيّه .

و أما الرابعة و الثلاثون فانّ النصارى ادّعوا أمراً فأنزل الله عزّ وجلّ « فمن حاجّك فيه من بعد ماجائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبنائكم ونسائنا ونسائكم و أنفسنا و أنفسكم » فكانت نفسي نفس رسول الله ﷺ ، و النساء فاطمة والأبناء الحسن و الحسين ، ثمّ ندم القوم فسألوا الاعفاء فأعفاهم ، و الذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمّد لو باهلوا المسخوا قردة وخنازير .

و أما الخامسة و الثلاثون فانّ رسول الله ﷺ وجّهني يوم بدر فقال : ايتني بكفّ حصياة مجموعة فى مكان واحد ، فأخذتها ثمّ شممتها فاذا هي طيبة تفوح منها رايحة المسك، فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس وحصاة من المشرق وحصاة من المغرب وحصاة من تحت العرش مع كلّ حصاة مأة ألف ملك مدداً لنا ، لم يكرم الله عزّوجلّ بهذه الفضيلة أحداً قبل ولا بعد.

وأما السادسة والثلاثون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ويل لقاتلك انه أشقى من ثمود ومن عاقر الناقة وإنّ عرش الرّحمن ليهتزّ لقتلك فابشر يا علي فانك في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين .

وأما السابعة و الثلاثون فانّ الله تبارك وتعالى قد خصّني من بين أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله بعلم النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام ، و ذلك ممّا منّ الله به عليّ و على رسوله صلى الله عليه وآله و قال لي الرّسول : يا عليّ إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن ادنيك ولا أقصيك (١) و اعلمك ولا أجفوك و حقّ عليّ أن اطيع ربّي و حقّ عليك أن تعي.

و أما الثامنة والثلاثون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعثني بعثاً ودعا لي بدعوات واطلعني على ما يجري بعده، فحزن لذلك بعض أصحابه عليه السلام و قال : لو قدر محمّد أن يجعل ابن عمّه نبيّاً لجعله، فشرّفني الله بالاطلاع على ذلك على لسان نبيّه.

و أما التاسعة والثلاثون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذب من زعم أنّه يحبّني و يبغض عليّاً، لايجتمع حبّي وحبّه إلاّ في قلب مؤمن، إنّ الله عزّوجلّ جعل أهل حبّي وحبّك ياعلي في أوّل زمرة السابقين إلى الجنّة ، و جعل أهل بغضي و بغضك في أوّل الضالّين من امّتي إلى النار.

و أما الاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجّهني في بعض الغزوات إلى ركيّ فاذاً ليس فيه ماء ، فرجعت إليه فأخبرته، فقال : أفيه طين؟ فقلت : نعم فقال: ايتني منه، فأتيت منه بطين فتكلّم فيه ثمّ قال : ألقه في الرّكيّ فألقيته فاذا الماء قد نبع حتّى امتلأ جوانب الرّكيّ، فجئت إليه فأخبرته فقال لي وفّقت ياعلي وببركتك نبع الماء ، فهذه المنقبة خاصّة لي من دون أصحاب النّبي.

و أما الحادية والاربعون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ابشر ياعليّ فانّ جبرئيل عليه السلام أتاني فقال لي : يا محمّد إنّ الله تبارك و تعالى نظر إلى أصحابك فوجد ابن عمّك وختنك على ابنتك فاطمة خير أصحابك ، فجعله وصيّك والمؤدّي عنك.

١- أي أقرّبك ولا ابعدك،منه.

و أما الثانية والاربعون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ابشر يا عليّ فانّ منزلك في الجنّة مواجه منزلي ، و أنت معي في الرّفيق الأعلى فى أعلى عليّين ، قلت : يا رسول الله و ما أعلى عليّون ؟ فقال: قبّة من درّة بيضاء لها سبعون ألف مصراع مسكن لي ولك ياعلي .

وأما الثالثة والاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله عزّ وجلّ رسخ حبّي في قلوب المؤمنين، و كذلك رسخ حبّك يا علي في قلوب المؤمنين و رسخ بغضي و بغضك في قلوب المنافقين ، فلا يحبّك إلاّ مؤمن تقي ، ولا يبغضك إلاّ منافق كافر .

وأما الرابعة والأربعون فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لن يبغضك من العرب إلاّ دعيّ ، ولا من العجم إلاّ شقيّ ، ولا من النساء إلاّ سلقلقية.

و أما الخامسة والاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني و أنا رمد العين فتفل في عيني وقال: اللّهمّ اجعل حرّها في بردها و بردها في حرّها، فوالله ما اشتكت عيني إلى هذه السّاعة.

و أما السادسة والاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه و عمومته بسدّ الأبواب و فتح بابي بأمر الله عزّ وجلّ، فليس لأحد منقبة مثل منقبتي .

وأما السابعة والاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني في وصيّته بقضاء ديونه و عداته، فقلت : يا رسول الله قد علمت أنّه ليس عندي مال، فقال: سيعينك الله فما أردت أمراً من قضاء ديونه و عداته إلاّ يسّره الله لي حتّى قضيت ديونه و عداته و أحصيت ذلك فبلغ ثمانين ألفاً و بقي بقيّة فأوصيت الحسن أن يقضيها.

وأما الثامنة والاربعون فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني في منزلي ولم يكن طعمنا منذ ثلاثة أيام فقال: يا عليّ هل عندك من شيء ؟ فقلت : والذى أكرمك بالكرامة و اصطفاك بالرّسالة ما طعمت وزوجتي و ابناى منذ ثلاثة أيّام فقال النّبي صلى الله عليه وآله : يا فاطمة ادخلي البيت و انظري هل تجدين شيئاً ، فقالت : خرجت الساعة فقلت: يا رسول الله أدخله أنا؟ فقال: ادخل باسم الله،فدخلت فاذاً بطبق موضوع

عليه رطب و جفنة من ثريد، فحملتها إلى رسول الله فقال صلى الله عليه وآله : يا علي رأيت الرسول الذى حمل هذا الطعام؟ فقلت : نعم، فقال: صفه لي، فقلت: من بين أحمر و أخضر و أصفر، فقال صلى الله عليه وآله : تلك خطط جناح جبرئيل مكللة بالدر والياقوت، فأكلنا من الثريد حتى شبعنا فما راى إلا خدش أيدينا و أصابعنا، فخصني الله عز وجل بذلك من بين أصحابه «الصحابة».

وأما التاسعة والاربعون فان الله تبارك وتعالى خص نبيه بالنبوة، و خصني النبي صلى الله عليه وآله بالوصية ، فمن أحبني فهو سعيد يحشر في زمرة الأنبياء عليهم السلام.

وأما الخمسون فان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث ببرائة مع أبي بكر ، فلما مضى أتى جبرئيل فقال : يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فوجهني على ناقتة الغضباء ، فلحقته بذي الحليفة فأخذتها منه، فخصني الله عز وجل بذلك منه.

و أما الحادية والخمسون فان رسول الله صلى الله عليه وآله أقامني للناس كافة يوم غدير خم فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فبعداً و سحقاً للقوم الظالمين.

و أما الثانية والخمسون فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا علي ألا أعلمك كلمات علمنيهن جبرئيل ؟ فقلت : بلى ، قال: قل «يارازق المقلين و يا راحم المساكين ويا أسمع السامعين و يا أبصر الناظرين و يا أرحم الراحمين ارحمني وارزقني».

وأما الثالثة والخمسون فان الله تبارك و تعالى لن يذهب بالدنيا حتى يقوم منا القائم يقتل ولايقبل الجزية ويكسر الصليب والأصنام و يضع الحرب أوزارها ، و يدعو إلى أخذ المال فيقسمه بالسوية و يعدل في الرعية.

وأما الرابعة والخمسون فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ياعلي سيلعنك بنو امية و يرد عليهم ملك بكل لعنة ألف لعنة ، فاذا قام القائم عليه السلام لعنهم أربعين سنة.

و أما الخامسة والخمسون سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيفتتن فيك طوايف من امتي فتقول : إن رسول الله لم يخلف شيئاً فبما ذا أوصى علياً، أوليس كتاب ربي أفضل الأشياء بعد الله عز وجل، والذي بعثني بالحق لأن لم تجمعه باتقان

لم يجمع أبداً، فخصّني الله عزّ وجلّ بذلك من دون الصّحابة.

و **أما السادسة والخمسون** فان الله تبارك و تعالى خصّني بما خصّ به أولياءه و أهل طاعته، و جعلني وارث محمّد ﷺ فمن ساءه ساءه، ومن سرّه سرّه ، وأومى بيده نحو المدينة.

و **أما السابعة والخمسون** فانّ رسول الله ﷺ كان في بعض الغزوات ففقد الماء فقال لي : يا عليّ قم إلى هذه الصّخرة و قل : أنا رسول رسول الله انفجري إليّ ماء، فوالله الذي أكرمه بالنّبوة لقد أبلغتها الرّسالة فاطلع منها مثل ثدي البقر فسال من كلّ ثدي منها ماء، فلمّا رأيت ذلك أسرعت إلى النّبيّ ﷺ فأخبرته فقال: انطلق يا علي فخذ من الماء ، فجاء القوم حتّى ملأوا قربهم و أدواتهم و سقوا دوابهم و شربوا و توضّؤا ، فخصّني الله عزّ وجلّ بذلك من دون الصّحابة.

و **أما الثامنة و الخمسون** فانّ رسول الله ﷺ أمرني في بعض غزواته وقد نفد الماء و قال: يا علي ايت بثور، فأتيته به فوضع يده اليمنى ويدي معها في الثور ، فقال: انبع ، فنبع الماء من بين أصابعنا.

و **أما التاسعة والخمسون** فانّ رسول الله ﷺ وجّهني إلى خيبر، فلما أتيته وجدت الباب مغلقا فز عزعته شديداً فقلعته و رميت به أربعين خطوة فدخلت، فبرز إليّ مرحب فحمل إليّ وحملت عليه وسقيت الأرض دمه، وقد كان وجّه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين

و **أما الستون** فانّي قتلت عمرو بن عبدود و كان يعدّ بألف رجل.

و **أما الحادية و الستون** فانّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا عليّ مثلك في امّتي مثل قل هو الله أحد، فمن أحبّك بقلبه فكأنّما قرء ثلث القرآن، ومن أحبّك بقلبه و أعانك بلسانه فكأنّما قرء ثلثي القرآن، و من أحبّك بقلبه و لسانه و نصرك بيده فكأنّما قرء القرآن كلّه.

و**أما الثانية والستون** فانّي كنت مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن

والحروب و كانت رايته معي.

وأما الثالثة والستون فانّي لم أفرّ من الزّحف قطّ، ولم يبارزني أحد إلاّ سقيت الأرض من دمه.

وأما الرابعة والستون فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أتي بطير مشويّ من الجنّة فدعى الله عزّ وجلّ أن يدخل عليه أحبّ الخلق إليه؛ فوفّقني الله تعالى للدّخول عليه حتى أكلت معه من ذلك الطير.

وأما الخامسة والستون فانّي كنت اصلّي في المسجد فجاء سائل فسأل وأنا راكع فناولته خاتمي من اصبعي، فأنزل الله تبارك و تعالى «إنّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة وهم راكعون».

وأما السادسة والستون فانّ الله تبارك و تعالى ردّ عليّ الشّمس مرّتين ولم يردّها على أحد من امّة محمّد صلّى الله عليه وآله غيري.

وأما السابعة والستون فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر أن اُدعى بامرة المؤمنين في حياته و بعد موته، ولم يطلق ذلك لأحد غيري

وأما الثامنة والستون فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يا عليّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين سيّد الأنبياء؟ فأقوم، ثمّ ينادي أين سيّد الأوصياء فتقوم و يأتيني رضوان بمفاتيح الجنّة و يأتيني مالك بمقاليد النّار فيقولان: إنّ الله جلّ جلاله أمرنا أن ندفعها إليك و يأمرك أن تدفعها إلى عليّ بن أبيطالب، فتكون يا عليّ قسيم الجنّة والنّار.

وأما التاسعة والسبعون فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: لولاك ماعرف المنافقون من المؤمنين.

وأما السبعون فانّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نام و نوّمني و زوجتي فاطمة وابنيّ الحسن والحسين وألقى علينا عباءة قطوانيّة فأنزل الله تبارك و تعالى «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» و قال جبرئيل: أنا منكم يا محمّد فكان سادسنا جبرئيل.

الترجمة

از جملهٔ خطب شریفهٔ آن امام مبین است در ذکر مزید اختصاص خود بحضرت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و أولويّت خود بخلافت میفرماید:

و البته دانسته‌اند مطلعان بأسرار رسالت که مأمور بحفظ آن بودند أزصحابهٔ محمد صلى الله عليه و آله اینکه بدرستی من ردّ ننموده‌ام بر خدای تعالی و بر رسول او هر ساعتی فرمایش آنها را ، و بتحقیق مواسات نمودم من با آن بزرگوار بنفس خودم در مواردی که پس بر میگشتند در آنها شجاعان ، وتأخیر مینمودند در آنها قدمها بجهت سطوت و شجاعتیکه گرامی داشته بود خدای تعالی مرا بآن.

و بتحقیق که قبض شد روح پرفتوح حضرت رسالتمآب صلى الله عليه و آله در حالتیکه سر مبارك او بالای سینهٔ من بود، وبتحقیق که‌سیلان نمود نفس نفیس آن برگزیدهٔ پرورد گار در دست من، پس کشیدم من آن را برروی‌خودم.

و بتحقیق مباشر شدم غسل آن سیّد أبرار را صلى الله عليه و آله در حالتیکه ملائکه معین من بودند، پس ناله نمود خانه و اطراف خانه ، جماعتی هبوط میکردند وجماعتی عروج مینمودند، و مفارقت نکرد قوّهٔ سامعهٔ من از صوت ایشان ، نماز میکردند بر آن تا اینکه دفن کردیم‌وپنهان نمودیم آن برگزیدهٔ ناس‌را در قبر خود پس کیست که أولی باشد بأو از من در حالت زندگی او و در حالت مردگی او؟ پس بشتابید بر بصیرتهای خودتان و باید که با صدق رفتار نمائید در جهاد دشمن خودتان.

پس قسم بپروردگاری که نیست معبود بحقی غیر از او، بدرستیکه من بر راه راست حقّم و بدرستیکه ایشان بر محلّ لغزش باطلند،میگویم آن چیزی را که میشنوید و طلب مغفرت میکنم از پرورد گار عزّ وجلّ از برای خود و از برای شما .

ومن خطبة له عليه السلام و هى المأة والسابعة والتسعون من المختار فى باب الخطب

و شرحها في فصول ثلاثة:

الفصل الاول

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَ مَعاصِيَ الْعِبادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَ اخْتِلافَ النِّينانِ فِي الْبِحارِ الْغامِراتِ، وَ تَلاطُمَ الْماءِ بِالرِّياحِ الْعاصِفاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ نَجِيبُ اللهِ وَ سَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَءَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعادُكُمْ، وَ بِهِ نَجاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهى رَغْبَتِكُمْ، وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرامِي مَفْزَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوآءُ داءِ قُلُوبِكُمْ، وَ بَصَرُ عَمى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفاءُ مَرَضِ أَجْسادِكُمْ، وَ صَلاحُ فَسادِ صُدُورِكُمْ وَ طَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَ جِلاءُ غِشاءِ أَبْصارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَاشِكُمْ، وَ ضِياءُ سَوادِ ظُلْمَتِكُمْ.

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ.

فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ، فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ «عزبت خ» عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ انْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

اللغة

(عجّ) عجّاً من باب ضرب و عجيجاً أيضاً رفع صوته بالتّلبية، و منه الحديث أفضل الأعمال إلى الله العجّ والثجّ، فالعجّ رفع الصّوت في التّلبية، و الثجّ إسالة الدّماء من الذّبح والنحر في الأضاحي.

و (النّينان) جمع نون و هو الحوت قال تعالى «و ذا النّون اذ ذهب مغاضباً»

و نهر (غامر) أى كثير الماء يغمر من يدخله أى يغطّيه و يستره ، و غمره البحر من باب نصر أى إذا علاه و غطاه و (الطلبة) بكسر اللاّم ما طلبته.

و (غشاء) أبصاركم في بعض النسخ بالغين المعجمة والمدّ وزان كساء و هو الغطاء قال تعالى « فأغشيناهم فهم لايبصرون» أى جعلنا على أبصارهم غشاوة وغطاء و في بعضها بالعين المهملة والقصر سوء البصر بالليل والنّهار مصدر عشى يقال عشى عشىً من باب تعب ضعف بصره فهو أعشى والمرأة عشواء، و (الجاش) القلب .

و (الشّعار) الثّوب الملاصق للبدن وهو الذي يلي شعر الجسدو (الدّثار) ما فوق الشّعار من الثياب و (دخلة) الرّجل و دخله و دخيلته و دخيله نيّته و مذهبه و خلده و (المنهل) المشرب والشرب والموضع الذى فيه المشرب و (الطلبة) بكسر اللاّم كالطلب محرّكة اسم من طالبه بحقه مطالبة، و قال الشارح المعتزلي: الطلبة ما طلبته من شيء فيكون اسم عين.

و (النفس) محرّكة اسم وضع موضع المصدر الحقيقي من نفس تنفيساً ونفساً أى فرّج تفريجاً و (الاُوار) بضمّ الهمزة وزان غراب حرّ النّار والشّمس و العطش واللهب و (هطل) السّماء تهطل من باب ضرب امطرت هطلا و هو بالفتح تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر والمطر الضعيف الدائم و (نضب) الماء نضوباً غار و (وبلت) السماء تبل امطرت و ابلاً و هو المطر الشديد الضخم القطر و (ارذّت) السماء بتشديد الذال المعجمة أمطرت رذاذاً، و هو بالفتح كسحاب المطر الضّعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار.

الاعراب

الباء في قوله : بالرّياح سَببيّة و نحوه منصوب بنزع الخافض، والفاء في قوله فانّ تقوى الله للتعليل، و في قوله: فاجملوا فصيحة.

المعنى

اعلم أنّ الغرض الأصلي من هذا الفصل من الخطبة الشريفة هو النصح والموعظة والوصية بالتقوى والطاعة والترغيب عليهما بالتنبيه على عظم ما يترتب عليهما من الثمرات والمنافع المرغبة، وصدّر الفصل باقتضاء صناعة البلاغة ورعاية براعة الاستهلال بذكر إحاطة علمه بجزئيات الموجودات تنبيهاً به على أنه عزّ وجلّ لايخفى عليه طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فقال عليه السلام :

(يعلم عجيج الوحوش في الفلوات) أي صياحها فيها بالتسبيح و رفع أصواتها إلى عزّ جنابه تبارك وتعالى بالتّقديس و تضرّعها إليه سبحانه في إنجاح طلباتها وتنفيس كرباتها وسؤالها منه لدفع شدايدها .

و فيه حثّ للمخاطبين على الطلب والسّؤال والتّضرّع والابتهال والانابة إليه عزّ وعلا على كلّ حال ، لأنهم أولى بذلك من الحيوانات العجم .

و يشهد بذلك الحديث الذي قدّمناه: أفضل الأعمال إلى الله العجّ والثجّ .

وفي حديث آخر مرويّ في الوسايل من الكافي عن حريز رفعه قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا أحرم أتاه جبرئيل فقال له : مر أصحابك بالعجّ والثجّ ،والعجّ رفع الصّوت بالتلبية ، والثجّ نحر البدن .

وفي الكافي في كتاب الدّعاء باسناده عن حنان بن سدير عن أبيه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أيّ العبادة أفضل ؟ قال : مامن شيء أفضل عندالله عزّ وجلّ من أن يسأل ويطلب ممّا عنده ، وما أحد أبغض إلى الله عزّ وجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده .

وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول : ادع ولاتقل قد فرغ من الأمر ، فان الدّعاهو العبادة إنّ الله عزّ وجلّ يقول « إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين » وقال : «ادعوني أستجب لكم» .

وفيه بسنده عن ميسر بن عبدالعزيز عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال لي : ياميسر ادع ولا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه ، إنّ عندالله عزّوجلّ منزلة لا تنال إلاّ بمسألة ، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فاسأل تعط ، يا ميسر إنه ليس من باب يقرع إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه.

(و) يعلم (معاصي العباد في الخلوات) بمقتضى عموم علمه بالسرّ والخفيّات و ما تحت الثرى و فوق الأرضين والسّماوات ، وفيه تحذير للسامعين عن ارتكاب الخطيئات وحثّ لهم عن الازعاج من السيئآت و تخصيصها بها لكون الخلوة مظنّة الوقوع في المعصية بعدم وجود الرّادع والحاجز.

(و اختلاف النينان في البحار الغامرات) أي تردّدها فيها و سبحها في البحر صعوداً و هبوطاً طولاً و عرضاً

(و تلاطم الماء بالرّياح العاصفات) أي اضطراب ماء البحار و تراكم أمواجها بالرّياح الشّديدة الهبوب، ثمّ عقّب بالشهادة بالرّسالة فقال:

(و أشهد أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم نجيب الله) أي الكريم الحسيب أفضل الناس حسباً و نسباً شرّفه الله تعالى بهذا الوصف الشامخ واختاره به من خلقه.

(و سفير وحيه و رسول رحمته) كما قال عزّ من قائل «و ما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» أي نعمة عليهم لأنّ ما بعث به سبب لصلاح معاشهم و معادهم موجب للسّعادة الدائمة و كونه رحمة للكفّار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال.

قال في مجمع البيان: قال ابن عباس: رحمة للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة و رحمة للكافر بأن عوفي ممّا أصاب الامم من الخسف والمسخ .

قال: وروي أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لجبرئيل عليه السلام لما نزلت هذه الآية : هل أصابك من هذه الرّحمة شيء؟ قال: نعم إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر فامنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله «ذي قوّة عند ذي العرش مكين» وقيل: إنّ الوجه في أنّه نعمة على الكافر أنّه عرّضه للايمان والثّواب الدائم وهداه وإن لم يهتد كمن قدّم

الطعام إلى جائع فلم يأكل فانّه منعم عليه وإن لم يقبل .

(أمّا بعد فانّي اوصيكم) عباد الله (بـ)ـما لا أزال اوصيكم به أعني (تقوى الله الذي ابتدء خلقكم) وفي الاتيان بهذه الجملة ومايتلوها من الجملات الوصفية تعظيم لشأنه عزّ وجلّ وتأكيد للغرض المسوق له الكلام، لأنّ العلم باتّصافه بهذه الصفات يوجب مزيد الملازمة بالتقوى والمواظبة على أوامره و نواهيه عزّ وتعالى .

والمراد بهذه الجملة انّ الله الذي حباكم خلعة الخلقة و أخرجكم من العدم و أفاض عليكم نعمة الوجود الّتي هي أصل جميع النّعم صغيرها و كبيرها و جليلها و حقيرها أحرى بأن يخشى منه و يتّقى ولايقابل نعمه العظام بالكفران وآلائه الجسام بالتّمرّد والطغيان.

(و إليه يكون معادكم) أي عودكم ورجوعكم يوم حشركم ونشركم، فانّ الكلّ إليه راجعون فيجازيهم بماكانوا يعملون، وأمّا الذين اتّقوا ،فاولئك هم الفائزون وأما الذين ظلموا فلاينفع معذرتهم ولاهم يستعتبون كماقال عزّ من قائل: «إن المتّقين في ظلال وعيون ۞ وفواكه ممّا يشتهون ۞ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ۞ إنّا كذلك نجزي المحسنين».

(و به نجاح طلبتكم و إليه منتهى رغبتكم) أي الظفر بمطالبكم و قضاء مقاصدكم و نيل حوائجكم ، فانّه تعالى قاضي حوائج السائلين و منجح طلبات الرّاغبين ، و من كان هذا شأنه يجب أن يطاع و يعبد لا أن يعصى لحكمه ويتمرّد .

(و نحوه قصد سبيلكم) لأنّه منتهى سير السالكين و غاية مراد المريدين ، فلابدّ من سلوك صراطه المستقيم المؤدّي إلى قربه و زلفاه، وهو صراط الملازمين لطاعته و تقواه و أمّا غيرهم فانّهم عن الصراط لناكبون، و عن لقائه محرومون .

(وإليه مرامي مفزعكم) يعني إذا دهمكم الخوف والفزع ترميكم الأفزاع نحوه، لأنه يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء عنه إذا ناداه .

و في الحديث ليس وراء الله مرمى، قال الطريحي: أي مقصد ترمى إليه الآمال و يوجه نحوه الرّجاء ، تشبيهاً بالهدف الّتي ترمى إليها السّهام ، و إذا كان شأنه العزيز انّه إذا فاجاكم الفزع فاليه تضرّعون، وإذا مسّكم الضرّ فاليه تجأرون، فلابدّ

من أن يطاع ولايعصى ويذكر ولاينسى.

ثمّ لمّا وصف الله عزّ و علا بأوصاف توجب منه الاتّقاء أردفه بالتنبيه على منافع التّقوى والثمرات المترتّبة عليها في الدّين والدّنيا لمزيد الحثّ و الترغيب إليها فقال:

(فانّ تقوى الله دواءداء قلوبكم) يعني أنّها رافعةللأمراض القلبيّةوالرّذائل النّفسانية الموبقة من البخل والحسد والنفاق والعداوة والبغضاء وغيرها ، لأنها مضادّة لها كماأنّ الدواء ضدّ الدّاء

(و بصرعمىافئدتكم) بيان ذلك أنّ حصول وصف العمى للأعمى لمّا كان موجباً لعجزه عن إدراكه للمحسوسات، و سبباً لضلاله عن الطريق، فكذلكحصول هذا الوصف للأفئدة الناشي من اتّباع الهوى والانهماك فيالشهوات،موجبلقصورها عن إدراك المعقولات، و عن الاهتدا إلى الصراط المستقيم.

و كماأنّ بحسّ البصريرتفععميالأبصارالظاهرة ويحصل إدراكالمحسوسات فكذلك بالتقوى يرتفع عمى الأفئدة و يتمكّن من إدراك المعقولات و يهتدى إلى الصراط المستقيم ، لكونها مانعة من متابعة الهوى و انهماك الشهوات الموجبين لعماها، و هذا معنى كونها بصراًلعمى أبصار الأفئدة.

رو ى في الصافي في تفسير قوله تعالى «أفلم يسيروا في الأرضفتكون لهم قلوبيعقلون بها أوآذان يسمعون بهافانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبالّتي في الصدور »من التوحيد والخصالعن السجاد عليه السلام أنّ للعبدأربع أعين : عينان يبصربهما أمر دينه و دنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته ، فاذا أرادالله بعبدخيراً فتحالله له العينين اللّتين في قلبه فأبصربهما الغيب و أمر آخرته، و إذا أرادالله به غير ذلك ترك القلب بمافيه.

و فيه من الكافي عن الصادق عليه السلامإنّما شيعتنا أصحاب الأربعة أعين:عينان في الرّأس، وعينان في القلب.، ألا وإنّ الخلايق كلّهم كذلك إلاّ أنّاللهعزّوجلّ فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم.

(و شفاء مرض أجسادكم) هذا وارد مورد الغالب، لأنّ عمدة سببالمرضهو

الشبع والبطنة و أهل التقوى لكونه متّصفا بقلّة الأكل و قناعته بالحلال حسبما عرفت في الخطبة المأة والثانيةوالتّسعين و شرحها يسلم جسده غالباًمن الأمراض و الأسقام .

ويرشد إلى ذلك ما رواه المحدّث الجزائرى في زهر الرّبيع أنّ حكيماً نصرانياً دخل على الصادق عليه السلام فقال: أفى كتاب ربّكم أم فى سنّة نبيّكم شيء من الطب؟ فقال: أما في كتاب ربّنا فقوله تعالى «كلوا و اشربوا ولاتسرفوا» و أما في سنّة نبيّنا: الاسراف في الاكل رأس كلّ داء والحميّة منه أصل كلّ دواء .

وفيه أيضاً عنه عليه السلام أنه لوسئل أهل القبور عن السبب و العلّة في موتهم لقال اكثرهم : التخمة.

وفيه أيضاً قال : و روى أنّ المؤمن ياكل في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة أمعاء .

وقد تقدّم في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والتاسعة والخمسين فصل واف في فوايد الجوع و آفات الشّبع فليراجع ثمة.

(و صلاح فساد صدوركم) لأنّ فساد الصدور و هو كونها ساقطة عن الاعتبار خالية عن المنفعة إنّما ينشأ من طريان ما يفسدها من الغلّ والحقد والحسد ونحوها من الوساوس النّفسانية عليها، و بالتقوى يرتفع هذه كلّها و يحصل صلاحها ، وبه يظهر أيضاً معنى قوله:

(و طهور دنس أنفسكم) لأنّ هذه الطوارى أيضاً أوساخ موجبة لتدنّس النّفوس بها، والتقوى مطهرة لذلك الدّنس والوسخ.

(و جلاء غشاء أبصاركم) يعني أنّ التّقوى تجلو و تكشف غطاء أبصار البصاير و تستعدّ بذلك لادراك المعقولات ، كما أنّ الباصرة إذا ارتفع حجابها وانجلى غشاوتها تصلح لادراك المبصرات.

(و أمن فزع جاشكم) إذ بها تحصل قوّة القلب في الدّنيا، وهى أمان من فزاع يوم القيامة و أخاويفها كما قال تعالى في سورة الأعراف «فمن اتّقى وأصلح

فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» و في سورة النّمل «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» و في سورة الأنبياء «لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقّيهم الملائكة هذا يومكم الذی كنتم توعدون»

(و ضياء سواد ظلمتكم) الظاهر أنّ المراد بالظلمة هو ظلمة القلوب الحاصلة لها من اكتساب الآثام و انهماك الشهوات ، فانّ المعاصی توجب ظلمة القلب واسوداد الوجه، وبالتّقوی والطاعة يحصل له نور و ضياء و استعداد لقبول الافاضات الالهيّة ، هذا .

ولايخفی ما في هذه الفقرة و ما تقدّمت عليها من الفقرات السّبع من حسن المطابقة و لطفها.

ولمّا أوصی بالتّقوی و رغّب فيها بالتنبيه علی ما يترتّب عليها من الثمرات العظيمة أكّد ذلك بالأمر بملازمة الطاعة المحصّلة لها و بالغ في المواظبة عليها فقال:

(فاجعلوا طاعةالله شعاراً دون دثاركم) أی بمنزلة الشّعار المُلاصق للبدن لا الدّثار الذی فوق الشعار، وهو إشارة إلی المواظبة عليها باطناً لاظاهراً فقط، وأكّد استبطانها بقوله:

(و دخيلاً دون شعاركم) أی داخلاً في باطنكم تحت الشعار، و بقوله (ولطيفاً بين أضلاعكم) و هو غاية المبالغة في ادخالها في الباطن، وآكد دلالة عليه من سابقيه والغرض منه جعلها مكنوناً في الخلد متمكّناً في القلوب.

وقوله: (و أميراً فوق امورکم) أی يكون ورودكم و صدوركم في اموركم الدنيويّة بأمره ونهيه كساير الامراء بالنّسبة إلی الرّعيّة.

(ومنهلاً لحين ورودكم) أی مشرباً تشربون من صفوها وعذبها حين الورود يوم القيامة كماقال عزّ من قائل « انّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ✿ عيناً يشرب بها عبادالله يفجّرونها تفجيراً » .

(وشفيعاً لدرك طلبتكم) أی واسطة ووسيلة لادراك مطالبكم الدّنيويّة والاُخروية

إذ بالتّقوى والطاعة يحصل الاستعداد لدركها كما قال تعالى « ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره» فقد دلّ قوله : يجعل له مخرجاً ، على أنّها حصن حصين و حرز حريز بها يحصل النّجاة من الشدايد والوقاية من المكاره ، وقوله : ويرزقه من حيث لا يحتسب على أنّها كنز كاف بها يدرك المطالب ويفاز بالمآرب ، وقوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، على أنّه تعالى كاف لمن توكّل عليه واكتفاه ، قادر على إنجاح ما يبتغيه ويتمنّاه

(وجنّة ليوم فزعكم) أي وقاية يوم القيامة من النّار وغضب الجبّار كما قال تعالى « ثمّ ننجّي الّذين اتّقوا » .

(ومصابيح لبطون قبوركم) فانّ القبر بيت الظّلمة ، والعمل الصّالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة على ماجاء في الخبر .

(وسكناً لطول وحشتكم) أي في القبور فانّها بيت الغربة والوحدة والوحشة و الأعمال الصّالحة كما ورد في أخبار كثيرة تتصوّر في صور حسنة يستأنس بها صاحبها ويسكن إليها ويطيب بها نفسه ويرفع عنه وحشة القبر .

روى في الكافي بسنده عن سالم عن أبيعبدالله عليه السلام قال : مامن موضع قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات : أنا بيت التراب أنا بيت البلا أنا بيت الدّود .

قال عليه السلام : فاذا دخله عبد مؤمن قال مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت اُحبّك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك .

قال : فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنّة .

قال : ويخرج من ذلك رجل لم ترعيناه شيئاً قطّ أحسن منه فيقول : ياعبدالله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك فيقول : أنا رأيك الحسن الّذى كنت عليه و عملك الصّالح الّذى كنت تعمله قال : ثمّ يؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله ثمّ يقال له : نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنّة يصيب جسده و يجد لذّتها وطيبها حتّى يبعث .

وفي البحار من المحاسن باسناده عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام قال : إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صورفيهن صورة أحسنهن وجهاًوأبهاهن هيئةوأطيبهن ريحاًوأنظفهن صورة.

قال: فيقف صورة عن يمينهوأُخرى عن يسارهوأُخرى بين يديهوأُخرى خلفهوأُخرى عندرجله،وتقف التي هي أحسنهن فوق«رأسه»،فان اتى عن يمينه منعته التي عن يمينه،ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ قال : فتقول أحسنهن صورة : و من أنتم جزاكم الله خيراً ؟ فتقول التي عن يساره : أنا الزكاة ، و تقول التي بين يديه : أنا الصيام ، وتقول التي خلفه : أنا الحجّ والعمرة ، وتقول التي عند رجليه : أنابرّ من وصلت من إخوانك ، ثمّ يقلن : من أنت فأنت أحسننا وجهاً و أطيبنا ريحاً و أبهانا هيئة ؟ فتقول : أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

(ونفساً لكرب مواطنكم) أى سعة و روحاً لكرب منازل الآخرة و مواقف القيامة (فانّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة) أى عوذة من المهالك المحيطة (ومخاوف متوقّعة) أى مخاوف الآخرة المنتظره الوقوع (واُوارنيران موقدة) أراد به حرّ نارالجحيم .

(فمن أخذبالتّقوى) وعمل صالحا (غربت) أى بعدت وغابت (عنه الشّدائد بعد دنوّها) أى شدايد الآخرة وأهاويلها ، ويجوز أن يراد بها الأعمّ لأنّ المتّقي بقناعته وخفّة مؤنته و اعتزاله من مخالطة أبناء الدّنيا و مجالستهم سالم غالباً من المحن والشّدايد وايذاء أبناء النّوع .

(واحلولت له الأمور بعد مرارتها) أى صارت الأمرار الدّنيوية والاُخروية حلواً له ، أمّا الدّنيوية كضيق العيش والجوع والفقر والعرى وماضاهاها فلما له من الرّضا بالقضاء ، وأما الاخروية كمشاقّ الطاعات والعبادات فلكونها أحلى و ألذّ عنده من كلّ شيء وإن كان مرّاً في ذوقه في مبدء السلوك ، و ذلك لما له من علم اليقين بأنّ هذه المشقّة القليلة توجب راحة طويلة ، و تلك المرارة اليسيرة تجلب لذّة دائمة .

(وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها) أي انكشفت عنه أمواج الفتن الدنيوية بعد تراكمها و كثرتها ، وذلك لأن الآخذ بالتقوى لكونه بمعزل من الدنيا وأهلها سالم من الفتن والمحن التي ابتلي بها أهلها .

(وأسهلت له الصعاب بعد انصبابها) أي صارت الأمور الصعبة والمشاق النفسانية سهلة له بعد ايقاعها اياه في النصب والتعب ، وذلك لما عرفت آنفاً من أن المتقى لمعرفته بعظم ما يترتب على طاعته وتقواه من الثمرات الاخروية يسهل عليه كل خطب ويهون له الشدايد (وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها) شبه كرامة الله سبحانه الشاملة للمتقى بالمطر العظيم القطر المتتابع على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات الهطل تخييل و القحوط ترشيح . و نظيرها الفقرتان المتقدمتان فانهما أيضاً من قبيل الاستعارة المكنية التخييلية الترشيحية .

و المراد أن أهل التقوى انصبت عليه و تتابعت في حقه كرامة الله العزيز عزّوجلّ بسبب اتصافه بالتقوى بعد احتباسها ومنعها عنه، وذلك قبل أن يستعد بالتقوى لها ويشهد بذلك أي بافاضة كرامته على المتقي صريحاً نص قوله سبحانه « انّ أكرمكم عندالله اتقيكم » .

(وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها) أي تعطفت عليه الرحمة الالهية بعد ما كانت نافرة عنه حين مالم يكن متصفا بالتقوى و مستعداً لها ، و هذه الفقرة أيضاً مثل سوابقها حيث شبه الرحمة بالناقة العاطفة على ولدها على سبيل الاستعارة بالكناية وأثبت التحدب تخييلا والنفور ترشيحاً

(وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها) إما استعارة مكنية مثل مامرت تشبيهاً للنعم بالينابيع الجارية المنفجرة ، فيكون ذكر التفجر والنضوب تخييلاً وترشيحاً ، أى انفجرت عليه ينابيع النعم بعد اغوارها .

ويجوز أن يراد بالتفجر التتابع بعلاقة الملازمة فيكون مجازاً مرسلا ، والنعم قرينة التجوز أو اريد بالتفجر الافاضة و الجامع التتابع والدوام فيكون استعارة تبعية وعلى هذين الاحتمالين فيراد بالنضوب الفقدان مجازاً ولا يخفى على المتدبر أن هذين الاحتمالين يأتيان أيضاً في بعض القراين المتقدمة كالقرينة المتأخرة أعني قوله:

(ووبلت عليه البركة بعدارذاذها) فيجوز أن تكون الاستعارة بالكناية بأن يشبه البركة بالمطر الشديد العظيم القطروالوبل والارذاذ تخييل وترشيح ، وأن تكون استعارة تبعية بأن يستعار الوبل للفيض الكثير و الجامع الكثرة ، و أن يكون مجازاً مرسلا ويراد بالوبل النزول ، وعلى التقديرين فيراد بالارذاذ القلّة والضعف مجازاً .

ثمّ بعد التنبيه على جملة من ثمرات التقوى والمنافع العظيمةالمترتّبة عليها عاد إلى الأمر بها تأكيداً وتقوية لما قدّمفقال :

(فاتّقوا الله الذي نفعكم بموعظته) و هي ما و عظكم بها في كتابه المبين و لسان نبيّه الأمين و هداكم بها إلى الجنّة وأنقذكم بها من النار وأىّ منفعة أعظم من هذه و أنفع .

(ووعظكم برسالته) التي بعث بهارسله ولم يبق عذر لعاذر بعد مواعظهم البليغة في ترك التقوى والطاعة .

(وامتنّ عليكم بنعمته) الغير المحصاة التي لايجوز للعاقل أن يقابلها بالكفران ويكافئها بترك التقوى والطاعة والعصيان .

(فعبّدوا أنفسكم لعبادته) أي ذللوها لحمل أثقال العبادة .

(و اخرجوا إليه من حقّ طاعته) أي من طاعته التي هو حق عليكم وثابت في ذمتكم ، أو من طاعته التي حقيق به عزّوجلّ أي اخرجوا إليه من كمال طاعته التي يليق بحضرته .

الترجمة

ميداند خداوند تبارك وتعالى صداى وحشيان را در بيابانها ، و معصيتهاى بندگان را درمكان خلوت ، وتردّد ماهيان را در درياهاى گود ، وتلاطم آب درياهارا بابادهاى تندوزنده ، وشهادت مى‌دهم باينكه محمّد مصطفى صلوات الله وسلامه عليه وآله بندۀ نجيب خداست وايلچى وحى او وپيغمبررحمت اوست .

اما پس از ثناى خدا پس بدرستى كه من وصيّت ميكنم شما را بتقوى وپرهيزكارى خداوندى كه ايجاد فرموده خلقت شمارا وبسوى اوست بازگشت شما

وبا عنایت اوست رسیدن مطالب شما و بطرف اوست قصد راه شما و بسوی اوست نشانگاه فزع و خوف شما پس بدرستیکه تقوی دوای درد قلبهای شماست، و چشم کوری دلهای شما، و شفای ناخوشی بدنهای شما، و صلاح فساد سینههای شما، وپاکیزگی کثافت نفسهای شماست، وجلای پردهای بصرهای شما، وخاطرجمعی خوفقلبهای شما، وروشنی سیاهیتاریکیقلبشمااست.

پس بگردانید طاعت و عبادت پروردگار را لباس باطنی خودتان نه لباس ظاهری و داخل در باطن خود نه شعار ظاهری، و چیزی لطیف درمیان دندهای خودتان، و أمیر حکمران بالای جمیع کارهای خودتان ومحل آب خور از برای زمان ورود آن، وواسطه ازبرای درك مطالب خودتان، وسپر ازبرای روزفزع خود وچراغها ازبرای بطونقبرهای خود، ومایهٔ انسازبرای طول وحشت خود، وفرج وراحت ازبرای أندوه ومحنت مواطن خودتان.

پس بدرستیکه طاعت خدا حرز است از مهلکههای محیطه و از محلّهای خوفی که متوقعست و از حرارت آتشهای روشنشده، پس کسیکهاخذنمودتقوی را غایب شد از آن شدتها بعد از نزدیکی آنها باو، و شیرین شد از برای او کارها بعد از تلخی آنها، و منکشف شد از او موجها بعد از تراکم و تلاطم آنها،وآسان شد از برای او کارهای صعب بعد از مشقت انداختن آنها، و بارید باوباران های کرامت بعد از قحطی آن، و برگشت با مهربانی بر او رحمت خدا بعداز رمیدن آن، و منفجر شد بر اوچشمهای نعمتها بعد از نایابی آنها، و باریدبأوباران برکت با شدّت بعد از ضعف و قلّت آن.

پس پرهیز نمائید ازخدا چنان خداوندی که نفعبخشید بشما باموعظهبالغه خود، و موعظه فرمودبشمابارسالترسولانخود، ومنت گذاشت برشما بانعمتفراوان خود، پس ذلیل نمائید نفسهای خودتان را بابار عبادت او، و خارج شوید بسوی او ازحق اطاعت او که لایق حضرت اواست.

الفصل الثاني

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ المِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَائَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتَاقَ الحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ.

ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَايِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعْثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ.

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رُوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا، جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ.

فَهُوَ عِنْدَاللهِ وَثِيقُ الْاَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُالْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعوِزُ الْمَثَارِ، فَشَرِّفُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَواضِعَهُ.

اللغة

(اصطنعه على عينه) افتعال من الصنع والصنع اتّخاذ الخير لصاحبه كذا في مجمع البيان، و قيل: من الصنيعة وهى العطية والاحسان والكرامة يقال اصطنعتك لنفسى اخترتك لأمر أستكفيكه و اصطنع خاتماً أمر أن يصنع له قال تعالى في سورة طه مخاطباً لموسى عليه السلام «واصطنعتك لنفسى ✿ اذهب أنت وأخوك بآياتى ✿ ولا تنيا في ذكرى».

و قال الشارح المعتزلى: اصطنعه على عينه كلمة يقال لما يشتدّ الاهتمام به: تقول للصانع: اصنع لى خاتماً على عينى، أى اصنعه صنعة كالصّنعة التي تصنعها و أنا حاضر أشاهدها.

و قال الزّمخشرى في الكشاف في تفسير قوله تعالى «و لتصنع على عينى» لتربى و يحسن إليك و أنا مراعيك و راقبك كما يرعى الرّجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، و تقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلاّ تخالف به عن مرادى

و (الخيرة) بفتح الياء و زان عنبة كالخيرة بسكونها اسم من اخترت الرّجل أى فضلته على غيره و (الدّعائم) جمع الدّعامة بالكسر عماد البيت و الخشب المنصوب للتعريش و (حادّه) محادّة عاده و غاضبه و خالفه مأخوذ من الحد وهو الغضب قال تعالى «يوادّون من حادّ الله و رسوله».

و (تئق) الحوض من باب فرح امتلأ ماء و أتاق الحياض ملأها و (المواتح) جمع الماتح و هو الذى يستقى بالدّلو من المتح و هو الاستقاء يقال متحت الدّلو

أى استخرجتها و (عروة) الكوز مقبضه و (الجذ) بالذّال المعجمة القطع أوالقطع المستأصل، و في بعض النسخ بالحاء المهملة و هو القطع و في بعضها بالجيم والدّال المهملة و هو القطع أيضاً والفعل في الجميع كمدّ.

و (وعث) الطريق و عوثة من باب قرب و تعب إذا شقّ على السالك فهو وعث و قيل: الوعث رمل دقيق تغيب فيه الأقدام فهو شاق، ثمّ استعير لكلّ أمر شاقّ من تعب و أثم وغير ذلك، ومنه وعثاء السفر أى شدّة النصب والتعب.

و (الوضح) محرّكة بياض الصبح والقمر و محجّة الطريق و (العصل) محرّكة الاعوجاج في صلابة و منه العصال بالكسر و هو السهم المعوّج و (الفج) الطريق الواسع بين الجبلين و (ساخت) قوائمه في الأرض أى غابت و ساخت بهم الأرض أى خسفت و يعدى بالهمزة فيقال: أساخه الله و (الينبوع) العين ينبع منه الماء أى يخرج و قيل :الجدول الكثير الماء و هو أنسب و (غزر) الماء بضمّ الزاء المعجمة غزارة كثر فهو غزير و (شبت نيرانها) بضمّ الشين بالبناء على المفعول أى اوقدت

و (ورّادها) جمع وارد قال الشارح المعتزلى : و روى روّادها جمع رائد و هو الذى يسبق القوم فيرتاد لهم الماء والكلاء و (ذروة) الشيء بالكسر و الضمّ أعلاه و (سنام) بالفتح وزان سحاب أيضاً أعلاه و(عوز) الشيء عوزاً من باب تعب عزّ فلم يوجد ، و عزت الشيء أعوزه من باب قال احتجت إليه فلم أجده ، و أعوزنى مثل أعجزنى وزناً و معنى ، وأعوز الرّجل إعوازاً إفتقر ، و أعوزه الدّهر أفقره

و (ثار) الغبار يثور ثوراً و ثوراناً هاج، و ثار به الناس أى و ثبوا عليه،وفلان أثار الفتنة أى هيّجها، والمثار مصدر أو اسم للمكان.

الاعراب

قوله : على عينه ظرف مستقرّ حال من فاعل اصطنع ، و قوله : على محبّة يحتمل أن يكون ظرف لغو متعلّق بقوله أقام فالضمير راجع إلى الله، و أن يكون ظرفاً مستقرّاً حالاً من فاعل أقام أو من الضمير في دعائمه، فالضمير فيه على الأوّل

أيضاً راجع إلى الله، وعلى الثاني فيعود إلى الاسلام ، ويجوز جعل على بمعنى اللاّم للتعليل كما في قوله تعالى «و لتكبّروا الله على ماهديكم» و على هذا فايضاً ظرف لغو والضّمير يصحّ عوده إلى الله وإلى الاسلام فتدبّر ، و الباء في قوله : بعزّته للسّببيّة ، وقوله : ثمّ جعله لا انفصام لعروته المفعول الثّاني لجعل محذوف وجملة لا انفصام لعروته صفة له .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لمّا أوصى في الفصل السّابق بالتّقوى والطّاعة أردفه بهذا الفصل المتضمّن لشرف الاسلام وفضايله لكونهما من شئونه فقال :

(ثمّ إنّ هذا الاسلام دين الله) أى لا دين مرضيّ عندالله سوى الاسلام و هو التّوحيد والتّدرّع بالشّرع الّذي جاء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قال تعالى « انّ الدّين عندالله الاسلام » وقال « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » أى من يطلب غيره ديناً يدين به لن يقبل منه بل يعاقب عليه و هو من الهالكين في الآخرة ، وفيه دلالة على أنّ الدّين والاسلام واحد وهما عبارتان عن معبر واحد ، وهو التّسليم والانقياد بماجاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وهو (الّذي اصطفاه) الله واختاره من بين ساير الأديان (لنفسه) أى لأن يكون طريقاً إلى معرفته وطاعته مؤدّياً إلى جنّته .

(واصطنعه على عينه) أى اتّخذه صنعة و اختاره حالكونه مراعياً حافظاً له مراقباً عليه مشاهداً ايّاه ، و يجوز جعل العين مجازاً في العلم فيكون المعنى أنّه اصطنعه وأسّس قواعده على ما ينبغى وعلى علم منه به أى حالكونه عالماً بدقايقه ونكاته أوبشرفه وفضله .

ويحتمل أن يكون معنى اصطنعه أنّه طلب صنعته أى انّه أمر بصنعته والقيام به حالكونه بمرئى منه أى كالمصنوع المشاهد له ، و ذلك أنّ من صنع لغيره شيئاً وهو ينظر إليه صنعه كما يحبّ ولايتهيّأ له خلافه أوأنّه أمر بأن يصنع أي بصنعه

وصنيعته أي بكرامته والاتيان به على وجه الكمال .

وعلى هذا الاحتمال فالصّانع له أي المأمور بالصّنعة والصنع والصنيعة المكلّفون المطلوب منهم الاسلام .

وهذا نظير ماقاله المفسّرون في قوله تعالى « و لتُصنع على عيني » على قراءة لتصنع بلفظ الأمر مبنياً للمفعول . إنّ المعنى ليصنعك غيرك أي لتربّى و تغذّى ويحسن إليك بمرئى منّي أي يجرى امرك على ما اريد من الرّفاهة .

(وأصفاه خيرة خلقه) أي آثر واختار للبعثة به خيرة خلقه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، أو جعل خيرة خلقه خالصاً لتبليغه دون غيره .

(وأقام دعائمه على محبّته) أي أثبت أركان الاسلام فوق محبّته تعالى ، فانّ من أحبّه سبحانه أسلم له ، أو أنّه أقام دعائمه حالكونه تعالى محبّاً له أو حالكون الاسلام محبوباً له تعالى ، أولأجل حبّه إياه ، أولأجل محبوبيّته عنده على الاحتمالات المتقدّمة في الاعراب .

ثمّ المراد بدعائمه إما مطلق أركانه التي يأتي تفصيلها منه عليه السلام في أوائل باب المختار من حكمه وهو الأنسب .

أو خصوص ماأُشير إليه في الحديث المرويّ في البحار من أمالي الصدوق بسنده عن المفضل عن الصادق عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس دعائم: على الصّلاة ، والزّكاة ، والصوم ، والحجّ ، وولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده صلوات الله عليهم

(أذلّ الأديان بعزّته) أراد بذلّتها نسخها أو المراد ذلّة أهلها على حذف المضاف ويحتملهما قوله (ووضع الملل برفعه) و يصدّق هاتين القرينتين صريحاً قوله تعالى «ارسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه» .

(وأهان أعداءه بكرامته) أي أهان أعداء الاسلام و هم اليهود و النصارى والمشركون و كلّ من عانده ولم يتديّن به من أهل الملل المتقدّمة ، و إهانتهم بالقتل والاستيصال وأخذ الجزية والذّل والصّغار .

(وخذل محادّيه بنصره) أي ترك نصرة المخالفين للاسلام المحادّين له وأخزاهم

بنصرته للاسلام وأهله .

(وهدم أركان الضّلالة بركنه) ركن الشيء جانبه الّذى يستند إليه ويقوم به ، فاستعار أركان الضلالة للعقايد المضلّة أورؤساء أهل الضّلالة أوالأصنام ، و أراد بركنه أصوله وقواعده أوالنّبي أوكلمة التوحيد .

(وسقى من عطش من حياضه) المراد بمن عطش الجاهل بقواعد الاسلام المبتغي له ، و بالحياض النّبي و الأئمّة سلام الله عليهم المملوون بمياه العلوم الحقّة ، أو الأعمّ الشامل للعلماء الرّاشدين أيضاً ويسقيه هدايته له إلى الاستفادة وأخذ علوم الدّين عنهم عليهم السلام .

(وأتاق الحياض بمواتحه) أى ملاء صدور أولى العلم عليهم السلام من زلال المعارف الحقّة والعلوم الدّينية بوساطة المبلّغين من الله تعالى من الملائكة وروح القدس والالهامات الالهيّة . وإن اريد بالحياض الأعمّ الشامل للعلماء فيعمّم المواتح للأئمة لأنهم يستفيدون من علومهم عليهم السلام ويستضيؤن بأنوارهم عليهم السلام وقيل هنا : معان اخر، والأظهر ماقلناه .

(ثمّ جعله) وثيقاً (لاانفصام لعروته) كما قال تعالى «قدتبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها» .

قال أمين الاسلام الطبرسي «قد» قدظهر الايمان من الكفر والحقّ من الباطل ، فمن يكفر بما خالف أمر الله و يصدق بالله وبما جاءت به رسله فقد تمسّك و اعتصم بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدّين عقداً وثيقاً لايحلّه شبهة ، لاانفصام لها أى لاانقطاع لها كما لاينقطع من تمسك بالعروة كذلك لاينقطع أمر من تمسّك بالايمان ، ومحصّله أنّ من اعتصم بعروة الاسلام فهي تؤدّيه إلى غاية مقصده من رضاء الحقّ ورضوانه ونزول غرفات جنانه لأنّها وثيقة لاينقطع ولا تنفصم .

(و) جعله محكماً (لافكّ لحلقته) قال الشّارح البحراني : كناية عن عدم انقهار أهله وجماعته .

(و) مشيّداً (لاانهدام لأساسه) قال البحراني : استعار لفظ الأساس للكتاب والسّنة الّذين هما أساس الاسلام ، و لفظ الانهدام لاضمحلالهما انتهى . ولا بأس به ، وقد يفسّر في بعض الرّوايات بالولاية .

وهو مارواه في البحار من أمالي الشيخ باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : لمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله مناسكه من حجّة الوداع ركب راحلته وأنشأ يقول : لا يدخل الجنّة إلاّ من كان مسلماً ، فقام اليه أبوذر الغفاري فقال : يا رسول الله وما الاسلام ؟ فقال صلى الله عليه وآله : الاسلام عريان ولباسه التقوى ، وزينته الحياء ، وملاكه (١) الورع وكماله الدّين ، وثمرته العمل ، ولكلّ شيء أساس و أساس الاسلام حبّنا أهل البيت .

(و) ثابتا (لازوال لدعائمه) قال البحراني : استعار لفظ الدّعائم لعلمائه أو للكتاب والسنة وقوانينهما ، وأراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء أوعدم القوانين الشرعيّة انتهى .

والأولى أن يراد بالدّعائم ما يأتي تفصيلها منه عليه السلام في أوائل باب المختار من حكمه عليه السلام وهو ثالث أبواب النّهج .

(و) راسخاً (لاانقلاع لشجرته) الظاهر أنّه من قبيل اضافة المشبّه به على المشبّه كما في لجين الماء ، و المراد أنّ الاسلام كشجرة ثابتة أصلها ثابت وفرعها فى السماء كما اشير اليه في قوله «مثل كلمة طيّبة كشجرة طيّبة» الآية .

قال الطبرسي : قال ابن عبّاس : هي كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلاّ الله كشجرة زاكية نامية راسخة اصولها فى الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء ، وأراد به المبالغة في الرّفعة و الأصل سافل والفرع عال إلاّ أنه يتوصّل من الأصل إلى الفرع .

قال : وقيل : انّه سبحانه شبّه الايمان بالنّخلة لثبات الايمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها ، وشبّه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة ،

---

١ ــ أى قوامه ونظامه م

وشبّه مايكسبه المؤمنون من بركة الايمان وثوابه في كلّ وقت وحين بماينال من ثمرة النخلة في أوقات السّنة كلّها من الرّطب والتّمر .

وفي البحار من علل الشرايع باسناده عن معمّر بن قتادة عن أنس بن مالك في حديث قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله قال حبيبي جبرئيل عليه السلام : إنّ مثل هذا الدّين كمثل شجرة ثابتة الايمان أصلها ، و الصّلاة ، عروقها ، والزّكاة ماؤها ، و الصّوم سعفها ، وحسن الخلق ورقها ، والكفّ عن المحارم ثمرها ، فلا تكمل شجرة إلاّ بالثمر كذلك الايمان لايكمل إلاّ بالكفّ عن المحارم .

(و) متمادياً (لاانقطاع لمدّته) لاستمراره و بقائه إلى يوم القيامة .

(و)جديداً (لاعفاء لشرايعه) أى لااندراس لماشرع الله منه لعباده ولاانمحاء لطرقه وشعبه الّتي يذهب بسالكها إلى حظاير القدس ومحافل الانس

(و) زاكياً (لاجذّ لفروعه) أى لا ينقطع ما يتفرّع عليه من الأحكام الّتي يستنبطها المجتهدون بأفكارهم السليمة من الكتاب والسنّة ، ويحتمل أن يرادبها مايتفرّع عليه من الثّمرات والمنافع الدنيويّة والاخرويّة .

(و) وسيعاً (لاضنك لطرقه) أى لاضيق لمسالكه بحيث يشقّ على السّالكين سلوكه ، والمراد أنهاملّة سمحة سهلة ليس فيها ثقل على المكلّفين كماكان في الملل السّابقة .

قال تعالى « الّذين يتّبعون الرّسول النّبي الامي الّذى يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم» .

قال أمين الاسلام الطبرسي: معناه يبيح لهم المستلذّات الحسنة و يحرّم عليهم القبايح وماتعافه الأنفس ،وقيل: يحلّ لهم مااكتسبوه من وجه طيّب ويحرّم عليهم مااكتسبوه من وجه خبيث ، و قيل: يحلّ لهم ماحرّمه عليهم رهبانيّهم وأحبارهم وما كان يحرّمه أهل الجاهلية من البحائر و السوائب وغيرها ، و يحرّم عليهم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما ذكرمعها .

ويضع عنهم إصرهم أى ثقلهم شبّه ماكان على بني إسرائيل من التكليف الشديد

بالثقل ، و ذلك إن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم وجعل توبة هذه الأمّة الندم بالقلب حرمة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

والاغلال الّتي كانت عليهم قيل : يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة و قرض ما يصيبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلك من تحريم السّبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدّية انتهى .

وقيل : الاصر الثقل الّذى يأصر حامله أى يحبسه فى مكانه لفرط ثقله .

وقال الزّمخشرى : هو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس فى صحّة توبتهم ، و كذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الأشياء الشّاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان أوخطاء من غير شرع الدّية ، و قطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض موضع النّجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنايم ، وتحريم العروق فى اللّحم وتحريم السبت .

وعن عطا كانت بنواسرائيل إذا قامت تصلّى لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى الأعناق، وربّما ثقب الرّجل ترقوته وجعل فيها طرف السّلسلة وأوثقها إلى السّارية يحبس نفسه على العبادة .

(و) سهلا (لاوعوثة لسهولته) يعني أنّه على حدّ الاعتدال من السهولة ، وليس سهلاً مفرطاً كالوعث من الطريق يتعسّر سلوكه ويشقّ المشى فيه لرسوب الأقدام .

(و) واضحاً (لاسوادلوضحه) يعنى أنّ بياضه لايشوبه الظلام كما قال النّبى صلى الله عليه وآله: بعثت اليكم بالحنيفيّة السمحة السهلة البيضاء، وبياضه كناية عن صفائه عن كدر الباطل .

(و) مستقيماً (لاعوج لانتصابه) أى لااعوجاج لقيامه كما قال تعالى « قل انّنى هدانى ربّى الى صراط مستقيم☆ ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين» والمراد أنّه صراط مستقيم مؤدّ لسالكه إلى الجنّة ، ورضوان الله تعالى ليس فيه عوج ولا أمت.

(و) مستوياً (لاعصل فى عوده) وهو أيضاً كناية عن استقامته وادائه إلى الحقّ .

(و) يسيراً (لاوعث لفجّه) أراد بالفجّ مطلق الطريق مجازاً من إطلاق المقيّد

على المطلق ويمكن إرادة المعنى الحقيقي ويكون النظر في التشبيه إلى أنه الجادّة الوسطى بين طرفي الافراط والتفريط ، كما أنّ الفجّ هو الطريق الواسع بين الجبلين .

(و) مضيئاً (لا انطفاء لمصابيحه) الظاهر أنّ المراد بمصابيحه أئمة الدّين وأعلام اليقين الذينهم مصابيح الدّجى ومنار الهدى ، وأراد بعدم انطفائها عدم خلوّ الأرض منهم عليهم السلام .

(و) حلواً (لامرارة لحلاوته) لأنه أحلى وألذّ في أذواق المتديّنين من كلّ حلو ، ولذيذ لايشوبه مرارة مشقّة التكليف .

كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى «ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام»: لذّة مافي النداء أزال تعب العبادة والعناء .

(فهو دعائم أساخ في الحقّ أسناخها) يعني أنّ الاسلام دعائم العبوديّة فلاينافي حملها عليه هنا لماتقدّم سابقا من إضافتها إليه في قوله : أقام دعائمه على محبّته ، وقوله : ولازوال لدعائمه ، نظراً إلى أنّ ظهور الاضافة في التغاير .

وجه عدم المنافاة أنّ الغرض فيماسبق تشبيه الاسلام والدّين بالبيت فأثبت له الدّعائم على سبيل الاستعارة المكنيّة التخييلية ، فهو لاينافي كون الاسلام نفسه أيضا دعائم لكن للعبوديّة .

ويمكن دفع المنافاة بوجه آخر وهو أنّا قد بيّنا فيما سبق أنّ المراد بدعائم الاسلام إمّا الدعائم الّتي يأتي تفصيلها منه عليه السلام في باب المختار من حكمه أو خصوص العبادات الخمس أعني الصلاة والزكاة والصّوم والحجّ والولاية حسبما اشير إليه في الحديث الذى رويناه من البحار وفي أحاديث كثيرة غيره تركنا ذكرها ، وعلى أيّ تقدير فلمّا كان قوام الاسلام بتلك الدّعائم وثباته عليها حتّى أنّه بدونها لاينتفع بشيء من أجزائه فجعله نفس تلك الدّعائم مبالغة من باب زيد عدل .

و يوضح ذلك ما في البحار من الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : الصّلاة عمود دينكم .

وفي الكافي أيضاً باسناده عن عبيد بن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل الصّلاة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء ، وإذا انكسر العمود لم ينفع طناب ولاوتد ولاغشاء .

وأما قوله : أساخ في الحقّ أسناخها ، فمعناه أنّه تعالى أثبت اصولها في الحقّ يعني أنّه بناء محكم بني على الحقّ وثبت قوائمة عليه دون الباطل كما قال تعالى « فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرةالله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم » أى ذلك الدّين المستقيم الحقّ .

(وثبّت لها أساسها) أى أحكم لهذه الدّعائم أبنيتها .

(وينابيع غزرت عيونها) يعني جداول وأنهار كثيرة ماء عيونها الّتى تجريان منها ، والظاهر أنّه من التّشبيه البليغ ، والمراد أنّ الاسلام بما تضمّنه من الأحكام الكثيرة الاسلاميّة بمنزلة ينابيع وصفها ما ذكر ، ووجه الشّبه أنّ الينابيع منبع مادّة حياة الأبدان والأحكام الاسلاميّة منشأ مادّة حياة الأرواح ، إذ بامتثالها يحصل القرب من الله المحصّل لحياة الأبد .

وفي وصف المشبّه به بغزارة العيون إشارة إلى ملاحظة ذلك الوصف في جانب المشبّه أيضاً لأنّ الأحكام الاسلاميّة صادرة عن صدر النّبوّة وصدور الأئمة الّتي هى معادن العلوم الالهيّة وعيونها ، وكفى بها كثرة وغزارة .

(ومصابيح شبّت نيرانها) وهو أيضاً من التّشبيه البليغ ، يعني أنّ الاسلام بما فيه من الطّاعات والعبادات الّتي من وظايفه مثل المصابيح الموقدة النّيران المشتعلة الّتي هى في غاية الاضاءة ، ووجه الشّبه أنّ المصابيح الّتي وصفها ذلك كما أنها ترفع الظلام المحسوسة، فكذلك الطاعات الموظفة في دين الاسلام إذا اقيمت عليها تنوّر القلوب وتجلو ظلمتها المعقولة .

(ومنار اقتدى بها سفّارها) يعني أنّه بما فيه من الأدلّة السّاطعة والبراهين القاطعة الّتي يستدلّ بها العلماء في المقاصد ، مثل منائر يهتدى بها المسافرون في الفلوات ، وإضافة سفار إلى ضمير المنار من التّوسع .

ومثله قوله (وأعلام قصد بها فجاجها) أى مثل أعلام قصد بنصب تلك الأعلام

إهداء المسافرين في تلك الفجاج .

(و مناهل روى بها ورّادها) يعني أنّه بمافيه من العلوم الاسلاميّة النقليّة والعقليّة بمنزلة مشارب تروى بمائها العطاش الواردون إليها .

(جعل الله فيه منتهى رضوانه) أى غاية رضاه لكونه أتمّ الوسايل و أكملها في الايصال إلى قربه وزلفاه كمااشير إليهفي قوله « أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وقوله « انّ الدّين عندالله الاسلام » .

(وذروة دعائمه) الظاهر أنّ المراد بالدعائم العبادات التي بنيت عليها بيت العبوديّة ، و لما كان دين الاسلام أشرف الأديان و أفضلها تكون العبادات الموظفة فيه أفضل العبادات وأعلاها ، وإضافة الدعائم إلى الله من باب التّشريف والتكريم باعتبار أنّها مجعولات له سبحانه أومن أجل كونها مطلوبة له تعالى .

وبه يظهر أيضاً معنى قوله (و سنام طاعته) و يستفاد من بعض الأخبار أنّ ذروة الاسلام وسنامه هوخصوص الجهاد .

وهو ما رواه في البحار من الكافي باسناده عن سليمان بن خالد عن أبيجعفر عليه السلام قال : ألا اخبرك بأصل الاسلام وفرعه وذروة سنامه ؟ قلت : بلى جعلت فداك ، قال : أمّا أصله فالصّلاة ، وفرعه الزّكاة ، وذروة سنامه الجهاد .

قال المحدّث العلامة المجلسي : الاضافة في ذروة سنامه بيانيّة أولاميّة إذ للسّنام الذى هو ذروة البعير ذروة أيضاً هو أرفع أجزائه ، و إنما صارت الصلاة أصل الاسلام لأنه بدونها لايثبت على ساق ، والزّكاة فرعه لأنه بدونها لاتتمّ ، والجهاد ذروة سنامه لأنه سبب لعلوّه وارتفاعه ، وقيل : لأنه فوق كل برّ كما ورد في الخبر

و كيف كان (فهوعندالله وثيق الأركان) لابتنائه على أدلّة محكمة واصول متقنة

(رفيع البنيان) كناية عن علوّ شأنه ورفعة قدره على ساير الأديان .

(منير البرهان) أى الدّليل الدّال على حقيّته من الآيات و المعجزات الباهرة منير واضح .

(مضيء النيران) كناية عن كون أنواره أى العلوم والحكم الثاقبة التي فيه في غاية

الضياء بحيث لاتخفى على الناظر المتدبّر .

(عزيزالسلطان) يريد أنّ حجّته قويّة أوأنّ سلطنته غالبة على سايرالأديان كما قال تعالى « ليظهره على الدّين كلّه » .

(مشرف المنار) أى مرتفع المنارة قال الشارح البحراني : وكنى بـه عن علوّ قدر علمائه وأئمته وانتشار فضلهم والهداية بهم .

(معوز المثار) قيل : أى يعجز الناس ازعاجه وإثارته لقوّته وثباته ومتانته وقال البحراني : أى يعجز الخلق إثارة دفائنه واستخراج ما فيه من كنوز الحكمة و لا يمكنهم استقصاؤها، و في بعض النسخ معوزالمثال أى يعجز الخلق عن الاتيان بمثله ، و في بعضها معوز المنال أى يعجزون عن النيل والوصول إلى نكاته و دقائقه و أسراره .

(فشرّفوه) أى عظّموه وعدّوه شريفاً واعتقدوه كذلك (واتبّعوه و أدّوا إليه حقّه) أى ما يحقّه من الاتبّاع الكامل (وضعوه مواضعه) أراد بـه الكفّ عن تغيير أحكامه والعلم بمرتبته و مقداره الذى جعله الله له ، أو العمل بجميع ما تضمّنه من الأوامر والنواهي ، وفقّناالله لذلك بجاه محمّد وآله سلام الله عليه وعليهم .

الترجمة

فصل ثانى ازاين‌خطبه شريفه دروصف اسلام است وذكرفضايل آن ميفرمايد:

پس بدرستى اين اسلام دين خداست كه پسند فرموده آنرا از براى خودش وبر گزيده آنرا درحالتى كه عالمست بفضيلت آن ، وخالص گردانيده بأو بهترين خلق خودرا كه پيغمبر آخر الزّمان صلى الله عليه وآله باشد ، و برپا داشته ستونهاى آن را بربالاى محبّت خود ، ذليل نموده دينهارا بسبب‌عزيزى‌آن ، وپست فرموده ملّتهارا بجهت بلندى‌آن ، وخوارنموده دشمنهاى خودرا بجهت گرامى‌داشتن آن ، وذليل كرده‌معاندين خودرا بايارى‌كردن‌آن ، وخراب كرده أركان ضلالت وگمراهى‌را با ركن آن ، وسيراب فرموده تشنگان را ازحوضهاى آن ، وپر كرده حوضها را

با آب کشندگان آن .

پس گردانیده آن را که گسیخته نمی‌شود جای دستگیر آن ، وفك نمیشود حلقهٔ آن ، وخرابی نیست اساس آن را وزوال نیست ستونهای آن‌را ، وبر کندگی نیست درخت آن را ، وانقطاع نیست مدّت اورا ، واندراس نیست شریعتهای اورا وبریدگی نیست شاخهای اورا ، و تنگی نیست راههای آنرا ، و دشواری نیست أز برای سهولت آن ، وسیاهی نیست ازبرای سفیدی آن ، و کجی نیست أزبرای استقامت آن ، وا عوجاج نیست از برای چوب آن ، و صعوبت نیست از برای راههای آن ، وخاموشی نیست چراغهای آن را ، وتلخی نیست شیرینی آنرا .

پس آن اسلام ستونهائیست که ثابت و محکم کرده خدا در حقّ اصلهای آنهارا ، وبغایت مستحکم نموده ازبرای آنهابنیانهای آنهارا ، ونهرهای پر آبیست که زیاده است آبهای چشمهای آنها ، وچراغهائیست که أفروخته شده آتشهاي آنها ومنارههائیست که هدایت یافته با آنها مسافران آنها ، وعلمهائیست که قصد کرده شده باآنها راه روندگان گدوکهای آنها ، وسرچشمهائیست که سیراب شده باآنها واردین بآنها ، گردانیده است خداوند تبارك وتعالی دراوغایت رضای خودرا ، وبلندتر ستونهای خودرا ، و کوهان طاعت خودرا .

پس اواست درنزد خدا که محکم است رکنهای آن ، وبلند است بنائی آن نورانی است دلیل آن ، روشن است آتشهای آن ، عزیز است سلطنت آن ، بلنداست منارهٔ آن ، نایابست معارضه گری آن ، پس مشرّف و گرامی دارید اورا ، و تبعیّت نمائید بآن ، وأدا کنید بأوحقّ اورا وبگذارید اورا جائیکه لایق اواست .

الفصل الثالث والرابع في بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبذ من فضايل القران

ثُمَّ إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله حِينَ دَنا مِنَ الدُّنيا الانْقِطاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلاعُ، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُها بَعْدَ إِشْراقٍ، وَقامَتْ بِأَهْلِها عَلى ساقٍ، وَخَشُنَ مِنْها مِهادٌ، وَأَزِفَ مِنْها قِيادٌ، في انْقِطاعٍ مِنْ مُدَّتِها، وَاقْتِرابٍ مِنْ أَشْراطِها، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِها، وَانْفِصامٍ مِنْ حَلْقَتِها، وَانْتِشارٍ مِنْ سَبَبِها، وَعَفاءٍ مِنْ أَعْلامِها، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْراتِها، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِها جَعَلَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بَلاغاً لِرِسالَتِهِ، وَكَرامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتابَ نُوراً لا تُطْفَأُ مَصابِيحُهُ، وَسِراجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهاجاً لا يَضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعاعاً لا يُظْلَمُ ضَوْؤُهُ وَفُرْقاناً لا يُخْمَدُ بُرْهانُهُ، وَبُنْياناً لا تُهْدَمُ أَرْكانُهُ، وَشِفاءً لا تُخْشى أَسْقامُهُ وَعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصارُهُ، وَحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَنابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِياضُ الْعَدْلِ وَغُدْرانُهُ، وَأَثافِيُّ الإِسْلامِ وَبُنْيانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطانُهُ، وَبَحْرٌ

لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ «المُنْتزفون خ ل»، وَعُيُونٌ لا يَنْضِبُهَا الْماتِحُونَ، وَمَناهِلُ لا يَغِيضُهَا الْوارِدُونَ وَمَنازِلُ لا يَضِلُّ نَهجَهَا الْمُسافِرُونَ، وَأَعْلامٌ لا يَعْمىٰ عَنْهَا السّايِرُونَ، وَآكامٌ لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمآءِ، وَرَبيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهاءِ، وَمَحاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحاءِ، وَدَوآءً لَيْسَ مَعَهُ «بَعْدَهُ خ ل» داءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلّاهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشاهِداً لِمَنْ خاصَمَ بِهِ، وَفُلْجاً لِمَنْ حاجَّ بِهِ، وَحامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلامَ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعىٰ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوىٰ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضىٰ.

اللغة

(الاطلاع) الاشراف من موضع عال و(السّاق) الشدّة قال تعالى «والتفّت السّاق بالساق» أى اتّصلت آخر شدّة الدّنيا بأوّل شدّة الآخرة و(المهاد) بالكسر كالمهد موضع يهيّأ للصّبي والفراش و(قاد) الرّجل الفرس قوداً من باب قال وقياداً بالكسر وهو نقيض السّوق قال الخليل: القود أن يكون الرّجل أمام الدّابة آخذاً بقيادها، والسّوق أن يكون خلفها، فان قادها لنفسه قيل: اقتادها، والمقود بالكسر الحبل يقاد به، والقياد مثله مثل لحاف وملحف.

و(العورة) السوءة وكلّ أمر يستحى منه و(الطول) الامتداد يقول طال الشيء

طولا بالضمّ امتدّ وخلاف العرض ، و في بعض النسخ من طولها وزان عنب و هو حبل تشدّ به قائمة الدّابة أوتشدّ وتمسك طرفه وترسلها ترعى، وطال طولك وطيلك وطيالك أي عمرك أومكثك أوغيبتك .

(ومنها جاً لايضلّ نهجه) المنهاج والنهج وزان فلس الطريق الواضح ، ونهج الطريق نهجاً من باب منع سلكه ، ويضلّ من باب الافعال وفي بعض النسخ بصيغة المجرّد .

و(الغدران) جمع الغدير وهو النهر و(الأثافي) بفتح الهمزة و تشديد الياء كاثاف جمع الاثفية بالضمّ وبالكسر وهو الحجر يوضع عليه القدر والأثا في الأحجار الموضوع عليها القدر على شكل مثلّث و (نضب) الماء نضوباً من باب قعد غار في الأرض وينضب بالكسر من باب ضرب لغة .

و (غاض) الماء غيضاً من باب سار نضب وقلّ ، وغاضه الله يتعدّى ولا يتعدّى فالماء مغيض قال الشارح المعتزلي وروى لايغيضها بالضمّ على قول من قال أغضت الماء وهي لغة غيرمشهورة .

و (الأكمة) بالتحريك التلّ ،وقيل: شرفة كالرّابية وهو مااجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربّماغلظ والجمع اكم واكمات مثل قصبة و قصب وقصبات وجمع الاكم اكام مثل جبل وجبال ، وجمع الاكام اكم بضمّتين مثل كتاب و كتب وجمع الاكم أكام مثل عنق وأعناق هكذا قال الفيومي .

و(المحجّة) بالفتح جادّة الطريق و(الفلج) بالضمّ اسم من الفلج وهو الظفر والفوز وفلج بحجّته أثبتها ، وأفلج الله حجّته أظهرها و(وعى) الحديث وعياً من باب وعد حفظه وجمعه وتدبّره .

الاعراب

قوله : في انقطاع من مدّتها ظرف لغو متعلّق بقوله أزف و في بمعنى مع . ويحتمل أن يكون ظرفاً مستقرّاً متعلّقاً بمقدّر حالاً من قياد ، وقوله : نوراً بدل من الكتاب ، و قوله : ومنهاجاًلايضلّ نهجه إن كان من باب الافعال فنهجه منصوب على

المفعول و الفاعل ضمير مستكن راجع إلى منهاجا ، و إن كان بصيغة المجرّد فهو مرفوع على الفاعل واسناد الفعل اليه من المجاز العقلي أوالمصدر بمعنى الفاعل فمجاز لغويّ والاسناد حينئذ على حقيقته.

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لمّا ذكر في الفصل السّابق فضل الاسلام وشرفه أردفه بهذا الفصل وأشار فيه إلى بعثة من جاء بالاسلام ، وشرح حال زمان البعثة تنبيهاً بذلك على عظم ما ترتّب على بعثه صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفوائد العظيمة ، ثمّ عقّب بذكر أعظم نعمة أنعم الله به على عباده ببعثه وهو تنزيل الكتاب العزيز وذلك قوله :

(ثمّ إن الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالهدى ودين الحق (حين دنا من الدّنيا الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع) الظاهر أنّ المراد به قرب انقطاع دنيا كلّ امّة وإقبال آخرتهم بحضور موتهم حسبما عرفت تفصيله في شرح قوله : أمّا بعد فانّ الدّنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وأنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، من الخطبة الثامنة والعشرين .

ويحتمل أن يراد به قرب زوالها بالكلّية وإشراف الآخرة والقيامة الكبرى بناء على أنّ مامرّ من عمر الدّنيا أكثر ممّا بقى ، ويعضده بعض الأخبار .

مثل مارواه في البحار من البرسي في مشارق الأنوار عن الثمالي عن عليّ ابن الحسين عليهما السلام قال : إنّ الله خلق محمّداً وعليّاً والطيّبين من ذريّتهما من نورعظمته وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات ، ثمّ قال الظنّ إنّ الله لم يخلق خلقاً سواكم بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم وألف ألف عالم وأنت والله في آخر تلك العوالم .

و فيه أيضاً من جامع الأخبار قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ موسى سأل ربّه عزّ وجلّ أن يعرّفه بدء الدّنيا منذ كم خلقت فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى تسألني عن غوامض علمي فقال : يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك ، فقال : ياموسى خلقت الدّنيا منذ مأة ألف ألف عام عشر مرات وكانت خراباً خمسين ألف عام ، ثمّ بدءت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام ، ثمّ خلقت فيها خلقاً على مثال البقر ياكلون رزقى

و يعبدون غيري خمسين ألف عام ، ثمّ أمتّهم كلّهم في ساعة واحدة ، ثمّ خربت الدّنيا خمسين ألف عام ، ثمّ بدءت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ، ثمّ خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام لاشيء مجاجا من الدّنيا يشرب ، ثمّ خلقت دابّة وسلّطتها على ذلك البحر فشربه بنفس واحد ، ثمّ خلقت خلقاً أصغر من الزّنبور وأكبر من البقّ فسلّطت ذلك الخلق على هذه الدّابّة فلدغها وقتلها ، فمكثت الدّنيا خراباً خمسين ألف عام ، ثمّ بدءت في عمارتها فمكثت خمسين ألف سنة ، ثمّ جعلت الدّنيا كلّها آجام القصب وخلقت السّلاحف وسلّطتها عليها فأكلتها حتّى لم يبق منها شيء ، ثمّ أهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدّنيا خراباً خمسين ألف عام ، ثمّ بدءت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ، ثمّ خلقت ثلاثين آدم ثلاثين ألف سنة من آدم إلى آدم ألف سنة ، فأفنيتهم كلّهم بقضائي وقدري ، ثمّ خلقت فيها ألف ألف مدينة من الفضّة البيضاء ، وخلقت في كلّ مدينة مأة ألف ألف قصر من الذّهب الأحمر ، فملئت المدن خردلا عند الهواء يومئذ ألذّ من الشهد وأحلى من العسل و أبيض من الثلج ، ثمّ خلقت طيراً أعمى وجعلت طعامه في كلّ ألف سنة حبّة من الخردل أكلها كلّها حتّى فنيت ، ثمّ خرّبتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام ثمّ بدءت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ، ثمّ خلقت أباك آدم بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم أخلق من الطين غيره ، وأخرجت من صلبه النبيّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذان الخبران كما ترى يعضدان ما ذكرناه من كون الغابر من الدّنيا أكثر من الباقي .

لكن العلامة المجلسي «قد» قال في المجلّد التاسع من البحار بعد ايراد رواية البرسي : لا أعتمد على ما تفرّد بنقله ، وقال في المجلّد الرّابع عشر بعد رواية الخبر الثاني من جامع الأخبار : هذه من روايات المخالفين أوردها صاحب الجامع فأوردتها ولم أعتمد عليها .

فعلى ذلك لا يمكن التعويل عليهما مع منافاتهما لما رواه المحدّث الجزائري.

في الأنوار عن ابن طاووس «ره» أنّ عمر الدّنيا مأة ألف سنة يكون منها عشرون ألف سنة ملك جميع أهل الدّنيا ، ويكون ثمانون ألف سنة منها مدّة ملك آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والأولى ردّ علم ذلك إلى الله والرّاسخون في العلم عليهم السّلام هذا .

وقوله (وأظلمت بهجتها بعد اشراق) أراد به أنّه سبحانه بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم على حين فترة من الرّسل بعد ما كانت الدّنيا مبتهجة بوجودهم مشرقة مضيئة بأنوار هدايتهم ، فأظلمت بهجتها أي ذهب حسنها ونضارتها بطول زمان الفترة وتمادي مدّة الغفلة والضلالة .

(وقامت بأهلها على ساق) قد مضى تحقيق معني هذه الجملة في شرح الخطبة المأة والثامنة و الثلاثين فليراجع ثمّة

ومحصّل المراد بلوغها حين بعثته إلى غاية الشدّة بأهلها لما كانت عليه العرب حينئذ من ضيق العيش والضّر والحروب والقتل والغارة وإثارة الفتن وتهييج الشرور والمفاسد كما قال عليه السّلام في الخطبة السّادسة والعشرين : إنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شرّ دين و في شرّ دار منيخون بين حجارة خشن و حيات صمّ ، تشربون الكدر ، و تأكلون الجشب ، وتسفكون دمائكم وتقطعون أرحامكم آه .

(وخشن منها مهاد) كناية عن عدم الاستقرار بها وفقدان طيب العيش والرّاحة ، لأنّ ذلك إنّما يتمّ بانتظام الشرايع وثبات قوانين العدل ويرتفع بارتفاعها .

(وأزف منها قياد) أي قرب منها اقتياد أهلها وتعريضهم بالهلاك و الفناء ، أو انقيادها بنفسها للعدم والزّوال ، والثاني أظهر بملاحظة الظروف الّتي بعدها أعني قوله .

(في انقطاع من مدّتها) وانخراطها في سلك العدم .

(واقتراب من أشراطها) أي آياتها وعلاماتها الدّالّة على زوالها ، والمراد بها أشراط السّاعة الّتي اشير اليها في قوله تعالى «فهل ينظرون الاّ السّاعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها » وقوله «وإنّه لعلم للساعة فلاتمترنّ بها» وقوله « يوم تأتي السّماء بدخان مبين ✿ يغشي النّاس هذا عذاب اليم» .

وانمّا جعلهامن أشراط الدّنيا مع كونهامن أشراط السّاعة لوقوعها في الدّنيا مع أنّها كما تدلّ على قرب القيامة تدلّ على انقطاع الدّنيا و تمامها ، فتكون أشراطالهما معاً ، ومضى تفصيل هذه الأشراط في شرح الخطبة المأة والتاسعة والثمانين .

و روى في الصافي في حديث أشراط السّاعة : أوّل الآيات الدّخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعرعدن ابين تسوق النّاس إلى المحشر .

وفي البحار من مجمع البيان وروى عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال : بادروا بالأعمال ستّاً : طلوع الشمس من مغربها ، و الدّابّة ، و الدّجّال ، و الدّخان ، وخويصة أحدكم أى موته ، و أمر العامّة يعني القيامة .

(وتصرّم من أهلها) أى انقطاع منهم (وانفصام من حلقتها) أى انكسار واندراس من نظام أهلها واجتماعهم على الشريعة والدّين (وانتشار من سببها) أى تفرّق من حبلها وربقتها المشدودة بها رقاب أهلها وهو حبل الاسلام .

(و عفاء من اعلامها) أى دروس منها وهو كناية عن فقدان الأنبياء والعلماء الصّالحين الذين يهتدى بهم في ظلمات الجهالة ويستضاء بأنوارهم في بوادى الضّلالة .

(وتكشّف من عوراتها) أى ظهور من معايبها ومساويها الّتي كانت مستورة بحجاب الشرايع واستار الاسلام .

(وقصر من طولها) أى من تماديها وامتدادها أو المراد قصر عمرها على رواية طول بكسر الطّاء وفتح الواو .

وتعديد هذه الحالات الّتي كان عليها النّاس حين بعثه صلّى الله عليه و آله وشرحها و بسطها تذكير أللمخاطبين بأنّ بعثه في مثل تلك الحالات أعظم من منّ الله تعالى به على عباده، ليؤدّ السامعون بتذكّره وذكراه وظايف شكر تلك النعمة العظمي ، ويقوموا بمراسم حمده حيث أنقذهم ببعثه سلام الله عليه و آله من ورطات الكفر و الضّلال ، وأنجاهم من العقاب والوبال .

(جعله الله سبحانه بلاغاً لرسالته) أى تبليغاً لها كما في قوله تعالى « وما على الرّسول الاّ البلاغ» أى إلاّ أداء الرّسالة وبيان الشريعة أو كفاية لها كما في قوله

تعالى في وصف القرآن «هذا بلاغ للنّاس و لينذروا به» أي موعظة بالغة كافية ، وعلى المعنيين فلابد من جعل المصدر بمعني الفاعل أي جعله عزّ وجلّ مبلّغاً للرسالة أو كافياً لها أي غير محتاج معه إلى رسول آخر، ولذلك كان صلى الله عليه وآله خاتم النّبوة .

(و كرامة لأمّته) أي أكرمهم عزّ وجلّ بجعله رسولاً لهم وجعلهم امّة له صلى الله عليه وآله وفضّلهم بذلك على ساير الامم .

(وربيعاً لأهل زمانه) تشبيهه بالرّبيع إمّا من أجل ابتهاجهم ببهجة جماله وبديع مثاله كما يبتهج النّاس بالرّبيع ونضراته وطراوته ، أومن أجل أنّ أهل زمانه قدخرجوا بوجوده الشريف من ضنك المعيشة إلى الرّخا والسعة ، كما أنّ الناس يخرجون في الرّبيع من جدب الشتاء وضيق عيشها إلى الدّعة والرفاهة.

(ورفعة لأعوانه وشرفاً لأنصاره) يحتمل رجوع الضميرين الى الله كما في الفقرة الأولى وإلى محمّد صلى الله عليه وآله كما في الفقرتين الأخيرتين ، وعلى أيّ تقدير فالمراد بالأعوان والأنصار المسلمون أمّا كونهم أنصاراً له صلى الله عليه وآله فواضح ، وأمّا جعلهم أنصاراً وعوناً لله عزّ وجلّ على الاحتمال الأول فلكونهم أنصار دين الله وأعوان رسوله ، أضافهما إليه تعالى تشريفاً وتكريماً .

و كيف كان فقد شرف الله تعالى المسلمين ورفع شأنهم في الدّنيا والآخرة بمتابعتهم لرسوله ومعاونتهم له وسلّطهم على محادّيه وجاحديه لعنهم الله تعالى و عذّبهم عذاباً أليماً ، هذا .

ولمّا ذكر بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وأشار إلى بعض فوايد بعثه أردفه بذكر أعظم معجزات النّبوة وهو الكتاب العزيز ، وأشار إلى جملة من أوصافه ومزاياه تنبيهاً على علوّ قدره وعزّة شأنه فقال :

(ثمّ أنزل عليه الكتاب) وعدّ به اثنين وأربعين منقبة .

أولها كونه (نوراً لا تطفى مصابيحه) أمّا أنّه نور فلاهتداء النّاس به من ظلمات الجهل كما يهتدى بالنور المحسوس في ظلمة اللّيل قال تعالى «إنّ هذا القرآن يهدى للّتي هي أقوم» وأمّا مصابيحه فاستعارة لطرق الاهتداء وفنون العلوم الّتي تضمّنها القرآن.

(و) **الثانية** كونه (سراجاً لايخبو توقده) أمّا أنّه سراجاً فلما مرّ آنفاً ، وأمّا ، أنّه لايخبو توقّده فالمراد به عدم انقطاع اهتداء النّاس به واستضاءتهم بنوره .

(و) **الثالثة** كونه (بحراً لايدرك قعره) استعارة البحر له باعتبار اشتماله على النكات البديعة والأسرار الخفيّة ودقايق العلوم الّتي لايدركها بعد الهمم ولا ينالها غوص الفطن كما لايدرك الغائص قعر البحر العميق .

(و) **الرابعة** كونه (منهاجاً لا يضلّ نهجه) أى طريقاً واضحاً مستقيماً إلى الحقّ لا يضلّ سالكه أو لا يضلّ سلوكه .

(و) **الخامسة** كونه (شعاعاً لايظلم ضوءه) أى حقّاً لايدانيه شكّ وريب أى لايشوبه ظلمة الباطل فيغطيه ويستره كما قال تعالى «ذلك الكتاب لاريب فيه» وقال «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» .

قال الطبرسي : قيل : إنّ الباطل الشيطان ومعناه لايقدر الشيطان أن ينقص منه حقّاً أو يزيد فيه باطلا ، وقيل: لايأتيه الباطل من جهة من الجهات فلاتناقض في ألفاظه ولا كذب في اخباره ولايعارض ولايزاد فيه ولايغيّر بل هو محفوظ حجة على المكلّفين إلى يوم القيامة ، ويؤيّده قوله تعالى «انّا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون» .

(و) **السادسة** كونه (فرقاناً لايخمد برهانه) أى فارقاً بين الحقّ و الباطل وفاصلا بينهما لاينتفي براهينه الجليّة وبيّناته الّتي بها يفرق بينهما كما قال تعالى «انّه لقول فصل وما هو بالهزل» وقال «هدى للنّاس وبيّنات من الهدى و الفرقان» .

(و) **السابعة** كونه (بنياناً لاتهدم أركانه) شبّهه ببنيان مرصوص وثيق الأركان فاستعار له لفظه والجامع انتظام الاجزاء واتّصال بعضها ببعض ، وقوله : لاتهدم أركانه ترشيح للاستعارة، وفيه إشارة إلى أنّ البنيان الوثيق كما أنّه مأمون من التّهافت والهدم والانفراج فكذلك الكتاب العزيز محفوظ من طروّ النقص والخلل والاندراس .

(و) **الثامنة** كونه (شفاء لاتخشى أسقامه) يعني انّه شفاء للأبدان والأرواح .

أمّا الأبدان فبا لتجربة و العيان مضافاً إلى الأحاديث الواردة في خواصّ أكثر الآيات المفيدة للاستشفاء والتعويذ بها .

مثل مافي الكافي باسناده عن السّكوني عن أبي‌عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: شكى رجل إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً في صدره فقال: استشف بالقرآن فانّ الله عزّ وجلّ يقول: وشفاء لما في الصّدور.

وعن سلمة‌بن محرز قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: من لم يبرءه الحمد لم يبرءه شيء.

وعن إبراهيم مهزم عن رجل سمع أباالحسن عليه السلام يقول: من قرء آية الكرسي عندمنامه لم يخف الفالج انشاءالله، ومن قرءها في دبر كلّ فريضة لم يضرّه ذوحمة.

وفي مجمع‌البيان من كتاب العياشي باسناده انّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر بن عبدالله الأنصارى: ألا اعلمك أفضل سورة أنزلهاالله في كتابه؟ قال: فقال له جابر: بلى بأبى أنت وأمّي يا رسول‌الله علّمنيها، قال: فعلّمه الحمدأمّ الكتاب، ثمّ قال: يا جابر ألا اخبرك عنها؟ قال: بلى بأبى أنت و امّى فأخبرني، فقال: هى شفاء من كلّ داء إلاّ السّام، والسّام‌الموت، إلى غيرهذه ممّالاحاجة إلى‌ايرادها.

وأمّا الأرواح فلأنّه بماتضمّنه من فنون العلوم شفاء لأمراض الجهل.

فقد ظهر بذلك كونه شفاء للأبدان من‌الأوجاع والأسقام، وشفاء للقلوب‌من كلّ شك وريب‌وشبهة، ويصدق ذلك قوله تعالى في‌سورة السجدة «قل‌هوللّذين‌آمنوا هدى وشفاء» وفي‌سورة‌بني‌اسرائيل «وننزّل من‌القرآن ماهوشفاء ورحمة‌للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاّ خساراً».

قال أمين‌الاسلام الطبرسي وجه الشّفاء فيه من وجوه:

منها مافيه من البيان الّذى يزيل عمى الجهل وحيرة الشكّ.

ومنها مافيه من النظم والتأليف و الفصاحة البالغة حدّ الاعجاز الّذى يدلّ على‌صدق‌النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل والشكّ والعمى في‌الدّين ويكون شفاء للقلوب.

ومنها أنّه يتبرّك به وبقراءته ويستعان به على دفع‌العلل‌والأسقام ويدفع الله به كثيراً من المكاره والمضارّ على‌ما يقتضيه الحكمة.

ومنها مافيه من‌أدلّة التوحيدوالعدل وبيان‌الشرايع فهوشفاء للنّاس في‌دنياهم

وآخرتهم ، ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم ، وإنّما خصّهم بذلك لأنّهم المنتفعون به، انتهى.

فقد تحصّل من ذلك أنّه شفاء لايخاف أن يعقب سقماً ، لأنّ الكمالات النفسانية الحاصلة من قراءته وتفكّره و تدبّر آياته تصير ملكات راسخة لاتتبدّل بأضدادها ولا تتغيّر .

(و) **التاسعة** كونه (عزاً لا تهزم أنصاره) أي لا تغلب ولا تقهر .

(و) **العاشرة** كونه (حقّاً لا تخذل أعوانه) والمراد بأعوانه و أنصاره هم المسلمون العارفون بحقّه العاملون بأحكامه وعدم هزمهم وخذلانهم نصّ قوله تعالى « لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .

قال في مجمع البيان فيه أقوال :

أحدها أنّ المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصراً ولا ظهوراً .

وقيل : لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجّة وإن جاز أن يغلبوهم بالقوّة ، لكن المؤمنين منصورون بالدّلالة والحجّة .

وقيل : لن يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلا لأنّه مذكور عقيب قوله « فالله يحكم بينهم يوم القيامة » بيّن الله سبحانه أنّه إن يثبت لهم سبيل على المؤمنين في الدّنيا بالقتل والقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيامة عليهم سبيلا .

والحادية عشر ما أشار إليه بقوله (فهو معدن الايمان وبحبوحته) .

أمّا أنّه معدن الايمان ، فلأنّ المعدن عبارة عن منبت الجوهر من ذهب وفضّة ونحوهما ، ولمّا كان الايمان بالله و رسوله جوهراً نفيساً لاجوهر أنفس منه ولاأغلى عند ذوي العقول ، وكان يستفاد من القرآن ويستخرج منه جعله معدناً له .

وأمّا أنّه بحبوحته ووسطه فلأنّ الايمان بجميع أجزائه وشرايطه و مراسمه يدور عليه ، فهو بمنزلة القطب والمركز لدائرة الايمان كما هو ظاهر .

(و) **الثانية عشر** أنّه (ينابيع العلم وبحوره)

أمّا أنّه ينابيع العلم فلأنّ العلوم بجميع أقسامه منه تفيض كالعيون الجارية منها الماء .

وأمّا أنّه بحوره فلاحتوائه بفنون العلم كاحتواء البحر بمعظم الماء

(و) الثالثة عشر أنّه (رياض العدل وغدرانه) .

أمّا كونه رياض العدل فلأنّ الرّياض عبارة عن مجامع النّبات و الزّهر والرّياحين الّتي تبتهج النفوس بخضرتها ونضرتها ، وتستلذّ الطباع بحسنها وبهجتها كما قال تعالى « وحدائق ذات بهجة » فشبّه التّكاليف الشرعيّة المجعولة عن وجه العدل والحكمة بالزّهر والنبات الحسن لايجابها لذّة الأبد وجعل الكتاب العزيز رياضاً لها لاجتماعها فيه واستنباطها منه .

وأمّا كونه غدران العدل فلأنّ الغدير عبارة عن مجمع الماء فشبّه الأحكام العدليّة بالماء لما فيهما من حياة الأرواح كما أنّ بالماء حياة الأبدان وجعله غديراً لجامعيّته لها .

(و) الرابعة عشر أنّه (أثافي الاسلام وبنيانه) لما قد عرفت من أنّ الأثافي عبارة عن الأحجار الّتي عليها القدر ، فجعله أثافي للاسلام لاستقراره و ثباته عليه مثل استقرار القدر على الأثافي .

و بهذا الاعتبار أيضاً جعل الصلاة والزّكاة والولاية أثافية في حديث البحار من الكافي عن الصّادق عليه السلام قال : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، و الولاية لاتصحّ واحدة منهنّ إلاّ بصاحبتها .

قال العلاّمة المجلسيّ: وإنّما اقتصر عليها لأنها أهمّ الأجزاء ويدلّ على اشتراط قبول كلّ منها بالآخرين ، ولاريب في كون الولاية شرطاً لصحّة الاخريين .

(و) الخامسة عشر أنّه (أودية الحقّ وغيطانه) يعني أنّ طالب الحقّ إنّما يجده في هذه الأودية والأراضي المطمئنة قال الشارح البحراني : واللّفظان مستعاران باعتبار كونه معدناً للحقّ ومظنّة له، كما أنّ الأودية والغيطان مظانّ الكلاء والماء .

(و) السادسة عشر أنّه (بحر لاينزفه المستنزفون) أى لاينزحه كلّه ولايفنيه

المستقون ، وهو إشارة إلى عدم انتهاء العلوم المستفادة منه ، فانّ فيه علم ماكان ومايكون وما هو كائن إلى يوم القيامة حسبما عرفت في شرح الفصل السّابع عشر من الخطبة الاولى .

(و) السابعة عشر أنّه (عيون لاينضبها الماتحون) أي لايغيّرها المستسقون .

(و) الثامنة عشر أنّه (مناهل لايغيضها الواردون) أي مشارب لاينقص مائها الواردون على كثرة ورودهم عليها .

(و) التاسعة عشر أنّه (منازل لايضلّ نهجها المسافرون) يعني أنّه منازل السّالكين إلى الله لايضلّ مسافروه منهاج تلك المنازل لكونه واضحاً جليّاً وجادّة مستقيمة

(و) العشرون أنّه (أعلام لايعمى عنها السّائرون) لاستنارتها واضاءتها .

(و) الحادية والعشرون أنّه (آكام لايجوز عنها القاصدون) قال الشّارح البحراني : استعار لفظ الاعلام والآكام للأدلّة والامارات فيه على طريق إلى معرفته واحكامه باعتبار كونها هادية إليها كما تهدى الأعلام والجبال على الطّرق .

والثانية والعشرون أنّه (جعله الله تعالى ريّاً لعطش العلماء) شبّه شدّة اشتياق نفوس العلماء وحرصهم على المعارف الحقّة الالهيّة بعطش العطاش ، وحيث إنّ الكتاب العزيز كان رافعاً لغللهم جعله مروّياً لهم كما يروى الماء الغليل .

(و) الثالثة والعشرون أنّه جعله سبحانه (ربيعاً لقلوب الفقهاء) لابتهاج قلوبهم به واستلذاذهم منه كما يبتهج النّاس بالرّبيع .

(و) الرابعة والعشرون أنّه جعله (محاجّ لطرق الصلحاء) أي جواد واضحة مستقيمة لاعوج فيها ولاخفاء ، لأنّه يهدى للّتي هي أقوم .

(و) الخامسة و العشرون أنّه جعله (دواء ليس معه داء) حسبما عرفته في شرح قوله : وشفاء لاتخشى أسقامه .

(و) السادسة والعشرون أنّه جعله (نوراً ليس معه ظلمة) أي حقّاً لا يشوبه باطل حسبما عرفته في شرح قوله ، وشعاعاً لايظلم نوره .

وفى الكافى باسناده عن أبى جميلة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: كان في وصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام أصحابه: إنّ هذا القرآن هدى النهار ونور اللّيل المظلم على ماكان من جهد وفاقة.

وفيه عن طلحة بن زيد عن أبيعبدالله عليه السلام قال: إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره فانّ التّفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنور.

(و) السابعة والعشرون أنّه جعله (حبلاوثيقاً عروته) لايخشى من انفصامه من تمسّك به واتّبع بأحكامه نجا ومن تركه هلك.

(و) الثامنة والعشرون أنّه جعله (معقلامنيعاًذروته) أىملجاً وحصناًحصيناً يمنع الملتجى إليه من أن يناله المكروه وسوءالعذاب.

(و) التاسعة والعشرون أنّه جعله (عزّاً لمن تولّاه) يعني من اتّخذه وليّاً وألقى إليه أزمّة اُموره وعمل بأوامره ونواهيه فهوعزّة له في الدّارين.

(و) الثلاثون أنّه جعله عزّوجلّ (سلماً لمن دخله) قال الشارح البحراني أى أمناً، ودخوله الخوض في تدبّر مقاصده واقتباسها وبذلك الاعتبار يكون مأمناً من عذاب الله ومن الوقوع في الشّبهات الّتي هي مهاوى الهلاك، وقيل: استعار لفظ السّلم باعتبار عدم اذاه لمن دخله فهو كالمسالم له.

(و)الحادية والثلاثون أنّه جعله (هدى لمن ائتمّ به) وهو واضح كما قال تعالى «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتّقين».

(و) الثانية و الثلاثون أنه جعله (عذراً لمن انتحله) و لعلّ المراد كونه عذراً منجياً من العذاب يوم القيامة لمن دان به وجعله نحلته وقيل: إنّ المراد أنّ من انتسب اليه بأن جعل نفسه من أهل القرآن وافتخر بذلك كان القرآن نفسه عذراً له، لعلوّ شأنه، وما ذكرناه أقرب.

(و)الثالثةوالثلاثون أنّه جعله (برهاناًلمن تكلّم به) أى حجّة واضحة وبياناً جلياً لمن احتجّ به.

(و) **الرابعة والثلاثون** أنه جعله (شاهداً لمن خاصم به) أى دليلا محكماً للمستدل .

(و) **الخامسة والثلاثون** أنّه جعله (فلجاً لمن حاجّ به) أى ظفراً وفوزاً للمخاصم يعني أنّ من خاصم واحتجّ به فاز بمقصده وغلب خصمه .

روى في البحار من كنز الفوايد باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا معشر الشّيعة خاصموا بسورة إنّا أنزلناه في ليلة القدر تفلجوا ، فو الله إنّها لحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله و إنّها لسيّدة دينكم و إنّها لغاية علمنا ، يا معشر الشّيعة خاصموا بحمّ و الكتاب المبين فانّها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله .

(و) **السادسة و الثلاثون** أنه جعله (حاملا لمن حمله) يعني أنّ من حمل القرآن وحفظه وعمل به واتّبع أحكامه حمله القرآن إلى دار القدس وغرفات الجنان .

روى في الكافي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا الله عزّ وجلّ فيما حملكم من كتابه فاني مسئول وانكم مسئولون ، إنّي مسئول عن تبليغ الرّسالة ، و أما أنتم فتسألون عما حمّلتم من كتاب الله و سنّتي .

وفيه عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : حملة القرآن عرفاء أهل الجنّة والمجتهدون قوّاد أهل الجنّة والرّسل سادات أهل الجنّة .

وعن عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ أحقّ النّاس بالتخشّع في السّرّ والعلانية لحامل القرآن ، و إنّ أحقّ النّاس في السرّ والعلانية بالصلاة والصّوم لحامل القرآن ، ثمّ نادى بأعلى صوته يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ولا تعزّز به فيذلّك الله ، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزيّنك الله به ولا تزيّن به للنّاس فيشينك الله به ، من ختم القرآن فكأنّما ادرجت النّبوة بين جنبيه ولكنّه لايوحى إليه ، ومن جمع القرآن فنوله لايجهل مع من يجهل عليه ولايغضب فيمن يغضب عليه ولايحدّ فيمن

يحدّ عليه ولكنّه يعفو و يصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن ، ومن اوتي القرآن فظن أنّ أحداً من النّاس اوتى أفضل ممّا اوتى فقد عظّم ما حقّر الله ، و حقّر ما عظّم الله .

(و) **السابعة والثلاثون** أنّه جعله (مطيّة لمن أعمله) أى مركباً سريع السّير يبلغ بمن أعمله إلى منزله ومقصده ، وهو حظاير القدس ومجالس الانس ، و المراد باعماله هو حفظه والمواظبة عليه وعدم الغفلة عنه .

روى في الكافي باسناده عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ الرّجل إذا كان يعلم السّورة ثمّ نسيها وتركها ودخل الجنّة أشرفت عليه من فوق فى أحسن صورة فتقول : تعرفني ؟ فيقول : لا ، فتقول : أنا سورة كذا وكذا لم تعمل بي و تركتني أما و الله لوعملت بي لبلغت بك هذه الدّرجة ، وأشارت بيدها إلى فوقها .

وعن يعقوب الأحمر قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ عليّ ديناً كثيراً وقد دخلني شيء ما كاد القرآن يتفلّت مني، فقال أبو عبدالله عليه السلام : القرآن القرآن إنّ الآية من القرآن والسّورة لتجيء يوم القيامة حتّى تصعد ألف درجة يعني في الجنّة ، فتقول : لوحفظتني لبلغت بك ههنا .

وعن أبي بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من نسي سورة من القرآن مثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنّة ، فاذا رآها قال : ما أنت ما أحسنك ليتك لي ، فيقول : أما تعرفني أنا سورة كذا و كذا ولو لم تنسني لرفعتك إلى هذا .

(و) **الثامنة والثلاثون** أنّه جعله (آية لمن توسّم) أى دلالة للمتفكّر المعتبر وعلامة يستدلّ بها المتفرّس ، وأصل التوسّم هو النظر في السمة أى العلامة الدّالة قال تعالى «إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين» أى دلالات للمتفكّرين المعتبرين .

قال في مجمع البيان : وقد صحّ عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : اتّقوا فراسة المؤمن وانّه ينظر بنور الله ، وقال : إنّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم ثمّ قرء هذه الآية .

(و) **التاسعة والثلاثون** أنه جعله (جنّة لمن استلام) أى وقاية وسلاحاً لطالب

الدّرع والسلاح ، والمراد كونه وقاية لقارئه من مكاره الدّنيا والآخرة

أما الآخرة فواضحة ، لأنه يوجب النجاة من النار والخلاص من غضب الجبار جلّ جلاله .

وأما الدّنيا فيدلّ على كونه وقاية من مكارهها صريح قوله تعالى «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» .

قال الطبرسيّ : قال الكلبيّ : وهم أبوسفيان و النّضر بن الحرث وأبوجهل و امّ جميل امرأة أبي لهب ، حجب الله رسوله عن أبصارهم و كانوا يأتونه و يمرّون به ولا يرونه .

و في الصافي من قرب الاسناد عن الكاظم عليه السلام انّ امّ جميل امرأة أبي لهب أتته صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت سورة تبّت ومع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أبوبكر بن أبي قحافة ، فقال : يا رسول الله هذه امّ جميل محنقة أو مغضبة تريدك ومعها حجر تريد أن ترميك به فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنّها لاتراني ، فقالت لأبي بكر : أين صاحبك ؟ قال : حيث شاء الله ، قالت : لقد جئته ولو أراه لرميته فانّه هجاني و اللاّت والعزّى إنّي لشاعرة ، فقال أبوبكر: يا رسول الله لم ترك ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، ضرب الله بيني وبينها حجاباً مستوراً .

وأما ساير النّاس فيشهد بكونه جنّة لهم من المكاره .

ما رواه في الكافي باسناده عن الاصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : و الّذى بعث محمّداً بالحقّ وأكرم أهل بيته مامن شيء تطلبونه من حرز من حرق أوغرق أوسرق أو إفلات دابة من صاحبها أو آبق إلاّ وهو في القرآن ، فمن أراد ذلك فليسألني عنه .

قال : فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا يؤمن من الحرق والغرق فقال عليه السلام :اقرء هذه الآيات « الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولّي الصالحين ☆ وماقدروا الله حقّ قدره ـ الي قوله سبحانه ـ و تعالى عما يشركون» فمن قرأها فقد أمن من الحرق والغرق ، قال : فقرأها رجل واضطرمت النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء .

ثمّ قام اليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ دابتي استصعبت عليّ وأنا منها على وجل فقال: اقرء في اذنها اليمني «وله أسلم من في السّموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون» فقرأها فذلّت له دابّته.

و قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ أرضي أرض مسبعة إنّ السباع تغشى منزلي ولا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: اقرء «لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ✩ فان تولّوا فقل حسبى الله لااله إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم» فقرأهما الرّجل فاجتنبته السباع.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ في بطني ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلادرهم ولادينار ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرء باذن الله عزّ وجلّ، ففعل الرّجل فبرء باذن الله.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالّة فقال عليه السلام اقرء يس في ركعتين وقل: ياهادى الضالّة ردّ عليّ ضالّتي ففعل فردّ الله عليه ضالّته.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق فقال عليه السلام: اقرء «أو كظلمات في بحر لجيّ يغشيه موج من فوقه موج ـ إلى قوله ـ ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور» فقالها الرّجل فرجع إليه الآبق.

ثمّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن السّرق فانّه لا يزال قد يسرق لي الشيء بعد الشيء ليلا، فقال له: اقرء إذا آويت إلى فراشك «قل ادعوا الله أو ادعوا الرّحمن ـ إلى قوله ـ فكبّره تكبيراً»

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: من بات بأرض قفر فقرء هذه الآية «ان ربّكم الله الّذى خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش ـ إلى قوله ـ تبارك الله ربّ العالمين» حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشّياطين.

قال: فمضى الرّجل فاذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرء هذه الآية فغشاه الشّياطين وإذا هو آخذ بخطمه فقال له صاحبه: انظره، واستيقظ الرّجل فقرء الآية فقال الشيطان لصاحبه: ارغم الله أنفك احرسه الآن حتّى يصبح.

فلمّا أصبح رجع الى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال له رأيت في كلامك الشفاء والصّدق ومضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشّياطين مجتمعاً في الأرض.

(و) **الاربعون** أنّه جعله (علماً لمن وعى) أى علماً كاملا بالمبدء والمعاد لمن حفظه وعقله و جعله في وعاء قلبه قال الطريحي : و في الحديث لايعذّب الله قلباً وعي القرآن ، أى عقل القرآن ايماناً منه وعملا ، فأمّا من حفظ ألفاظه وضيّع حدوده فهو غير واع له ، وفيه : خير القلوب أوعاها ، أى أحفظها للعلم وأجمعها له .

(و) **الحادية والاربعون** أنّه جعله (حديثاً لمن روى) قال أمين الاسلام الطبرسي في تفسير قوله تعالى «الله نزّل احسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يؤمنون ربّهم» يعني القرآن ، وإنّما سمّاه الله حديثاً لأنّه كلام الله والكلام سمّي حديثا كما يسمّى كلام النبيّ حديثا ، لأنه حديث التنزيل بعدما تقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء ، وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولاعجازه ولاشتماله على جميع مايحتاج المكلّف إليه من التنبيه على أدلّة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرايع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب ، كتاباً متشابهاً يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف وتناقض ، وقيل : إنه يشبه كتب الله المتقدّمة وان كان أعم وأجمع وأنفع .

(و) **الثانية والاربعون** أنه جعله (حكماً لمن قضى) يعنى من يقضى بين الناس ، فالقرآن حكم له لا حكم له غيره لأنه الحكم الحقّ و غيره باطل كما قال تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون» وفى آية اخرى «فاولئك هم الفاسقون» وفى ثالثة «فاولئك هم الكافرون» .

قيل فى توجيهه : إنّ الحاكم بغيرما أنزل الله إن كان لامع الاعتقاد فهو إمّا ظالم أو فاسق ، وان حكم بذلك مع اعتقاد أنّه غيرما أنزل الله فهو كافر ، هذا .

وقد تقدّم في شرح الفصل السابع عشر من الخطبة الأولى وغيره فصل واف في فضل الكتاب العزيز ومايتعلّق به فليراجع هناك ، ونسأل الله سبحانه أن يجعلنا من العارفين بفضله ، والعاملين بأحكامه ، والواعين لعلمه ، والرّاوين لحديثه ، والقاضين

بحكمه بجاه محمد و آله سلام الله عليه وعليهم .

الترجمة

فصل سيم و چهارم ازاين خطبه در بيان بعثت حضرت رسالتمآب صلوات الله وسلامه عليه وآله واشاره برفوايد بعثت است وذكر نزول كتاب كريم وإشاره بر مناقب آن ميفرمايد :

پس بدرستيكه خداوند تعالى مبعوث فرمود محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله را باحق هنگامى كه نزديك شده از دنياى فانى بريده شدن آن ، واقبال كرده بود ازآخرت مشرف بودن آن ، وظلمانى‌شده بود شكفتگى دنيا بعدازروشنائى آن ، وبرپاايستاده بود بأهل خودبغايت شدت ، وناهموار شده بود ازآن بساط آن ، ونزديك شده بود ازآن انقيادآن بزوال درانقطاع مدت آن ، ونزديكى علامتهاى فناى آن ، وبريده شدن أهل آن ، و گسيخته شدن حلقهٔ آن ، وتفرق ريسمان آن ، واندراس علمهاى آن ، وانكشاف قبايح آن ، وكوتاهى درازى آن .

گردانيد اورا حق‌تعالى كفايت كننده از براى رسالت خود ، و كرامت از براى امت او ، وبهار از براى أهل زمان او ، وسربلندى بجهت‌اعوان او ، وشرف مر ياران اورا .

پس نازل فرمود بر آن بزرگوار كتاب عزيزخودرا نوريكه خاموش‌نميباشد چراغهاى آن ، وچراغى كه نابود نمى گردد اشتعال آن ، ودريائى كه درك نميشود ته آن ، وجادهٔ واضحى كه ضلالت نمى‌افتد سالك آن ، و شعائى كه تاريك نميباشد روشنائى آن ، وفرقانى كه خاموش نميشود برهان ودليل آن ، وبنيادى كه خراب نميشود ركنهاى‌آن ، وشفائى كه ترسيده نميشود مرضهاى‌آن ، وعزيزى كه مغلوب نميباشد ناصران آن ، وحقى كه خوار نمى‌باشد ياران آن .

پس آن كتاب معدن ايمان ووسط أواست ، وچشمهاى علم ودرياهاى او است وباغهاى عدالت وگودالهاى آب او است ، وپايهاى اسلام وبنيان‌اواست ،وبيابانهاى

حق و گودیهای اواست ، ودریائیست که نمیتواند بکشد آب آن را آب کشندگان وچشمها ئیست که تمام نمی کند آب آنرا آب بردارندگان ، وسرچشمه‌هائی است که ناقص نمی‌نماید آن را واردان ، و منزلهائیست که گم نمی کند راه آن را مسافران ، وعلامتهائیست که نابینا نمی‌شود از آنها سیر کنندگان ، وتلهائیست که تجاوز نمی‌نماید از آنها قاصدان .

گردانید خداوند آن را سیرابی از برای تشنگی عالمیان ، و بهار از برای قلبهای فقیهان ، وراههای روشن ازبرای طرق صالحان ، ودوائی که نیست بعدازآن دردی ، و نوری که نیست باوجود آن ظلمتی ، و ریسمانی که محکم است جای دستگیر آن، وپناهگاهی که مانع است بلندی آن ، وعزیزی ازبرای کسی که آنرا بجهت خود دوست اخذ نموده باشد ، وأمن امان أزبرای کسی که داخل آن شود وهدایت ازبرای کسی که اقتدا نماید بآن،وعذرازبرای کسی که نسبت آنرا بخود بدهد ، وبرهان واضح بجهت کسیکه باآن تکلّم نماید ، وشاهد صادق بجهت کسیکه مخاصمه نماید باآن ، وغلبه وظفر برای کسیکه احتجاج کند باآن ، و بردارنده مرحاملان‌خودرا، و مرکب از برای کسیکه إعمال نماید آنرا ، و علامت از برای کسیکه تفکر نماید ، وزره ازبرای کسیکه طالب سلاح باشد ، وعلم‌کامل کسیرا که حفظ کند آنرا ، وحدیث صحیح کسی را که روایت نماید، وحکم بحق از برای کسیکه حکم نماید .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والثامن و التسعون من المختار فى باب الخطب

وهومروى في الكافي ببسط واختلاف كثير تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيّد (ره) هنا

تعاهَدُوا أمْرَ الصَّلاةِ وَحافِظُوا عَلَيها، وَاستَكْثِرُوا مِنْها، وَ تَقرَّبُوا بِها، فَإنَّها كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً، ألا تَسمَعُونَ إلىٰ جَوابِ أهلِ النّارِ حَيثُ سُئِلُوا ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ، قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ إنَّها لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَ تُطْلِقُها إطْلاقَ الرِّبَقِ، وَ شَبَّهَها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلىٰ بابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْها فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمسَ مَرّاتٍ، فَما عَسىٰ أنْ يَبْقىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ، وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّها رِجالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لا تَشْغَلُهُمْ عَنْها زِينَةُ مَتاعٍ، وَلا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلا مالٍ، يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإقامِ الصَّلٰوةِ وَإيتاءِ الزَّكٰوةِ» وَكانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله نَصِباً بِالصَّلاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها» فَكانَ يَأمُرُ أَهْلَهُ وَ يُصَبِّرُ عَلَيها نَفْسَهُ.

ثُمَّ إنَّ الزَّكاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاةِ قُرْباناً لِأَهْلِ الإسْلامِ، فَمَنْ أعْطاها طَيِّبَ النَّفْسِ بِها فَإنَّها تُجْعَلُ لَهُ كَفّارَةً، وَمِنَ النّارِ حِجازاً وَوِقايَةً، فَلا يُتْبِعَنَّها أحَدٌ نَفْسَهُ، وَ لا يُكْثِرَنَّ عَلَيْها لَهَفَهُ، فَإنَّ مَنْ أعْطاها غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِها يَرْجُو بِها ما هُوَ أفْضَلُ مِنْها، فَهُوَ جاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الأجْرِ، ضالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَداءُ الْأَمانَةِ فَقَدْ خابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِها ، إِنَّها عُرِضَتْ عَلَى السَّماواتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ ، وَالْجِبالِ ذاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلا أَطْوَلَ ، وَلا أَعْرَضَ ، وَلا أَعْلىٰ ، وَلا أَعْظَمَ مِنْها ، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ ، أَوْ عَرْضٍ ، أَوْ قُوَّةٍ ، أَوْ عِزٍّ ، لَامْتَنَعْنَ وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ ما جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ ، وَهُوَ الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً .

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لا يَخْفىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهارِهِمْ ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً ، وَأَحاطَ بِهِ عِلْماً ، أَعْضائُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَواتُكُمْ عِيانُهُ .

اللغة

(تعاهدوا أمر الصّلاة) وروى تعهّدوا بدله يقال تعهّدت الشيء وتعاهدته تردّدت إليه وتفقّدته وأصلحته ، وحقيقته تجديد العهد به ، و في الدّعاء عند الحجر الأسود : ميثاقي تعهّدته لتشهدلي بالموافاة يوم القيامة ، وفي رواية العلل عن أبي عبدالله عليه السلام تعاهدته بدله ، أى جدّدت العهد به ، قال الفيومي : قال الفارابى : تعهّدته أفصح من تعاهدته ، وقال ابن فارس ولا يقال تعاهدته ، لأنّ التعاهد لا يكون إلاّ من اثنين ويردّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام على رواية السيّد ، ودعاء الحجر على رواية العلل وما في الحديث من قوله : تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم .

و (حتّ) الرّجل الورق من الشجر حتّاً من باب مدّ أسقطه وأزاله ، وتحاتت

الشّجرة تساقط ورقها و (الرّبق) وزان عنب جمع ربق بالكسر وزان حمل حبل فيه عدّة عرى يشدّ به البهم ، و كلّ عروة ربقة و (الحمة) بفتح الحاء المهملة كلّ عين فيها ماء حارّ ينبع يستشفى بها الأعلاّء ، و في بعض النّسخ بالجيم وهى البئر الكثيرة الماء و (الدّرن) محرّكة الوسخ .

و (اقام الصّلاة) أصله إقوام مصدر أقوم مثل أكرم إكراماً ، و التّاء في إقامة عوض من العين السّاقط بالاعلال . فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التّعويض و (نصب) نصباً كتعب وزناً ومعنى فهو نصب .

و (يصبّر عليها نفسه) بالتثقيل أى يأمرها بالصّبر من صبّرته أى حملته على الصّبر بوعد الأجر ، وقلت له : اصبر ويروى بالتّخفيف أى يحبس عليها نفسه و (القربان) كفرقان اسم لما يتقرّب به إلى الله من أعمال البرّ .

وقوله (فلا يتبعنّها) بنون التّوكيد مثقّلة من اتبعت فلاناً لحقته قال تعالى « فأتبعهم فرعون بجنوده » أى لحقهم و (العيان) بالكسر المعاينة يقال لقاه عياناً أى معاينة لم يشكّ في رؤيته إيّاه .

الاعراب

قوله : على المؤمنين ، متعلّق بقوله : موقوتاً قوله : فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن ، كلمة ما نافية و عسى تامّة بمعنى كاد ، وأن يبقى عليه ، في موضع رفع بأنّه فاعل عسى كما في قوله تعالى « عسى أن تكرهوا شيئاً » وفاعل يبقى محذوف ومن الدّرن بيان للفاعل المحذوف أى يبقى عليه شيء من الدّرن .

وقوله تعالى : رجال ، فاعل يسبّح المذكور قبل ذلك ، قال سبحانه « يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لاتلهيهم » وعلى قراءة يسبّح مبنياً للمفعول فالجار والمجرور أعني له نايب عن الفاعل ورجال مرفوع بفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور كأنّه بعد ماقيل يسبّح له سئل عن المسبّح فقيل : رجال ، أى يسبّح له

رجال على حدّ قول الشّاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة و مختبط ممّا تطيح الطوايح

أى يبكيه ضارع ، و قوله : طيّب النّفس ، منصوب على الحال من فاعل أعطى ، وقوله : غير طيّب النّفس ، وجملة يرجوبها منصوبان لفظاً ومحلا أيضاً على الحال وقوله : لايخفى عليه ما العباد مقترفون ، كلمة ماموصولة منصوبة محلا مفعول يخفى ومابعدها صلة لها والعايد محذوف أى مقترفون له .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذا الكلام الشّريف على فصول ثلاثة

الفصل الاول في الأمر بالصّلاة والحثّ عليها **والفصل الثاني** في الترغيب في الزّكاة والالزام بها **والفصل الثالث** في التحضيض على أداء الأمانة والتّحذير من المعاصي .

اما الفصل الاول

فهو قوله (تعاهدوا أمر الصلاة) أى جدّدوا العهد بها وراقبوا عليها في أوقاتها المخصوصة ولا تضيّعوها و لا تغفلوا عنها ، لأنها عماد الدّين ، ومعراج المؤمنين ، وقربان كلّ تقيّ ومؤمن نقيّ ، و أوّل ما يحاسب به العبد إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها .

و قد ذمّ الله أقواماً توانوا عنها و استهانوا بأوقاتها فقال : « فويل للمصلّين الذينهم عن صلوتهم ساهون » قال أمير المؤمنين عليه السلام في رواية الخصال : يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها .

(وحافظوا عليها) أى على أوقاتها ورعاية آدابها وسننها وحدودها ومراسمها وشروطها و أركانها .

فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاتضيعوا صلاتكم فانّ من ضيع صلاته حشره الله تعالى مع قارون وفرعون وهامان لعنهم الله وأخزاهم وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين فالويل لمن لم يحافظ على صلاته .

وقال أبوجعفر عليه السلام إنّ الصلاة إذا ارتفعت في أوّل وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة ، تقول : حفظتني حفظك الله و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهى سوداء مظلمة ، تقول : ضيّعتني ضيّعك الله .

و قد أمر الله عزّ وجل بمحافظتها في الكتاب العزيز بقوله : « حافظوا على الصّلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

قال أمين الاسلام الطبرسى: أى داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها ، ثمّ خص الوسطى تفخيما لشأنها فقال: والصّلوة الوسطى

و قال المحدّث العلاّمة المجلسى: و يدّل بناء على كون الأمر مطلقا أو خصوص أمر القرآن للوجوب على وجوب المحافظة على جميع الصّلوات إلاّ ما أخرجها الدليل ، و ربما يستدلّ بها على وجوب صلاة الجمعة والعيدين والآيات ، ولكن في بعض الرّوايات أنّ المراد بها الصّلوات الخمس ، وعلى تقدير العموم يمكن تعميمها بحيث يشمل النّوافل والتّطوّعات أيضاً ، فلايكون الأمر على الوجوب ، و يشمل رعاية السّنن في الصلاة الواجبة أيضاً كمايفهم من بعض الأخبار.

و خصّ الصلاة الوسطى بذلك بعد التعميم لشدّة الاهتمام بها لمزيد فضلها أو لكونها معرضة للضّياع من بينها فهى الوسط بين الصلاة وقتاً أوعدداً اوالفضلى من قولهم للأفضل الأوسط .

وقد قال بتعيين كلّ من الصلوات الخمس قوم إلاّ أنّ أصحابنا لم يقولوا بغير الظهر والعصر كما يظهر من المنتهى و غيره .

فقال الشيخ في الخلاف: إنّها الظهر وتبعه جماعة من أصحابنا وبه قال زيد بن ثابت عايشة وعبدالله بن شداد، لأنّها بين صلاتين بالنّهار، ولأنّها في وسط النّهار، ولأنّها تقع

فی شدّة الحرّ والهاجرة وقت شدّة تنازع الانسان إلی النّوم والرّاحة فكانت أشقّ، وأفضل العبادات أحمزها، وأيضاً الأمر بمحافظة ما كان أشقّ أنسب وأهمّ ولأنّها أوّل صلاة فرضت ولأنها في الساعة الّتي يفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتّى تصلّی الظهر ويستجاب فيها الدّعاء.

وروى الجمهور عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله صلّی الله عليه وآله يصلّی الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلّی صلاة أشدّ علی أصحاب رسول الله صلّی الله عليه وآله منها فنزلت الآية.

وروى التّرمدی وأبوداود عن عايشة عن رسول الله صلّی الله عليه وآله أنّه قرء حافظوا علی الصلوات والصلوة الوسطی وصلوة العصر.

قال في المنتهی: والعطف يقتضی المغايرة لايقال: الواو زايدة كما في قوله تعالی «ولكن رسول الله و خاتم النّبيين» لأنّا نقول: الزّيادة منا فية للأصل فلا يصار إليه إلاّ لموجب و المثال الذی ذكروه نمنع زيادة الواو فيه بل هی للعطف علی بابها

و قال في مجمع البيان: كونها الظهر هو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام و روى فيه عن عليّ عليه السلام أنّها الجمعة يوم الجمعة والظهر فی ساير الأيام.

و قال السيد المرتضی هی صلاة العصر و تبعه جماعة من أصحابنا، و به قال أبوهريرة و أبوأيّوب و أبو سعيد عبيدة السلمانی والحسن و الضّحاك و أبو حنيفة و أصحابه و أحمد

و نقله الجمهور عن عليّ عليه السلام قالوا لأنّها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار.

و احتجّ السيد ره باجماع الشيعة.

والمخالفون بمارووا عن النّبي صلّی الله عليه وآله أنّه قال يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطی صلاة العصر ملأ الله بيوتهم و قبورهم ناراً.

و في الوسائل بعد رواية الأخبار الدّالّة علی أنّها الظهر قال: و تقدّم ما يشعر بأنها العصر، و هو محمول علی التّقية في الرّواية.

وقيل: إنّها إحدى الصلوات الخمس لم يعيّنها الله وأخفاها في جملة الصلوات

المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان، واسمه الأعظم في جميع الأسماء ، و ساعة الاجابة في ساعات الجمعة لئلا يتطرّق التّشاغل بغيرها بل يهتمّ غاية الاهتمام بالكلّ فيدرك كمال الفضل.

(و استكثروا منها) فانّها خير موضوع فمن شاء أقلّ و من شاء أكثر.

روى في البحار من البصاير عن محمّد بن الحسين عن عبدالرّحمن بن أبي هاشم ابن العتبة العابدة قال : سمعت أباجعفر عليه السلام و ذكر عنده الصلاة فقال : إنّ في كتاب عليّ عليه السّلام الذى إملا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الله لايعذّب على كثرة الصلاة والصيام ولكن يزيده جزاء « خيراً خ »

و في الوسايل عن الشيخ باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله رجل فقال : ادع الله أن يدخلني الجنّة فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم : أعنّي بكثرة السّجود.

و فيه عن الصدوق باسناده عن أبي جعفر العطار قال : سمعت الصادق جعفر ابن محمّد عليهما السّلام يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال : يا رسول الله كثرت ذنوبي و ضعف عملي ، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله : أكثر السّجود فانّه يحطّ الذنوب كما تحتّ الرّيح ورق الشجر.

(و تقرّبوا بها) إلى الله سبحانه فانّها قربان كلّ تقيّ.

كما رواه في البحار من العيون باسناده عن محمّد بن الفضيل عن الرّضا عليه السلام قال : الصلاة قربان كلّ تقيّ.

و فيه من ثواب الأعمال باسناده عن موسى بن بكر عن أبي الحسن عليه السّلام قال : صلاة النّوافل قربان كلّ مؤمن .

بل هى أفضل ما يتقرّب به إليه تعالى.

كما يدلّ عليه ما رواه في الكافي باسناده عن معاوية بن وهب قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن أفضل مايتقرّب به العباد إلى ربّهم فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألاترى أنّ العبدالصالح عيسى بن مريم عليهما السّلام قال: وأوصاني

بالصلوة و الزكوة مادمت حيّاً، هذا .

و لمّا أمر بتعاهدها و محافظتها و التقرّب بها عقب عليه السلام ذلك و علّله بوجوه مرغبة.

أحدها قوله (فانّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) اقتباس من الآية الشريفة في سورة النساء .

قال في مجمع البيان: اختلف في تأويله فقيل: إنّ الصلاة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة وهو المروىّ عن الباقر والصادق عليهما السلام ، وقيل: معناه فرضاً موقوتاً أى منجما تؤدّونها في أنجمها.

وفي الكافي باسناده عن داودبن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قوله تعالى «إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال : كتاباً ثابتاً و ليس إن عجّلت قليلاأوأخّرت قليلا بالذى يضرّك مالم تضيّع تلك الاضاعة فانّ الله عزّ وجلّ يقول لقوم « أضاعوا الصلوة واتّبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيّاً » .

و فيه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية أى كتاباً موجوباً «موجبا خ ل » هذا

و تخصيص المؤمنين بالذكر في الآية الشريفة لتحريصهم و ترغيبهم على حفظها و حفظ أوقاتها حالتى الأمن والخوف و مراعاة جميع حدودها في حال الأمن و ايماء بأنّ ذلك من مقتضى الايمان وشعار أهله فلايجوز أن تفوتهم وإنّ التّساهل فيها يخلّ بالايمان و انّهم هم المنتفعون بهالعدم صحّتها من غيرهم .

الثاني قوله (ألاتسمعون إلى جواب أهل النار) و الاستفهام للتقرير بما بعد النّفى أوللتوبيخ والتقريع ، والغرض منه تنبيه المخاطبين على أنّ ترك الصلاة يوجب دخول النار و سخط الجبارليتحرزوا من تركها ويحافظوا عليها .

و ذلك انّ أهل النار (حين سئلوا) أى سألهم أهل الجنّة على ما حكى الله عنهم في سورة المدّثر بقوله : « كلّ نفس بما كسبت رهينة ✿ الاّ أصحاب اليمين ✿ في جنّات يتسائلون عن المجرمين ✿ ما سلككم في سقر ✿ قالوا لم نك من المصلّين ✿

ولم نك نطعم المسكين ۞ و كنّا نخوض مع الخائضين ۞ و كنّا نكذّب بيوم الدّين۞ حتّى أتينا اليقين» .

قال أمين الاسلام الطبرسى في تفسير الآية : كلّ نفس بما كسبت رهينة أى محبوسة بعملها مطالبة بما كسبته من طاعة أو معصية ، ثمّ استثنى سبحانه أصحاب اليمين و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم و قال الباقر عليه‌السلام نحن و شيعتنا أصحاب اليمين .

في جنّات يتسائلون' أى يسأل بعضهم بعضاً و قيل: يسألون عن المجرمين أى عن حالهم وعن ذنوبهم الّتي استحقوا بها النار.

ما سلككم في سقر، هذا سؤال توبيخ أى تطلع أهل الجنّة على أهل النار فيقولون: ما أوقعكم في النار .

قالوا لم نك من المصلّين، أى كنا لانصلّى الصلاة المكتوبة على ما قرّرها الشرع ، و في هذا دلالة على أنّ الاخلال بالواجب يستحقّ به الذّم و العقاب ، لأنهم علّقوا استحقاقهم العقاب بالاخلال بالصلاة ، و فيه دلالة أيضاً على أنّ الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعيّة ، لأنه حكاية عن الكفار بدليل قوله: و كنا نكذّب بيوم الدّين .

و قوله : ولم نك نطعم المسكين ، معناه لم نك نخرج الزّكوات الّتى كانت واجبة علينا ، والكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين ، وهم الفقراء .

و كنّا نخوض مع الخائضين أى كلّما غوى غاو بالدّخول في الباطل غوينا معه والمعنى كنا نلوث أنفسنا في المرور بالباطل كتلويث الرّجل بالخوض ، فهؤلاء لما كانوا يجرون مع من يكذّب بالحقّ مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم .

و كنا نكذّب بيوم الدّين، مع ذلك أى نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة.

حتّى أتينا اليقين، أى أتانا الموت على هذه الحالة، و قيل: حتّى جاءنا علم ليقين من ذلك بأن عايناه ، هذا .

وفى الصافى عن الكافى عن الصادق عليه‌السلام في قوله : لم نك من المصلّين ،

قال عليه السلام: لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله فيهم: والسابقون السابقون اولئك المقرّبون، أما ترى الناس يسمّون الذى يلى السابق في الحلبة مصلّيا ، فذلك الذى عنى حيث قال: لم نك من المصلّين أى لم نك من أتباع السابقين .

وعن الكاظم عليه السلام يعنى أنا لم نتولّ وصيّ محمّد والأوصياء من بعده و لم نصلّ عليهم، وهذان لاينافيان التفسير المتقدّم لأنّ المتقدّم تنزيلها وهذا تأويلها .

(و) **الثالث** (انها لتحتّ الذّنوب حتّ الورق) أى تسقطها من الرّقاب سقوط الأوراق من الأشجار.

كما وقع التّصريح به في رواية الوسايل من مجالس ابن الشّيخ باسناده عن سلمان الفارسى قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في ظلّ شجرة فأخذ غصناً منها فنفضه فتساقط ورقه فقال: ألاتسألونى عمّا صنعت ؟ فقالوا: أخبرنا يا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاطت خطاياه كما تحاطت ورق هذه الشجرة ، هذا .

و التشبيه في كلامه عليه السلام من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ، و كذلك في قوله :

(و تطلقها إطلاق الرّبق) و الكلام على القلب و المراد أنّها تطلق أعناق النفوس أى تفكّها من أغلال الذّنوب إطلاق أعناق البهايم من الأرباق.

و لمّا ذكر إسقاطها للذّنوب أيّده بقوله (و شبّهها رسول الله صلّى الله عليه وآله بالحمّة تكون على باب الرّجل) و أشار إلى وجه الشّبه بقوله (فهو يغتسل منها) ويطهر جسده من الأوساخ (في اليوم واللّيلة خمس مرّات فما عسى أن يبقى عليه) شيء (من الدّرن) و كذلك من صلّى الصلوات الخمس لايبقى عليه شيء من الذّنوب .

وقد تقدّم في شرح الخطبة المأة والتاسعة رواية متن الحديث النّبوى من الفقيه عن الصادق عليه السلام قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله إنّما مثل الصلاة فيكم كمثل السرى و هو النهر على باب أحدكم يخرج إليه في اليوم واللّيلة يغتسل منه خمس مرّات فلم يبق الدرن على الغسل خمس مرّات ، ولم يبق الذنوب على الصلاة خمس مرّات .

والرابع ما أشار إليه بقوله (وقد عرف حقّها) وقدرها (رجال من المؤمنين) وهو عليه السلام رئيسهم وسيّدهم وأفضلهم حسبما تطلع عليه في الأخبار الآتية وهم (الذين لاتشغلهم عنها زينة متاع ولاقرّة عين من ولد ولامال) لعلمهم بأنّ المال والبنين زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربهم ثواباً وخير أملا .

(يقول الله سبحانه) في وصفهم في سورة النّور : في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال (رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع) من عطف الخاص على العام لشمول التجارة ساير أنواع المكاسب (عن ذكر الله و إقام الصّلوة وايتاء الزكوة) يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار.

قال في مجمع البيان : روى مرفوعاً أنّه سئل النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لماقرء الآية أىّ بيوت هذه؟ فقال: بيوتات الأنبياء ، فقام أبوبكر فقال: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا البيت منها لبيت عليّ وفاطمة، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم من أفاضلها.

والمراد بالرّفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس والتطهير من المعاصى ، و يذكر فيها اسمه أى يتلى فيها كتابه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال أى يصلّى فيها بالبكر والعشايا، رجال لاتلهيهم، أى لاتشغلهم ولاتصرفهم، تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، أى إقامة الصّلاة وايتاء الزكاة أى إخلاص الطاعة لله وقيل يريد الزكاة المفروضة.

و روى في كتاب غاية المرام من تفسير مجاهد والى يوسف يعقوب بن سفين «كذا» قال ابن عبّاس في قوله تعالى: «وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضّوا إليها و تركوك قائماً» إنّ دحية الكلبي جاء يوم الجمعة من الشّام بالمسيرة فنزل عند أحجار الزّيت ثمّ ضرب بالطبول ليأذن بقدومه ومضوا النّاس اليه إلاّ عليّ والحسن والحسين وفاطمة وسلمان وأبوذر والمقداد وصهيب وتركوا النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قائماً يخطب على المنبر ، فقال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لقد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدى فلولا هؤلاء الثّمانية الّذين جلسوا في مسجدى لاضطرمت المدينة على أهلها ناراً وحصبوا بالحجارة كقوم لوط ، فنزل فيهم : رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع .

وفيه عن محمّد بن العباس عن محمّد بن همّام عن محمّد بن إسماعيل عن عيسى بن

داود قال : حدّثنا الامام موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ « في بيوت أذن الله أن ترفع» الآية قال : بيوت آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بيت عليّ وفاطمة و الحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام، قلت : بالغدوّ والآصال ، قال : الصّلاة في أوقاتها ، قال : ثمّ وصفهم الله عزّ وجل : رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وايتاء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ، قال : هم الرّجال لم يخلط الله معهم غيرهم ، ثمّ قال : ليجزيهم الله أحسن ماعملوا و يزيدهم من فضله ، قال : مااختصّهم به من المودّة والطّاعة المفروضة وصيّر مأواهم الجنّة والله يرزق من يشاء بغير حساب .

(و) **الخامس** انّ في المحافظة على الصلاة أسوة بالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم فلقد (كان رسول الله نصباً بالصلاة) أى تعباً بها كلّ التعب .

حتى روى انّه كان يصلّي اللّيل كلّه ويعلّق صدره بحبل حتّى لايغلبه النّوم فعاتبه الله على ذلك وأنزل عليه «طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى» وأمره بأن يخفّف على نفسه وذكر أنّه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كلّ هذا التّعب .

روى في الصافي من الاحتجاج عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم اللّيل أجمع حتّى عوتب في ذلك فقال الله عزّ وجلّ «طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى» بل لتسعد .

قيل : الشقاء شايع بمعنى التّعب ومنه أشقى من رايض (١) المهر وسيّد القوم أشقاهم ، ولعلّه عدل اليه للاشعار بأنّه انزل إليه ليسعد .

وقوله (بعد التبشير له بالجنّة) إشارة إلى أنّه لم يكن مواظبته على الصّلاة شوقاً إلى الجنّة ولاخوفاً من النّار بل قدكان نصباً بها مع وجود تلك البشارة متحملا كلّ التعب امتثالا (لقول الله سبحانه) وأمره له بالصبر عليها في سورة طه حيث قال :

---

(١) رضت الدابة رياضا ذللتها فالفاعل رائض ، مصباح اللغة .

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) لانسئلك رزقا ✿ نحن نرزقك والعاقبة للتقوى .

قال في مجمع البيان : معناه وأمر يا محمّد أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة واصبر على فعلها ، وفي الصافي وداوم عليها ، لانسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ، بل كلّفناك العبادة وأداء الرّسالة وضمنّا رزق الجميع' نحن نرزقك وإيّاهم ففرّغ بالك للآخرة ، والعاقبة المحمودة لذوى التقوى .

قال في مجمع البيان روى أبو سعيد الخدرى قال : لمّا نزلت هذه الآية كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة و عليّ تسعة أشهر عند كلّ صلاة فيقول : الصلاة رحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً .

قال وقال أبو جعفر عليه السّلام أمره الله أن يخصّ أهله دون النّاس ليعلم النّاس أنّ لأهله عند الله منزلة ليست للنّاس ، فأمرهم مع النّاس عامّة ثمّ أمرهم خاصّة .

وفي الصافي من العيون عن الرّضا عليه السّلام في هذه الآية قال : خصّنا الله هذه الخصوصيّة إذ أمرنا مع الامّة باقامة الصّلاة ثمّ خصّنا من دون الامّة فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يجيء إلى باب عليّ وفاطمة بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرّات فيقول : الصّلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذرارى الأنبياء بمثل هذه الكرامة الّتي أكرمنا بها وخصّنا من دون جميع أهل بيتهم .

(فكان) صلّى الله عليه وآله (يأمر) بها (أهله ويصبّر عليها نفسه) أى يأمر نفسه بالصبر والتحمّل على تعبها ، هذا .

وقد تقدّم في شرح الخطبة المأة والتاسعة تفصيل الكلام في فضل الصّلاة وآدابها وأسرارها وعقاب تاركها . فليراجع هناك .

و أما الفصل الثاني

فقد أشار اليه بقوله (ثمّ إنّ الزكاة جعلت مع الصّلاة قرباناً لأهل الاسلام)

يعني كما جعل الله سبحانه الصّلاة قرباناً للمسلمين يتقرّبون بها إليه تعالى ، جعل الزكاة أيضاً قرباناً لهم مثلها .

ويدلّ على ذلك أنّه سبحانه عقّب الأمر باقام الصّلاة في أكثر آيات كتابه العزيز بالأمر بايتاء الزّكاة ، فجعل الزكاة تالي الصّلاة في المطلوبيّة .

و يشهد به أيضاً ما في الوسايل عن الصّدوق باسناده عن المجاشعي عن الرّضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : بني الاسلام على خمس خصال : على الشّهادتين ، والقرينتين ، قيل له : أمّا الشهادتان فقد عرفناهما ، فما القرينتان ؟ قال : الصّلاة والزكاة ، فانّه لايقبل إحداهما إلاّ بالأخرى ، والصيام وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، وختم ذلك بالولاية .

وقد مضي الكلام في فضلها و عقوبة تاركها وأقسامها في شرح الخطبة المأة والتاسعة بمالامزيد عليه فليراجع ثمّة .

ولما ذكر كونها قرباناً لأهل الاسلام نبّه على شرط قربانيّتها وهو كون اتيانها عن وجه الخلوص وطيب النفس ، وسرّ ذلك ماقدّمناه في شرح الخطبة الّتي أشرنا اليه، ومحصّل ماقدّمناه أنّ الاسلام موقوف على توحيد الربّ عزّ وجلّ و كمال توحيده عبارة عن الاخلاص له ، و معنى الاخلاص إفراده بالمعبوديّة والمحبوبيّة واخلاء القلب عن محبّة ماسواه فلايجتمع محبة المال مع محبّته تعالى .

(ف) علم من ذلك أنّ (من أعطاها طيّب النفس بها) حبّاً له تعالى وامتثالا لأمره وابتغاء لمرضاته و تقرّباً إليه عزّ وجلّ (فانها) حينئذ تقرّبه إليه وتوجب حبّه تعالى له والقرب والزّلفى لديه و(تجعل له) من الذّنوب (كفارة ومن النار حجازاً و وقاية) أى حاجزاً مانعاً من النار ووقاية من غضب الجبار .

كما يشهد به ما رواه في الفقيه عن الصادق عليه السلام قال : خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الايمان البرّ بالاخوان ، والسعى فى حوائجهم ، وانّ البارّ بالاخوان ليحبّه الرّحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزح عن النيران

ودخول الجنان ثمّ قال عليه‌السلام لجميل : يا جميل أخبر بهذا غرر (١) أصحابك ، قلت : جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال : هم البارّون بالاخوان في العسر واليسر ، ثمّ قال : يا جميل اعلم أنّ صاحب الكثير يهوّن عليه ذلك وإنما مدح الله في ذلك صاحب القليل فقال في كتابه «ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون» .

وبعد ذلك (ف) اللازم أن (لا يتبعنها أحد) من المعطين لها (نفسه ولا يكثرنّ عليها لهفه) و تحسّره ، لأنّ اتباع النّفس و إكثار اللّهف كاشف عن محبّته لها و هو ينافي محبّته تعالى فكيف يتقرّب باعطائها إليه و يبتغي القرب والزّلفى لديه

(فانّ من أعطاها) على وجه الاكراه (غير طيّب النّفس بها) و الحال أنّه (يرجو) و يتوقّع (بها ماهو أفضل منها) من رضوان الله تعالى والخلد في جنانه (فهو) كاذب في دعوى المحبّة (جاهل بالسّنة) لأنّ السّنة في أدائها أن يكون بطيب النفس، و لذلك مدح الله الباذلين للمال كذلك بقوله « و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وقوله «و يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً» .

(مغبون الأجر) لأنّ الأجر مترتّب على العمل، فاذا كان العمل لا على وجه الرّضا يكون الجزاء المترتّب عليه كذلك، و من هنا قيل : كما تدين تدان، و قد قال سبحانه «و ما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله و ما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» .

(ضالّ العمل) حيث أتى به على غير الوجه المطلوب شرعاً (طويل النّدم) في الآخرة على مافوّته على نفسه من الأجر الجزيل والجزاء الجميل

---

(١) رجل أغرّ ، أي شريف وغرّة القوم سيدهم، م

واما الفصل الثالث

فهوما أشار إليه بقوله (ثم أداء الامانة) الّتي جعل الله المحافظة عليها من وصف المؤمنين الموصوفين في قوله «قد أفلح المؤمنون ۞ الذينهم في صلوتهم خاشعون» إلى قوله «والذينهم لأماناتهم وعهدهم راعون» والأخبار في فضلها بالغة حدّ الاستفاضة .

منها ما في البحار من الكافي عن الحسين بن أبي العلا عن أبيعبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداء الامانة إلى البرّ والفاجر.

ومن قرب الاسناد عن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأمانة تجلب الغنى والخيانة تجلب الفقر .

ومن الامالي عن عمر بن يزيد قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: اتّقوا الله وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم . فلو أنّ قاتل أمير المؤمنين ائتمنني على أمانة لأدّيتها إليه .

وعن الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : سمعته عليه السلام يقول لشيعته : عليكم بأداء الأمانة فوالذى بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو أنّ قاتل أبي الحسين بن عليّ عليهما السلام ائتمنني على السيف الذى قتله به لأدّيته إليه .

وعن أحمد بن محمّد الهمداني عن أبي جعفر الثّاني عن آبائه عليهم السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لاتنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم و كثرة الحجّ والمعروف وطنطنتهم باللّيل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث و أداء الأمانة.

وعن الحسين بن أبي العلا عن الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول : أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ رجل صدوق في حديثه محافظ على صلاته و ما افترض الله عليه مع أداء الأمانة، ثمّ قال عليه السلام: من اؤتمن على أمانة فأدّاها فقد حلّ ألف عقدة من عنقه من عقد النّار ، فبادروا بأداء الأمانة ، فانّ من اؤتمن على أمانة و كّل به إبليس مأة شيطان من مردة أعوانه ليضلّوه و يوسوسوا إليه حتّى يهلكوه إلاّ من عصم الله عزّ وجلّ .

(فقد) علم من ذلك أنّه (خاب من ليس من أهلها) أى خسر في الدنيا وفي الآخرة من لم يكن من أهلها، بل كان من أهل الخيانة ، فانّ الخيانة حسبما عرفت تجلب الفقر في الدّنيا والنار في العقبى و خسر أهلها خسراناً عظيماً.

و ان شئت أن تعرف عظم الخطب و مزيد ثقل التّكليف فيها فاستمع لما يتلى عليك من قوله :

(إنّها عرضت على السّماوات المبنيّة و الأرضين المدحوّة) المبسوطة على الماء (والجبال) الرّاسيات (ذات الطول المنصوبة) المرفوعة على الأرض و لكنّها مع أنّها أعظم ما خلق الله عزّ وجلّ في الكون (فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها) امتنعن من حمل هذا التكليف، أى تكليف الأمانة و أبين أن يحملنها لثقلها و صعوبتها لا للعظمة والاستكبار عن الطاعة ، بل للخوف والاشفاق من المعصية .

(و لو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لا متنعن) بل كنّ أولى بالامتناع بما لهنّ من أوصاف العظمة التي ليست في غيرهنّ (ولكن أشفقن من العقوبة وغفلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الانسان) فحملها مع ما به من الضعف والنقصان (انّه كان ظلوماً جهولا)

قال الشارح البحراني: وذكر كون السماوات مبنيّة والأرض مدحوّة والجبال بطولها و عرضها و عظمتها ، تنبيه للانسان على جرئته على المعاصى و تضييع هذه الأمانة إذا هى لها و حملها و تعجب منه في ذلك، فكأنّه يقول: إذا كانت هذه الأجرام العلوية التي لا أعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الأمانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو أضعف منها.

أقول : تحقيق هذا المقام يحتاج إلى بسط الكلام .

قال الله تعالى في سورة الأحزاب « إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها وحملها الانسان انّه كان ظلوماً جهولاً».

وقد اختلف أقوال المفسّرين كالأخبار في تفسير هذه الآية في مواضع:

الاول

أنّ المراد بالأمانة المعروضة ماذا؟

فقيل: هى ماأمر الله به من طاعته ونهى عنه من معصيته، و بعبارة اخرى هى التكاليف و الأحكام الشرعيّة المطلوبة من الانسان ، فانّ الله سبحانه لما اقتضت عنايته لايجاد هذه العبادة المخصوصة، و أن يجعل في الأرض خليفة لعمارتها، خلق الانسان و جعله واسطة بين الملك والحيوان . فهو كالحيوان في الشهوة و الغضب والتناسل و ساير القوى البدنيّة المخصوصة بالحيوان ، وكالملك في العقل والعلم و العبادة و ساير الكمالات النفسانيّة ، فلو كان خالياً من العقل و الفهم لم يتأهل لمعرفته و عبادته الخاصة كساير أصناف الحيوان، ولو كان خالياً عن الشهوة والغضب مثل الملك لم يصلح لعمارة الأرض وخلافته . ولذلك قال الله للملائكة «إنّى أعلم مالا تعلمون » فاذاً هذه العبادة الخاصة لايصلح لها إلاّ الانسان ، و هى المراد بالامانة في الآية.

و يؤيد هذا القول ما في الصافى من الغوالى أنّ عليّاً عليه السلام إذا حضر وقت الصّلاة يتململ و يتزلزل و يتلوّن فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها.

و قيل: هى أمانات الناس والوفاء بالعهود .

و يؤيده ما في البحار من مشكاة الأنوار نقلا من كتاب المحاسن قال: وسئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «إنّا عرضنا الأمانة» الآية ما الذى عرض عليهنّ؟ و ما الذى حمل الانسان؟ و ما كان هذا؟ قال: فقال: عرض عليهنّ الأمانة بين الناس وذلك حين خلق الخلق.

وعن بعض أصحابه رفعه قال : قال لابنه يا بنيّ أدّ الأمانة يسلم لك دنياك و آخرتك و كن أميناً تكن غنيّاً.

و قيل: إنّ المراد بها الامامة قال في تفسير القمّي : الأمانة هى الامامة

والأمر والنّهى ، والدليل على أنّ الأمانة هى الامامة قول الله عزّ وجلّ للائمّة «ان الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها» يعنى الامامة، فالأمانة هى الامامة عرضت على السماوات والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها و أشفقن منها ، و حملها الانسان ، يعنى الأوّل إنّه كان ظلوماً جهولاً ، انتهى .

ويدل على ذلك أخبار كثيرة مثل ما في البحار من كنز الفوايد عن إسحاق ابن عمّار عن أبى عبدالله عليه السلام فى هذه الآية ، قال : يعنى ولاية أمير المؤمنين .

ومن جامع الأخبار والعيون عن الحسين بن خالد قال: سألت الرّضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «إنّا عرضنا الأمانة» الآية قال : الأمانة الولاية من ادّعاها بغير حقّ فقد كفر .

ومن جامع الأخبار عن أبي بصير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ « إنّا عرضنا الأمانة » الآية قال : الامانة الولاية والانسان أبو الشرور المنافق.

ومن البصاير عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى « إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن » قال : الولاية أبين أن يحملنها كفراً بها ، وحملها الانسان ، والانسان الذى حملها أبو فلان . إلى غير هذه مما لانطيل بروايتها .

قال المحدّث العلامة المجلسيّ ره بعد رواية هذه الرّوايات : على تأويلهم عليهم السلام يكون اللام في الانسان للعهد وهو أبو الشرور أى أبو بكر أو للجنس ومصداقه الأوّل في هذا الباب أبو بكر ، والمراد بالحمل الخيانة ، والمراد بالولاية الخلافة وادعائها بغير حقّ ، فعرض ذلك على أهل السّماوات والأرض أو عليهما بأن يبيّن لهم عقوبة ذلك وقيل لهم : هل تحملون ذلك ، فأبوا إلاّ هذا المنافق و أضرابه حيث حملوا ذلك مع ما بيّن لهم من العقاب المترتّب عليه

الثانى

اختلفوا في المراد بعرض الأمانة على السّماوات والأرض .

فقيل : إنّ المراد به عرضها على نفس الأرض و السّماء و إنّه تعالى لمّا خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال : إنّي فرضت فريضة وخلقت جنّة لمن أطاعني وناراً لمن عصاني ؛ فقلن : نحن مسخّرات لأمرك لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً ، ولمّا خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوماً لنفسه بتحمّلها مايشقّ عليها ، جهولاً لوخامة عاقبته .

و هذا القول أعني عرضها على نفس السّماوات والأرض مرويّ عن ابن عبّاس ويدلّ عليه ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في المتن حيث قال : و عقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ .

و يشهد به أيضاً مارواه في البحار وغاية المرام من مناقب أبي بكر الشيرازى في نزول القرآن فى شأن علىّ عليه السلام بالاسناد عن مقاتل عن محمّد بن حنفيّة عن أمير المؤمنين فى قوله « إنّا عرضنا الأمانة » عرض الله أمانتي على السماوات السبع بالثواب والعقاب فقلن ربنا لانحملنها بالثواب والعقاب ولكنا نحملها بلا ثواب ولا عقاب ، وانّ الله عرض أمانتي وولايتي على الطيور ، فأوّل من آمن بها البزاة البيض والقنابر و أوّل من جحدها البوم والعنقا ، فلعنهما الله تعالى من بين الطيور ، فأما البوم فلاتقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها ، وأما العنقا فغابت فى البحار و إنّ الله عرض أمانتى على الأرضين فكلّ بقعة آمنت بولايتى جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرتها حلواً عذبا وجعل ماءها زلالاً ، و كلّ بقعة جحدت إمامتى وأنكرت ولايتى جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً علقماً ، وجعل ثمرها العوسج والحنظل ، وجعل ماءها ملحاً اجاجا ثمّ قال : وحملها الانسان ، يعني امتك يا محمّد ولاية أمير المؤمنين وامامته بما فيها من الثواب والعقاب ، إنه كان ظلوما لنفسه جهولا لأمر ربّه ، من لم يؤدّها بحقّها ظلوم غشوم .

ومحصّل هذا القول أنّ المراد بالأمانة التكليف بالعبوديّة على وجهها والتقرّب بها إلى الله سبحانه كما ينبغى لكلّ عبد بحسب استعداده لها ، وأعظمها الولاية والخلافة الالهيّة ، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها وعدم ادّعاء منزلتها لنفسه ، ثمّ ساير

التكاليف الشرعية ، والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال اعتبارها بالاضافة إلى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة والاستعداد ، وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وتحمله إياها وكونه ظلوماً جهولا ، تقصيره في أدائها لما غلب عليه من القوة الشهوية والغضبية .

وقيل : إن المراد العرض على أهلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ، وعرضها عليهم هو تعريفها إياهم ان في تضييع الامانة الاثم العظيم ، و كذلك في ترك أوامر الله واحكامه ، فبين سبحانه جرءة الانسان على المعاصي واشفاق الملائكة من ذلك ، فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والجن والانس فابى أهلهن أن يحملوا تركها وعقابها والمآثم فيها وأشفقن أهلها من حملها ، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصي ، جهولا بموضع الامانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها .

وقيل : إنه على وجه التقدير الا أنه جرى عليه لفظ الواقع ، لأن الواقع أبلغ من المقدر ، والمعنى انه لو كانت السماوات والأرض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظايف الدين اصولا وفروعاً بما فيها من الوعد والوعيد ، لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقها ، ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله .

الثالث

قوله : وحملها الانسان .

المراد بالانسان إما نوع الانسان أي بنو آدم ، أو خصوص امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمراد بحملهم لها قبولهم للاتيان بما كلف عليهم من الطاعات والعبادات والتسليم لامامة أئمة الدين ، وكونه ظلوماً جهولا لعدم خروجهم عن عهدة التكليف وعدم وفائهم بما حملوه من طاعة الأئمة وتقصيرهم في أداء الأمانة ، وهو وصف للجنس باعتبار أغلب أفراده إذ الأنبياء والأولياء والمؤمنون القائمون بوظايف العبودية الراعون

لعهد الامامة خارجون من عموم الآية قطعاً .

وإمّا خصوص فرد منه وهو أبو بكر حسبما تقدّم في الأخبار ، وعليه فالمراد بحمله للامانة أي الخلافة ادّعاؤه لها لنفسه من غير استحقاق وأهليّة ، وبعبارة اخرى خيانته وتقصيره فيها وظلمه على من كان مستحقّاً به وجهله بمرتبة نفسه حيث وضعها موضعاً ليس له .

وقيل : إنّ المراد بالانسان هو آدم عليه السلام ، واعترض عليه في مجمع البيان بقوله ولا يجوز أن يكون الانسان محمولا على آدم لقوله « انّ الله أصطفى آدم » فكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفاً بالظلم والجهل .

هذا تفصيل ماقيل أو يقال في تفسير الآية الشريفة ، وقد ظهر منه اختلافهم في المراد بالأمانة المذكورة فيها على أقوال .

وأمّا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام فالظاهر أنّ المراد بها خصوص الأمانة المعهودة بين الخلق حسبما عرفتها في الأخبار المتقدّمة ، وانّما قلنا : إنّ الظاهر ذلك ، لاشعار تقديم ذكر الصلاة والزكاة عليها على عدم كون المراد بها مطلق التكاليف الشرعيّة ، بل التكليف المخصوص الّذى في عداد الصّلاة والزكاة القسيم لهما .

لكن الأظهر بمقتضى الحال والمقام ، وأنّ وصيّته بهذا الكلام إلى أصحابه كان في مقام الحرب مع النّاكثين والقاسطين و المارقين حسبما تعرفه في التكملة الآتية هو : أنّ المراد بها الامامة و الولاية ، فيكون غرضه بقوله : ثمّ أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها آه الطعن والتعريض على المعارضين له والجاحدين لولايته والنّاصبين له العداوة من معاوية وطلحة والزّبير وأتباعهم وأهل النهر وأمثالهم بكونهم خائبين خاسرين ، لعدم كونهم أهلاً للامانة أى الخلافة والولاية ، و بأنّهم حملوا و ادّعوا ما أبت السماوات والأرض و الجبال على كبر أجرامهما من حملها وادّعائها ، وأشفقن من ذلك ، وبأنّهم كانوا متّصفين بالظّلم والجهل حيث ظلموه عليه السلام حقّه وجهلوا بشأنه ومقامه .

و كيف كان فلمّا أمر وأوصى أصحابه بالصّلاة و الزّكاة وأداء الأمانة ، و شدّد

الترغيب فيها والتحذير من مخالفتها بكون الخاين أو المقصّر ظلوماً جهولا ، عقّبه بالتّنبيه على أنّ كلّ مايفعله العباد من خير أوشرّ بعين الله الّتي لاتنام وعلمه الّذى لاتخفى عليه خافية لتأكيد تحضيض المخاطبين بمواظبة هذه العبادات الثلاث وساير الحسنات وتحذيرهم من مخالفتها فقال :

(إنّ الله سبحانه لا يخفى عليه) ولا يعزب عن علمه (ما العباد مقترفون) أى مكتسبون له من خير أوشرّ حسن أوقبيح (فى ليلهم ونهارهم) يعني أنّ الليل والنهار سيّان بالنسبة إلى علمه ، وليس كغيره من مخلوقاته يكون إدراكه للمحسوسات بطريق الاحساس حتّى تكون ظلمة اللّيل حجاباً وحجازاً عن إدراكه .

وقدّم الليل على النهار لمزيد الاهتمام من حيث كونها مظنّة لاختفاء مايفعل فيها من المعاصي، وأردف بالنهار لدفع توهّم الاختصاص .

(لطف به خبراً) أراد به علمه بخفيّات أفعال العباد وخبرويّته بها ، واللّطيف الخبير حسبما تقدّم في شرح الخطبة السابقة من جملة أسمائه الحسنى عزّ وعلا .

و تسميته باللّطيف من جهة علمه بالشيء اللّطيف مثل البعوضة و أخفى منها وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للفساد والخدب على نسلها و نقلها الطعام والشراب إلى أولادها في المفاوز والأودية والقفار .

ومعنى الخبير هو الّذى لاتعزب عنه الأخبار الباطنة فلايجرى شيء في الملك والملكوت ولا تتحرّك ذرّة ولا تضطرب نفس ولاتطمئنّ إلاّ ويكون عنده خبره ، وهو بمعني العليم إلاّ أنّ العلم إذا اضيف إلى الخفايا الباطنة سمّى خبرة ، وقد مرّ تفصيل نفاذ علمه في خفاء الأشياء في الفصل الثامن من الخطبة التسعين .

(وأحاط به علماً) وقد تقدّم في شرح غير واحدة من الخطب المتقدّمة كالخطبة الأولى والخطبة التاسعة والأربعين والخامسة والثمانين وغيرها تحقيق إحاطة علمه تعالى بالكلّيات والجزئيات ولاحاجة إلى الاعادة .

(أعضاؤكم شهوده) يعني أنّها تشهد على العباد بما اقترفوه من المعاصي والآثام .

(وجوارحكم جنوده) يعني أنّها تكون معينة له عليهم ، و ذلك لأنّ جنود

الملك عبارة عن أعوانه على أعدائه فتلك الأعضاء والجوارح لماشهدت على المجرمين بما فعلوه صارت بمنزلة المعين له بذلك الاعتبار .

ويشهد بشهادة الأعضاء والجوارح قول الله تعالى في سورة يس «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» أي نستنطق الأعضاء الّتي كانت لاتنطق في الدّنيا لتشهد عليهم ونختم على أفواههم الّتي عهد منها النطق وهذا حقيقة الختم يوضع على أفواه الكفار يمنعها من النطق والكلام .

قال عليّ بن إبراهيم القمّي قال : إذا جمع الله عزّ وجل الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ انسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً ، فتشهد عليهم الملائكة فيقولون : يا ربّ ملائكتك يشهدون لك ، ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قول الله عزّ وجل «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» فاذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون

وقال تعالى في سورة فصّلت «ويوم يحشر أعداء الله إلى النّار فهم يوزعون ✿ حتّى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ✿ وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون ✽ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً مما تعملون» .

قال أمين الاسلام الطبرسيّ : أي يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا ولايتفرّقوا ، حتّى إذا جاؤا النّار الّتي حشروا إليها شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدّعاء إلى الحقّ فأعرضوا عنه ولم يقبلوه ، وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى فلم يؤمنوا ، وساير جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة .

وقيل في شهادة الجوارح قولان : أحدهما أنّ الله تعالى يبنيها بنية الحيّ ويلجئها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابها ، والآخر أنّ الله يفعل فيها الشهادة أي يجعل فيها كلاماً ، وإنّما نسب الكلام إليها لأنّه لايظهر إلّا من جهتها .

وقيل فيه وجه ثالث : وهو أنّ معني شهادتها وكلامها أنّ الله تعالى يجعل

فيها من الآيات مايدل على أن أصحابها عصوا الله بها ، فسمى ذلك شهادة منها كما يقال : عيناك تشهد ان بسهرك .

وقيل : إن المراد بالجلود الفروج .

أقول : وهو المروي في الصافي عن الكافي عن الصادق عليه السلام ومن الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم أنطق الله ألسنتهم فيقولون لجلودهم : لم شهدتم علينا ، فتقول في جوابهم أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ، ثم قال سبحانه : وهوخلقكم الآية ، و ليس هذا من جواب الجلود .

وقوله : وما كنتم تستترون أن يشهدعليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم ، معناه وما كنتم تستخفون أى لم يكن يتهيأ لكم أن تستتروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون ، فجعلها الله شاهدة عليكم يوم القيامة ، ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون فاجترأتم على المعاصي لذلك ، وقيل : بل معناه ما كنتم تتركون المعاصي حذراً أن يشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك ، ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون ، لجهلكم بالله فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك ، هذا .

وفي الصافي من الكافي عن الباقر عليه السلام وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب ، فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل «فامّا من اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلاً» .

و قوله (و ضمائركم عيونه) قال الشارح البحراني : أي طلايعه و جواسيسه كقوله تعالى «وشهدوا على انفسهم انّهم كانوا كافرين» وتلك الشهادة بلسان الحال ، انتهى .

أقول : يعني أن الضماير لاتخفى مافيها من الأسرار ولاتكتمها عليه تعالى كما أن من شأن الجاسوس المراقب بشيء أن لا يكتمه ممّن وكّله به ، وعلى ذلك

فالمراد بالضّماير القلوب ، ويحتمل أن يكون المراد بالضّماير مايضمره القلوب من الأسرار والخفيّات .

والعيون جمع العين بمعني الحاضر وهوأحد معانيه كما في القاموس وغيره ، فيكون المعني أنّ جميع ماأضمره نفوسكم فهوحاضر لديه سبحانه غير محجوب عنه كماقال تعالى «وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون» وقال «قل إن تخفوا مافي صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» .

ومحصّل المراد أنّه لايخفى ما في النفوس عليه عزّ وجل كما يخفى على غيره ، فيكون مساقه مساق قوله عليه السلام في الخطبة التسعين : عالم السرّ من ضماير المضمرين ونجوى المتخافتين ، وقوله في الخطبة المأة والسابعة : خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقايد السّريرات .

و قوله (وخلواتكم عيانه) قال البحراني : كنى بالخلوات عمّا يفعل فيها من معاصي الله مجازاً ، وانّما خصصها لأنهامظنّة المعصية ، ويحتمل أن يريد بالخلوة مصدر قولك خلوت اخلولاالمكان ، فيكون حقيقة ، و ظاهر كونها عياناً لله أى معاينة له .

و كلّ ذلك تحذير وتنفير عن تحريك الجوارح والخلوة بها فيما لاينبغي من المعاصي ، وبالله التوفيق والعصمة .

تذييل

الآية الّتي استدل بها أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام على وجوب المحافظة على الصلاة أعني قوله تعالى حكاية عن المجرمين «لم نك من المصلّين» مما استدلّ بها أكثر أصحابنا الاصوليّون كالمعتزلة على أنّ الكفار مكلّفون بالفروع حسبما أشار إليه أمين الاسلام الطبرسيّ «ره» أيضاً في تفسير الآية على ماحكيناه عنه سابقاً ، وحيث إنّ هذه المسألة من المسائل الغامضة المعظمة ، ويتفرّع عليها كثير من الأحكام الشرعيّة فلابأس بتحقيق الكلام وبسطه فيها لكونها حقيقاً بذلك .

فأقول وبالله التوفيق :

المشهور بين أصحابنا بل كادأن يكون اجماعاً أنّ الكفّار مكلّفون بفروع العبادات كما أنّهم مكلّفون بأصول الاعتقادات وهومذهب جمهور العامّة أيضاً ، ولم ينقلوا فيها خلافا إلاّعن أبي حنيفة ولم أجد منّامخالفاً أيضاً إلاّ شرذمة من الأخباريّة كالأمين الاسترابادى وصاحب الحدايق وصاحب الوافي، وهوالحقّ الموافق للتحقيق ، واستدلّ له بوجوه :

الاول عموم الأدلّة على التكاليف مثل قوله تعالى «وما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون » و قوله « ولله على النّاس حجّ البيت » وقوله «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم» و «يا ايّها النّاس اتّقوا ربّكم » وغيرها ، فانّها يشمل الكافر مثل شمولها للمؤمن .

والاعتراض عليه بحملها على المؤمنين حملا للمطلق على المقيّد والعامّ على الخاصّ كما في الحدائق فاسد ، لما تطلع عليه عند ذكر أدلّة الخصم .

الثاني أنّ الكفر لايصلح للمانعيّة حيث إنّ الكافر متمكّن من الاتيان بالايمان أوّلاً حتّى يصير متمكّنا من الفروع .

واعترض عليه صاحب الحدائق أيضاً بأنّه مصادرة محضة .

وفيه مع عدم كونه مصادرة لأنّ المدعى أنّ الكفّار مكلّفون بالعبادات ومخاطبون بها ، والدّليل أنّ مازعمه الخصم مانعاً من توجّه الخطاب عليهم و من الاتيان بها على الوجه الصحيح وهو الكفر لايصلح للمانعيّة فكيف يكون مصادرة .

ومحصّله أنّ مادلّ على التكليف بالفروع عام ولايمنع من ذلك عدم التمكن من الصحيح حال الكفر لأنّ الامتناع بالاختيار لاينا فى الاختيار، على أنّ الايمان من شرايط الوجود الّتي يجب تحصيلها على المكلّف لاشرايط الوجوب ، فلا مانع من التكليف حال عدمها مع التمكّن منها .

الثالث قوله تعالى « لم نك من المصلّين» فانّه حكاية عن الكفّار و أنّهم علّلوا دخولهم النّار بتركهم للصّلاة على ماتقدّم تفصيله سابقا .

و اعترض صاحب الحدائق أيضاً مايحمل على المخالفين المقرّين بالاسلام إذ لا تصريح فيه بالكفّار ، و يدلّ عليه ما ورد في تفسير عليّ بن إبراهيم من تفسيرها باتّباع الائمة ، أى لم نك من أتباع الأئمة و هو مرويّ عن الصادق عليه السلام حسبما عرفت سابقاً و عن الكاظم عليه السلام يعني أنّا لم نتولّ وصيّ محمّد من بعده ولم نصلّ عليهم .

و فيه إنّ الصلاة حقيقة شرعيّة في الأركان المخصوصة وظاهر معني المصلّين هو المقيمون للصلاة أى الأركان المخصوصة والحمل على المعني اللّغوى أى التابعين خلاف الظاهر المتبادر منه فلاوجه لحملها على المخالفين ، و إنكار التصريح فيه بالكفارمورد تعجّب لأنّ قوله حكاية عنهم: و كنّا نكذّب بيوم الدّين، صريح في كونهم كافرين منكرين للمعاد فكيف يكونون مقرّين بالاسلام و أمّا الخبران المرويّان عن الصّادق والكاظم عليهما السلام فلا دلالة فيهما ، لكونهما تفسيراً بالباطن كماقلناه عند شرح المتن فلايوجبان رفع اليد عن الظاهر، ويشهد بذلك استدلال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام الّذى نحن في شرحه بظاهرها على وجوب المحافظة على الصلوات الخمس و تعاهدها .

الرابع قوله تعالى «فلا صدّق ولاصلّى ۞ ولكن كذّب وتولّى» .

واعترض عليه أيضاً بجواز حمل الصّلاة فيها على مادلّت عليه الأخبار في الآية الأولى و أنّ اللفظ من الألفاظ المجملة المتشابهة المحتاج في تعيين المراد منها إلى التوقيف، فالاستدلال بها والحال كذلك مردود بتصادم الاحتمالات والدّخول تحت قوله «يتّبعون ماتشابه منه» الآية ، على أنّ ماذكرنا من المعني هو الموجود في تفسير عليّ بن إبراهيم كما لايخفي على من راجعه .

وفيه أوّلا منع كون الآية من المتشابهات الّتي يتّبعها الّذين في قلوبهم زيغ ، بل من المحكمات الّتي تؤخذ بظواهرها و هنّ امّ الكتاب ، و ظاهر الآية كماترى أنّه لم يصدّق بكتاب الله و رسوله ولا صلّى لله ولكن كذّب بالكتاب والرّسول وأعرض عن الايمان ، وهذا وصف الكافر لاالمخالف .

ويدل على ذلك ما في مجمع البيان قال : وجاءت الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد أبي جهل ثم قال له : «أولى لك (١) فأولى ✡ ثم أولى لك فأولى» فقال أبوجهل : بأي شيء تهددني لاتستطيع أنت وربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعز أهل هذا الوادي ، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا .

وأما في تفسير علي بن إبراهيم من أنه كان سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا إلى بيعة علي يوم غدير خم فلما بلغ الناس وأخبرهم في علي ما أراد أن يخبر رجع الناس فاتكى معاوية على المغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري ثم أقبل يتمطى (٢) نحوه و يقول : ما نقر بالولاية لعلي أبداً ولا نصدق محمداً مقالته ، فأنزل الله جل ذكره «فلاصدق ولاصلى» الآيات ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر وهو يريد البراءة منه فأنزل الله عزوجل «لاتحرك به لسانك لتعجل به» فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فالجواب عنه أن ظاهر قوله سبحانه : فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى ، يفيد أنه لم يصدق أصلا لا ظاهراً ولا باطناً ، ولم يقم الصلاة بل كذب و أعرض ظاهراً و باطناً ، و هذا شأن الكافر لا المخالف المصدق ظاهراً فقط ، و المكذب المعرض باطناً فقط .

و على ذلك فاللازم ترجيح الرواية المفيدة لكون المراد بهذه الآية هو أبوجهل الكافر كما في مجمع البيان على ما تفسير القمي المفيد كون المراد بها معاوية لأن في الأخذ بالرواية الأولى إبقاء الآية على ظاهرها والأخذ بالثاني يوجب صرفها إلى خلاف ما هو الظاهر المتبادر .

و يؤيد كون المراد به أبوجهل أن هذه الآية في سورة القيامة وهي مكية كما صرح به في مجمع البيان في تفسير هذه السورة ورواه أيضاً في تفسير سورة هل أتى فانه يقوى الظن بكون نزولها بمكة في حق أبي جهل لا في غدير خم في حق معاوية ، والله العالم .

---

(١) أي ويل لك ، م

(٢) يتبختر افتخاراً ، منه

الخامس قوله تعالى «وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزّكوة» وهو نصّ صريح في المطلوب .

السادس قوله تعالى «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» ذمّ الله المكذّبين بتركهم للرّكوع .

قال في الصّافي: روى أنها نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصّلاة فقالوا لا نحني ، وفي رواية لا نجبّي فانّها سبّة ، رواها في المجمع قال : فقال : لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود أقول : أي لا نحني بالمهملة والنّون أي لا نعطف ظهورنا وعلى الرّواية بالجيم والباء الموحدّة المشدّدة أي لا ننكبّ على وجوهنا وهما متقاربان .

وأمّا ما في تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السلام قال : إذا قيل لهم تولّوا الامام لم يتولّوه ، فهو تفسير بالباطن لا يوجب صرف اليد عن الظاهر كما لا يخفى

واحتج القائلون بالعدم بوجوه ، فصّلها صاحب الحدائق في مبحث غسل الجنابة من الكتاب المذكور لا بأس بذكر عبارته على تفصيلها ثمّ نتبع كلّ وجه وجه بما يتوجّه عليه من وجوه الكلام وضروب الملام .

فأقول : قال في الحدائق :

المشهور بين الأصحاب رضي الله عنهم بل كاد أن يكون إجماعاً أنّه يجب الغسل على الكافر لأنّ الكفّار مكلّفون بالفروع و لم ينقلوا في المسألة خلافاً من أحد من الخاصة بل من العامة إلاّ عن أبي حنيفة ، قالوا : لكن لا يصحّ منه حال كفره لاشتراط الصحّة بالاسلام ولا يجبّه الاسلام وإن جبّ الصّلاة لخروجها بدليل خاص

وما ذكروه منظور عندي من وجوه :

الاول عدم الدّليل على التّكليف المذكور و هو دليل العدم كما هو مسلّم بينهم ، وما استدلّوا به هما سيأتي ذكره مدخول بما سنذكره .

أقول : وفيه انك قد عرفت الأدلّة المحكمة على هذا التكليف كما عرفت اندفاع الاعتراضات التي اعترض بها عليها .

الثاني الأخبار الدّالة على توقف التكليف على الاقرار والتصديق بالشهادتين **منها** مارواه في الكافي في الصحيح عن زرارة قال: قلت للباقر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق ؟ قال : إنّ الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى الناس أجمعين رسولاً وحجّة لله على خلقه في أرضه ، فمن آمن بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله واتبعه وصدّقه فان معرفة الامام منّا واجبة عليه ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ولم يتبعه ولم يصدّقه ويعرف حقّهما فكيف يجب عليه معرفة الامام ، و هو لا يؤمن بالله و رسوله ويعرف حقّهما الحديث .

وهو كما ترى صريح الدّلالة على خلاف ما ذكروه وأنه متى لم يجب معرفة الامام قبل الايمان بالله ورسوله فبالطريق الأولى معرفة ساير الفروع التى هي متلقّاة من الامام . والحديث صحيح السند باصطلاحهم صريح الدّلالة فلا وجه لردّه وطرحه والعمل بخلافه إلاّ مع الغفلة عن الوقوف عليه .

قال : وإلى العمل بالخبر المذكور ذهب المحدّث الكاشاني حيث قال في الوافي بعد نقله ما صورته : وفي هذا الحديث دلالة على أنّ الكفار ليسوا مكلّفين بشرايع الاسلام كما هو الحقّ ، خلافاً لما اشتهر بين أصحابنا ، انتهى .

قال: ويظهر ذلك أيضاً من الأمين الاسترابادى في الفوايد المدنيّة حيث صرّح فيها بأنّ حكمة الله اقتضت أن يكون تعلّق التكاليف بالناس على التدريج بأن يكلّفوا أوّلا بالاقرار بالشهادتين ثمّ بعد صدور الاقرار عنهم يكلّفون بساير ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله .

ومن الأحاديث الدّالة على ذلك صحيحة زرارة في الوافي ثمّ ساق الرّواية بتمامها .

قال : و قال أيضاً بعد نقل جملة من أخبار الميثاق المأخوذ على العباد في عالم الذّرّ بالتوحيد و الامامة و نقل جملة من الأخبار الدّالة على فطرة الناس على التوحيد و أنّ المعرفة من صنع الله تعالى ما لفظه: أقول: هنا فوائد إلى أن قال : الثالثة أنه يستفاد منها أنّ ما زعمه الأشاعرة من أنّ مجرّد تصوّر الخطاب من غير

سبق معرفة إلهامية بحقايق العالم ، وبأنّ له رضاً وسخطاً وأنه لابدّ له من معلّم من جهته ليعلّم الناس مايصلحهم ومايفسدهم كاف في تعلّق التكليف لهم ليس بصحيح، انتهى

واعترض عليه أوّلا بأنّ الاستدلال يتوقف على القياس بطريق الأولى ، وهو ممن أنكره في مقدّمات الكتاب و أنكره أشدّ الانكار فكيف يجوز له التمسك به في هذا المقام مضافاً إلى أنه مع القول بحجيّته كما هو الحقّ الحقيق بالاتباع الموافق للآية وللأخبار المسلّم عند كافّة علمائنا الأبرار حتى عند المستدلّ في مواضع عديدة ومنها هذا الموضع يتوقّف على ثبوت الحكم في المقيس عليه و مسلميّته وقبوله وعدم مخالفته للضرورة، والأمر في المقام ليس كذلك وذلك فانّه لاخلاف ولاإشكال عند أحد حتّى عند المستدلّ حيث جعل محلّ نزاعه مع كافّة العلماء عدا أبي حنيفة في خصوص الفروع، والامامة من الاصول لا من الفروع إجماعاً منه ومن علمائنا .

و ثانياً أنّ مقتضى هذه الصحيحة عدم التكليف بالامامة و ساير الفروع إلاّ بتصديق الله و رسوله و هو حقيقة في التّصديق و الاذعان القلبي لا مجرّد الاقرار باللّسان ، وعلى تقدير تسليم العموم فالمراد هنا التّصديق القلبي جزماً لقوله عليه السلام ويعرف حقّهما ، فانّ المعرفة ليس ممّا يتوهّم فيه حصوله باللّسان خاصّة بل هو أمر قلبي جزماً وإذعان نفسانيّ قطعاً فحينئذ تدلّ هذه الصحيحة على أنّ المنافقين ومنهم الخلفاء الثلاثة لم يكونوا مأمورين بالامامة ولا ساير الفروع ، و مقتضى هذا أنّه لم يكن عليهم اثم في غصب الخلافة وساير ما فعلوه بالنّسبة إلى أهل البيت من ضرب فاطمة عليها السلام وغصب حقّها و إضرام النّار حول بيتها وإلقاء الحبل على رقبة مولينا أمير المؤمنين عليه السلام وغير ذلك ممّا فعلوه بالنّسبة إليهم وإلى غيرهم من البدع الّتي ابتدعوها في الدّين وتضييع دين خاتم النّبيين وسيّد المرسلين ، و كذا ما فعله يزيد وساير جنود المخالفين مع سبط الرّسول الأمين ومافعله المخالفون بالنسبة إلى شيعتهم وغير ذلك ، وفي جميع ذلك لم يكونوا مأ تومين أصلاً بل هم و غيرهم من الكـفّار الّذين لم يصدر منهم شيء من ذلك متساويين في عقاب واحد ، و هو عدم الايمان بالله ورسوله ، وذلك من حيث عدم تصديقهم لله ورسوله ومعرفة حقّهما فانّهم

وإن أقرّوا باللّسان إلاّ أنّهم لم يصدقوهما قلباً ولم يعرفوا حقّهما ، فبمقتضى الصّحيحة نظراً إلى عدم إيمانهم بالله ورسوله ومعرفتهم حقّهما كيف يكلّفهم الله تعالى بالامامة وساير الفروع ، وليس في الصحيحة أنّ مجرّد الاقرار باللّسان كان في ذلك ، وعلى هذا لم يكن لشكاويهم عليهم السلام عن المخالفين والخلفاء الثلاثة وطعنهم ولعنهم وإثبات الويل عليهم وتكفيرهم من الجهات الّتي ذكرت وتفسيقهم وكذا طعن علمائنا ومنهم المستدلّ عليهم وجه ، بل كان لغواً محضاً ويلزمه أنّه لو فعل ذلك أو شيئاً من ذلك غير المنافقين من ساير الكفّار الذين لم يقروا بالاسلام بالنّسبة إلى سادة الأنام و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطيه عليهما السلام وغيرهم من شيعتهم وأولادهم وذراريهم بالقتل والنهب والاسر أنّه لم يكن عليهم في ذلك شيء ، و يكونون هم وساير من لم يحدث أمثال هذا عنه في العقاب متساويين ، وقطعيّ أنّ المستدلّ لايقول به أيضاً إذ القول بذلك من أشنع الشّنايع وأقبح الفضايح ، وهل كان مراد النّبيّ صلى الله عليه وآله بقوله في حقّ فاطمة عليها السلام من آذاها فقد آذاني و غير ذلك بالنّسبة إليها و إلى غيرها من الحسنين و أمير المؤمنين عليهم السلام و أولادهم خصوص المؤمنين المصدّقين لله و لرسوله العارفين بحقّهما ، أو المراد منه الأعمّ بل ملحوظ نظره خصوص المخالفين أفيجوّز المستدلّ ذلك بالنّسبة إلى غيرهم فيحكم بجواز اسر غيرهم للسادات والعلويّات والفاطميّات وقتلهم ونهب أموالهم وهتك عرضهم وغير ذلك من النّاس بل الأنبياء ما هذا إلاّ شيء عجيب أقرب من الكفر لو لم يكن كفراً .

و ثالثاً انّ المخالفين عند المستدلّ كفار حقيقة بالكفر المقابل للاسلام ، فيلزمه جريان أحكامهم فيه و منها القول الذى استحدثه من عدم العقاب على ترك شيء من التكاليف ما هذا إلاّ أمر غريب وشيء عجيب وبالجملة فانّ الصحيحة صريحة في عدم تكليف المخالفين بالامامة و لا بشيء من الفروع ، ويفصح عنه قوله عليه السلام : فكيف يجب عليه معرفة الامام و هو لا يؤمن بالله ورسوله و يعرف حقّهما ، و ذلك بالتّقريب الذى تقدّم ، ونزيد حينئذ وجه دلالته على ذلك هنا فنقول: إنّ مقتضاها أنّ التّكليف بالامامة فرع الايمان بالله و رسوله وهو على ما عرفوه وورد به الخبر و قد

ذكره في أوّل كتاب الصلاة هو الاقرار باللّسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان ولا ريب في أنّ ذلك لم يتحقّق في حقّ الخلفاء الثلاث لعدم تصديقهم بالجنان، هذا أفتجوّز أيّها العاقل أنّ الكفّار المحاربين للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم والكاسرين لأسنانه والقاتلين للمسلمين في زمنه صلى الله عليه وآله والمتصدّين لايقاع البلايا والمحن عليه أن يكونوا في جميع ذلك معذورين غير مأثومين وأنّ دعاءه صلى الله عليه وآله عليهم في بعض الحروب كان عبثاً ولغواً بلا منشاء و أنّ المنشأ هو عدم الاقرار مع أنّه لا وجه لدعائه صلى الله عليه وآله وسلم عليهم في ذلك الحين خاصّة دون غيرهم أولهم في غير تلك الحال.

ورابعاً أنّ هذه الصحيحة معارضة بما في التهذيب في باب أنّ الجزية واجبة على جميع أهل الكتاب عن محمّد بن يعقوب الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن صدقات أهل الذمّة ومايؤخذ من جزيتهم من ثمن خمورهم ولحم خنازيرهم وميتتهم، قال عليه السلام: عليهم الجزية في أموالهم يؤخذ منهم من ثمن لحم الخنزير أو خمر كلّ ما أخذوا منهم من ذلك فوزر ذلك عليهم وثمنه للمسلمين حلال، يأخذونه في جزيتهم.

وهذا الخبر ليس في سنده من يتوقّف فيه سوى إبراهيم بن هاشم وهو على المشهور حسن كالصحيح وعندالمحقّقين من المتأخّرين كما ذكره المستدلّ وارتضاه ثقة، والسّندالمشتمل عليه إذاكان الباقي من رجال السّند لايتوقّف فيه صحيح، هذا مع أنّه لم يقل بهذا الاصطلاح الذي تصدّى لنا سلبه متأخّر وأصحابنا شكر الله سعيهم، فالحديث حجّة عنده ولو كان راويه من أكذب البريّة وصرّح بكذبه الأئمة وتصحيح سنده منّا تبرعيّ وسدّ لباب فرار الخصم لوادّعى مراعاة الصّحة في السّند بعد وقوع المعارضة بينه و بين ما صحّ سنده، ومع صحّة سنده كماترى صريح في ثبوت الوزر عليهم في استحلالهم ثمن مالايحلّ ثمنه في ملّة الاسلام و مع ثبوت الوزر عليهم في ذلك يثبت في المعاصي الّتي ذكرناها الّتي هى أشدّ منها و مقتضى الأولويّة الّتي تمسّك بها في اثبات مطلبه ثبوت الوزر عليهم في المعاصي التي هى أشدّ بطريق الأولويّة هذا، مضافا إلى عدم القول بالفصل

قال المحقّق الثاني المحقق الشيخ علي بعد ذكر هذا الخبر:

فيه دلالة على أنّ الكافر يؤخذ بما يستحلّه إذا كان حراماً في شريعة الاسلام و أنّ ما يأخذونه على اعتقاد الحلّ حلال علينا و إن كان ذلك الأخذ حراماً عندنا.

و مراده بقوله: يؤخذ بما يستحلّه المؤاخذة عليه و ايجاب ذلك العقاب لأخذ الجزية لتبادر الأوّل من العبارة.

و به اعترف من كتاب الزّكاة في مسألة استحباب ماسوى الزّكاة من الحقوق التي في المال من الضّغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة يوم الجذاذ حيث إنه من القائلين بالاستحباب مستنداً إلى رواية معاوية بن شريح قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: في الزّرع حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه.

حيث قال: المتبادر من هذه العبارة العقاب على تركه، و هو كناية عن الوجوب والالزام به شرعاً.

و استشهد لذلك بما في المصباح المنير من قوله: و أخذ بذنبه، عاقبه عليه، و إن كان في الاستشهاد نوع تأمّل.

و هذه الصّحيحة مع صراحتها في ذلك معتضدة بعمل كافّة العلماء إلاّ أبا حنيفة على اعترافه و معتضدة بأدلّة العقلاء الّتي ديدنه التمسّك بها فكيف يعارضها التي ذكرها المستدلّ.

مضافاً إلى معارضة الكتاب العزيز لها قال الله تعالى « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » وقد نهاهم الله عن القرب من المسجد الحرام و بمقتضى الصّحيحة لم يكن لهذا التّكليف وجه، و كذا تكليفهم بالجزية و أخذها منهم و ايجابها عليهم.

و يدلّ على أنّهم مكلّفون بشريعة الاسلام و فروعها زيادة على الايمان قوله عزّ من قائل: « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ولا يدينون دين الحقّ من الذين اوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون».

انظر ايّدك الله تعالى إلى ظهور هذه الآية في كونهم مكلّفين بتحريم ما حرّم الله والتّدين بدين الحق بل و صراحتها في ذلك، فانّهم لولم يكونوا مكلّفين بذلك لماكان لإرداف قوله: لايحرّمون ما حرّم الله، إلى آخره بقوله: لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر و إيراد ذلك في بيان منشاء مقابلتهم وأخذ الجزية منهم وجه، إذكان عدم الايمان كافياً في ذلك، فيصير الإرداف المذكور لغواً بحتاً و خالياً عن الفايدة بالمرّة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

و قال سبحانه أيضاً « والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون و من يفعل ذلك يلق أثاما ۝ يضاعف له العذاب يوم القيامة »

انظر إلى صراحة هذه الآية أيضاً فجعل العذاب المضاعف جزاء لهم على الأفعال المذكورة و من جملتها قتل النفس والزّنا ، فلولا أنّ كلاً من الأمور المذكورة يصير سبباً لضعف العذاب يوم القيامة أو المجموع من حيث المجموع لما كان لتأخير الاشارة أى لفظة ذلك عن جميع ذلك وجه، بل كان المناسب بل اللازم دفعاً لتوّهم الأشتراك إردافها بالأمر الأوّل فقط و هو الشّرك ليفيد إنفراده في السّببيّة.

والآيات الظاهرة في ذلك كثيرة ، والعمل بالصّحيحة يوجب ردّها بأجمعها و أىّ عاقل يرضى بهذا وقد أمروا عليهم السلام في أخبار كثيرة مستفيضة بالأخذ بما وافق الكتاب ، و هذه الأخبار متلقّاة بالقبول حتّى عند المستدلّ فالصّحيحة الموافقة له و هى ما ذكرناها ترجّح على الصحيحة المخالفة له وهى ما ذكرها.

و بعد هذا كلّه نقول :

الذى يفهم من الصحيحة غير مافهمه المستدّل و ذكره ، بل المراد منها والله العالم و قائله أعلم : أنّ مخاطبة الكفّار المنكرين غير المقرّين بالله ورسوله إلى معرفة الامام الذى هو نائبه و خليفته و من تجب إطاعته و توجيه الخطاب بذلك إليهم يكاد أن يكون ذلك لغواً ، و ذلك لايستلزم عدم إرادتها ومطلوبيّتها منهم.

و نظير ذلك في الشّرع كثير منه تكليف النائم و كذا الغافل و كذا فاقد

الطهور عند المحقّقين في الأخير و عند الكلّ في الأوّلين بقضاء الصلاة التي فاتتهما الذى هو عبارة عن تدارك مافات اتفاقاً . فلولا أنّ الصلاة مرادة ومطلوبة منهم في تلك الأحوال لما كان للأمر بالقضاء معنى .

و لذلك مثال في العرف كأن يكون لشخص عبد لايطيعه و يعصيه فلايأمره باطاعة وكيله مثلاً، ولايوجه إليه الخطاب باطاعة الوكيل مع أنّه لووجّهه لايطيعه جزماً ، فانّ ذلك لايوجب عدم المطلوبيّة منه وعدم إرادته على وجه الوجوب واللزوم لينحصر افيمادلّ عليه الأمر الخطابىّ.

فالمراد بقوله عليه السلام : كيف يجب عليه معرفة الامام ، أنّه كيف يوجّه الخطاب إليه.

و لذلك مثال آخر و هو أنّ الأمر بالشيء عند المحقّقين لايستلزم الامر بما هو مقدّمة لوجوده ، و يقولون بعدم حرمته من حيث إنّها مقدّمة و مع ذلك يقولون إنّ الخطاب بالاباحة و عدم الحرمة يكون لغواً و إن كان ماتضمّنه الخطاب حقّاً ، و يكون مثله كبيان الواضحات مثل أنّ النّائم لايبصر والأسود الزّنجى لايعلم الغيوب و أمثال ذلك، فعدم توجّه الخطاب من حيث القبح في الصدور لايستلزم عدم ما تضمّنه لوصدر و قبحه و ذلك واضح لايخفى.

قال صاحب الحدائق:

ومنها ما رواه الثقة الجليل أحمدبن أبيطالب الطبرسي في الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث الزّنديق الذى جاء إليه مستدلّا عليه بآى القرآن قد اشتبهت حيث قال عليه السلام :

فكان أوّل ماقيّدهم به الاقرار بالوحدانيّة و الرّبوبيّة و شهادة أن لاإله إلّا الله ، فلمّا أقرّوا بذلك تلاه بالاقرار لنبيّه صلى الله عليه وآله بالنّبوة والشهادة بالرّسالة ، فلمّا انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثمّ الصوم ثمّ الحجّ، الحديث.

و فيه بعد تسليم حجيّته بحسب السند حيث إنّه ليس من أخبار الكتب التي يدعى قطعيّتها؛ أنّ التكليفات في صدر الاسلام و أوّل البعثة صدرت تدريجاً ولم ينسخ

الشريعة السابقة دفعة، بل إنّما نسخ شيئاً فشيئاً ، و ليس ذلك من محلّ النزاع في شيء ؛ فانّه لاريب أنّهم متعبّدون بشريعتهم السابقة، ولكن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينسخها عنهم دفعة بل أبقاهم في أوّل الشريعة على شريعتهم و نسخ منها شيئاً فشيئاً فأوجب عليهم بعض التكاليف تدريجاً ، و ذلك لايستلزم عدم كونها مكلّفين بالتكاليف في شريعتنا بعد انتساخ شريعتهم، قال:

ومنها ما رواه الثقة الجليل عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى « وويل للمشركين الّذين لايؤتون الزّكوة وهم بالآخرة هم كافرون» حيث قال عليه السلام :

أترى أنّ الله عزّ وجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به حيث يقول: وويل للمشركين الذين لايؤتون الزّكوة وهم بالآخرة هم كافرون ، إنّما دعى الله العباد للايمان به فاذا آمنوا بالله و رسوله افترض عليهم الفرض.

قال المحدّث الكاشاني في كتاب الصافي بعد نقل الحديث المذكور:

أقول: هذا الحديث يدلّ على ما هو التحقيق عندي من أنّ الكفّار غير مكلّفين بالأحكام الشرعيّة ماداموا باقين على الكفر، انتهى.

و فيه بعد تسليم السّند الحمل على التّقيّة لكونه مذهب أبي حنيفة كما اعترف، و هو قد كان في زمان مولينا الصادق عليه السلام ومن تلامذته، ومذهبه كان مشهوراً بينهم في زمانه.

والشاهد على الحمل على التّقيّة و تعيّنه أنّه مع عدم هذا الحمل يلزم مناقضة مضمون الخبر لنصّ الآية ، فانّها صريحة فى أنّ المراد بالمشركين هم الكفّار الذين لايؤمنون بالآخرة حيث وصفهم فيها بقوله :وهم بالآخرة هم كافرون.

و حينئذ فمقتضى الخبر أنّ مورد الآية إمّا المسلمون أو الذين لانعرفهم أولا مورد لها، والأخيران باطلان جزماً، و كذلك الأوّل لأنّه يلزم أن يكون المسلمون والمؤمنون مشركين كافرين بيوم الآخر، فيحكم بنجاستهم و كفرهم و عدم قربهم من المسجد الحرام وغيرذلك من أحكام الكفر، كما فعل ذلك المستدلّ في الحكم

بكفر المخالفين من حيث إطلاق الكفر عليهم في الأخبار و جعلهم بذلك كفاراً حقيقة بالكفر المقابل للاسلام فاذاكان مؤمن لايؤتى الزكاة يلزم الحكم بكفره و شركه و نجاسته و استحقاقه للخلود في النار و هو قطعيّ الفساد عند المستدلّ و عندالكلّ، هذا .

مع أنّ الشرك والكفر بالاخرة الواقعين في الآية وصفا لمن لايؤتي الزكاة حقيقة فيمن صدر عنه هذان الوصفان ، و ليس المسلم كذلك جزماً و وجداناً ، و حينئذ فالعمل بالخبر يستلزم إلغاء الآية و عدم وجود مصداق لها أوالقول بكفر من لايؤت الزكاة من المؤمنين و شركه و ترتّب أحكامهما عليه ولاأراه يقول به.

وبالجملة ظاهرالخبرمناقض لصريح الآية وقد قالوافي أخبار كثيرة : ماخالف الكتاب فاضربوه على الحائط، وأيّ مخالفة أشدّ منهذه المخالفة.

ولو قيل بكونهذا الخبر تفسيراًلها ووجوب المصير إليه لزم منه طرحتلك الأخبار ويلزم منه أنلايوجدمصداقلتلكالأخبارالآمرةلضربالمخالفللقرآنعلى الحائط إذ كلّخبر مخالف يحتملأن يكونتفسيراً للقرآن وإن لم يرد فيتفسيره فأيّخبر يعلم منه المخالفة للقرآن.

و بمقتضى جميع ما ذكر يتعيّن الحمل علىالتقيةالّتيهيباعترافالمستدلّ رأس كلّ آفة و بليّة.

مع أنّه يحتمل أن يكون المراد بهذا الخبر ما قدّمناه في الاعتراض على الخبر الأوّل من أنّ عدم توجّه الخطاب إليهملاينافيمطلوبيّته منهم ،أوماقدّمناه في الاعتراض على الخبر الثاني من أنّهم في صدر الاسلام و أوّل البعثة لم يؤمروا بذلك ، و إنّما كلّفوا بالتكاليف شيئاً فشيئاً ، و إليه يشير قوله عليه السلام في آخر الخبر : إنّما دعا الله العباد للايمان ، و على ذلك فلادلالة فيه على مارامه.

قال صاحب الحدايق:

و مما يدلّ علىذلك ماورد عن الباقرعليه السلام في تفسير قوله تعالى « أطيعواالله و أطيعوا الرّسول و أُولى الأمر منكم» حيث قال: كيف يأمر بطاعتهم و يرخّص في

منازعتهم ، إنّما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول.

أقول: تمام الحديث ما رواه في الكافي عن بريد العجلى قال : تلا أبو جعفر عليه السلام أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واولى الأمر منكم فان خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله وإلى الرّسول وإلى أولى الأمر منكم، ثمّ قال: كيف يأمر بطاعتهم ويرخّص في منازعتهم إنما قال ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول.

و هو كما ترى لادلالة فيه على ما رامه المستدلّ بوجه، بل محصّل معناه أنّه كان في مصحفهم عليهم السلام فارجعوه مكان فردّوه ويحتمل أن يكون تفسيراً له كما أنّ قوله فان خفتم تنازعاً للأمر تفسير لقوله فان تنازعتم في شيء ، و يستفاد منه أيضاً أنّه كان في مصحفهم وإلى أولى الأمر منكم ، فيدلّ على أنّه لايدخل اولوا الأمر في المخاطبين بقوله:إن تنازعتم ، كما زعمه المفسّرون من المخالفين،فقوله: كيف يأمر بطاعتهم و يرخّص في منازعتهم ، يريد به أنّ الله سبحانه أمر بطاعتهم أولاً بقوله: و أطيعوا الرّسول و اولى الأمر منكم ، و مع ذلك فلايجوز إدخالهم في المخاطبين بقوله: فان تنازعتم إذ وجوب الاطاعة لايجتمع مع التّرخيص في المنازعة فلابدّ أن يكون المقصود بالخطاب غيرهم ، و هم الذين امروا أوّلاً باطاعة الله و الرّسول و اولى الأمر ، فاُمروا ثانياً عند التّنازع بالرّدّ و الرّجوع إليهم أيضاً ، فافهم جيّدا .

الثالث لزوم تكليف مالا يطاق إذ تكليف الجاهل بما هو جاهل به تصوّراً و تصديقاً عين تكليف مالايطاق ، و هو ممّا منعته الأدلة العقليّة والنّقلية لعين ما تقدّم في حكم معذورية الجاهل ، و إليه يشير كلام الذخيرة في مسألة الصلاة مع النّجاسة عامداً حيث نقل عن بعضهم الاشكال في إلحاق الجاهل بالعامد، وقال بعده: والظاهر أنّ التكليف متعلّق بمقدّمات الفعل كالنّظر والسعى والتعلّم، وإلاّ لزم تكليف الغافل أو التكليف بمالايطاق، والعقاب يترتّب على ترك النظر « إلي أن قال» ولايخفى أنّه يلزم على هذا أن لايكون الكفّار مخاطبين بالأحكام و إنّما يكونون

مخاطبين بمقدّمات الأحكام، و هذا خلاف ما قرّره الأصحاب رضي الله عنهم وتحقيق المقام من المشكلات.

قال صاحب الحدايق بعد نقل هذا الكلام:

لا إشكال بحمدالله سبحانه فيما ذكره بعد ورود الأخبار بمعذوريّة الجاهل حسبما مرّ، و ورودها بخصوص الكافر كما نقلناها هنا، و لكنّهم يدورون مدار الشّهرة في جميع الأحكام و إن خلت عن الدّليل في المقام سيّما مع عدم الوقوف على ما يضادّها من أخبار أهل الذكر عليهم السلام.

و فيه أوّلاً أنّ هذا الدّليل أخصّ من المدّعى لا يشمل من تصوّر أحكام الاسلام و عرفه.

و ثانياً إن كان مراده بذلك الجاهل المستضعف الذي لا يعرف الاسلام و لم يسمع صيته أصلا فلا كلام فيه.

و إن أراد من سمع صيت الاسلام و عرفه فلا نسلم أنّه جاهل تصوّراً وتصديقاً بل لاريب أنّه عالم بالشّرايع الموظفة ولو إجمالا.

نعم ليس عالماً بذلك تفصيلا فهو متصوّر لما في الاسلام من شريعة وأحكام كما أنّا مثلا عارفون بدين أهل الكفر و أنّ لهم شرايع و أحكاماً و إن كنّا جاهلين بذلك تفصيلا، و هذا القدر من العلم يكفي.

و لذلك ان أصحابنا لا يعذرون الجاهل في الأحكام نظراً إلى علمه بذلك إجمالا ولو لم يكف هذا المقدار لزم أن لا يكلّف المقرّ بالله و رسوله بمعرفة الامام والفروع أصلا حتّى الصّلاة والزّكاة والحجّ ولا يعاقب بتركها أيضاً، ويكون الأمر بالمعرفة الواردة في الأخبار ليس فيه فايدة، و من الفروع وجوب تحصيل المعرفة بالأحكام و على ما ذكره يلزم أن لا يكونوا مكلّفين، و هو ممّن يقول بوجوب تحصيل المعرفة على المسلمين.

و على قوله لم يكن فرق بينها و بين ساير الواجبات والمحرّمات إذالجهل الذي هو علّة لعدم تعلّق التكليف بماوراء المعرفة من حيث استلزامه التكليف بما

لايطاق جاء في نفس المعرفة أيضاً فأنّى له بالفارق، هذا.

مع أنّه لوصحّ ماذكر يلزم قبح التكليف بالاصول أيضاً لاتّحاد العلّة بل ازديادها فيها، و ذلك فانّ من تيقّن بطلان الاسلام فضلاعن أن يجهله مكلّف بالأصول جزماً فتكليف من هو جاهل بها أولى كما لايخفى .

و يلزم على ذلك خروج اكثر الكفار لولم يكن كلّهم عن التكليف بالاسلام لاستحالة تكليف الجاهل فضلا عن العالم ، ولاريب أنّ كلّ من دان بدين إلاّ من شذّ متيقّن بدينه جازم بصحّته ، ففي حال الجزم واليقين كيف يكلّف بالعلم ببطلان ماعلمه وفساد ماتيقّن به .

وبذلك يظهر أنّهم ليسوا مكلّفين بالاصول والحال أنّ المستدلّ لايقول به ، وليت شعري كيف لايلتزم به مع اقتضاء دليله ذلك وجريانه فيه بل أولى بالجريان كما عرفت ، هذا .

وقد يقرّر هذا الدّليل أعني لزوم التكليف بما لايطاق بوجه آخر وهوأنّ الكافر غير قادر على الاتيان بالعبادة الصّحيحة المشروطة بالايمان .

واجيب عنه بأنّا نقول انّهم مكلّفون بالفروع حال الكفر لا بشرط الكفر فالكفر ظرف للتّكليف لا للمكلّف فلايلزم التكليف بمالا يطاق .

الرابع الأخبار الدّالّة على وجوب طلب العلم كقولهم ﷺ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم فانّ موردها المسلم دون مجرّد البالغ العاقل.

و فيه أنّ الاستدلال بتلك الأخبار موقوف على القول بحجيّة مفهوم اللّقب و هو مع كونه خلاف التّحقيق لايقول به المستدلّ أيضاً فلا وجه لاستدلاله بها على المدّعى .

الخامس اختصاص الخطاب القرآني بالذين آمنوا، و ورود يا أيّهاالنّاس في بعض و هو الأقلّ يحمل على المؤمنين حملا للمطلق على المقيّد والعام على الخاص كما هو القاعدة المسلّمة بينهم.

و الجواب ما قدّمنا في الدّليل السّابق ، و هو أنّ دلالته من حيث مفهوم

اللّقب الذى ليس بحجّة عنده و عند المحقّقين.

تكملة

هذا الكلام الشّريف له عليه السلام حسبما أشرنا إليه مروىّ في الكافي عن على ابن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي حمزة عن عقيل الخزاعى أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان إذا حضر الحرب يوصى للمسلمين بكلمات يقول:

تعاهدوا الصّلاة و حافظوا عليها ، و استكثروا منها، و تقرّبوا بها فانّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفّار حين سئلوا ، ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين وقد عرف حقّها من طرقها وأكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع ولا قرّة عين من مال ولا ولد يقول الله عزّ وجلّ: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصّلوة، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله منصباً (١) لنفسه بعد البشرى له بالجنّة من ربّه فقال عزّ وجلّ: و أمر أهلك بالصّلوة واصطبر عليها، الآية ، فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه.

ثمّ إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الاسلام على أهل الاسلام، ومن لم يعطها طيب النّفس بها يرجو بها من الثّمن ما هو أفضل منها فانّه جاهل بالسنة مغبون الأجر ضالّ العمر طويل النّدم بترك أمر الله عزّ وجلّ والرغبة عمّا عليه صالحو عباد الله يقول الله عزّ وجلّ : و من يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى من الأمانة فقد خسر من ليس من أهلها و ضلّ عمله عرضت على السّماوات المبنيّة والأرض المهاد والجبال المنصوبة فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم ولو امتنعن « امتنعت خ ل » من طول أو عرض أو عظم أو قوّة أو عزّة امتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة.

ثمّ إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الاسلام، و هو قوام الدّين والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة و هو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشّهادة و بالرّزق غداً عند الرّب والكرامة يقول الله عزّ وجلّ : ولا تحسبنّ الذين قتلوا

١- أى متعباً .

في سبيل الله أمواتاً بل أحياء الآية.

ثم إنّ الرّعب والخوف من جهاد المستحقّ للجهاد و المتوازرين على الضلال ضلال في الدّين و سلب للدّنيا مع الذلّ والصّغار ، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزّحف عند حضرة القتال يقول الله عزّ وجلّ : يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار.

فحافظوا على أمر الله عزّ وجلّ في هذه المواطن الّتي الصّبر عليها كرم و سعادة، و نجاة في الدّنيا والآخرة من فظيع الهول و المخافة ، فانّ الله عزّ وجلّ لايعبأ بما العباد مقترفون ليلهم و نهارهم لطف به علماً، و كان «كل خ ل» ذلك في كتاب لايضلّ ربّي ولا ينسى ، فاصبروا و صابروا و اسألوا النّصر ، و وطنوا أنفسكم على القتال واتّقوا الله عزّ وجلّ ، فانّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون.

بيان

رواه المحدّث العلامة المجلسيّ في البحار من الكافي كما رويناه و قال بعد نقله:

قوله: من طرقها، لعلّه من الطروق بمعنى الاتيان باللّيل أي واظب عليها في اللّيالي و قيل: أي جعلها دأبه و صنعته من قولهم هذا طرقة رجل أي صنعته.

ولايخفى مافيه ولايبعد أن يكون تصحيف طوّق بها على المجهول أي ألزمها كالطّوق بقرينة اكرم بها على بناء المجهول أيضاً .

قوله على أهل الاسلام ، الظاهر أنّه سقط هنا شيء قوله : من الأمانة ، لعلّه بيان لسبيل المؤمنين ، أي المراد بسبيل المؤمنين ولاية أهل البيت عليهم السلام وهي الامانة المعروفة.

قوله عليه السلام : وهو الكرّة ، أي الحملة على العدوّ وهي في نفسها أمر مرغوب فيه اذ ليس هو الاّ مرّة واحدة وحملة فيها سعادة الأبد ، ويمكن أن يقرء الكرّة بالهاء ، أي هو مكروه للطباع فيكون إشارة إلى قوله تعالى : كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، ولعلّه أصوب .

و قال الجوهري : زحف إليه زحفاً ، مشى و الزّحف الجيش يزحفون إلى العدوّ ، وقوله : لطف به ، الضمير راجع إلى الموصول في قوله : ما العباد مقترقون .

الترجمة

ازجمله كلام بلاغت نظام آن امام است وصيّت ميكرد با آن أصحاب خودرا مى‌فرمود :

مواظبت نمائيد بأمر نماز ومحافظت نمائيد بر آن و بسيار كنيد از گذاردن آن وتقرّب جوئيد بدرگاه پروردگار باآن ، پس بدرستى كه بوده است آن نماز برمؤمنين فرض‌واجب ، آيا گوش نميكنيد بسوى جواب اهل آتش وقتى كه سؤال كرده شدند كه چه باعث شد بآمدن شما در دوزخ ، گفتند نبوديم مادر دنيا ازنماز گذارندگان ، وبدرستى كه آن نماز مى‌ريزد گناهانرا مثل ريختن برگ ازدرختان وبرميدارد قيد گناهان را ازگردن گناه‌كاران مثل برداشتن بند ريسمان از گردن حيوان .

و تشبيه فرموده است نمازهاى پنج گانه را حضرت رسالتمآب صلوات الله وسلامه عليه وآله بچشمهٔ آب گرمى كه باشد درخانهٔ مردپس بشويد آن مرد بدن خود را درآن چشمه در روز وشب پنج دفعه ، پس‌نزديك نيست كه باقى‌ماند بر بدن اوچركى و كثافتى ، وبتحقيق كه شناخت قدرنماز را مردانى از مؤمنين كه مشغول نميكند ايشان را از آن نماز زينت متاع دنيا ونه چشم روشنى از اولاد ونه مال آن مى‌فرمايد حقتعالى درشان‌ايشان: رجال‌لاتلهيهم‌الآية ، يعنى تسبيح كند خداوندرا مردانى كه مشغول‌نمى نمايد ايشان را تجارت وخريد وفروش ازذكر پروردگار واز اقامه نماز وازدادن زكاة وبودحضرت رسول‌خدابغايت متحمل بمشقّت وزحمت نماز با وجود اينكه بشارت بهشت داده بود او را بجهت فرمايش خدا كه خطاب فرمود اورا كه : امر كن اهل خود را بنماز و صبر كن بزحمت آن ، پس بود آن بزرگوار امر مى‌فرمود اهل خودرا و وادار مينمود نفس خود را بر آن .

پس از آن بدرستیکه زکاة گردانیده شده با نماز مایهٔ تقرّب خدا از برای اهل اسلام پس کسیکه عطا نماید زکاة را درحالتی که با طیب نفس بدهد آنرا پس بدرستی که باشد آن از برای او کفّارهٔ گناهان و حاجب و مانع از آتش سوزان ، پس البتّه نباید احدی چشمش برپشت آن بدوزد ، والبته نباید غمگین و پریشان شود بآن ازجهت این که هر کسی که بدهد زکاة را با وجهِ اکراه وعدم طیب نفس در حالتی که امیدوار باشد بجهت دادن آن ثوابی را که أفضل باشد از آن پس آن کس جاهلست بسنّت ، مغبونست در اجرت ، گمراهست در عمل ، دراز است پشیمانی وندامت آن .

پس از آن أداءِ أمانت است پس بتحقیق که نومید شد کسی که نبوده ازأهل آن ، بدرستیکه آن امانت اظهارشد بر آسمانهای بناشده ، وبرزمینهای فرش شده ، وبر کوههائی که صاحب بلندیومنصوبست برزمین پس نیست هیچ چیزدرازتر وپهن‌تر وبلندتر و بزرگتراز آنها ، واگر امتناع می‌نمودی چیزی بجهت درازی یاپهنی یا بجهت قوّت یا عزّت هر آینه آنها امتناع میکردند ، ولکن ترسیدند از عذاب پروردگار ، وفهمیدند چیزی را که جاهل شد بآن کسیکه ضعیف تر ازایشان بود که عبارت باشد ازانسان ، بدرستی که آن انسان بسیار ظالمست بسیار نادان ، بدرستی که خدای تعالی مخفی نمی‌ماند براوچیزی که بندگان کسب نمایند آنرا درشب وروز خودشان ، لطیف خبیراست به‌کارایشان ، ومحیط است با علم خودبآن ، أعضاء شما شاهدان اویند ، وجوارح شما لشکران او ، وقلبهای شما جاسوسان او ، وخلوتهای شما آشکاراست درنظرآن .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والتاسع و التسعون من المختار فى باب الخطب

وَاللهِ مامُعاوِيَةُ بِأَدْهى مِنّي، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلا كَراهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النّاسِ، وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَاللهِ ما أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

اللغة

(الدّهي) بسكون الهاء والدّهاء الفكر والارب وجودة الرّأي و(غدر) غدراً من باب ضرب ونصر نقض عهده و (فجر) يفجر من باب قتل و(الغدرة) و (الفجرة) و(الكفرة) كلّها في بعض النسخ بفتح الفاء وسكون العين وزان تمرة فالتّاء للمرّة، وفي بعضها بتحريك الفاء والعين وزان مردة فيكون جمع غادر وفاجر وكافر، و في بعضها بضمّ الفاء وفتح العين وزان همزة فالتّاء للمبالغة أى الكثير الغدر و الفجور والكفر، فان أسكنت العين فالبناء للمفعول تقول: رجل سخرة، كهمزة يسخر من الناس، و سخرة كغرفة من يسخر منه.

(ولا أستغمز) بالزاء المعجمة من الغمز وهو العصر باليد يقال غمزه غمزاً من باب ضرب، والغمز محرّكة الرّجل الضعيف قال الشارح البحراني: وروى بالرّاء المهملة أى لا استجهل بشدايد المكايد، انتهى. ولعلّه من الغمر بالتحريك و هو من لم يجرّب الامور والأوّل أصوب و أنسب.

الاعراب

الباء في قوله: بأدهى زايدة في الخبر جيء بها لتأكيد معنى النّفي كما في قوله تعالى «وما الله بغافل عمّا تعملون» وقوله : بالشديدة ، صفة محذوفة الموصوف أى بالدّواهى الشديدة ونحو ذلك .

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام دفع توهّم من كان معتقداً أنّ معاوية أجود رأياً وأكثر تدبيراً منه . وتعرّض به على معاوية من أجل عدم تحرّزه في تدبير الامور عن الغدر والفجور ، وصدّر الكلام بالقسم البارّ تأكيداً للمقصود فقال :

(والله ما معاوية بأدهى منّي) أي ليس بأجود رأياً وأحسن تدبيراً وأبعد غوراً وأعمق فكراً وأشدّ دهاءً منّي، وإن فسّر الدّهاء بخصوص استعمال العقل والرّأى فيما لاينبغي فعله من الامور الدّنيويّة المعبّر عنه بالنّكراء فلابدّ من جعل قوله عليه السلام أدهى بمعنى أعرف بطرق الدّهاء وأبصر بها ، لعدم اتّصافه بالدّهاء بهذا المعنى فضلاً عن كونه أدهى .

(ولكنّه يغدر ويفجر) أى يستعمل الغدر في اُموره السيّاسيّة فيزعم أهل الجهل أنّه أدهى .

وقوله : ويفجر، إشارة إلى نتيجة الغدر يعني أنّه من أجل إقدامه على الغدر يكون فاجراً ، وذلك لأنّ الغدر مقابل الوفاء ، و الوفاء فضيلة داخلة تحت العفّة ، فيكون الغدر رذيلة داخلة تحت الفجور .

وأيضاً الوفاء توأم الصّدق والغدر توأم الكذب حسبما عرفت تفصيلا في الخطبة الحادية والأربعين وشرحها ، والكذب من أعظم الفجور .

وايضاح هذه الفقرة ماتقدّم في الخطبة المذكورة حيث قال عليه السلام هناك :

ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ، مالهم قاتلهم الله قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة و دونه

مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لاحريجة له في الدّين .

و روى في الكافي في حديث مرفوع عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قلت له : ماالعقل ؟ قال : ماعبد به الرّحمن واكتسب به الجنان ، قال : قلت : فالّذى كان في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء تلك الشّيطنة ، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل .

و لمّا نبّه على أنّ اتّصاف معاوية بالدّهاء من جهة عدم مبالاته بالغدر والفجور ، عقّبه بالتّنبيه على ما هو المانع من اتّصافه عليه السلام به مع كونه أعرف وأغدر به منه فقال :

(ولولا كراهيّة الغدر) والمكر واستلزامه للكذب والغشّ والخيانة والفجور المنافي لمرتبة العصمة (لكنت من أدهي النّاس) فيدلّ هذه الجملة بمقتضي مفاد لولا الامتناعيّة على امتناع اتّصافه بالدّهاء الملازم للغدر .

والمراد بالكراهة هنا الحرمة لا معناها المعروف في مصطلح المتشرّعة كما صرّح به في عبارته الّتي نقلناها آنفا من الخطبة الحادية والاربعين أعني قوله : قديرى الحوّل القلّب وجه الحيلة و دونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها .

وأصرح منه مارواه فى الكافى عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لولا أنّ المكر والخديعة فى النّار لكنت أمكر النّاس .

وأصرح منهما قوله : (ولكن كلّ غدرة فجرة وكلّ فجرة كفرة) وقد روى نظير هذه العبارة عنه عليه السلام فى الكافى باسناده عن الاصبغ بن نباته قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة : أيّها الناس لولا كراهيّة الغدر كنت أدهى النّاس ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة ولكلّ فجرة كفرة ، ألا و إنّ الغدر والفجور والخيانة فى النّار .

قال بعض شرّاح الكافى : الظاهر أنّ اللاّم فى لكلّ مفتوحة للمبالغة فى

التأكيد ، وقوله : الغدر والخيانة في النّار ، إمّا على حذف المضاف أي صاحبها ، أوالمصدر بمعنى الفاعل ، هذا .

فان قلت : استلزام الغدر للفجور المستفاد من قوله عليه السلام : ولكن كلّ غدرة فجرة قد عرفنا وجهه سابقا ، وأمّا استلزام الفجور للكفر المستفاد من قوله : و كلّ فجرة كفرة فما الوجه فيه ؟ ،

قلت : قال بعض الشّارحين : وجه لزوم الكفرهنا إنّ الغادرعلى وجهاستباحة ذلك واستحلاله كما كان هوالمشهور من حال عمروبن العاص و معاوية في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحده هوالكفر .

وقال الشارح البحراني : ويحتمل أن يريد كفر نعم الله وسترها باظهارمعصية كما هوالمفهوم اللغوى من لفظ الكفر، انتهى .

و يتوجّه على الأوّل أوّلاً أنّه أخصّ من المدّعى لأنّ المدّعى هو كفر كلّ غادر كماهوظاهرالمتن لا الغادر المستبيح المستحلّ للغدر فقط ، وثانياً كون حرمة الغدرمن ضروريّات الدّين غير معلوم .

وعلى الثّاني أنّه خلاف الظاهر .

و الأظهر أنّه داخل في القسم الرّابع من أقسام الكفر التي تقدّم تفصيلها في حديث الكافي في شرح الفصل الثامن عشر من الخطبة الاولى ، فقد روينا هناك عن الكليني باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ على خمسة أوجه « إلى أن قال» الوجه الرّابع من الكفر ترك ما أمر الله وهوقول الله تعالى « و إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم و لا تخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم و أنتم تشهدون ٭ ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم و العدوان و إن يأتوكم اسارى تفادوهم و هو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض » فكفرهم بترك ماأمر الله ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم فقال « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزى في الحيوة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب » .

وقوله (ولكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة) قال الشّارح المعتزلي : حديث صحيح مرويّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أقول : وهو تنفير عن الغدر.

ونحوه ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلي عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يجيء كلّ غادر يوم القيامة بامام مايل شدقه حتّى يدخل النّار ، و يجيء كلّ ناكث بيعة إمام أجذم حتّى يدخل النّار ، هذا .

ولمّا ذكر أنّ معاوية ليس بأدهى منه ونبّه على معرفته بطرق الدّهاء و خبرويّته بها أكّده بقوله :

(والله مااستغفل بالمكيدة) أي لايطمع في إغفالي بالكيد عليّ ، لأنّي أحذر من الغراب وإن كان الطامع في الكيد أروغ من الثّعلب ، فانّ من كان أعرف بطرق الخداع ووجوه التّدابير والحيل لايتمكّن من إغفاله و لا يلحقه الغفلة عمّا يراد في حقّه من الكيد و الخديعة كما قال عليه السّلام في الكلام السّادس : والله لا أكون كالضّبع تنام على طول اللّدم حتّى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها .

(ولااستغمز بالشّديدة) أي لااستضعف بالخطوب الشّديدة والدّواهي العظيمة لأنّي البطل الأهيس والحازم الأكيس والشّجاع الأسوس .

فقد اتّضح كلّ الوضوح بما أتى به في هذا الكلام بطلان توهّم من زعم أنّ معاوية كان أدهى منه عليه السّلام وأصحّ تدبيراً .

وقد بسط الكلام في هذا المرام أبوعثمان الجاحظ على أحسن تقرير وتبيان و فصّل الشارح المعتزلي تفصيلا عجيباً أحببت نقل ماقالا، لأنّه من لسانهما أحلى فأقول :

أما الجاحظ فقد قال في محكيّ كلامه :

و ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامة ويظنّ أنّه من الخاصة يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً وأصحّ فكراً وأجود

رويّة وأبعد غاية وأدقّ مسلكا ، وليس الأمر كذلك وسأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه و المكان الّذي دخل عليه الخطاء من قبله .

كان علي عليه السلام لايستعمل في حربه إلاّ ماوافق الكتاب والسنّة .

و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقي كسرى ، وخاقان إذا لاقي رتبيل .

وعلي عليه السلام يقول : لاتبدؤا بالقتال حتّى يبدؤكم ، ولاتتبعوا مدبراً ، ولاتجهزوا على جريح ، ولاتفتحوا باباً مغلقاً ، وهذه سيرته في ذي الكلاع وفي أبي أعور السلّمي، وفي عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والأتباع والسّفلة .

وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات تبيّتوا . وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا وإن أمكن ذلك في طرفة عين ، ولم يؤخّروا الحرق إلى وقت الغرق ، وإن أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار ، ولم يدعوا أن ينصبوا المجانيق والعرادات والنّقب والشريب والدّبابات والكمين ، ولم يدعوا دسّ السّموم ولا التضريب بين النّاس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسّعايات وتوهيم الامور وايحاش بعضهم من بعض وقتلهم بكلّ آلة وحيلة كيف وقع القتل و كيف دارت بهم الحال .

فمن اقتصر من التدبير حفظك الله على ما في الكتاب والسنّة وكان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير ومالايتناهي من المكايد ؛ والكذب أكثر من الصّدق والحرام أكثر عدداً من الحلال ، وكذلك الايمان والكفر والطاعة والمعصية والحقّ والباطل ، وكذلك الصّحة والسّقم و الصّواب والخطاء .

فعليّ عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلاّ ما هولله عزّ وجلّ رضىً ، وممنوع اليدين عن كلّ بطش إلاّ ماهولله رضىً ، ولايرى الرّضاء إلاّ فيما يرضاه الله ويحبّه ، ولايرى الرّضاء إلاّ فيمادلّ عليه الكتاب والسنّة دون ما يقول عليه أصحاب الدّهاء والنّكراء والمكايد والآراء .

فلمّا أبصرت العوام كثرة بوادر معاوية في المكايد ، و كثرة غرايبه في الخدع ، وما اتّفق له وتهيّأ على يده ، ولم يروا ذلك من عليّ ، ظنّوا بقصر عقولهم أنّ ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند عليّ فقالوا ولو لم ما يُعدّ له من الخدع إلاّ رفع المصاحف .

ثمّ انظر هل خدع بها إلاّ من عصى رأى عليّ وخالف أمره، فان زعمت أنّه قد نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت وليس في هذا اختلفنا ، ولا عن غرارة أصحاب عليّ عليه السلام و عجلتهم و تسرّعهم وتنازعهم دفعنا ، وإنّما كان قولنا في التميز بينهما في الدّهاء والنكراء وصحّة الرّأي و العقل .

على أنّا لانصف الصالحين بالدّهاء والنكراء ، ولا يقول أحد عنده شيء من الخير : كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدهى العرب والعجم وأنكر قريش وأنكر كنانة .

لأنّ هذه الكلمة إنّما وضعت في مديح أصحاب الارب ومن يتعمّق في الرأى في توكيد أمر الدّنيا وزبرجها وتشديد أركانها .

فأمّا أصحاب الآخرة الّذين يرون النّاس لا يصلحون على تدبير البشر و انّما يصلحون على تدبير خالق البشر لايمدحون بالدّهاء و النكراء ، ولم يمنعوا إلاّ ليعطوا أفضل منه .

وأما الشارح المعتزلى فقد قال :

إنّ السّايس لايتمكّن من السّياسة البالغة إلاّ إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره ، سواء وافق الشريعة أولم يوافقها ، و متى لم يعمل في السّياسة بمقتضى ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوسق حاله .

وأمير المؤمنين عليه السلام كان مقيّداً بقيود الشريعة ، مدفوعاً إلى اتّباعها و رفض مايصلح من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً ، فلم يكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك .

و لسنا زارين بهذا القول على عمر بن الخطّاب ، ولكنّه كان مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان و المصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النّص بالآراء وبالاستنباط من اصول يقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النّصوص ، ويكيد خصمه ويأمر

أمراءه بالكيد والحيلة ، ويؤدّب بالدرّة والسوط من يتغلّب على ظنّه أنّه يستوجب ذلك ، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقّون به التأديب كلّ ذلك بقوّة اجتهاده وما يؤدّيه إليه نظره .

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك ، وكان يقف مع النصوص والظواهر ولايتعدّاها إلى الاجتهاد والأقيسة، ويطبّق امور الدّنيا على امور الدّين ، و يسوق الكلّ مساقاً واحداً ، ولايضع ولايرفع إلاّ بالكتاب والنّصّ ، فاختلف طريقتاهما في الخلافة والسّياسة .

وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة ، وكان عليّ عليه السلام كثير الحلم والصّفح والتجاوز فازدادت خلافة ذلك قوّة ، وخلافة هذا ليناً .

ولم يمن عمر بما مني عليّ به من فتنة عثمان الّتي أحوجته إلى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة .

ثمّ تلى تلك الفتنة فتنة الجمل وفتنة صفّين ثمّ فتنة النّهروان وكلّ ذلك الامور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي واغلال معاقد ملكه ، ولم يتّفق لعمر شيء من ذلك فشتّان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وصحّة تدبير الخلافة .

فان قلت : فما قولك في سياسة الرّسول صلّى الله عليه وآله وتدبيره أليس كان منتظماً سديداً مع أنّه كان لايعمل إلاّ بالنّصوص والتوقيف من الوحي ، فهلاكان تدبير عليّ عليه السلام وسياسته كذلك ؟ .

قلت : أمّا سياسة الرّسول صلّى الله عليه وآله وتدبيره فخارج عمّا نحن فيه ، لأنّه معصوم لايتطرّق العلّة إلى أفعاله ، وليس بواحد من هذين الرّجلين بواجب العصمة عندنا «إلى أن قال» :

وكان أبو جعفر بن أبي زيد الحسني نقيب البصرة إذا حدّثناه في هذا يقول : إنّه لافرق عند من قرء السير بين سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسياسة أصحابه أيّام حياته ، و بين سيرة أمير المؤمنين وسياسة أصحابه أيّام حياته، فكما أنّ عليّاً عليه السلام لم يزل أمره مضطرباً معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلى أعدائه وكثرة اختلافه و الحروب

فكذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممنواً بنفاق المنافقين وأذاهم وخلاف أصحابه عليه وهرب بعضهم إلى أعدائه و كثرة الحروب والفتن .

و كان يقول: ألست ترى القرآن العزيز مملوّاً بذكر المنافقين والشكوى منهم والتألّم من أذاهم له ، كما أنّ كلام عليّ مملوّ بالشكوى من منافقي أصحابه والتألّم من أذاهم له .

ثمّ ذكر كثيراً من الآيات المتضمّنة لنفاق المنافقين والشكوى منهم لا حاجة بنا إلى ذكرها ثمّ قال :

فمن تأمّل كتاب العزيز علم حاله صلوات الله عليه مع أصحابه كيف كانت ولم ينقله الله إلى جواره إلاّ و هو مع المنافقين له والمظهرين خلاف مايضمرون من تصديقه في جهاد شديد ، حتّى لقد كاشفوه مراراً فقال لهم يوم الحديبيّة : احلقوا و انحروا ، فلم يحلقوا ولم ينحروا ولم يتحرّك أحد منهم عند قوله، و قال له بعضهم و هو يقسم الغنائم : اعدل يا محمد فانّك لم تعدل، و قالت الأنصار له مواجهة يوم حنين أتأخذ ما أفشاه الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة، حتى أفضى إلى أن قال لهم في مرض موته: ايتوني بدواة و كتف أكتب لكم مالا تضلّون بعده، فعصوه و لم يأتوه بذلك وليتهم اقتصروا على عصيانه و لم يقولوا له ما قالوا وهو يسمع قال:

و كان أبو جعفر يقول من هذا ما يطول شرحه والقليل منه ينبيء عن الكثير و كان يقول:

إنّ الاسلام ماجلا عندهم ولاثبت في قلوبهم إلاّ بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم حين فتح عليهم الفتوح و جائتهم الغنائم والأموال و كثرت عليهم المكاسب و ذاقوا لذّة الحياة و عرفوا لذّة الدّنيا و لبسوا الناعم و أكلوا الطيب و تمتّعوا بنساء الرّوم و ملكوا خزائن كسرى، وتبدّلوا بذلك التقشّف واللبس الخشن وأكل الضباب والقنافذ واليرابيع و لبس الصّوف و الكرابيس أكل اللّوز ينجات و الفالوزجات و لبس الحرير والدّيباج فاستدلّوا بما فتحه الله عليهم وأتاحه لهم على صحّة الدّعوة وصدق الرّسالة.

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم، وعدهم بأنّه سيفتح عليهم كنوز كسرى و قيصر ، فلما

وجدوا الأمر قد وقع بموجب ماقاله صلى الله عليه وآله وسلم عظموه وأحبوه و انقلبت تلك الشكوى و ذلك النفاق و ذلك الاستهزاء إيماناً و يقيناً و إخلاصاً، و طاب لهم العيش، وتمسكوا بالدين لأنهم رأوه طريقاً إلى نيل الدنيا، فعظموا ناموسه، وبالغوا في إجلاله وإجلال الرسول الذى جاء به.

ثم انقرض الأسلاف وجاء الأخلاف على عقيدة ممهدة وأمر أخذوه تقليداً من أسلافهم الذين دبوا في حجورهم ، ثم انقرض ذلك القرن و جاء من بعدهم كذلك و هلم جراً قال:

و لولا الفتوح و النصر و الظفر الذى منحهم الله تعالى إياه و الدولة التي ساقها إليهم لانقرض دين الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و كان يذكر في التواريخ كما يذكر نبوة خالد بن سنان العبسي حيث ظهر و دعا إلى الدين وكان الناس يعجبون من ذلك و يتذاكرونه كما يعجبون و يتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء و الملوك و الدعاة الذين انقرض أمرهم و بقيت أخبارهم، وكان يقول:

من تأمل الرجلين وجدهما متشابهين في جميع أمورهما أو في أكثرها.

و ذلك لأن حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين كانت سجالا انتصر يوم بدر و انتصر المشركون عليه يوم أحد، و كان يوم الخندق كفافاً خرج هو و هم سواء لاله ولا عليه ، لأنهم قتلوا رئيس الأوس وهو سعد بن معاذ و قتل منهم فارس قريش و هو عمرو بن عبدود و انصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت، ثم حارب قريشاً بعدها يوم الفتح فكان الظفر له .

وهكذا كانت حروب علي عليه السلام انتصر يوم الجمل و خرج بينه وبين معاوية على سواء قتل من أصحابه رؤساء ، و من أصحابه رؤساء و انصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه، ثم حارب بعد صفين أهل النهروان فكان الظفر له قال :

و من العجب أن أول حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت بدراً و كان هو المنصور

فيها، و أوّل حروب عليّ عليه السلام الجمل و كان هو المنصور.

ثمّ كان من صحيفة الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبيّة

ثمّ دعا معاوية في آخر أيّام عليّ عليه السلام إلى نفسه و تسمّى بالخلافة كما أنّ مسيلمة والأسود العنسى دعوا إلى أنفسهما في آخر أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تسمّيا بالنّبوة. و اشتدّ على عليّ عليه السلام ذلك كما اشتدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الأسود و مسيلمة، و بطل أمرهما بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و كذلك بطل أمر معاوية و بني أمية بعد وفاة علي عليه السلام .

ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد من العرب إلاّ قريش ماعدا يوم حنين ، و لم يحارب عليّاً عليه السلام أحد من العرب إلاّ قريش ماعدا يوم النّهروان.

و مات علي عليه السلام شهيداً بالسّيف، و مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً بالسمّ.

و هذا لم يتزوّج على خديجة أمّ أولاده حتّي ماتت، و هذا لم يتزوّج على فاطمة أمّ أشرف أولاده حتّى ماتت.

مات رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث و ستّين سنة و مات علي عليه السلام عن مثلها ،و كان يقول: انظروا إلى أخلاقهما و خصايصهما:

هذا شجاع و هذا شجاع، و هذا فصيح و هذا فصيح، و هذا سخيّ جواد و هذا سخيّ جواد، و هذا عالم بالشرايع والامور الالهية و هذا عالم بالفقه والشريعة والامور الدقيقة الغامضة و هذا زاهد في الدّنيا غير نهم عليها و لا مستكثر منها و هذا زاهد في الدّنيا تارك لها غير متمتّع بلذّاتها ، و هذا مذيب نفسه في الصّلاة والعبادة و هذا مثله، و هذا غير محبّب إليه شيء من الامور العاجلة إلاّ النساء و هذا مثله، و هذا ابن ابن عبدالمطلب بن هاشم و هذا في تعداده، و أبوهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بني عبدالمطلب و ربّى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في حجر والده هذا و هو أبوطالب فكان عنده جارياً مجرى أحد أولاده، ثمّ لمّا شبّ و كبر استخلص من بني أبي طالب وهو غلام فربّاه في حجره مكافاة لصنيع أبيطالب به، فامتزج الخلقان و تماثلت السّجيّتان، وإذا كان القرين

مقتدياً بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف الدّهر الطويل .

فوجب أن يكون أخلاق محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم كأخلاق أبيطالب، و أن يكون أخلاق عليّ كأخلاق أبيطالب أبيه و أخلاق محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم مربّيه و أن يكون الكلّ شيمة واحدة وسوسا واحداً و طينة مشتركة و نفساً غير منقسمة ولا متجزّية، و أن لايكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولافصل لولا أنّ الله اختصّ محمّداً عليه السلام برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، فامتاز رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بقوله: أخصّك بالنّبوة فلانبوّة بعدى، و تخصم النّاس بسبع و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم له أيضاً: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي، فأبان نفسه بالنّبوة وأثبت له ماعداها من جميع الفضايل والخصايص مشتركاً بينهما.

قال الشّارح المعتزلي :

و كان النّقيب أبوجعفر غزير العلم صحيح العقل منصفاً بالجدل غير متعصّب للمذهب وإن كان علوياً و كان يعترف بفضايل الصّحابة ويثنى على الشّيخين ويقول: إنهما مهّدا دين الاسلام وأرسيا قواعده و لقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و إنّما مهّداه بما تيسّر للعرب من الفتوح والغنايم في دولتهما و كان يقول في عثمان: إنّ الدولة فى أيّامه كانت على إقبالها و علوّ جدّها بل كانت الفتوح في أيّامه أكثر والغنايم أعظم لولا أنّه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك مسلكهما و كان مضعفاً في أصل القاعدة مغلوباً عليه و كثير الحبّ لأهله و اتيح له من مروان وزير سوء ماأفسد القلوب عليه وحمل النّاس على خلعه وقتله.

قال الشّارح : و كان أبوجعفر لايجحد الفاضل فضله و الحديث ذو شجون قلت له مرّة :

ما سبب حبّ النّاس لعليّ بن أبيطالب عليه السلام وعشقهم له و تهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشّجاعة والعلم والفصاحة وغير ذلك من الخصايص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيّب منها .

فضحك و قال لی : لم تجمع حرا میزك عليّ؟ ثمّ قال:ههنا مقدّمة ينبغی أن تعلم و هی:

إنّ أكثر النّاس موتو رون من الدنيا أمّا المستحقّون فلا ريب في أنّ أكثرهم محرومون.

نحو عالم يری أنّه لاحظّ له من الدّنيا، و يری جاهلا غيره مرزوقاً موسّعاً عليه.

و شجاع قد ابلی في الحرب و انتفع بموضعه ليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته، ويری غيره وهو جبان فشل ينفر من ظلّه مالكاً بقطر عظيم من الدّنيا وقطعة و افرة من المال والرزق.

و عاقل سديد الرّأی صحيح العقل قد قدر عليه رزقه و هو يری غيره أحمق مايقاً تدرّ عليه الخيرات له أخلاف الرّزق

و ذی دين قويم وعبادة حسنة واخلاص وتوحيد و هو محروم ضيق الرزق و يری غيره يهوديّا أو نصرانياً أوزنديقاً كثير المال حسن الحال حتّی أنّ هذه الطبقات المستحقّة يحتاجون في أكثر الوقت إلی الطبقات الّتي لا استحقاق لها، و تدعوهم الضّرورة إلی الذلّ لهم و الخضوع بين أيديهم إمّا لدفع ضرر أولاستجلاب نفع .

و دون هذه الطبقات من ذوی الاستحقاق أيضاً ما يشاهد عياناً من تجّار حاذق أو بنّاء عالم أو نقاش بارع أومصوّر لطيف علی غاية مايكون من ضيق رزقهم وقلّة الحيلة بهم ، و يری غيرهم ممّن ليس يجری مجراهم ولا يلحق طبقتهم مرزوقاً مرغوباً كثير المكسب طيب العيش واسع الرّزق.

فهذا حال ذوی الاستحقاق والاستعداد.

و أما الذين ليسوا من أهل الفضايل كحشو العامّة فانّهم أيضاً لايخلون من الحقد علی الدّنيا والذمّ لها و الحنق والغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم و جيرانهم ولاتری أحداً منهم قانعاً بعيشه ولا راضياً بحاله يتزيّد و يطلب حالا فوق حاله قال:

فاذا عرفت هذه المقدّمة فمعلوم أنّ علياً عليه السلام كان مستحقاً محروماً بل هو أمير المستحقّين المحرومين و سيّدهم و كبيرهم، ومعلوم أنّ الّذين يلحقهم الذّلة وينالهم الضّيم يتعصّب بعضهم لبعض ويكونون الباً ويداً واحدة على المرزوقين الّذين ظفروا بالدّنيا لاشتراكهم في الأمر الذى آلمهم وساءهم وعضّهم ومضّهم ، واشتراكهم في الأنفة و الحمية و الغضب والمنافسة لمن عليهم و قهر عليهم و بلغ من الدّنيا ما لم يبلغوه .

فاذا كان هؤلاء أعني المحرومين متساوين في المنزلة والمرتبة وتعصّب بعضهم لبعض فما ظنّك بما إذا كان رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضايل محتوعلى الخصايص والمناقب وهومع ذلك محروم محدودقدجرّعته الدّنيا علاقمها، وعلته علالا بعد نهل من صابها و صبرها ، ولقى منها برحاً بارحاً و جهداً جهيداً وعلا عليه من هودونه وحكم فيه و في بيته وأهله ورهطه من لم يكن مانالة من الامرة والسّلطان في حسابه ، ولا دائراً في خلده ، ولا خاطراً بباله ، ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له ولايراه له، ثم كان في آخر الامر أن قتل هذا الرجل الجليل في محرابه وقتل بنوه بعده و سبى حريمه ونساؤه وتتبّع أهله وبنوعمّه بالطرد والقتل والتّشريد والسّجون مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم .

فهل يمكن أن لايتعصّب البشر كلّهم مع هذا الشّخص وهل تستطيع أن لا تحبّه وتهواه وتذوب فيه وتفنى في عشقه انتصاراً له وحميّة من أجله وآنفة ممّا ناله وامتعاضاً ممّا جرى عليه.

و هذا أمر مركوز في الطّبايع مخلوق في الغرائز كما يشاهد النّاس على الجرف إنساناً قد وقع في الماء العميق وهولايحسن السّباحة فانّهم بالطّبع البشرى يرقّون عليه رقّة شديدة.

وقد بلغني أنّه رمى قوم منهم أنفسهم في الماء نحوه يطلبون تخليصه لايتوقّعون على ذلك مجازاة منه بمال أوشكر ولاثواب في الآخرة فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة، ولكنّها رقّة بشريّة وكان الواحد منهم يتخيّل في نفسه أنّه ذلك الغريق

فكما يطلب خلاص نفسه لوكان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصّعبة للمشاركة الجنسيّة .

وكذلك لو أنّ ملكاً ظلم أهل بلد من بلاده ظلماً عنيفاً لكان أهل ذلك البلد يتعصّب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك والاستعداء عليه .

فلوكان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشّأن قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إيّاهم وأخذ أمواله و ضياعه وقتل أولاده و أهله كان لياذهم به وانضوائهم إليه واجتماعهم والتفافهم به أعظم و أعظم ، لأنّ الطّبيعة البشريّة تدعو إلى ذلك على سبيل الايجاب والاضطرار ولا يستطيع الانسان منه امتناعاً .

قال الشّارح: هذا محصول قول النقيب أبي جعفر قد حكيته و الألفاظ لي والمعنى له ، وكان لايعتقد في الصّحابة مايعتقده أكثر الاماميّة فيهم ويسفّه رأى من يذهب فيهم إلى النّفاق و التّكفير ، و كان يقول : حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى في بعض الافعال فحكمه إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء غفرله

قلت له مرّة : أفتقول إنّهما من أهل الجنّة ؟

فقال : إي والله أعتقد ذلك لأنّهما إمّا أن يعفوالله عنهما ابتداء أو بشفاعة الرّسول صلى الله عليه وآله أو بشفاعة عليّ أو يؤاخذهم بعقاب أو عتاب ثمّ ينقلهما إلى الجنة لا استريب في ذلك أصلا ولا أشكّ في ايمانهما برسول الله صلى الله عليه وآله وصحّة عقيدتهما

فقلت له : فعثمان ؟

قال : وكذلك عثمان ثمّ قال : رحم الله عثمان وهل كان إلاّ واحداً منّا وغصناً من شجرة عبد مناف ، ولكن أهله كدروه علينا وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا

قلت له : فيلزم ذلك على ماتراه في أمر هؤلاء أن يجوز دخول معاوية الجنّة لأنه لم تكن منه إلاّ المخالفة وترك امتثال أمر النبويّ .

فقال : كلاّ إنّ معاوية من أهل النار لا لمخالفته علياً ولا بمحاربته اياه ، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا ايمانه حقاً كان من رؤوس المنافقين هو وأبوه ، و لم يسلم قلبه قطّ و إنما أسلم لسانه ، وكان يذكر من حديث معاوية و من فلتات

قوله وماحفظ من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئاً كثيراً ليس هنا موضع ذكره فأذكره

وقال لي مرّة : حاش لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر والله ماهما إلاّ كالذّهب الابريز ولا معاوية إلاّ كالدّرهم الزايف أوقال كالدّرهم القمي .

ثمّ قال لى : فمايقول أصحابكم فيهما ؟

قلت :أما الذى استقرّ عليه رأى المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم فى التفضيل وغيره إنّ علياً عليه السلام أفضل الجماعة و إنّهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها وإنه لم يكن هناك نصّ قاطع العذر وإنما كانت إشارة وايماء لايتضمّن شيء منها صريح النصّ و إنّ علياً نازع ثمّ بايع ، وجمح ثمّ اسحب ، ولو قام على الامتناع لم نقل بصحّة البيعة له ولا بلزومها ، ولو جرّد السيف كما جرّده في آخر الأمر لقلنا بفسق كلّ من خالفه على الاطلاق إنه فاسق كافر ولكن رضي بالبيعة أخيراً ودخل فى الطاعة ، وبالجملة أصحابنا يقولون : إنّ الأمر كان له وكان هو المستحقّ والمتعيّن فان شاء أخذه بنفسه و إن شاء ولاّه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره اتبعناه ورضيناه .

فقال : قد بقي بيني وبينكم قليل أنا أذهب إلى النصّ وأنتم لاتذهبون إليه ؟

فقلت : إنه لم يثبت النصّ عندنا بطريق يوجب العلم ، و ما تذكرونه أنتم صريحاً فانتم تنفردون بنقله ، و ماعدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة .

فقال وهو ضجر: يافلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن نتأوّل قولنا لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، دعني من التأويلات الباردة التى تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة وأنّ المتكلّمين تكلّفوها وتعسّفوها ، فانما أنا وأنت فى الدّار ولا ثالث لنا فيستحيى أحدنا من صاحبه أو يخافه .

قال الشارح : فلما بلغنا إلى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يخشاه ، فتركنا ذلك الاسلوب من الحديث وخضنا في غيره ، انتهى.

قال الشارح المحتاج إلى رحمة ربّ العالمين المتمسّك بحبل الله المتين ولاية أمير المؤمنين :

لله درّ الشارح المعتزلي والنّقيب أبي جعفر الحسني ، فلقد أجاد كلّ منهما فيما أفاد ، وأسفرا النّقاب عن وجه المراد ، وحقّقا ما هو الحقّ الأحقّ بالاتباع ، وأفصحا عن صريح مذهب الشّيعة الاماميّة رضي الله عنهم لولا إنكار الأوّل للنّص الجلي وتعصّب الثّاني في حقّ الشيخين وقوله: بأنّهما من أهل الجنّة بشفاعة الرّسول صلّى الله عليه وآله أو بشفاعة علي عليه السلام وبعبارة اخرى عدم تبرّيه من الشّيخين مع تولّيه لأمير المؤمنين فان كان ما قالاه مقتضى التّقيّة الّتي هي شعار الاماميّة أى يكون ما أضمراه خلاف ما أظهراه ، فطوبى لهم وحسن مآب وجنّات خلد مفتّحة الأبواب .

وإن كان سريرتهما وفق علانيتهما فويل لهما من ديّان الدّين يوم حشر الأوّلين و الآخرين .

وما أدرى ماذا يعتذران به إذا لاقيا أمير المؤمنين في موقف حساب ربّ العالمين وكيف يمكن إنكار النصّ مع وجود النّصوص القاطعة المتواترة العامية والخاصيّة حسبما عرفت في تضاعيف الشرح وتعرف أيضاً في المواقع اللايقة ، أم كيف يمكن اجتماع ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّته في القلب مع محبّة الشيخين وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين ولنعم ما قال مجنون العامرى :

ولو كان لي قلب يذوب بحبّها و قلب بأخرى إنّها لقلوب

وقد تقدّم في شرح الخطبة المأة والسابعة والأربعين أخبار كثيرة فى عدم اجتماع محبّته عليه السلام مع محبّة غيره فليتذكّر ، هذا .

مضافاً إلى النصّ الذى هو مسلّم النقيب كما أنه مثبت لخلافة أمير المؤمنين ناف لخلافة المنتحلين المبطلين ، و بالجملة لازمة الولاية الحقّة الثبات في عداوة الثلاثة .

وهنا لطيفة مناسبة للمقام يعجبني ذكرها وهو:

إنّ الشيخ صالح بن حسن سأل عن الشيخ الأجلّ بهاء الملّة والدّين قدّس الله

روحه و قال : ما قول سيدى وسندى في هذه الأبيات لبعض النواصب فالمأمول أن تشرفوا بجواب منظوم يكسر سورته :

أهوى علياً أمير المؤمنين و لا — أرضى بسب أبي بكر و لا عمرا

و لا أقول إذا لم يعطيا فدكاً — بنت النبي رسول الله قد كفرا

الله يعلم ما ذا يأتيان بـه — يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

فأجابه الشيخ قدس سره العزيز : التمست أيها الأخ الأفضل الصفي الوفي أطال الله بقاك وأدام فى معارج العز ارتقاك الاجابة عما هذر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول و طفقت أقول :

يا أيها المدعي حب الوصي و لم — تسمح بسب أبي بكر و لا عمرا

كذبت والله فى دعوى محبـتـه — تبت يداك ستصلى في غد سقرا

فكيف تهوى أمير المؤمنين و قد — أراك فى سب من عاداه مفتكرا

فان تكن صادقاً فيما نطقت بـه — فابرء إلى الله ممن خان أو غدرا

وأنكر النص في خم و بيعته — وقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد هجرا

أتيت تبغي قيام العذر فى فدك — أتحسب الأمر فى التمويه مستترا

إن كان فى غصب حق الطهر فاطمة — سيقبل العذر ممن جاء معتذرا

فكل ذنب لـه عذر غداة غد — و كل ظلم ترى فى الحشر مغتفرا

فلا تقولوا لمن أيامه صرفت — فى سب شيخيكم قد ضل أو كفرا

بل سامحوه و قولوا لا نؤاخذه — عسى يكون له عذر إذا اعتذرا

فكيف والعذر مثل الشمس اذ بزغت — والأمر متضح كالصبح إذ ظهرا

لكن إبليس أغواكم و صيركم — عمياً و صماً فلا سمعاً ولا بصرا

الترجمة

مى‌فرمايد قسم بخدا نيست معاويه زيركتر از من در تدبير امورات دنيويه ،

ولکن آن ملعون مکر وحیله میکند ومرتکب فسق وفجور می‌شود ، و اگر حیله کردن حرام نمی‌شد هرآینه می‌بودم من از زیرکترین خلق ولکن هرحیله کننده فاسق وفاجراست ، وهرفاسق وفاجر کافر ، وهرصاحب حیله را علمی است شناخته می‌شود بااودرروزقیامت ، بخدا سوگندطلب نمی‌شود غفلت ازمن بجهت کید وحیله وطمع نمی‌شود درضعف من بجهت شدایدوسختیهای روزگار .

ومن كلام له عليه السلام و هو المأتان من المختار فى باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ لا تَسْتَوْحِشُوا في طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسَّخَطُ ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ .

اللغة

قال الأزهرى (العقر) عند العرب قطع عرقوب النّاقة ثمّ جعل النّحر عقراً

لأنّ ناحر البعير يعقره ثمّ ينحره و (الخوار) بالضمّ صوت البقر والغنم والسّهم والخور المنخفض من الأرض ، والأرض الخوّارة الكثيرة الخوار و(خسف) المكان غار في الأرض وخسفه الله يتعدّى ولا يتعدّى و(السّكة) بالكسر حديدة الفدّان الّتي تثير بها الأرض و(حميت) الحديدة تحمى من باب تعب فهى حامية إذا اشتدّ حرّها بالنّار ويعدّى بالهمزة فيقال أحميتها فهي محماة و(التّيه) بكسر التّاء المفازة الّتي لاعلامة فيها يهتدى بها ، وتاه الانسان في المفازة يتيه ضلّ عن الطريق .

الاعراب

ثمود بالفتحة قبيلة من العرب الاولى وهم قوم صالح وصالح من ولد ثمود سمّوا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح يصرف ولا يصرف ، فمن جعله اسم حيّ أوواد صرفه لأنّه حينئذ مذكّر ، ومن جعله اسم قبيلة أو أرض لم يصرفه للتّأنيث والعلميّة ، وأرض ثمود قريبة من تبوك ، ولمّا عمّوه في بعض النسخ بتشديد الميم فتكون ظرفيّة بمعني إذ ، وفي بعضها بكسر اللاّم و تخفيف الميم فتكون ما مصدريّة ، وقوله : فأصبحوا نادمين إن كان أصبح ناقصة بمعني صار فنادمين خبرها ، وإن كانت تامّة بمعني الدّخول في وقت الصّباح فهو حال من فاعلها ، ويؤيّد الثاني قوله تعالى في سورة الحجر «فأخذتهم الصّيحة مصبحين» وكذا قوله : فما كان ، يحتمل أن تكون كان ناقصة واسمها مضمر فيها أى ما كان الانتقام منهم ، وتامّة بمعنى وقع .

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام ترغيب أصحابه على الثّبات على ما كانوا عليه من سلوك سبيل الحقّ ، ولمّا كانت العادة جارية بأن يستوحش النّاس من الوحدة وقلّة الرّفيق في الطريق لاسيّما إذا كان طويلا صعباً غير مأنوس فنهى عن الاستيحاش في تلك الطريق وقال :

(أيّها النّاس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله) وكنّى به عمّا عساه

يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنّهم ليسوا على الحقّ لقلّتهم و كثرة مخالفيهم ، وأيضاً قلّة العدد في الطّرق الحسيّة مظنّة الهلاك والسّلامة مع الكثرة فنبّههم عليه السلام على أنهم في طريق الهدى والسلامة وإن كانوا قليلين وأنّ طرق الآخرة لاتقاس بطرق الدّنيا.

ثمّ نبّه على قلّة أهل الهدى بأنّ أغلب الناس مفتونون بحبّها الصارف لهم عن طريق الهدى إلى طريق الرّدى فقال :

(فانّ الناس اجتمعوا على مائدة) استعارها للدّنيا والجامع كونهما مجتمع اللّذات وتفرعها بأنّ (شبعها قصير وجوعها طويل) و كنّى بقصر شبعها عن قصر مدّتها وبطول جوعها عن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة .

قال الشارح البحراني : لفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت إلى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية الفانية بسبب الغفلة في الدّنيا ، فلذلك نسب الجوع إليها .

و كيف كان ففيه تنفير للمخاطبين من الاجتماع على تلك المائدة مع المجتمعين عليها من أهل الدّنيا وحثّ لهم على الاجتماع على مائدة شبعها طويل وجوعها قصير مع المجتمعين عليها من أهل الآخرة .

وانما يحصل ذلك بسلوك صراطهم المستقيم المؤدّى إلى جنّة النعيم عرضها السماوات والأرض اعدّت للمتقين ، اولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون، على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذّة للشاربين ، و فاكهة مما يتخيّرون ، ولحم طير مما يشتهون ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، هذا .

و أما قلّة أهل الهدى فقد اشير إليها فى كثير من آيات الكتاب العزيز و فى أخبار أهل البيت عليهم السلام ، وقد مدح الله القليل وذمّ الكثير فى كثير من آى التنزيل قال تعالى «وقليل من عبادى الشكور» وقال «وقليل ماهم» وقال «وما آمن معه الاّ قليل» وقال «بل أكثرهم لايعقلون» وقال « واكثرهم لايشعرون » .

والغرض منها دفع مايسبق الى الأوهام العامية من أنّ الكثرة دليل الحقيّة والقلّة دليل البطلان ، ولذا يميل أكثر الناس إلى السواد الأعظم مع أنّ في أعصار جميع الأنبياء كان أعداؤهم أضعاف أتباعهم وأوليائهم .

روى في البحار من الكافي باسناده عن سماعة بن مهران قال : قال لي عبدصالح عليه السلام يا سماعة امنوا على فرشهم و أخافوني أما والله لقد كانت الدّنيا وما فيها إلاّ واحد يعبدالله ولو كان معه غيره لأضافه الله عزّ وجلّ إليه حيث يقول : «ان إبراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين» فصبر بذلك ماشاءالله ، ثمّ إن الله آنسه باسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة أما والله إنّ المؤمن لقليل وإنّ أهل الكفر كثير أتدرى لم ذلك ؟ فقلت : لاأدرى جعلت فداك ، فقال : صيروا أنساً للمؤمنين يبثّون إليهم ما في صدورهم فيستريحون إلى ذلك ويسكنون إليه .

قال المحدّث العلامة المجلسيّ بعد نقله : قوله : وأخافوني ، أى بالاذاعة وترك التقيّة ، والضمير في أمنوا راجع إلى المدّعين للتشيّع الّذين لم يطيعوا أئمتهم في التقيّة وترك الاذاعة و أشار بذلك إلى أنّهم ليسوا بشيعة لنا ، وقوله وإنّ أهل الكفر كثير المراد بالكفر هنا المقابل للايمان الكامل كما قال تعالى «ومايؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون» وقوله : أتدرى لم ذاك ؟ أى قلّة عدد المؤمنين مع أنّهم بحسب الظاهر كثيرون أولأنّ الله لم جعل هؤلاء في صورة المؤمنين ، والمعني أنّ الله جعل هؤلاء المتشيّعة انسا للمؤمنين لئلاّ يستوحشوا لقلّتهم أو يكون علّة لخروج هؤلاء عن الايمان ، فالمعني أنّه جعل المخالفين انسا للمؤمنين فيبثّون أى المؤمنون إلى المخالفين أسرار أئمّتهم فبذلك خرجوا عن الايمان .

و يؤيد الاحتمالات المتقدّمة مارواه عليّ بن جعفر قال : سمعت أباالحسن عليه السلام يقول : ليس كلّ من يقول بولايتنا مؤمناً ولكن جعلوا انساً للمؤمنين .

وفى البحار من الكافى عن حمران بن أعين قال : قلت لأبى جعفر عليه السلام : جعلت فداك ما أقلّنا لواجتمعنا على شاة ما أفنيناها فقال عليه السلام : ألاأحدّثك بأعجب

من ذلك المهاجرون والأنصار إلاّ وأشار بيده(١) ثلاثة، فقلت: جعلت فداك ماحال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبااليقظان بايع ومات شهيداً، فقلت في نفسي: ماشيء أفضل من الشهادة، فنظر اليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة ايهات ايهات.

وفيه من الكافي عن قتيبة الأعشى قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: المؤمنة أعزّ من المؤمن والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما رويناه كفاية.

وقوله (أيّها النّاس إنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط) أي يجمعهم في العذاب رضاهم بالمنكرات وفي الخلاص منه سخطهم لها كما أنّه يجمعهم في الثّواب رضاهم بالصّالحات وفي الحرمان منه سخطهم لها، لأنّ الرّاضي بفعل قوم كالداخل معهم فيه، ويدلّ على ذلك أخبار كثيرة.

مثل ما في الوسايل عن البرقي في المحاسن عن محمّد بن مسلم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط فمن رضى أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه.

وفيه من العيون والعلل باسناده عن عبدالسّلام بن صالح الهروى قال قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام ياابن رسول الله ما تقول في حديث روى عن الصّادق عليه السلام قال: إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها فقال: هو كذلك، فقلت: قول الله عزّ وجلّ «ولا تزر وازرة وزر اخرى» مامعناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم و يفتخرون بها، و من رضي شيئاً كان كمن أتاه، و لو أنّ رجلا قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الرّاضي عندالله شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم.

وفيه من العيون والعلل بهذا الاسناد عن الرّضا عليه السلام قال: قلت له: لأيّ

---

(١) قوله وأشار بيده من كلام الراوى، والمراد به الاشاره بثلاثة أصابع من يده وثلاثة من كلام الامام «ع» والمراد بالثلاثة: سلمان، وأبوذر، والمقداد «بحار»

علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدّنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لاذنب له ؟ فقال : ما كان فيهم الأطفال لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح و أرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا و لا طفل فيهم ، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، و أمّا الباقون من قوم نوح فاغرقوا بتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام وسائرهم اغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين ، و من غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده و أتاه .

وفيه عن العيّاشي في تفسيره عن محمّد بن هاشم عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية « قل قد جائكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالّذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » وقد علم أن قد قالوا والله ماقتلنا ولا شهدنا ، وإنّما قيل لهم : ابرأوا من قتلتهم ، فأبوا .

وعن محمّد بن الأرقط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تنزل الكوفة؟ قلت : نعم قال : ترون قتلة الحسين بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك مابقى منهم أحد ، قال : فأنت إذاً لاترى القاتل إلّا من قتل أومن ولي القتل ألم تسمع إلى قول الله « قل قد جائكم رسل من قبلي بالبيّنات و بالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين» فأيّ رسول قتل الذين كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بين أظهرهم ولم يكن بينه و بين عيسى رسول ، و إنّما رضوا قتل اولئك فسمّوا قاتلين ،هذا.

و لمّا ذكر عليه السلام إنّ النّاس يجمعهم الرّضا و السخط استشهد عليه بقصّة ثمود فقال:

(و إنّما عقر ناقة) الصالح الّتي جعلها الله آية قومه (ثمود رجل واحد) منهم أزرق أشقر أحمر يقال له : قدار بن سالف، و كان ولد زنا و لم يكن ابن سالف و إنّما ولد في بيته فانتسب إليه (فعمّهم الله بالعذاب) و هى الصّيحة و الرّجفة والصاعقة والزلزلة الشّديدة (لما عموه بالرّضا) أى أنزل العذاب على جميعهم لما كان الجميع راضين بذلك الفعل أعنى عقر النّاقة (فقال تعالى) في سورة الشعراء

(فعقروها) نسب العقر إلى جميعهم لما ذكر (فأصبحوا نادمين) على عقرها عند معاينةالعذاب .

و في سورة هود « و اخذالذين ظلموا الصّيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين» و في سورة الأعراف «فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (١)».

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية الأخيرة : أى الصّيحة ، و قيل : الزّلزلة هلكوا بها ، وقيل: الصّاعقة ، و قيل: كانت صيحة زلزلت به الأرض وأصل الرجفة الحركة المزعجة الشّديدة و إنّما قال فأصبحوا جاثمين لأنّ العذاب أخذهم عند الصّباح، و قيل: أتتهم الصّيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصّفة ، والعرب تقول عند الأمر العظيم: واسوءصباحاه .

أقول : و يؤيّد الأوّل قوله تعالى في سورة الحجر « فأخذتهم الصيحة مصبحين»و ستعرف تفصيل قصّتهم و تمام الآية المذكورة في المتن في التّذنيب الآتي إنشاء الله.

(فما كان) عقوبتهم بعد العقر (إلاّ أن) أخذتهم الرّجفة و (خارت أرضهم بالخسفة)أي صوتت بسبب الخسف في الأرض(خوار السّكةالمحماةفي الأرض الخوارة) أى مثل تصويت السكةالمحدّدة التي هى أقوى صوتاًو أشدّ غوصاً في الأرض الصّلبة الكثيرة الصّوت فاريه بالمحماة المحدّدة مجازاً بعلاقة ما كان لأنّها تحمى في النار أوّلا ثمّ تحدّد أو بعلاقة الملازمة.

و أبقاه الشارح المعتزلي على معناه الحقيقى و قال: إنّما جعلها محماةلأنه يكون أبلغ في ذهابها في الأرض، لأنّ السّكة المحماة تخرق الأرض بشيئين : أحدهما تحدّدرأسها، والثانى حرارته،فانّ الجسم المحدّد إذا اعتمدعليهفي الأرض اقتضت الحرارة إعانة ذلك الطرف المحدّد على النّفوذ بتحليلها ما يلاقى من صلابته الأرض، لأنّ شأن الحرارة التحليل، فيكون غوص ذلك الجسم المحدّد في

١ـ أى صرعى ميّتين لاحركة بهم وأصل الجثوم اللزوم بالمكان،منه.

الأرض أسهل، انتهى

و فيه أنّ الحديد عند التسخين مليّن والليّن يوجب ضعف النفوذ لاقوّته كماهو ظاهر فكيف تكون الحرارة معينة على نفوذها.

ثمّ إنّه فسّر الخوارة باللّينة و فسّرها الشارح البحراني بالضعيفة، فيتوجّه عليه أنّ الأرض اللّينة الضعيفة و إن كان نفوذ السكة فيها أبلغ إلاّ أنّها لايكون لها صوت و إنّما يخرج الصّوت من اصطدام الحديد بالصّلب من الأرض، و لذلك اشترطوا في خروج الصوت مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع، هذا.

ولمّا افتتح كلامه بالنّهي عن الاستيحاش في سلوك طريق الهدى ، ختمه بالترغيب في سلوكه بالتنبيه على مافيه من المنافع فقال :

(أيّها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء و من خالف وقع في التّيه) و هو من قبيل إسارل المثل فانّ سالك الجادّة الوسطى يصل المنزل ويرد الماء، والآخذ باليمين و الشّمال يضلّ عنها و يقع في المفازة الخالية من الماء و الكلاء و يهلك من العطش.

والمراد به أنّ ناهج المنهج القويم والصّراط المستقيم يصل إلى جنات النعيم و يشرب من كوثر و تسنيم ، والتارك له صار إلى الجحيم ، ووقع في العذاب الأليم والخزى العظيم، نعوذبالله من اتّباع الهوى ومن الضلال بعد الهدى.

تنبيه

ما أوردته في شرح هذا الكلام له عليه السلام جرياً على مقتضى ظاهره المسوق سوق العموم، والذي يقتضيه النظر الدّقيق أنّ نظره عليه السلام فيه إلى أمر الخلافة والحثّ على متابعته والتحذير والتنفير من متابعة أئمّة الضّلال.

فيكون محصل المعنى على ذلك أمر المخاطبين بعدم الاستيحاش من متابعته و من تخليص الايمان بولايته لقلّة المؤمنين و كثرة المنافقين ، لأنّ النّاس المجتمعين على عوائد أئمة الضلال و موائدهم والمنتفعون من عطيّاتهم وجوائزهم

لاسيّما ما كان في زمن عثمان و معاوية من خضم مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع قد اجتمعوا على مائدة فيها اللّذة العاجلة القليلة والنّقمة الآجلة الكثيرة والشّبع القصير والجوع الطويل، و حذّرهم عن الرّضا بفعل أئمّة الضّلال من الظلم في حقّه مضافاً إلى البدع والمنكرات الّتي أحدثوها أن يعمّهم العذاب و يحيط بهم كما أحاط بقوم ثمود من أجل رضاهم بما فعله واحد منهم من عقر ناقة الله و الظلم في حقّها

ثمّ أكّد عليه السلام ذلك أى وجوب متابعته وحرمة مخالفته والعدول عنه إلى غيره بالتّنبيه على أنّ سالك سبيل ولايته يشرب من الرّحيق المختوم، والعادل عنه إلى غيره تاه في أودية الضّلال و يسقى من الضريع والزّقوم.

و من ذلك علم حسن اقحام قصّة ثمود في البين وارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض و يزيد ذلك وضوحاً:

ما رواه في البحار من الثعلبي باسناد معروف عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ياعلي أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال : قلت: الله و رسوله أعلم قال: عاقر النّاقة، قال: أتدري من أشقى الآخرين ؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: قاتلك ، و في رواية اخرى قال : أشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه .

وفى البحار أيضاً من قصص الأنبياء عن الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل قال : و إنّما مثل علي عليه السلام و القائم صلوات الله عليهما في هذه الامّة مثل صالح عليه السلام .

تذنيب

في تفصيل قصّة صالح و ثمود و كيفية عقر الناقة فأقول :

قد ذكر الله سبحانه هذه القصة في عدّة سور من كتابه العزيز في بعضها إجمالا و بعضها تفصيلا و هى سورة الأعراف وهود والحجر والشعراء والنمل والسجدة والذاريات والقمر والحاقّة والفجر والشّمس ، و نحن نورد الآيات المتضمنّة لها في

سورة الشّعراء تبعاً للمتن، و نعقبها بالاخبار الواردة في تلك القصة قال تعالى:

كذّبت ثمود المرسلين۞ إذقال لهم أخوهم صالح ألاتتّقون ۞ إنّي لكم رسول أمين۞ «الى أن قال» فاتّقوا الله وأطيعون۞ولاتطيعوا أمر المسرفين۞ الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون۞ قالوا إنّما أنت من المسحّرين۞ما أنت إلّا بشر مثلنا فائت بآية إن كنت من الصّادقين۞ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم۞ولاتمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ۞ فعقروها فأصبحوا نادمين۞ فأخذهم العذاب انّ في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين۞ و إنّ ربّك لهوالعزيز الرّحيم»

روى الكليني في كتاب الرّوضة من الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمّد إنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشرة سنة ، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين و مأة سنة لايجيبونه إلى خير.

قال: و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله عزّ ذكره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم بعثت اليكم و انا ابن ستّ عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومأة سنة و انا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني السّاعة و إن شئتم سألت آلهتكم فان أجابتني بالذى أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم و سئمتموني (١)

قالوا: قد أنصفت يا صالح فاتعدوا اليوم يخرجون فيه.

قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم (٢) ثمّ قرّبوا طعامهم و شرابهم فأكلوا و شربوا فلما أن فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل، فدعا صالح كبير أصنامهم فقال: مااسم هذا؟ فأخبروه باسمه ، فناداه باسمه فلم يجب ، فقال صالح: ما له لا يجيب ، فقالوا له : ادع غيره .

١ـ اى مللت منكم ومللتم منى، منه .

٢ـ اى خارج بلدهم، منه.

قال: فدعاها كلّها فلم يجبه منها شيء (١) فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبني واحد منهم فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيجيبكم السّاعة فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالكنّ لاتجبن صالحاً فلم تجب، فقالوا: ياصالح تنحّ عنّا ودعنا وأصنامنا قليلا.

قال: فرموا بتلك البسط الّتي بسطوها وبتلك الانية ونحّوا الثّياب وتمرّغوا في التّراب وطرحوا التّراب على رؤوسهم وقالوا لها: لئن لم تجبن صالحاً لنفضحنّ ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح تعال فاسألها، فعاد فسألها فلم تجبه، فقال لهم: يا قوم قدذهب صدر النهار ولاأرى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتّى ادعو إلهي فيجيبكم الساعة.

فانتدب له منهم سبعون رجلامن كبرائهم وعظمائهم والمنظور اليهم منهم، فقالوا يا صالح نحن نسألك فان أجابنا ربّك تبعناك وأجبناك وبايعك جميع أهل قريتنا، فقال لهم: سلوني ماشئتم، فقالوا: تقدّم بنا إلى هذا الجبل، وكان الجبل قريباً، فانطلق معهم صالح فلمّا انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح ادع لنا ربّك يخرج لنا من هذا الجبل السّاعة ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء (٢) بين جنبيها ميل، فقال لهم صالح قدسألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي جلّ وعزّ وتعالى.

قال: فسأل الله تبارك وتعالى صالح ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لمّا سمعوا ذلك، ثمّ اضطرب الجبل اضطراباً شديداً كالمرأة إذاأخذها المخاض، ثمّ لم يفجاهم (٣) إلاّ ورأسها قدطلع عليهم من ذلك الصّدع، فمااستتمّت رقبتها حتّي اجترت ثمّ خرج ساير جسدها ثمّ استوت قائمة على الأرض.

فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك ادع لنا يخرج

١ـ «فلم يجبه واحد منهم خل»

(٢) الشقراء الشديدة الحمرة الوبراء الكثيرة الوبر العشراء التى أتى على حملها عشرة أشهر، منه

(٣) أى لم يظهر عليهم شيء من أعضائها إلاّ رأسها. م

لنا فصيلها .

فسأل الله عزّ وجلّ ذلك ، فرمت به فدبّ حولها فقال لهم : يا قوم أبقي شيء ؟ قالوا : لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بمارأينا ويؤمنون « يؤمنوا» بك .

قال : فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة وستّون رجلا وقالوا: سحر و كذب .

قال : فانتهوا إلى الجميع فقال الستّة حقّ وقال الجميع كذب وسحر ، قال : فانصرفوا على ذلك ثمّ ارتابت من الستّة واحدوكان فيمن عقرها .

قال ابن محبوب : فحدّثت بهذا الحديث رجلا من أصحابنا يقال له سعد بن يزيد فأخبرني أنّه رأى الجبل الّذي خرجت منه بالشام فرأى جنبها قدحكّ الجبل فأثّر جنبها فيه وجبل آخر بينه وبين هذا ميل .

وفي الروضة عن عليّ بن العبّاس عن الحسن بن عبدالرّحمن عن عليّ بن حجرة عن أبي بصير عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قلت له « كذّبت ثمود بالنّذر ۞ فقالوا أبشراً منّا واحداً نتّبعه إنّا إذاً لفي ضلال وسعر ۞ ءالقي الذّكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر» .

قال عليه السلام : هذابما كذّبوا صالحاً وما أهلك الله قوماً قط حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرّسل فيحتجّوا عليهم فبعث الله عزّ وجلّ إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوه وعتوا عليه عتوّاً وقالوا : لن نؤمن لك حتّى تخرج إلينا من هذه الصّخرة ناقة عشراء ، و كانت الصّخرة يعظّمونها و يعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها فقالوا له : إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولا فادع لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصّخرة الصّماء ناقة عشراء ، فأخرجها الله كما طلبوا منه .

ثمّ أوحى الله تبارك وتعالى اليه أن ياصالح قل لهم: إنّ الله قدجعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم ولكم شرب يوم ، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم الماء فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك ، فاذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب النّاقة ذلك اليوم .

فمكثوا بذلك ماشاء الله ثم إنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها لانرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم ، ثمّ قالوا من الّذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ ، فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لايعرف له أب يقال له قدار شقيّ من الأشقياء مشئوم عليهم ، فجعلوا له جعلا ، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء الّذي كانت ترده تركها حتّى شربت الماء وأقبلت راجعة فقعدلها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً فضربها ضربة اخرى فقتلها وخرّت إلى الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل فرغا ثلاث مرات إلى السماء وأقبل قوم صالح فلم يبق أحدٌ إلاّ شركه في ضربته واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ أكل منها .

فلما رأى ذلك صالح أقبل عليهم فقال : يا قوم مادعاكم إلى ماصنعتم أعصيتم ربّكم ؟

فأوحى الله تعالى إلى صالح إنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثها الله إليهم حجّة عليهم ولم يكن عليهم منها ضرر وكان لهم فيها أعظم المنفعة فقل لهم : إني مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيام فان هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث .

فأتاهم صالح فقال لهم يا قوم إنّي رسول ربكم اليكم وهو يقول لكم إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت لكم .

فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث وقالوا : يا صالح ائتنا بماتعدنا إن كنت من الصادقين قال : يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة ، واليوم الثاني وجوهكم محمرّة ، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة .

فلما أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : قدجاءكم ماقال لكم صالح فقال العتاة منهم : لانسمع قول صالح ولانقبل قوله وإن كان عظيما .

فلمّا كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا : يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ماسمعنا قول صالح وماتركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها ولم يتوبوا ولم يرجعوا

فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا و وجوههم مسودّة فمشى بعضهم إلى بعض فقال: ياقوم أتاكم ماقال لكم صالح فقال العتاة منهم: قد أتانا ماقال لنا صالح .

فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصّرخة أسماعهم و فلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثلاثة أيام قد تحنّطوا و تكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم و كبيرهم فلم يبق منهم ناعقة ولاراغية ولاشيء إلاّ أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين ، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصّيحة النّار من السماء فأحرقتهم أجمعين ، و كانت هذه قصّتهم .

ورواه المحدّث العلاّمة المجلسيّ في البحار من الرّوضة كما نقلناه . و قال بعد روايته :

« **ايضاح** » قوله : كذّبت ثمود بالنذر ، بالانذارات أوالمواعظ أو الرّسل ، فقالوا أبشراً منّا من جنسنا وجملتنا لافضل له علينا ، انتصابه بفعل يفسّره مابعده ، واحداً ، منفرداً لاتابع له أومن آحادهم دون أشرافهم ، نتّبعه إذاً لفي ضلال وسعر ، كأنّهم عكسوا عليه فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه مارتّب على ترك اتّباعهم له ، ءالقي الذّكر، الكتاب والوحي ، عليه من بيننا ، وفينا من هو أحقّ منه بذلك ، بل هو كذّاب أشر، حمله بطره على الرّفع علينا بادّعائه .

والشرب بالكسر النصيب من الماء ، والأشقر من النّاس ، من تعلو بياضه حمرة ، لايعرف له أب أي كان ولد زنا، وانّما كان ينسب «الى سالف» لأنّه كان ولد على فراشه، قال الجوهري : قدار بضمّ القاف و تخفيف الدّال يقال له أحمر ثمود وعاقر ناقة

صالح انتهى .

ورغا البعير صوّت وضجّ ، لم يبق منهم ناعقة ولاراعية أي لم يبق جماعة يتأتى منهم النّعيق والرّعى، والنعيق صوت الرّاعى بغنمه، وفي بعض النسخ ثاغية ولاراغية أى شاة ولاناقة .

وفي مجمع البيان فاذا كان يوم النّاقة وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتّى تشرب كلّ مافيه ثمّ ترفع رأسها فتفجج لهم فيحتلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدّخرون حتّى يملاؤا أوانيهم كلّها .

قال الحسن بن محبوب : حدّثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال : أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعاً وكانت تصدر من غير الفجّ الّذى منه وردت، ولاتقدر على أن تصدر من حيث تردلأنّه يضيق عنها وكانوا في سعة ودعة منها ، وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال و المغارات ، فشقّ ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفرعنها لعظمها فهمّوا بقتلها .

قالوا : وكانت امرأة جميلة يقال لها : صدوف ، ذات مال من إبل وبقروغنم وكانت أشدّ النّاس عداوة لصالح عليه السلام فدعت رجلا يقال له : مصدع بن مهرج ، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة ، وامرأة اخرى يقال لها: عنيزة، دعت قدار بن سالف وكان أحمر أزرق قصيراً وكان ولد زناً ولم يكن لسالف الّذى يدّعى اليه ولكنه ولد على فراشه ، وقالت له : اعطيك أىّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه ، فانطلق قداربن سالف و مصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفروأجمعوا على عقر الناقة .

قال السدى : ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يشربون الشراب ، فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قدشربته الناقة ، فاشتدّ ذلك عليهم فقال قدار : هل لكمْ في أن أعقرها لكم ؟ قالوا : نعم .

وقال كعب : كان سبب عقرهم الناقة أنّ امرأة يقال لها : ملكاء كانت قد ملكت ثمود ، فلما أقبل الناس على صالح و صارت الرياسة إليه حسدته ، فقالت لامرأة يقال لها قطام و كانت معشوقة قدار بن سالف ، ولامرأة اخرى يقال لها اقبال و كانت معشوقة مصدع ، و كان قدار ومصدع يجتمعان معهما كلّ ليلة و يشربون الخمر فقالت لهما ملكاء : إذا أتاكما الليلة القدار و مصدع فلاتطيعاهما وقولا لهما إنّ الملكاء حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح ، فنحن لانطيعكما حتى تعقرا الناقة ، فلما أتياهما قالتا هذه المقالة لهما ، فقالا : نحن نكون من وراء عقرها .

قالوا : فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها ، و كمن مصدع في أصل اخرى ، فمرّت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لِقدُ ارثمّ زمّرته (١) فشدّ على الناقة بالسّيف فكشف عرقوبها فخرّت و رغت رغاة واحدة تحذر سقبها «سقيتها خ» ، ثمّ طعن فى لبّتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه .

فلمّا رأى الفصيل مافعل بأمّه ولّى هارباً حتّى صعد جبلا ثمّ رغا رغاء تقطّع منه قلوب القوم ، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنّما عقرها فلان ولاذنب لنا .

فقال صالح : انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب ، فخرجوا يطلبونه فى الجبل فلم يجدوه ، وكانوا عقروا النّاقة ليلة الأربعاء فقال لهم صالح : تمتّعوا في داركم يعني في محلّتكم في الدّنيا ثلاثة أيّام ، فانّ العذاب نازل بكم .

ثمّ قال يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة ، واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرّة ، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة .

---

(١) زمرته أى شجّعته وحضّته

فلمّا كان أولّ يوم أصبحت وجوهم مصفرّة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح ، ولمّا كان اليوم الثاني احمرّت وجوههم ، واليوم الثّالث اسودّت وجوههم .

ولمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخت بهم صرخة خرقت أسماعهم وصدعت أكبادهم وفلقت قلوبهم ، وكانوا قد تحنطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم ، فلم يبق الله منهم ثاغية ولاراغية ولا شيئاً يتنفّس إلاّ أهلكها فأصبحوا في ديارهم موتى جاثمين ، ثمّ أرسل الله إليهم مع الصّيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين .

وفي كتاب عليّ بن إبراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا .

نعوذ بالله من غضب الله وسخطه ، و نتوسّل إليه بمحمّد وآله أن لا يؤاخذنا بأعمالنا ، وأن يغفر لنا و يصفح عنّا فانّه كريم الصّفح ، و عظيم المنّ ، و حسن التجاوز ، وولّي الاحسان ، والكرم والامتنان ، وعلى كلّ شيء قدير ، وبالاجابة جدير .

الترجمة

ازجمله كلام بلاغت نظام آن امام أنام عليه السلام است در تحريص مردمان براه هدايت وتحذير ايشان ازطريق ضلالت مى فرمايد .

أى مردمان مستوحش نباشيد در راه هدايت بجهت كمى اهل آن پس بدرستى كه خلق جمع شده‌اند بر طعامى كه سير بودن ازآن زمانش كوتاه و گرسنگى آن مدّتش طولانيست ، اى مردمان بدرستي كه جمع ميكند خلق را درعذاب الهي رضاشدن ايشان بمناهي وخشمناك بودن ايشان بطاعات ، وجز اين نيست كه پى نمود ناقهٔ قوم صالح پيغمبر عليه السلام را يكنفر ازايشان ، پس شامل كرد خداى تعالى بجميع ايشان عذاب را وقتى كه همهٔ ايشان راضى شدند بفعل قبيح آن يك نفر ، پس فرمود خداوند در كتاب مجيد خود « فعقروها فأصبحوا نادمين » يعني پى كردند و كشتند آن قوم ناقه را پس صباح نمودند درحالتيكه پشيمان بودند ، پس نشد مؤاخذه

وانتقام ایشان مگر اینکه صدا کرد زمین ایشان بجهت زلزلهٔ شدیده وفرورفتن در زمین مثل صدای آهن تیز شده که زمین را باآن شخم میکنند در زمینی که بسیار صدا کننده باشد هنگام شخم ، أی مردمان هر که راه برود درراه آشکار وراست وارد می‌شود بآب ، وهر که تخلّف نماید می‌افتد به بیابان گمراهی وهلاکت .

هنا انتهى الجزء الثانی عشر من هذه الطبعة النفيسة القيّمة ، وقد تمّ تصحيحه وتهذيبه وترتيبه بيدالعبد - السيد ابراهيم الميانجي - عفی عنه وعن والديه ، وذلك فی -۲۵- من شهر شعبان سنة -۱۳۸۲- ویلیه انشاءالله الجزء الثالث عشر وأوّله : «ومن كلام له عليه السلام عند دفن الزّهراء سلام‌الله عليها» والحمد لله أولا وآخراً .

فهرس الجزء الثاني عشر من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
الفصل السابع من المختار المأة والحادى والتسعين	
في توبيخه عليه السلام المخاطبين بقلّة الطاعة وأخذ طريق الجاهلية .	٢
تذكيره عليه السلام المخاطبين بالعقوبات النازلة على الاُمم الماضية بخروجهم عن طاعة الله سبحانه وتخويفهم بقوارعه و وقايعه .	١٢
الترجمة	١٧
الفصل الثامن	
في بيان فضايله ومناقبه وخصايصه الخاصة به عليه السلام وموضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .	١٩
في كونه عليه السلام مأموراً بقتال البغاة والخوارج .	٢٢
اختلاف الأقوال في شيطان الرّدهة وقصّة بئر ذات العلم .	٢٥
ذكره غزوة بدر وما وقع منه عليه السلام فيها .	٢٩
ذكره عليه السلام تسعاً من مفاخره الجليلة .	٣٣
وهنا تنبيهات ثلاثة ـ : التنبيه الاول	
اختلاف الأقوال في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم «الخ» و نقل كلام للفخر الرازى في تفسير الآية بطوله	٤٥
اعتراضات الشارح المصنف «قد» على كلام الرازى .	٥١
التنبيه الثاني	
في سماع الامام عليه السلام ما يسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .	٨٠
التنبيه الثالث	
ذكر الأخبار الواردة في وزارته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر حديث الدّار .	٨٥
الترجمة	٩٠

العنوان الصفحة

الفصل التاسع

في ذكر ايمانه عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتصديقه بالمعجزة الظاهرة منه صلى الله عليه وآله وسلم في الشجرة لمّا كفر به غيره . ٩٢

إشارته عليه السلام إلى عشرة مناقب من مناقب عشيرته . ٩٨

تبصرة

في نقل حديث الشجرة عن تفسير الامام عليه السلام . ١٠١

الترجمة ١٠٢

ديباجة الجزء السادس حسب تجزأة المصنف «قد» . ١٠٥

المختار المأة والثاني والتسعون

في علامات المتقين وصفاتهم . ١٠٦

في فضيلة التهجد وقيام الليل . ١٢٣

في فضيلة القراءة . ١٢٤

في فضيلة الحلم والعلم والبرّ والتقوى . ١٢٧

في عدم رضا المتقين بالقليل من الأعمال وعدم إعجابهم من كثيرها . ١٣٠

ذكر جملة من اوصاف المتقين وعلاماتهم . ١٣٥

في صعق همام صعقة كانت نفسه فيها . ١٥٨

تكملة

في نقل المختار على رواية الكافي . ١٦٠

ترجمة المختار ١٦٤

المختار المأة و الثالث والتسعون

في وصف المنافقين و علاماتهم و ذكر جملة من مثالبهم القبيحة و التحذير من كيدهم وخدعتهم . ١٦٩

الترجمة ١٨٢

المختار المأة والرابع والتسعون

في النصح و الموعظة و الأمر بالتقوى و الاشارة إلى جملة من صفات العظمة والجلال . ١٨٣

في الوصية بتقوى الله سبحانه و الاشارة إلى جملة من أهوال يوم القيامة . ١٩٦

بشارة

في الشفاعة واختلاف الأقوال فيها . ٢٠٠

الترجمة ٢٠٥

المختار المأة والخامس و التسعون

في الوصية بتقوى الله تعالى والتنفير من الدّنيا والتحريص على الأعمال الصالحة . ٢٠٧

العنوان	الصفحة
الترجمة	**٢١٢**
المختار المأة و السادس و التسعون	
في بيان جملة من مناقبه عليه السلام الجميلة و خصايصه المختصة به المفيد لمزيد اختصاصه عليه السلام برسول الله ﷺ و قربه منه .	٢١٣
اختصاصه عليه السلام بعدم الردّ على الله ولا على رسوله ﷺ قطّ .	٢١٥
كلام الشارح المعتزلي في المقام .	٢١٧
كلام الشارح المصنف «قد» في المقام .	٢١٨
اختصاصه عليه السلام بمواساة النبي ﷺ في مواطن كثيرة .	٢٢٣
اختصاصه عليه السلام برسول الله ﷺ عند قبض روحه الشريفة و أنّ رأسه ﷺ كان على صدره .	٢٣٠
كيفية تفصيل وفاة النبي ﷺ وقصّة سوادة بن قيس .	٢٣٢
اختصاصه عليه السلام برسول الله ﷺ وسيلان نفسه الشريفة عند الموت في كفّه عليه السلام .	٢٤٠
اختصاصه عليه السلام برسول الله ﷺ بمباشرته غسله والملائكة أعوانه .	٢٤٢
الأخبار الواردة في كيفية وفاة رسول الله ﷺ و غسله و الصلاة عليه ودفنه .	٢٤٣
تنبيهان : ـ الاول	
في نقل الشارح المعتزلي كيفية وفاة رسول الله ﷺ .	٢٥١
ما ذكره الشارح المصنف «قد» في المقام .	٢٥٣
الثاني	
في ذكر الشارح المصنف «قد» رواية شريفة في المقام تتضمّن سبعين خصلة من خصايصه الجميلة المخصوصة به المفيدة لكونه عليه السلام أحقّ وأولى بالخلافة والامامة .	٢٥٧
الترجمة	**٢٦٨**
المختار المأة و السابع و التسعون	
وشرحه في ضمن فصول	
الفصل الاول	
في النصح و الموعظة والوصية بتقوى الله سبحانه وطاعته .	٢٦٩
في الاشارة إلى منافع التقوى والثمرات المترتبة عليها في الدين والدّنيا .	٢٧٥
الترجمة	**٢٨١**

العنوان	الصفحة
الفصل الثاني	
في الاشارة الى شرف الاسلام و فضائله وشئوناته وخصائصه .	٢٨٧
الترجمة	**٢٩٥**
الفصل الثالث والرابع	
في الاشارة إلى بعثة النبي ﷺ وذكر نبذ من فضايل القرآن .	٢٩٧
ذكر بعثة النبي ﷺ وشرح حال زمان البعثة إجمالا .	٣٠٠
في الكتاب العزيز والاشارة إلى اثنين وأربعين فضيلة من فضايله .	٣٠٤
الترجمة	**٣١٦**
المختار المأة و الثامن و التسعون	
في الأمر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وأداء الأمانة .	٣١٧
و مدار هذا المختار على فصول ثلاثة .	
الفصل الاول	
في الأمر بالصلاة والحث عليها وذكر بعض الروايات الواردة فيها و الاشارة إلى تعيين الصلاة الوسطى .	٣٢١
في الاشارة إلى بعض الوجوه المرغبة في الصلاة .	٣٢٥
الفصل الثاني	
في الترغيب في الزكاة والالزام بها .	٣٣٠
الفصل الثالث	
في الحض على أداء الأمانة وذكر بعض الروايات الواردة في ذلك .	٣٣٣
ذكر اختلاف أقوال المفسرين في تفسير الآية الشريفة : إنا عرضنا الامانة «الخ» في مواضع :	
الاول	
في أن المراد بالامانة المعروضة ماذا ؟	٣٣٥
الثاني	
اختلافهم في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض.	٣٣٦
الثالث	
اختلافهم في المراد بالانسان .	٣٣٨
تنبيهه ﷺ على أن كل مايفعله العباد من خير أوشر فانما هو بعين الله التي لاتنام وعلمه الذي لا تخفى عليه خافية وشهادة الأعضاء والجوارح و كيفية الشهادة	٣٤٠
تذييل	
في أن الكفار مكلفون بالفروع كتكليفهم	

العنوان	الصفحة
بالأصول أم لا ؟ و ذكر الاختلاف فيه	٣٤٣
ذكر حجج المثبتين و منهم المصنف «قده» وأدلتهم .	٣٤٤
احتجاج القائلين بالعدم و ردّهم	٣٤٧
تكملة	
في نقل المختار على رواية الكافي	٣٦٠
الترجمة	**٣٦٣**
المختار المأة والتاسع والتسعون	
في كراهية الغدر و دفع توهم من كان معتقداً بأنّ معاوية أدهى منه عليه السلام	٣٦٤
كلام الجاحظ في ردّ من زعم أن معاوية كان أدهى منه عليه السلام	٣٦٨
كلام الشارح المعتزلي مع النقيب في ذلك وفي تقيّده عليه السلام بقيود الشريعة .	٣٧٠
كلام النقيب في تشابه امور عليّ عليه السلام مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم	٣٧٣
كلام النقيب في سبب حبّ الناس لعليّ عليه السلام	٣٧٥
كلام النقيب في الشيخين وعثمان ومعاوية و ذهابه الى وجود النص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام	٣٧٨
كلام الشارح المصنف «قده»	٣٨٠
الترجمة	**٣٨١**
المختار المتمم للمأتين	
في ترغيب أصحابه عليه السلام على الثبات في سلوك سبيل الحقّ وإن قلّ أهله .	٣٨٢
في أن من رضي بفعل قوم فهو منهم وانما يجمع الناس الرّضا والسّخط .	٣٨٦
تنبيه	
بيان الشارح «قده» في أن نظره عليه السلام في هذا الكلام إلى أمر الخلافة	٣٨٩
تذنيب	
في تفصيل قصة صالح وثمود و كيفية عقر الناقة	٣٩٠
الترجمة	**٣٩٨**
الفهرس	**٣٩٩**